ثمرات الأعواد الجزئين كاملين

المؤلف في سطور

هو الخطيب البارع والأديب اللامع المغفور له السيد علي ابن الحسين الهاشمي النجفي عطّر الله تربته وعلّى في الجنان رتبته.

ولد - كما ذكر ذلك من ترجم له - في عاصمة العلم والدين النجف الأشرف على مُشرّفها آلاف التحيّة والثناء عام 1326 هجرية وفيها نشأ وترعرع.

تلقّى رضوان الله عليه تحصيله العلمي ودراسته الدينيّة على أيدي استاتذة مبرّزين معروفين كان من بينهم:

1 - السيد مهدي الأعرجي.

ثمرات الأعواد

يحتوي على عدة مجالس مرتبة لعشرة عاشوراء

في سيرة الحسين عليه السلام وشهادته

لمؤلفه

علي بن الحسين الهاشمي النجفي الخطيب

ولقد بكيت على الحسين بناظر ... ادمت مآقي جفنه عبراته

حتى سقيت بأدمعي شجر الأسى ... فنما وطال وهذه ثمراته

الجزء الأول

2 - الشيخ علي ثامر.
3 - الشيخ علي كاشف الغطاء
تلقّى مبادىء الخطابة على جملةٍ من أماثل خطباء المنبر الحسيني الشريف منهم الخطيبان البارعان:
1 - السيّد صالح الحلي
2 - الشيخ محمد حسين الفيخراني
وقد لازم الهاشمي الأخير ردحاً من الزمن حتّى انفرد بنفسه.
لم يكن المترجم له خطيباً مفوهاً وكاتباً مبدعاً ومحققاً يشار إليه بالبنان فحسب، بل كان طاب ثراه وجعل الجنّة مثواه بالإضافة إلى ما تقدّم شاعراً مجيداً نظم الكثير من القصائد الممتعة والقطع الرائعة التي تكشف ولا شك عن شاعرية مرنة.
وبودي أن احيلك - قارىء العزيز - على كتابين جليلين لتقف من خلالهما على نماذج من شعره الرائق وهما:
1 - شعراء الغري للشيخ علي الخاقاني.
2 - معجم الخطباء للسيّد داخل السيّد حسن
حيث حوى كلٌّ من الكتابين المذكورين ترجمة للهاشمي مع نماذج من شعره رحمه الله.
له عليه الرحمة والرضوان مؤلفات قيمة وكتب نافعة أستطيع القول أنّها ملأت فراغاً في المكتبتين العربية والإسلامية، إليك أسماء بعض منها:
1 - الحسين في طريقه إلى الشهادة

2 - قبور الصحابة في العراق
3 - عقيلة بني هاشم
4 - محمد ابن الحنفية
5 - شرح ميمية أبي فراس
6 - واقعة الجمل
7 - كميل ابن زياد النخعي
8 - موسى الكاظم عليه‌السلام
9 - الهاشميات - يضمّ هذا الكتاب ما بين دفتيه قسماً من شعره الدارج ـ.
10 - المطالب المهمة في تأريخ النبي والزهراء والأئمة
11 - سعيد ابن جبير
12 - ثمرات الأعواد وهو الكتاب الماثل بين يديك أخي القارئ ويعدّ هذا الكتاب المنيف من أشهر وأنفس مؤلفاته رحمه الله.

وقد طُبع عدّة طبعات في العراق وايران وغيرهما من البلدان غير أنّه لم يكن في تلك الطبعات خالياً من الأخطاء والإشتباهات التحريف والتصحيف فعزَّ ذلك على أخينا وعزيزنا خادم العترة الطاهرة الاستاذ الفاضل محمّد صادق الكتبي دام عُلاه فطلب إليّ مشكوراً أنّ أتولى مُراجعة الجزء الثاني من الكتاب وأن أرجع ما ورد فيه من نصوص شريفة وأخبار منيفة إلى مصادرها فكان الذي أراد حيث أرجعت أغلب الأخبار وأكثر النصوص إلى منابعها الأصلية مع ذكر أرقام الآيات البيّنات وأسماء سورها وبيان اسم الشاعر الذي استشهد المؤلف بشعره ما وسعنى ذلك.

وهنا يجمل بي أن اشير إلى أنّ الجزء الأوّل من الكتاب كان قد تولى تحقيقه ومراجعته نجل المؤلّف البارّ الأخ العزيز حجّة الإسلام السيد رأفت الهاشمي وفّقه الله لخير الدارين وسعادة النشأتين إلّا أنّ ظروفاً قاهرةً حالت بينه وبين إتمام الجزء المذكور حيث انتهى به العمل إلى المجلس 47 فقمت بتحقيق ما تبقّى منه والحمد لله.

استأثرت بروحه الرحمة الإلهيّة في الثالث والعشرين من شهر صفر من سنة 1396 هجرية في مدينة الكاظيمة المقدسة وحمل جثمانه الطاهر إلى النجف الأعلى حيث أقبر بجوار جدّه أميرالمؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه صلوات الله وتسليماته.

10 / ربيع الأول 1420
قم المقدسة - هادي الهلالي

المطلب الاول

في ولادة الحسين عليه‌السلام

ولد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام لثلاث ليال من شعبان [1] أو لخمس منه [2]، سنة أربع من الهجرة [3]، وكانت مدة حمله ستة أشهر، ولم يولد لستة أشهر، إلّا عيسى بن مريم والحسين، وقيل: يحيى بن زكريا عليهم‌السلام [4].

ولما ولد الحسين عليه‌السلام هبط الأمين جبرائيل على النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ومعه ألف ملك يهنئونه بولادة الحسين عليه‌السلام، ثم جئ به إليه فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثم حنكه بريقه، وغذاه من لعاب فمه، ودعا له [5].

وروي عن الصادق عليه‌السلام أنّه قال: (لم يرتضع الحسين من ثدي فاطمة ولا من انثى، بل كان يؤتى به النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فيضع ابهامه في فيه، فيمص منها ما يكفيه

---

(1) مسار الشيعه: 61، مصباح المتهجد: 758.

(2) إرشاد المفيد: 2 / 27، مناقب ابن شهر اشوب: 4 / 76، مقاتل الطالبين: 78، اُسد الغابة: 2 / 18، الفصول المهمة لابن الصباغ: 170.

(3) انظر ما تقدّم في (1) و (2).

(4) انظر تاريخ الخميس: 1 / 417.

(5) مناقب ابن شهر اشوب: 4 / 82.

اليومين والثلاث، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم ودمه من دمه) [1].
وعن أبي الحسن الرضا عليهالسلام (أنّ النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم كان يؤتى بالحسين فيلقمه لسانه، فيمصه فيجتزئ به، ولم يرضع من انثى) [2].
وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله:

لله مرتضع لم يرتضع أبداً
من ثدي انثى ومن طه مراضعه

يعطيه إبهامه طوراً وآونة
من ريقه فاستوت منه طبائعه

سر به خصه باريه إذ جمعت
واودعت فيه عن أمر ودائعه

غرس سقاه رسول الله من يده
وطاب من طيب ذاك الأصل فارعه

نعم ما رضع الحسين عليهالسلام عند ولادته من ثدي اثنى أربعين يوماً وليلة، كما ذكر ذلك ابن شهر اشوب في المناقب. قال: إعتلت فاطمةعليهاالسلام لما ولدت الحسين وجف لبنها، فطلب رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم مرضعة فلم يجد، فكان يأتيه فيلقمه إبهامه يمصها ويجعل الله في إبهام رسوله رزقاً يغذيه [4]، ففعل ذلك أربعون يوماً وليلة، فانبت الله لحمه من لحم رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم [5].
ولما كان اليوم السابع سماه حسيناً [6] وعق عنه كبشاً، وأمر اُمه أن تحلق

(1) اُصول الكافي: 1: 386 / 4.
(2) المصدر السابق: ذيل الحديث.
(3) الأبيات.
(4) في المصدر زيادة:
ويقال: بل كان رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم يدخل لسانه في فيه، فيغره كما يغر الطير فرخه، فيجعل الله له في ذلك رزقا.
(5) مناقب آل أبي طالب: 4 / 57.
(6) ذكر علي بن عيسى الأربلي عن عمران بن سليمان، قال: «إنّ الحسن والحسين (إسمان) =

رأسه وتتصدق عنه بوزن شعره فضة كما فعلت لأخيه الحسن عليه‌السلام، فأمتثلت ما امرها به النبي [1].

وبقي مع جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله ثماني سنين، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه‌السلام ثمانية وثلاثين سنة، وبعد أخيه الحسن عليه‌السلام عشر سنين [2].

وكان حبيباً لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وقال ابن عباس: (كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يحبه ويحمله على كتفه ويقبل شفتيه وثناياه [3].

وذكر في كتاب كشف الغمة (لعلي ابن عيسى الأربلي)، (وابن عساكر) في التأريخ الكبير، عن اُمّ الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث [4] - زوجة العباس بن

= من أسماء أهل الجنة، لم يكونوا في الجاهلية»

اقول: لم نعثر عليه في مصنف علي بن عيسى الأربلي (كشف الغمة)، وذكره ابن عساكر في تأريخه في ترجمة الامام الحسن عليه‌السلام، 17، وذكره أيضاً ابن سعد في ترجمة الامام الحسن عليه‌السلام: تحقيق العلامة المحقق الكبير عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله من القسم غير المطبوع من كتاب الطبقات الكبير والذي نُشر في مجلة تراثنا (ع 11 - سنة 1408 هـ) ص 128، وفيه أيضاً من عمران بن سليمان.

(1) الفصول المهمة لأبن الصباغ: 170.

(2)

(3)

(4) لبابة بنت الحارث ابن حزن الهلالية، الشهيرة بأُمّ الفضل، زوجة العباس بن عبد المطلب، أنجت له سبعة منهم الفضل وعبدالله وعبيد الله وغيرهم، ويُقال: أنّها أوّل امرأة أسلمت بعد مولاتنا خديجة الكبرى عليهاالسلام (على قول ابن سعد)، وكانت امرأة جليلة ولها موقف المؤرخون: وهم ضربتها (لأبي لهب) بعمود الحجرة وشج رأسه، ومات بعدها على اثر تلك الضربة بسبعة أيام، وذلك رداً عليه حين رأته يضرب (أبا رافع) مولى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وحجرة زمزم بعد وقعة «بدر»، وكان رسول الله يكرمها ويزورها ويقيل في بيتها وروت عنه أحاديث، انظر ترجمتها في: الإصابة 4 / 398 في - (رقم: 942) و 4 / 483 - (رقم: =

عبدالمطلب - قالت: رأيت فيما يرى النائم كأن عضواً من أعضاء رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم سقط في حجري فلمّا انتبهت اتيت إلى النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقلت له: يا رسول الله رأيت في منامي كذا وكذا؛ فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: (خيراً رأيت يا أُمّ الفضل، ستلد ابنتي فاطمة ولداً فترضعيه بلبن ابنك قثم) قالت: فولدت فاطمة الحسين فكفلته. قالت: وتركته يوما عند جده النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ومضيت لاتيه بماء، فلما رجعت وجدت النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يبكي فقلت له: بأبي انت وأمي مم بكائك؟ قال: (يا ام الفضل هذا جبرائيل يخبرني أنّ ولدي هذا يقتل، تقتله اُمتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة). [1]

ولمّا أتت على الحسين عليه‌السلام سنة كاملة هبط على النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم اثنا عشر ملك، محمرة وجوههم، وباكية عيونهم وقد نشروا أجنحتهم وهم يقولون: (يا محمد إنّه سينزل بولدك الحسين بن فاطمة ما نزل بهابيل وقابيل، وسيعطى مثل أجر هابيل، ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل)، ولم يبق في السماوات ملك إلّا ونزل على النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ويعرض عليه تربته، والنبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول: (اللهم اخذل من خذله، واقتل من قتله، ولا تُمتّعه بما طلبه) [2].

ولمّا أتى على الحسين عليه‌السلام من مولده سنتان خرج النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في سفر له، فوقف في بعض الطريق ثم استرجع فدمعت عيناه، فسُأل عن ذلك، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: (هذا جبرائيل يخبرني عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء، يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة)؛ فقيل له: يا رسول الله ومن يقتله: قال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «رجل يقال له

= 1448)، والإستيعاب (بهامش الإصابة) 4 / 398 و 4 / 482، وسيرة ابن هشام (طبعة الحلبي): 2 / 302 و 3 / 58، والروض الأنف: 2 / 78، والاعلام للزركلي: 5 / 239.

(1) تأريخ ابن عساكر: 14 / 114 و 196 و 197 وكشف الغمة: 2 / 7، والملهوف للسيد ابن طاووس رحمه الله: 91.

(2) مقتل الحسين عليه‌السلام للخوارزمي: 1 / 163، والملهوف للسيد ابن طاووس رحمه الله 92.

يزيد (لا بارك الله في نفسه) [1]، وكأني انظر الى مصرعه ومدفنه» [2].

ولمّا رجع من سفره صعد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم على المنبر مهموماً ومغموماً، فخطب الناس ووعظهم وكان الحسن والحسين عليهم‌السلام بين يديه، فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن واليسرى علي رأس الحسين عليهم‌السلام، ثم رفع رأسه الى السماء وقال: «اللّهمّ إنّ محمداً عبدك ورسولك ونبيك، وهذان اطائب عترتي وخيار ذريتي، وأرومتي ومن اخلفهما في أُمتي، وقد أخبرني جبرائيل أنّ ولدي هذا مخذول ومقتول، اللّهمّ فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، اللّهمّ ولا تبارك في قاتليه وخاذليه».

قال الراوي: فضج الناس بالبكاء، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أتبكونه ولا تنصرونه؟! ثم رجع وهو متغير اللون، محمر الوجه، فخطب خطبة اُخرى موجزة وعيناه تهملان دموعاً، ثم قال:

«أيها الناس اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وإني لا اسالكم في ذلك إلّا ما أمرني ربي أن اسألكم، المودة في القربى، فانظروا أن لا تلقوني غداً على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتوهم» [3].

---

(1) زيادة اوردناها من المصدر.

(2) في المصدر زياده بعد (ومدفنه): «بها وقد أهدي رأسه، والله ما ينزر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلّا خالف الله بين قلبه ولسانه». (يعني): ليس في قلبه ما يكون بلسانه من الشهادة...

(3) انظر مقتل الحسين عليه‌السلام للخوارزمي: 1 / 164، وللخبر بقية في المصدر. وذكره السيد ابن طاووس في الملهوف: 7، وابن نما في مثير الاحزان: 17، وعنه في البحار: 44 / 264 - الحديث (46).

وكان صلىاللهعليهوآلهوسلم لا زال يوصي بعترته إذ انّه يعلم ما يصيبهم من شرار أُمته من بعده من قتل الرجال، وسبي العيال من بلد إلى بلد، وليته يرى ولده الحسين يوم عاشوراء وقد مثلوا به أهل الكوفة بكل مُثلة، قطع الشمر رأسه، وبجدل إصبعه، والجمال يديه، وأخذ ابن سعد درعه، وسلبه ابحر ابن كعب ثوبه، وتركوه مجدلاً عفيراً، كما قال السيد رحمه الله:

عفيراً متى عاينته الكماة يختطف الرعب ألوانها

تريب المحيا تظن السما بأن على الأرض كيوانها [1]

وقال الآخر:

عاري اللباس قطيع الرأس منخمد الأنفاس في جندل كالجمر مضطرم

---

(1) انظر أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: 3 / 124.

(2) وزينب عليهاالسلام كأني بلسان حالها:

(نصاري)

يبو روح العزيزة اشلون ساجم ابهالشمسة وعلى التربان نايم

ثلث تيام عن الماي صايم عاري امگطّع امخضّب امعفّر

(دكسن)

يخويه ابيش اضمّك وين اودّيك يخويه اشلون اصد عنّك وخليك

تراني اتحيّرت يا مهجتي بيك يخويه ابيش اضلّلك عن الحر

ولسان حال الحسين لشيعته:

(بحراني)

شيعتي كثر البچه حگّي عليكم والنّحيب شفتو مثلي بالخلگ مذبوح عطشان أو غريب

والچفن سافي ياشيعه وبالدمه شيبي خضيب والحراير نصب عيني من خدرها امشتّته

(تخميس)

فان يمس فوق الترب عريان لم تقم له ماتماً تبكيه فيه محارمه

فأيّ حشىً لم يُمس قبراً لجسمه وفي أيّ قلب ما أقيمَت مأتمه

المطلب الثاني

في كرم الحسين عليه‌السلام

قال محمد ابن ابي طلحة الشافعي في (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول)؛ في الفصل السابع - في كرم الإمام الحسين عليه‌السلام وجوده:

قد اشتهر النقل عنه عليه‌السلام بأنه يكرم الضيف، ويمنح الطالب، ويصل الرحم، وينيل الفقير، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع ويعطي الغارم، ويشد من الضعيف، ويشفق على اليتيم، ويعين ذي الحاجة، وقل أن وصله المال إلّا فرقه [1].

وكان عليه‌السلام يقول: (شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل على الإعطاء) [2].

ذكر صاحب «عقد اللال في مناقب الآل»: إنّ الحسين عليه‌السلام كان جالساً في مسجد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بعد وفاة اخيه الحسن عليه‌السلام وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المجلس، وعتبة ابن سفيان [3] أخرى، فجاء أعرابي على ناقة فعقلها

---

(1) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: 2 / 28.

(2) مناقب ابن شهر اشوب: 4 / 65.

(3) عتبة ابن ابي سفيان: أخو معاوية لأمه وأبيه، ولد على عهد الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، يكنى ابا

بباب المسجد ودخل، فوقف على عتبة بن أبي سفيان فسلم عليه فردّ عليه‌السلام، فقال له الأعرابي: إني قتلت ابن عم لي، وطولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟ فرفع رأسه إلى غلامه وقال، ادفع اليه مائة درهم، فقال الأعرابي: ما أُريد الاّ الدية تماماً؛ ثم تركه وأتى عبد الله ابن الزبير، وقال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبدالله لغلامه: ادفع مائتي درهم، وقال الأعرابي: ما أُريد الاّ الدية تماماً، ثم تركه واتى الحسين عليه‌السلام فسلم عليه، وقال: يابن رسول الله إني قلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟ فقال: يا أعرابي نحن قوم لا نعطي المعروف إلّا قدر المعرفة، فقال: سل ما تريد؟ فقال له الحسين: يا أعرابي ما

____

الوليد أُمه: هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد الشمس، وكانت تذكر في مكة بفجور وعُهر ومن ذوات الرايات، وقالوا: إنّ عتبة كان يُعزى الى الصباح؛ مُغنٍ كان لعمارة ابن الوليد، وكان أيضاً اجيرا لأبي سفيان، وكان شاباً وسيماً، فدعته هند إلى نفسها فغشيها: وقالوا ايضا: ان هند كرهت تضعها في بيتها، فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك، وفي هذا المعنى يقول حسان بن ثابت أيام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قبل عام الفتح:

لِمَن الصّبيّ بجانب البَطحا   في التُرب ملقىً غَيرَ ذي مَهد

نجلت به بيضاء آنِسَةٌ   مِن عَبد شمس صَلتَه الخدّ

وفي زمن خلافة عمر بن الخطاب ولاه عمر المدينة الطائف، وشهد يوم الدار مع عثمان، وشهد يوم الجمل مع عائشة وفقئت عينيه، وفي زمن خلافة معاوية حج بالناس سنتين (41 - 42 هـ)، ثم ولاه معاوية زمناً على المدينة والطائف والموسم، واخيرا ولاه مصر بعد هلاك عمرو بن العاص، فهلك هو الاخر ودفن فيها، وكان هلاكه في سنة أربع وأربعين، وقدمه الى مصر وتوليه امرها كان سنة ثلاث وأربعين للهجرة.

انظر: الاستيعاب (بهامش الاصابة): 3 / 121، رغبة الآمل من كتاب الكامل: 4 / 33 و 8 / 153 - 271، والنجوم الزاهرة: 1 / 122، والأعلام للزركلي: 4 / 200، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1 / 336. وديوان حسان بن ثابت: 157.

النجاة من الهلكة؟ قال: التوكّل على الله عزوجل، فقال: وما الهمة؟ قال: الثقة بالله، ثم سال الحسين غير ذلك فاجابه الأعرابي، فأمر الحسين بعشرة الآف درهم، وقال له: هذه لقضاء ديونك وعشرة الآف درهم اُخرى، وقال: هذه تلمّ بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك، فأنشأ الأعرابي ويقول:

طربت وما هاج لي معبق ... ولا لي مقام ولا معشق

ولكن طربت لال الرسول ... فلذّ لي الشعر والمنطق

هم الأكرمون هم الأنجبون ... نجوم السما بهم تشرق

سبقت الأنام الى المكرمات ... وأنت الجواد وفلا تلحق

ابوك الذي ساد بالمكرمات ... فقصر عن سبقه السبق

به فتح باب الله باب الرشاد ... وباب الفساد بكم يغلق [1]

وعن أنس، قال: كنت عند الحسين عليه‌السلام فدخلت عليه جارية بيدها طاقة ريحان فحيته بها، فقال لها: أنت حرة لوجه الله تعالى، فقلت له جارية تجيئك بطاقة ريحان فتعتقها؟ فقال: كذا أدبنا الله فقال تبارك وتعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدّوهَا) [2] وكان أحسن منها عتقها [3].

وجنى بعض مواليه بعض جناية توجب التأديب فأمر بتأديبه، فقال: يا مولاي قال الله تعالى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) [4] قال عليه‌السلام: خلوا عنه فقد كظمت غيظي، فقال: (وَالْعَافِينَ عَنِ النّاسِ) [5] فقال عليه‌السلام: قد عفوت عنك، قال: (وَاللّهُ يُحِبّ الْمُحْسِنِينَ) [6]

(1) عن مقتل الحسين للخوارزمي 1 / 155 (باختلاف يسير).
(2) سورة النساء 4: 86.
(3) كشف الغمة 2 / 31.
(4 - 6) سورة آل عمران 3: 134.

قال: أنت حر لوجه الله تعالى، وأجازه بجائزة سنية [1].

وذكر «ابن عساكر» في تأريخه، قال: إنّ سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين عليه‌السلام فقرع الباب وأنشأ يقول:

لم يخب اليوم من رجاك ومن — حرَّك من خلف الباب بابك الحلقه

أنت ذوالجود أنت معدنه — أبوك قد كان قاتل الفسقة

وكان الحسين واقفا يصلي، فخف من صلاته، فخرج الى الأعرابي فرأى عليه أثر ضرّ وفاقة، فرجع ونادى بقنبر فأجابه: لبيك يابن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، قال: ما تبقى معك من نفقتنا؟ قال: مائتا درهم أمرتني بتفريقها على اهل بيتك؛ فقال عليه‌السلام: هاتها فقد أتى من هو أحق بها، فأخذها وخرج يدفعها إلى الأعرابي وانشأ عليه‌السلام يقول:

خذها فأني اليك معتذر — واعلم بأني عليك ذو شفقه

ولو كان في سيرنا الغداة عصى — كانت سمانا عليك مندفقه

ولكن ريب الزمان ذو غير — والكف مني قليلة النفقه

ومن شعره المنسوب له عليه‌السلام:

إذا جاءت الدنيا بك فجد بها — على الناس طراً قبل أن تتفلت

فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت — ولا البخل يبقيها اذا هي ولت [2]

وجاء أعرابي اليه يوماً فقال له: يابن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أداءها، فقلت في نفسي أسأل أكرم الناس وأنا ما رأيت اكرم من أهل بيت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أحد؛ فقال الحسين عليه‌السلام: يا أخا العرب أسألك عن ثلاث

---

(1) كشف الغمة: 2 / 31.

(2) تاريخ ابن عساكر: 14 / 185.

مسائل فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنين أعطيتك ثلثي المال، وان أجبت عن الكلّ اعطيتك المال كلّه؛ فقال الأعرابي: يابن رسول الله أمثلك يسأل مثلي وأنت ابن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم!! فقال الحسين عليه‌السلام: بلى سمعت جدي رسول الله يقول: «المعروف بقدر المعرفة» فقال الأعرابي: سل عمّا بدا لك، فإن أجبت وإلّا تعلمت منك ولا قوة إلّا بالله، فقال الحسين عليه‌السلام: أي الأعمال أفضل؟ فقال الأعرابي: الإيمان بالله، فقال الحسين عليه‌السلام: فما النجاة من الهلكة؟ فقال الأعرابي: الثقة بالله، فقال الحسين عليه‌السلام: فما يزين الرجل؟ فقال الأعرابي: علم مع حلم، فقال عليه‌السلام: فإن أخطأ ذلك؟ قال: مال معه مروءة، فقال عليه‌السلام: فان أخطأ ذلك؟ فقال: فقر معه صبر، فقال الحسين عليه‌السلام: فان أخطأ ذلك؟ فقال الأعرابي: فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فأنه أهل لذلك؛ فضحك الحسين عليه‌السلام ورمى اليه بصره فيها ألف دينار؛ وقيل وأعطاه خاتمه وقيمته مائة درهم، وقال له: اعطي الذهب إلى غرمائك واصرف هذا الخاتم في نفقتك، فأخذ الأعرابي ذلك كلّه، وقال: الله يعلم حيث يجعل رسالته [1].

وكان للحسين عليه‌السلام ثلاث خواتم، الخاتم الأول: الذي أعطاه لهذا الأعرابي كما سمعت، والخاتم الثاني: الذي أعطاه لولده علي الكبر يوم عاشوراء، وقد رجع إليه من الحرب وهو يقول: أبه العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد الجهدني، فهل إلى شربة ماء من سبيل اتقوى بها على العداء؟ فقال له الحسين عليه‌السلام: «يعز والله على أبيك أن تدعوه فلا يجيبك، بني هات لسانك، فاخذ لسانه فمصه ودفع إليه خاتمه الشريف، وقال له بني امسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوك» [2] فرجع

(1) مقتل الحسين للخوارزمي: 1 / 157.
(2) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: 2 / 641.

علي الأكبر إلى الحرب... الخ. وأمّا الخاتم الثالث: فقد اخذه بجدل بن سليم الكلبي [1] وأقسم بالله لو أن بجدل طلب من الحسين عليه‌السلام هذا الخاتم لجاد به عليه كما جاد على ذلك الأعرابي، ولكن ابى اللعين إلّا فعل الاراذل، طلب قطعة سيف وحز به خنصر الحسين عليه‌السلام وقد جمد عليه الدم واستخرج الخاتم.

لهفي على تلك الأنامل قطعت ... ولو أنّها اتصلت لكانت ابحرا [2]

(1) اسرار الشهادات للفاضل الدربندي: 3 / 124.
(2)

(بحراني)

فعل بجدل يا خلق ما صار مثله او لا جرى ... هيّج احزاني عليه ويفت گلبي امن اذكره
ما كفاه اتقطعت اوصاله ولا حز الوريد ... او لا ترضض جثّته ابخيل العدى فوگ الصعيد
او عاين الخاتم يلوح ابخنصر احسين الشهيد ... جامده عليه الدما واحنا يحز ابمخنجره
وعلى التكه ويح گلبي گطع جماله الكفوف ... عاينه اموزع على التربان من ضرب السيوف
او عاين التكه ولزمه أولا دخل قلبه الخوف ... ما دره احسين اية الله واهو جثّه امطبّره
مد ابو سكنه يمينه او گطعه او مد الشمال ... اورد براها ولكوان تزلزلت والعرش مال
او نزل خير الرسل طه والوصي فخر الرجال ... والحسن والزاكيه اُمّه والشعور امنشّره

(نصاري)

من عادت البلمعركه يطيح ... لو بي سلامه لخوته ايصيح
او لو مات ما يبگه طريح ... يشيلوه ويسوون له اظريح
مشفنة اليگع بين المجاريح ... وامسبّح ابدم راسه تسبيح
يبكه ابمچانه محّد ايزيح ... عنّه العدى او يمسى ذبيح

(تخميس)

فادح شبَّ في الحشى بأوار　　ومصاب قد حَطّ كُلّ مناري

يوم نادى العلاء والدمع جار

قوضي يا خيام عليا نزار　　فلقد قَوَّضَ العمادُ الرفيعُ

المطلب الثالث

في حب النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم للحسين عليه‌السلام

روى ابن ماجة في «السنن» وابن عساكر في «التاريخ»، وأبو الحسن علي بن عيسى الأربلي في «كشف الغمة» عن يعلي بن مرة العامري [1] أنه قال: خرج رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى طعام دعوا له، فأذا الحسين في السكة مع غلمان يلعب، فتقدم رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يضاحكه حتى أخذه فوضع أحدى يديه تحت قفاه والأُخرى تحت ذقنه وقبله، وقال: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط» [2].

---

(1) يعلى بن مرّة بن وهب العامري، ويكنى: أبو المرازم الثقفي، من ثقيف، وهو يعلي بن سيابة وهي أُمه، شهد مع النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم الحديبية وخيبر والفتح والطائف وحنين، وروي عنه وعن أمير المؤمنين عليه‌السلام وعن أبيه مرّة، وأولاده عبدالله وعثمان ورووا عنه، وكان صحابياً فاضلاً في عداد أهل الكوفه، وقيل: له دار بالبصرة، وله ثلاث أحاديث صحيحة ذكرها العامة في كتبهم في فضائل سيد الشهداء الامام الحسين عليه‌السلام وانظر مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد: 6 / 40، وتاريخ الدوري: 2 / 683، وطبقات خليفه: 53 / 131 و 182 ومسند احمد: 4 / 170، وتاريخ البخاري الكبير: 8 / 3536، وتهذيب أهل الكمال: 32: 398 / 7118، والاستيعاب (بهامش الاصابه): 3 / 665، والاصابة: 3: 669 / 9361.

(2) سنن إبن ماجة: 1: 51 / 144 - باب (11)، وتاريخ ابن عساكر: 14 / 148 و 149، وكشف الغمة: 2 / 6.

وذكر صاحب «الاستيعاب» عن أبي هريرة أنّه قال: أبصرت عيناي هاتان، وسمعت أُذناي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وهو يقول: «ترق عين بقه» [1]، قال: فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ثم قال له رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: افتح فاك ثم قبله، ثم قال: «اللّهمّ أحبه فأنّي اُحبّه» [2]

وروى صاحب «ينابيع المودة» عن أبي هريرة أيضاً، قال: كان النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يدلع لسانه للحسين فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش اليه، فقال عينية ابن بدر: أراه يصنع هذا فوالله إنّ لي ولد فما قبّلته قط، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم «من لا يَرحم لا يُرحم» [3].

وعن البراء بن عازب [4] قال: رأيت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حامل الحسين بن علي

(1) البقة (البعوضة) كأنّه يقول اصعد يا صغير الجثة.
(2) الإستيعاب في معرفة الأصحاب: 1 / 397.
(3) ينابيع المودة: 2: 204 / 590.
(4) البرآء بن عازب: صحابي، ولد قبل الهجرة بعشر سنين، وقيل: بإثنتي عشر سنه، شهد مع رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم خمس عشرة غزوة أوّلها غزوة (اُحد)، وشهد مع امير المؤمنين عليه‌السلام «الجمل وصفين والنهروان»، وممن كتم الشهادة لأمير المؤمنين عليه‌السلام بخصوص «حديث الغدير بخم» - في محضر أميرالمؤمنين عليه‌السلام - في قول رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام لجمع من صحابة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: هل تشهدون على ذلك؟ فشهد من حضر وكتم شهادته البرآء بن عازب وأنس بن مالك فدعى عليهم أمير المؤمنين عليه‌السلام، فأصاب البرآء عمى، وأصاب أنس البرص، وروى الشيخ المفيد رحمه الله في الارشاد: أنّ أمير المؤمنين عليه‌السلام قال للبرآء بن عازب ذات يوم بالأبواء: «يقتل إبني الحسين وأنت حي لا تنصره». فلمّا قتل الحسين عليه‌السلام كان البرآء بن عازب يقول: صدق والله علي بن ابي طالب، قتل الحسين ولم أنصره. ثم يظهر الحسرة على ذلك والندم. مات البرآء في الكوفة سنة إحدى وسبعين أو أثنتي وسبعين. انظر: ترجمة «البرآء بن عازب» في تاريخ من دفن في العراق من الصحابة: 57.

على عاتقه وهو يقول: «اللّهمّ إني احبه فأحبّه» [1].

وربما كان صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يحمل الحسنين على كتفيه تارة وفي حجرة اُخرى، بل وكان يصعدهما معه على منبره، كما يروى عن بريدة أنّه قال: كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يخطبنا، إذ جاء الحسن والحسين عليهم‌السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من المنبر فحملهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله حيث قال (أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ) [2] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما» [3].

وكان صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ينوه على الأشهاد بحبهما، وعن أسامة بن زيد قال: طرقت النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلمّا فرغت عن حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه فأذا الحسن والحسين على وركيه، فقال: «هذان إبناي وإبنا إبنتي، اللّهمّ إنّي أُحبّهما فأحبّهما وأحب من يحبهما» [4].

وفي «الأصابة» عن مسند ابي يعلى بسنده: كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فأذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دعوهما، فإذا قضى الصلوة وضعهما في حجره، فقال: «من أحبني فليحب هذين» [5].

(1) ينابيع المودة: 2 / 35 / 9.
(2) سورة الانفال: 8 / 28.
(3) تاريخ ابن عساكر: 14 / 161.
(4) تاريخ ابن عساكر: 4 / 155.
(5) الإصابة في تمييز الصحابة: 2 / 12.

وعن أبي هريرة [1] أيضاً قال: خرج علينا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى إنتهى إلينا، فقال: «من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني» [2].

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «من أحب الحسن والحسين احببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار» [3].

وعن زيد بن أرقم [4]: أن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين:

---

(1) أبو هريرة الدوسي: من صحابة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وحاله معروف في صناعة الأخبار والأحاديث الملفقة ونسبتها إلى الرسول الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وذلك لمصالحه الشخصية وإرضاءاً لبني اُميه «عليهم جميعاً لعنة الله».

انظر تدوين السنة الشريفة: 297، 486.

(2) نفس المصدر السابق.

(3) تاريخ ابن عساكر: 14 / 156 وزاد فيه: وله عذاب مقيم.

(4) زيد بن أرقم: الانصاري، الصحابي الجليل، ولد قبل الهجرة على ما يبدو، فقد شهد (معركة اُحد) واستضغر، وشهد مع رسول الله سبع عشرة غزوة، ويقال أول مشاهده «غزوة بني المصطلق» او «المريسيع» وهي قرية من ناحية «قديد» بأطرف مكة، وشهد مع أمير المؤمنين عليه‌السلام صفين، وقال الكشي: من السابقين الذين رجعوا إلى امير المؤمنين، وله مواقف عديدة تظهر حسنه ومنزلته العالية، منها: موقفه في سقيفة بني ساعدة على ما ذكره مفصلاً في «زهر العيون وجلاء القلوب»، وما ذكره ابو الفرج في «الأغاني» ومن ردّه على المغيره بن شعبة واعتراضه على سبّه لأمبر المؤمنين عليه‌السلام، وذكر ابن مزاحم المنقري، في «وقعة صفين»، أنّه دخل على معاوية فأذا عمرو ابن العاص جالس معه على السرير، فلمّا رأى ذلك جاء حتى رمى بنفسه بينهما، فقال له عمرو ابن العاص: أما وجدت لك مجلساً إلّا أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم غزا غزوة وانتما معه، فرآكما مجتمعين، فنظر إليكما. فقال: في اليوم الثالث: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن

«أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم» [1].

وممّا جاء في فضلهما ما روي عن الصادق عليه‌السلام: أنّه اصطرع الحسن والحسين بين يدي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، فقال رسول الله: «أيها حسن خذ حسيناً، فقالت فاطمة: يا رسول الله أتستنهض الكبير على الصغير؟ فقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم هذا جبرائيل يقول إيها حسين خذ حسناً » [2].

وعن صحيح الترمذي بسنده، قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنه» [3].

وعن عبدالله ابن شدّاد، عن أبيه، أنه قال: خرج علينا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في

العاص مجتمعين ففرقوا بينهما، فأنهما لم يجتمعا على خير».

وذكر المنقري أيضا: أن زيد أبن أرقم قال: قال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «ألا أدلكم على ما إنّ تسالمتم عليه لم تهلكوا؟ إن وليكم وامامكم علي بن ابي طالب، فناصحوه وصدّقوه، فإنّ جبرائيل أخبرني بذلك». هذا وقد روى زيد ابن أرقم الكثيرة من الأحاديث، ومنها «حديث الثقلين».

وكان قد سكن الكوفة وابتنى بها له داراً في كندة، وقد ردَّ على ابن زياد حين نكث ثغر الحسين عليه‌السلام بقضيبه وشهادته بأنّه رأى شفتي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عليهما، وتوفي زيد ابن أرقم بالكوفة ودفن فيها، ولا يعرف له قبر اليوم في الكوفة فقد عُفي أثره، وكانت وفاته سنة ثمان وستين وقيل: ست وستين وقيل: بعد مقتل سيد الشهداء عليه‌السلام، رضي‌الله‌عنه وأرضاه فقد كان يُعدّ في خواص امير المؤمنين عليه‌السلام وكان محباً لأهل البيت عليهم السلام.

مصادر الترجمة كشذرات الذهب للحنبلي: 1 / 74، الطبقات الكبير لأبن سعد: 6 / 18، النجوم الزاهرة: 1 / 181، الأغاني: 6 / 2، وقعة صفين: 218، تاريخ الاسلام للذهبي: 3 / 18، سير أعلام النبلاء: 3 / 112، رجال الكشّي: 38 / 78، تاريخ من دفن في العراق من الصحابة: 181.

(1) تاريخ ابن عساكر: 14 / 157 و 158 - رواه بأربعة طرق ـ.

(2) كشف الغمة: 2 / 7 وذكره في اسد الغابة: 1 / 497.

(3) الجامع الصحيح للترمذي: 5: 656 / ح 3768 - باب 31

إحدى صلاتي العشاء وهو حاملا حسناً أو حسيناً، فتقدم النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فوضعه ثم تقدم كبّر للصلاة، فأطال سجدة الصلاة، فرفعت رأسي فأذال الصبي على ظهر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وهو ساجد، فرجعت الى سجودي فلمّا قضى الصلاة قيل له: يا رسول الله إنّك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة اطلتها، حتى ظننا أنّه قد حدث أمر وأنّه يوحي إليك، قال: «كل ذلك لم يكن ولكن إبني إرتحلني فكرهت أن أعجله حتى ينزل هو» [1].

نعم هكذا كان حبه لولده الحسين وريحانته، قالت أُمّ سلمة: دخل ذات يوم النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في حجرتي ونام، فأقبل الحسين وجلس على صدر جده رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فأتيت إليه وأردت أن أرفعه عن صدر جده لئلا ينتبه النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، ففتح النبي عينيه وقال: «لا يا أُمّ سلمة، دعي ولدي على كبدي» [2].

وروى ابن الصباغ في «الفصول المهمة» عن زيد بن أبي زياد، قال: خرج رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من بيت عائشة، فمر على بيت فاطمة فسمع صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حسيناً يبكي، فقال «ألم تعلمي أن بكائه يؤذيني» [3].

كان يؤذيه بكائه وهو وفي المهد رضيع
بابنه قدما فداه وهو ذوالشأن رفيع
ليته اليوم يراه وهو في الرمضى صريع [4]

(1) تاريخ ابن عساكر: 14 / 160، وآخره: حتى يقضي حاجته.
(2) تاريخ ابن عساكر: 14 / 160 وآخره: حتى يقضي حاجته.
(3) الفصول المهمة لابن الصباغ: 171؛ ذكره ابن شهر آشوب في المناقب: 4 / 71، عن كتاب فضائل العشرة لأبو السعادات، قال يزيد ابن أبي زياد:... (وساق الحديث).
(4) نعم نظرت اليه الحوراء زينب عليهاالسلام وهو على أرض كربلاء فخاطبت جدها صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وا محمّدا

صلى عليك مليك السما هذا حسينك بالعرى مقطّع الأعضاء ولسان حالها:

(نصاري)

يجدّي مات محد وگف دونه   ولا نغّار غمّضله اعيونه

وحيد ايعالج ومنخطف لونه   ولا واحد ابحلگه ماي گطّر

(دكسن)

يجدي مات محد مدد ايديه   ولا واحد يجدّي عدل رجليه

يعالج بالشمس محد گرب ليه   يحطله اظلال يا جدّي من الحر

(عاشوري)

يجدّي الرمح بفّاده تثنه   يجدّي أو بالوجه للسيف رنّه

يجدي وشيبه ابدمّه تحنّه   يجدّي وبالرمل خدّه تعفّر

* * *

أحسين هل وافاكَ جدك زائراً   ورآك مقطوع الوريد معفّرا

المطلب الرابع

في بكاء الأنبياء على الحسين عليه‌السلام

روى المجلسي عن كتاب الدُرّ الثمين، قال: في تفسير قوله تعالى (فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبّهِ كَلِمَاتٍ) [1] يروى أنّ آدم عليه‌السلام رأى على ساق العرش اسم النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم والأئمة عليهم‌السلام، فلقنه جبرائيل بها، وقال له: قل يا حميد بحق محمد، يا علي بحقّ علي، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين، [ومنك الاحسان] [2]. فلمّا ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، فقال: أخي جبرائيل مالي إذا ذكرت الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟ فقال جبرائيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، قال: يقتل عطشاناً وغريباً وحيداً، ولو تراه يا آدم هو ينادي وا عطشاه حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فبكى آدم [3].

وروى أنّ زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة، فهبط جبرائيل فعلّمه إياها، فكان زكريا عليه‌السلام اذا ذكر الحسين عليه‌السلام خنقته العبرة، فقال ذات يوم الهي

(1) سورة البقرة 2: 37.
(2) أثبتناه من المصدر.
(3) بحار الأنوار: 44: 245 / 44 - باب (30).

ما بالي اذا ذكرت اربعة منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي، واذا ذكرت الحسين عليه‌السلام تدمع عيني؟! فأنبأه الله تعالى عن قصته، وقال: (كهيعص) [1] فالكاف: اسم كربلاء، والهاء: هلاك العترة الطاهرة، والياء: يزيد وهو ظالم للحسين عليه‌السلام، والعين: عطش الحسين عليه‌السلام، والصاد: صبره، فلما سمع زكريا علا بكاءه وزاد [2].

ويروى أنّ رجلاً من بني اسرائيل سأل موسى ابن عمران أن يسأل ربه ليعفو عنه، فسأل موسى ربه فقال عزّ من قائل: يا موسى اغفر لكلّ من سألني إلّا لقاتل الحسين عليه‌السلام، فقال موسى: ومن يقتله؟ قال: تقتله اُمّة جدّه، عطشاناً غريباً، وينهب رحله، وتسبى نسائه، وتقتل أصحابه؟، وتشهر رؤسهم على أطراف الرماح، يا موسى صغيرهم يميته العطش، وكبيرهم جلده منكمش؛ فبكى موسى ولعن قاتل الحسين عليه‌السلام [3].

ومن مناجاة موسى عليه‌السلام قال: يارب، بم فضلّت اُمّة محمد على سائر الامم؟ فقال الله تعالى لعشر خصال، فقال موسى، وما تلك الخصال التي يعملونها: قال تعالى: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والجمعة، والجماعة، والقرآن، والعلم، والعاشوراء، قال موسى: يا ربي وما العاشوراء؟ قال: البكاء والتباكي على سبط محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، والمرثية والعزاء على مصيبته، يا موسى ما من عبد من عبيدي في ذلك الزمان بكى أو تباكى وتعزى على سبط محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلّا وكانت له الجنة خالداً فيها، ومن أنفق من ماله في محبة ابن بنت نبيه درهماً أو

(1) سورة مريم 19: 1.
(2) بحار الأنوار: 44: 223 / 1 - باب (30).
(3) بحار الانوار: 44 / 308.

ديناراً إلا وباركت له في دار الدنيا، الدرهم بسبعين، وكان منعّماً في الجنة، وغفرت له ذنوبه، يا موسى وعزتي وجلالتي ما من رجل من امتي أو أمة من إمائي جرت من دموع عينيه قطرة واحدة إلّا وكتبت له أجر مائة شهيد [1].

وروي أنّ نوحاً عليه‌السلام لما ركب السفينة طافت به جميع الدنيا، فلمّا مر بكربلاء أخذه الموج، وخاف نوح الغرق وفدعى ربه، فنزل جبرائيل وقال: يا نوح في هذا الموقع يقتل الحسين عليه‌السلام سبط محمّد خاتم الأنبياء، فبكى نوح: وقال: يا جبرائيل ومن قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرض؛ فلعنه نوح وسارت السفينة [2].

وروي أنّ إبراهيم عليه السلم مرّ بكربلاء وهو راكب على فرسه، فعثرت به الفرس فسقط إلى الارض وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ يكثر من الأستغفار وقال: الهي أي شئ حدث منّي؟ فنزل عليه جبرائيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم النبيين، فسال دمك موافقة لدمه، فبكى إبراهيم ثم قال: يا جبرائيل ومن القاتل له؟ قال: لعين أهل السماوات والأرض، فرفع إبراهيم يديه الى السماء وقال: اللّهمّ العن قاتل الحسين عليه‌السلام [3].

وروي أنّ إسماعيل كانت أغنامه ترعى بشط الفرات، فأخبره الراعي إنّها لا تشرب الماء من هذه المشرعة، فسأل إسماعيل ربه عن سبب ذلك، فأوحي الله اليه: سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك، فقال لها إسماعيل لم لا تشربين من هذا الماء؟ فأجابته بلسان فصيح: قد بلغنا إنّ ولدك الحسين عليه‌السلام سبط

(1) ذكره الفاضل الدربندي في أسرار الشهادات: 1 / 210، قائلاً: ذكر جمع من العلماء حديثاً... (وساق الحديث).
(2) بحار الأنوار: 44: 243 / 38 - باب (30) عنه باختصار.
(3) بحار الأنوار: 44: 243 / 39 - باب (30) عنه باختصار.

محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقتل هنا عطشاناً، فنحن لا نشرب من هذه المشرعة؛ فبكى إسماعيل وسألها عن قاتله، قالت: هو لعين أهل السماوات والأرض، فقال إسماعيل: اللّهمّ العن قاتل الحسين عليه‌السلام [1].

وروي أنّ سليمان كان يجلس على بساطه ويسير به في الهواء، فمرّ ذات يوم بأرض كربلاء، فأدار الريح بساطه ثلاث دورات حتى خاف سليمان السقوط ثم سكنت الريح، فنزل البساط في أرض كربلاء، فقال سليمان للريح: لم سكنتي؟ فقالت: إنّ هنا يقتل الحسين عليه‌السلام، قال: ومن يكون الحسين؟ قالت: هو سبط محمد خاتم الأنبياء فبكى سليمان، ولعن قاتله، فهبت الريح وسار البساط [2].

وروي أنّ عيسى عليه‌السلام كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون، فمرّوا بكربلاء، فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق، فتقدم عيسى إلى الأسد وقال له: لم جلست في هذا الطريق ولا تدعنا نمرّ فيه؟ فنطق الأسد بكلام فصيح وقال: إني لا أدعكم تمرّون حتى تلعنوا يزيد بن معاوية قاتل الحسين؟ [فقال عيسى عليه‌السلام ومن يكون الحسين؟] قال: هو سبط محمّد النبي الأمي، فبكى عيسى ومن معه، ثم قال: ومن يقتله قال: لعين أهل السماوات والأرض، فلعنه عيسى ولعنه الحواريون، فتنحى الأسد عن طريقهم فساروا لقصدهم [3].

فالحسين عليه‌السلام بكاه آدم وجميع الأنبياء عليهم‌السلام، وهو إذ ذاك بساق العرش، وأمّا بعد ولادته بكاه جدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وأبوه علي وأمّه فاطمة عليهما‌السلام، وأما بعد قتله

---

(1) بحار الأنوار: 44: 243 / 40 - باب (30).
(2) بحار الأنوار: 44: 244 / 42 - باب (30).
(3) بحار الأنوار: 44: 244 / 43 - باب (30).

فقد بكته الملائكة والشمس والقمر، بل وكلّ العلوية والسفلية وكلّ ما خلق الله. ما يرى وما لا يرى، فكيف إذاً لا تبكيه عيون المؤمنين إلى يوم القيامة:

على مثل هذا الرزء يستحسن البكا وتقلع منّا أنفس من سرورها

وهو القائل: أنا عبرة كل مؤمن ومؤمنة، ويحق للموالي أن يقول:

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكنّما عيني لأجلك باكيه [1]

---

(1)

(ابوذيه)

نياب الدهر عضني ولاچن على الظل باشمس لا ظل ولا چن

ما لجل الثواب ابچيت لچن لجل شخصك يبن حامي الحميّه

(بحراني)

يلّي تناشدني عليمن تهمل العين كلّ البكا والنوح والحسرى على احسين

حبّه ابگلبي وتظهره ابصبها ادموعي مجبور في حبّه ولاشوفة ابطوعي

ياليت گبل اضلوعه انرضّت ضلوعي ومن گبل خدّه اتعفّرت منّي الخدّين

ابكي علي مصابه بكل صبح مسيّه وانحب واساعد على البكا الزهرة الزكيه

ولا زال تندب يا ضحايا الغاضريّة يا حسين يبني يا عزيزي يا گرّة العين

* * *

أفدي الذي رزؤه أبكى السماء دماً وزعزع الدين والأركان والحرما

يا من بخيل الأعادي صدره حطما

أي المحاجر لا تبكي عليك دما أبكيت والله حتى محجر الحجر

المطلب الخامس

في بكاء فاطمة عليهاالسلام على ولدها الحسين عليه‌السلام

روى فرات بن إبراهيم في تفسيره عن الصادق عليه‌السلام، أنّه قال: كان الحسين ابن علي عليه‌السلام مع امه تحمله فأخذه النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك، وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم بيني وبين من أعان عليك، فقالت فاطمة يا أبة أي شيء تقول؟ قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر [البغي] [1] وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون الى القتل وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع قتلهم [2] وتربتهم. قالت: يا أبة وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: هو موضع يقال له كربلاء وهي [دار] كرب وبلاء علينا وعلى الأُمة، يخرج عليهم شرار أُمتي وإن أحدهما لو يشفع فيه السماوات والأرض ما شفعوا له، وليأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، أُولئك مصابيح الدجى وهم الشفعاء يوم القيامة، واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليه بسيماهم فبكت فاطمة عليهاالسلام، فقال لها رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: يا بنتاه إنّ أفضل أهل الجنة هم الشهداء الذين بذلوا أنفسهم

---

(1) أثبتناه من المصدر.
(2) في المصدر: رحالهم.

في مرضاة الله، فما عند الله خير من الدنيا ومافيها، ومن كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت، يا فاطمة بنت محمد أما تحبين إذا تأمرين غداً بأمر فتطاعي في هذا الخلق؟ أما ترضين أن يكون ولدك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه فيسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك من يذود الخلق يوم العطش الأكبر عن الحوض كما يذاد البعير الصادر عن ثناء فيسقي منه أوليائه ويذود عنه أعدائه؟ يا فاطمة بنت محمد أما ترضين أن يكون بعلك قسيم الجنة والنار؟ يأمر النار فتطيعه، يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء، يا فاطمة بنت محمد أما ترضين أن تنظري إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليكِ وإلى ما تأمرين به؟ وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله؟ فما ترين الله صانعاً بقاتل الحسين عليهالسلام وقاتليك وقاتلي بعلك؟ يا فاطمة بنت محمد أما ترضين أن الملائمه تبكي على ولدك؟ أما ترضين أن يكون من أبّن ولدك زائراً في ضمان الله؟ ويكون من أتاه بمنزلة من حج البيت واعتمر؟ ولم يخل من الرحمه طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وإن بقى لم تزل الحفظة تدعوا له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله أمانه حتى يخرج من الدنيا؟ قالت فاطمة عليهالسلام: يا أبة سلمت ورضيت بذلك [1].

وفي خبر آخر قالت عليهالسلام: يا أبة متى يكون ذلك؟ قال: في زمان خال مني ومنك ومن بعلك، فاشتد بكاءها، وقالت: يا أبة فمن يبكي عليه، ومن يلتزم بإقامة العزاء عليه؟ فقال لها: بنية إن نساء امتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال اهل بيتي، ويجددون العزاء جيلا بعد جيل في كل سنة، فإذا كان يوم القيامة تشفعين أنت للنساء، وأنا أشفع للرجال، وكل من يبكي

(1) تفسير فرات الكوفي: 1: 1717 / 219.

منهم على مصاب الحسين أخدناه بيده وأدخلناه الجنة، يا فاطمة كل عين باكية يوم القيامة إلّا عين بكت على مصاب الحسين عليهالسلام فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة [1].

وروي: أن فاطمة عليهاالسلام لما دنت منها الوفاة دعت ابنتها زينب، فشمّتها من نحرها، وقبلتها في صدرها، وقالت لها: هذه وديعة لي عندك، فإدا رأيت اخاك وحيداً فريداً شمّيه في نحره، وقبّليه في صدره، فإن نحره موضع سيف ابن ذي الجوشن وإنّ صدره موضع حوافر خيول بني أميه، قال: فامتثلت الحوراء زينب ذلك، ولما كان يوم عاشوراء وبقي الحسين وحيداً فريداً، أراد أن يودع العيال ويمضي إلى القتال، أقبلت إليه أُمّ المصائب وقالت له اخي اكشف لي عن صدرك وعن نحرك، فكشف له الحسين عليهالسلام عن صدره، قلته في صدره وشمّته في نحره، ثم وجّهت وجهها نحو المدينة صائحة: يا اماه قد إسترجعت الوديعة وأخذت الأمانة، فتعجّب الحسين من كلامها فقال لها: أخية ومن الأمانة؟ قالت: اعلم يابن أُمّ لمّا دنت الوفاة من اُمّنا فاطمة، قربتني اليها وشمّتني في نحري وقبّلتني في صدري، وقالت لي: يا بنيّة هذه وديعة لي عندك، فإذا رأيت أخاك الحسين وحيداً فريداً شميه في نحره وقبليه في صدره. قال الراوي: فلمّا سمع بذكر اُمّه بكى! وسمع مناد ينادي بين السماء والأرض: والولداه وا حسينا.

فالزهراء تبكي على ولدها، بل وتحضر جميع المآتم كما روى: أن فضيل صنع مآتماً للحسين عليهالسلام، ولم يخبر به إمامنا الصادق عليهالسلام، فلمّا كان اليوم الثاني أقبل إلى الإمام روحي فداه، فقال له: يا فضيل اين كنت البارحة؟ قال: سيدي شغل عاقني، فقال: يا فضيل لا تخفي عليَّ، أما صنعت مأتماً وأقمت بدارك عزاء في

(1) بحار الأنوار: 44 / 292 - الحديث (37).

مصاب جدّي الحسين عليه‌السلام؟ فقال: بلى سيدي، فقال عليه‌السلام: وأنا كنت حاضراً، قال: سيدي إذا ما رأيتك؟! أين كنت جالس؟ فقال عليه‌السلام: لما أردت الخروج من البيت أما عثرت بثوب أبيض؟ قال: بلى سيدي، قال عليه‌السلام: انا كنت جالسا هناك، فقال له: سيدي لم جلست بباب البيت ولم ما تصدرت في المجلس؟ فقال الصادق عليه‌السلام: كانت جدتي فاطمة بصدر المجلس جالسة، لذا ماتصدرت إجلالا لها.

ففاطمة عليه‌السلام تحضر في كل عزاء يعقد لولدها الحسين عليه‌السلام، كما حضرت مصرعه فرأته يوم عاشوراء بعد الظهر بساعة.

تريب المحيا تظن السما	بأن على الأرض كيوانها [1]

---

(1)

(نصاري)

لون حاضرة يحسين يمّك	وابوك النفل والطيّار عمك
چا ما راح اضياع دمّك	وظلّيت متحيرة بلمّك

(بحراني)

تناديه يبني من گطع راسك والكفوف	من كسر اضلوعك يعقلي بضرب السيوف
ومن گطع اوصالك يعيني بضرب السيوف	يا مهجتي مذبوح لا مطلب ولا دين
يحسين گلّي من گطع بالسيف نحرك	يا نور عيني من وطا بالخيل صدرك
ومن سلّب ايتامك ويا هو حرگ خدرك	ويا هو الذي شتّت بناتي اشمال ويمين

(عاشوري)

مني الوالدة يحسين يبني	ويمن ريت ذبّاحك ذبحني
أسعدني على ابني يلتحبني	مصابك بهض حيلي وكتلني

* * *

فالمعالي بالعَزا قائمة	ودموع الأنبيا ساجمة

ميت تبكي له فاطمة وعليه حورها لاطمة وأبوها وعليّ ذو العُلى

المطلب السادس

في بكاء الأئمّة وشيعتهم على الحسين عليه‌السلام

قال الله تعالى: (إِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السّماوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدّينُ الْقَيّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافّةً وَاعْلَمُوا أَنّ اللّهَ مَعَ الْمُتّقِينَ)[1]، وهذه الأشهر الأربعة هي: رجب - الذي بين جمادي وشعبان - الملقب: بالأصم، وذوالقعدة، وذوالحجة، ومحرم[2].

فهذه الأشهر الأربعة كانت محترمة في الجاهلية، لا يوقعون فيها قتالا، وإذا تنافسوا فيما بينهم جعلوا عدّة الأشهر غيرها، بل وحرموا القتال فيها إحتراما لها، فهذه الأشهر الأربعة محترمة سواء كانت في الجاهلية أو في الأسلام، حتى حكي: أنّ ضبّة بن أركان كان له ابنان، أحدهما يسمى «سعد» والثاني «سعيد» فخرجا إلى سفرٍ فهلك سعد ورجع سعيد، فخرج والدهما مفتشاً عن إبنه الهالك في الأشهر الحرم ومعه الحارث بن كعب، فبينما هما ذات يوم سائران يتحدثان، إذ مرّا بمكان، فقال الحارث لقيت في هذه المكان شابّا صفته كذا وكذا فقتلته، وهذا

(1) سورة التوبة 9: 36.
(2) انظر تفسير الطبري: 14 234.

سيفه، فقال ضبّة: «الحديث ذو شجون» اي - حديثك محزن - فذهب قوله مثلاً، ثم إنّ ضبة قتل الحارث فلامه الناس على إستحلال الأشهر الحرم، فقال: «سبق السيف العذل» [1] فهكذا كانوا يحترمون الأشهر الحرم.

وذكر ابن أبي الحديد: أنّ العرب تسمى آخر يوم من شوّال فلتة، من حيث إنّ كل من لم يدرك ثأره فيه فاته، لأنّهم إذا كانوا إذا دخلوا الأشهر الحُرم لا يطالبون الثأر، وذوالقعدة من الأشهر الحرم [2].

في البحار عن إبراهيم ابن أبي محمود قال: قال الرضا عليه‌السلام: إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهلية «في مامضى» يحرّمون فيها القتال فاستحلّت فيه دماؤنا وهتكت فيه حرمتنا، وسُبي فيه ذرارينا ونسائنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب منها ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فيه حرمة في أمرنا.

ثم قال عليه‌السلام: إنّ يوم الحسين اقرح جفوننا، [وأسبل دموعنا]، واذلّ عزيزنا، بأرض كرب وبلاء وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الإنقضاء، فعلى مثل الحسين عليه‌السلام فليبك الباكون، فأنّ البكاء عليه يحط الذنوب العظام.

ثم قال الرضا عليه‌السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه‌السلام [3].

وعن الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه‌السلام في أول يوم من المحرّم، فقال لي: يابن شبيب، أصائم أنت؟ فقلت: لا، قال: إنّ هذا اليوم هو اليوم الذي

(1) جمهرة الأمثال: 1: 377 / 566.
(2) شرح نهج البلاغة: 2 / 26.
(3) أمالي الصدوق: 190 / 199 - المجلس (27) - الحديث (2).

دعا فيه زكريا عليه‌السلام ربه عزوجل، فقال: «رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ» [1] فاستجاب الله له، وأمر الله ملائكته فنادت زكريا، وذلك قوله تبارك وتعالى: (فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ) [2] فمن صام في هذا اليوم ثم دعا الله فإنّه يستجيب له، كما استجاب لزكريا عليه‌السلام.

ثم قال يابن شبيب، إنّ المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأُمّة حرمة هذا الشهر ولا حرمة نبيها صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً، يابن شبيب، إن كنت باكياً لشئ فابك على الحسين عليه‌السلام، فأنّه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيه، لقد بكت السماوات السبع والأرضون السبع لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة لآلاف ملك لنصرته فلم يأذن لهم [3].

وفي العيون والخبر الآخر، أنهم نزلوا فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم صاحب الأمر فيكونون من أنصاره، وشعائرهم: يا لثارات الحسين [4].

وكان الصادق عليه‌السلام أذا هل المحرم لا يرى شاحطاً قط، وكذلك الأئمة واحداً بعد واحد، بل وهذه سيرة سارت في مواليهم وشيعتهم إذا هل عاشوراء اجتمعت

---

(1) سورة ال عمران 3: 38.
(2) سورة ال عمران 3: 39.
(3) أمالي الصدوق: 192 / 202 - المجلس (27) - الحديث (5).
(4) عيون أخبار الرضا عليه‌السلام: 1: 299 / 58 - الباب (28). وانظر المصدر السابق أيضاً.

عليهم الأحزان والكروب؛ ولعل الخبر يشير إلى ذلك:

«شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، يصيبهم ما أصابنا، يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا» [1] وكانوا عليهم الصلاة والسلام يجلسون للعزاء كما تجلس شيعتهم اليوم.

وكان الرضا عليه‌السلام يجلس في كل عشرة من المحرم كئيباً حزيناً، ويعقد مجلساً للعزاء، ويجلس نساءه وراء الستار، وكان إذا دخل عليه أحد من الشعراء يأمره بالإنشاد على جده الحسين عليه‌السلام، كما في قصة دعبل الخزاعي لما دخل عليه وقال له: أنشدني، فأنشده التائية التي منها:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً ... وقد مات عطشاناً بشط فرات [2]

وكذلك الصادق عليه‌السلام لما دخل عليه هارون المكفوف، فقال عليه‌السلام: أنشدني في جدي الحسين عليه‌السلام، فأنشأ يقول:

أمرر على جدث الحسين ... وقل لأعظمه الزكية

فبكى الصادق عليه‌السلام وقال: أنشدني كما تنشدون بالرقة فقال:

يا مريم نوحي على مولاك ... وعلى الحسين ألا أسعدي ببكاك

فصاحت ابنة الصادق عليه‌السلام: واجداه واحسيناه [3].

وهكذا ساير أهل البيت عليهم‌السلام ولا زالوا صارخين معولين عطاشا جائعين من أوّل شهر محرم إلى يوم العاشر.

وقيل للصادق عليه‌السلام: سيدي جعلت فداك، إنّ الميت يجلسون له بالنياحه بعد

---

(1) أورده الفاضل الدربندي في أسرار الشهادة: 1 / 104، في كلامٍ للإمام الصادق عليه‌السلام.
(2) بحار الأنوار: 45 / 257 - الحديث (15).
(3) انظر ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: 109 / 1 / باب (146).

موته أو قتله، وأراكم تجلسون أنتم وشيعتكم من أوّل الشهر بالمأتم والعزاء على الحسين عليه‌السلام!! فقال عليه‌السلام: «يا هذا إذا هل هلال محرم نشرت الملائكة ثوب الحسين عليه‌السلام وهو مخرق من ضرب السيوف، وملطخ بالدماء، فنراه نحن وشيعتنا بالبصيرة لا بالبصر، فتنفجر دموعنا».

وقال عليه‌السلام فيما قال لمسمع كردين: «يا مسمع ما من عين بكت على الحسين عليه‌السلام إلّا ونعمت بالنظر إلى الكوثر، أو شربت منه إلى يوم القيامة) [1].

فأي عين لا تبكي عليك يا أبا عبدالله، السلام على من دمه غسله، والتراب كافوره، ونسج الرياح أكفانه، والرماح الخطية نعشه، وفي قلب من والاه قبره:

إن يبقي ملقى بلا دفن فإنّ له	قبراً بأحشاء من والاه محفورا [2]

---

(1) بحار الأنوار: 44 / 289 - الحديث (31) - من حديث طويل.

(2)

(ابوذية)

لو لاك الفرض يحسين ماتم	وحگ گلبك المنة ثلث ماتم
إلك ابگلوبنا يحسين ماتم	نجيمة ابكل صباح وكل مسيّة

(بحراني)

وحق راسك المقطوع يا شمس المضية	للحشر ما ننسا مصابك والرزيّة
ننسى وسهم الصاب گلبك يا ذرانا	ذللنة وفت اگلوبنا ونكس لوانا
وتگطيع جسمك بالثرى گطع امعانا	وخيل الوطت صدرك على حر الوطيّة
داست يبنى حيدر علي صدور المحبين	وبگلوبنا انخليك عاري بغير تكفين
وذبح الطفل ننساه هذا محال يحسين	ولا ننسى اركوب الوديعة اعلى المطيّة

* * *

غَدَت ربّة الأخدار ولهى أسيرةً	تقاذفُها البيدا ضُحىً وظهيرةً

وتهتف بالحامي الجوار مشيرةً

أترضى وأنت الثاقب العزم غيرةً   يلاحظها حسرى القناع يزيدُ

المطلب السابع

في بكاء النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم على الحسين عليه‌السلام

وأنّ البكاء والرقّة من شأن المعصوم

العجب كل العجب ممن يزعم أنّ المعصوم عليه‌السلام لا يبكي، أو أنّ البكاء لا يليق له وليس من شأنه، فاذا خطر مثل هذا في البال فهو وهم صرف، إذ أنّ البكاء والرقة من صفات المعصوم عليه‌السلام، كما أنّ الرحمة والرقة مودوعة في قلب كل نبي وكل معصوم، بل وكل مؤمن فضلاً عن النبي والمعصوم، اُنظر الى النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقد دلت الأخبار المتواترة أنّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بكى في مواطن كثيرة، كان أولها «يوم اُحد»، وذلك لما رأى عمّه الحمزة عليه‌السلام قتيلاً ورأى ما مثل به شهق [1].

ذكر ابن أبي الحديد: أنّ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كان يومئذٍ إذا بكت عمّته صفيّة يبكي، وإذا انشجت ينشج، وكذلك لما رأى ابنته فاطمة عليهاالسلام تبكي على عمّها بكى [2].

وذكر أحمد ابن حنبل: أنّ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لما رجع من «احد» فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «ولكن عمّي حمزة لا

---

(1) المستدرك الحاكم: 3 / 195، وانظر أيضاً: المحب الطبري في ذخائر العقبى: 180، والهيثمي في مجمع الزوائد: 6 / 118 - باب مقتل حمزه عليه‌السلام.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 15 / 17 - الباب (19).

بواكي له»، ثم نام وانتبه وهنّ يبكين: قال: «فهنّ اليوم اذا بكين يندبن بحمزة» [1].

ومنها: بكى على جعفر بن أبي طالب عليه‌السلام يوم «مؤتة» لمّا قتل [2]، ومنها: لمّا اُصيب زيد ابن حارثة انطلق النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى منزله فلمّا رأته إبنة زيد أجهشت بالبكاء، فسالت دمعته [3].

ومنها: عند موت ولده إبراهيم بكى، فقيل له: أتبكي وأنت رسول الله؟ فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «إنّما أنا بشر مثلكم، تدمع العين ويحزن القلب، ولا أقول ما يغضب الرب، وأنا بفراقك يا إبراهيم لمحزون». ذكره البخاري في «صحيحه في الجزء الأوّل منه» [4].

ومنها: يوم ماتت إحدى بناته جلس على قبرها وعيناه تدمعان، هكذا ذكر البخاري أيضاً [5].

ومنها: يوم مات صبي لأحدى بناته، إذ فاضت عيناه يومئذٍ فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟! قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنّما يرحم من عباده الرحماء». هكذا في الصحيحين أيضاً [6].

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس - في الجزء الأوّل من مسنده - من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وبكاء النساء عليها،

(1) مسند أحمد ابن حنبل: 7 / 98 - الحديث (4984).
(2) تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 488 و 884، وانظر أيضاً: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: 6 / 73 و 12 / 73.
(3) تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 496.
(4) صحيح البخاري (بشرح الكرماني): 7: 96 / 1228.
(5) صحيح البخاري (بشرح الكرماني): 7: 81 / 1213.
(6) صحيح مسلم: 2: 635 /، وصحيح البخاري (بشرح الكرماني): 7: 80 / 1212.

قال: فجعل عمر يضربهنّ بسوطه: فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «دعهنّ يبكين». ثم قال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «مهما يكن من القلب والعين فمن الله الرحمة». وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي قال: فجعل النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يسمح بعين فاطمة بثوبه رحمة لها [1].

وممّا يعاضد ذلك بكاؤه على الحسين عليه‌السلام في مواطن كثيرة، منها قبل ولادته وهبك عليه جبرائيل، قال: يا محمد يولد لك تقتله شرار اُمّتك، فبكى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقال: «لا حاجة لي فيه» فقال جبرائيل: يا رسول الله إن الإمامة تكون فيه وفي ولده؛ فسكت صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم [2].

وبكى عند ولادته، وذلك لمّا جاءت به صفية بنت عبد المطلب تحمله أخذه وشمه ثم بكى، فقالت له صفية: يا رسول الله وما هذا البكاء؟! فقال لها صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «إنّ ولدي هذا تقتله شرار اُمّتي، لا تخبري ابنتي فاطمة فإنّها جديدة عهد بولادتها».

ومنها: بكاءه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لمّا دخل على فاطمة ورأى الحسين عليه‌السلام يبكي في المهد، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم «بني سكتيه فأنّ بكاءه يؤذيني»؛ ثم بكاه، وكان صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم كلّما نظر إليه يبكي، وإذا رآه في يوم عيد يبكي، واذا رآه يلعب يبكي.

وكان صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول: «حسين منّي»، «حسين طمئنينتي»، «حسين روحي التي بين جنبي»، «حسين منّي وأنا من حسين»، «أحب الله من أحب حسيناً».

قال [3]: ودخل الحسن واخوه الحسين عليهماالسلام على النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يوماً فشمَّ الحسن عليه‌السلام في فمه، وشمَّ الحسين عليه‌السلام في نحره، فقام الحسين وأقبل إلى اُمّه،

---

(1) مسند الإمام أحمد: 5: 41 / 3103.

(2) اصول الكافي: 1: 386 / 4، والبحار: 44: 232 /، الحديث.

(3) والكلام لابن عباس.

فقال لها: أُمّاه شمي فمي، هل تجدين فيه رائحة يكرهها جدّي رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم؟ فشمّته في فمه فإذا هو أطيب من المسك، ثم جاءت به إلى أبيها فقالت له: أبه لم كسرت قلب ولدي حسين عليهالسلام؟ فقال صلىاللهعليهوآلهوسلم: ممَّ؟ قالت: تشمّ أخاه في فمه وتشمّه من نحره، فلمّا سمع صلىاللهعليهوآلهوسلم بكى، وقال: «بنية أمّا ولدي الحسن عليهالسلام فإنّي شممته في فمه لأنّه يسقى السم فيموت مسموماً، وأمّا الحسين عليهالسلام فإني شممته من نحره لأنّه يذبح من الوريد إلى الوريد»؛ فلمّا سمعت فاطمة بكت بكاءاً شديداً وقالت: أبة متى يكون ذلك؟ فقال: «بنية في زمان خال مني ومنك ومن أخيه وأخيه» فاشتدّ بكاؤها ثم قالت: أبه فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء عليه؟ فقال له: «بنية فاطمة إنّ نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي ورجالهم يبكون على ولدي الحسين عليهالسلام وأهل بيته، ويجددون عليه العزاء جيلاً بعد جيل، فإذا كان يوم القيامة أنت تشفعين للنساء وأنا أشفع للرجال وكل من يبكي على ولدي الحسين عليهالسلام أخذنا بيده وأدخلناه الجنة» [1].

وقال صلىاللهعليهوآلهوسلم: «على الحسين فلتشق القلوب لا الجيوب».

وقال صلىاللهعليهوآلهوسلم: «ألا وصلّى الله على الباكي على ولدي الحسين عليهالسلام».

فرسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم تراه تارة يدعو للباكي على ولده الحسين وأُخرى يخبر بفضل الباكي عليه وما له يوم القيامة من الأجر، لقوله صلىاللهعليهوآلهوسلم: «كل عين باكيه يوم القيامة إلّا عين بكت على ولدي الحسين، فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة» [2].

---

(1) الخبر ذكره الفاضل الدربندي رحمه الله في أسرار الشهادات: 2 / 720، وهو خبر طويل ومفصّل وأورده هنا المؤلف رحمه الله على وجه الاختصار.

(2) انظر أسرار الشهادات للدربندي: 2 / 496.

وروى المجلسي رحمه الله قال:

حكى السيد علي الحسيني قال: كنت مجاوراً في مشهد علي بن موسى الرضا عليه‌السلام مع جماعة من المؤمنين فلما كان يوم العاشر من المحرم عقدنا مأتماً للحسين عليه‌السلام فابتدأ رجل منا يقرأ مقتل الحسين عليه‌السلام فقرأ رواية عن الباقر عليه‌السلام إنه قال: «من ذرفت عيناه بالدموع على مصاب الحسين عليه‌السلام ولو كان مثل جناح البعوضة غفر الله ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر»، وكان في المجلس معنا رجل يدعي العلم ولا يعرفه، فقال: ليس هذا صحيح وأنّ العقل لا يقبله.

قال: وكثر البحث بيننا ثم افترقنا وهو مصرّ على ماهو عليه، فلمّا نام تلك الليلة رأى في منامه كأنّ القيامة قد قامت وحشر الناس في صعيد واحد، وقد نصبت الموازين وامتد الصراط، ووضع للحساب ونشرت الكتب، واسعرت النيران وزخرفت الجنان، واشتد الحر عليه وعطش عطشاً شديداً، فجعل يطلب الماء فلا يجده، فالتفت هناك وإذا بحوض عظيم الطول والعرض، فقال في نفسه: هذا هو الكوثر؛ فأقبل إليه وإذا عليه رجلان وامرأة أنوارهم مشرقة لابسين السواد، قال: فسألت عنهم فقيل لي: هذا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وهذا علي عليه‌السلام، وهذه فاطمة عليهاالسلام، فقلت: اذا لماذا لابسين السواد فقيل لي أليس هذا اليوم يوم قتل فيه الحسين عليه‌السلام، قال: فدنوت إليهما وقلت لفاطمة: سيدتي إني لعطشان، فنظرت إليّ شزراً، وقالت لي: أن الذي تنكر فضل البكاء على ولدي الحسين عليه‌السلام، لن تذوق منه قطرة واحدة حتى تتوب ما أنت عليه؛ قال: فانتبه من نومه فزعاً مرعوباً وجاء إلى أصحابه، وقص عليهم رؤياه وقال والله يا أصحابي أنا ندمت ممّا صدر منّي، وأنا تائب عمّا كنت عليه [1].

---

(1) بحار الأنوار: 44 / 293 - الحديث (38).

أقول: فليتها كانت حاضره يوم عاشوراء ومعها جرعة من ماء الكوثر وتسقي ولدها الحسين عليه‌السلام، لمّا نادى: يا قوم وحق جدّي أنا عطشان. قال رجل من القوم: رأيت شفتيّ أبي عبد الله تتحركان بكلام لم أفهمه، فقلت: إن كان الحسين عليه‌السلام يدعو علينا هلكنا ورب الكعبة. فأقبلت إليه فسمعته ينادي إسقوني جرعة من الماء، وقال: فأتيت إلى ابن سعد (لعنه الله) وقلت له: يا أمير إنّ الرجل قد ضعف عن القتال ولا قابلية له على حمل السلاح، ما يضرك لو سقيته جرعة من الماء؟ قال: فسكت اللعين، فعلمت أنّ السكوت من الرضا، فأقبلت إلى خيمتي وأخذت ركوة فملئتها ماء وأتيت مسرعاً إلى الحسين فبينا أنا في بعض الطريق وإذا بالكون قد تغيّرت، وهبت ريح سوداء مظلمة، وتزلزلت الأرض، وإذا بالمنادي ينادي: قتل الإمام ابن الإمام أخو الإمام أبو الأئمّة. فنظرت وإذا برأس الحسين عليه‌السلام على رأس رمح طويل.

وشيبته مخضوبة بدمائه　　　يلاعبها غادي النسيم ورائحه [1]

---

(1) وزينب عليهاالسلام كأني بلسان حالها:

(نصاري)

يشيال راسه لا تلوحه　　　وهبّط من بگايا الروس رمحه

أخاف ايفوت ريح الهوى بجرحه　　　وجرحه عليه يگوم يسعر

(دكسن)

يشال راس حامينه او ولينه　　　دريّض خلي اتودّعه اسكينه

ليش احسين ساچت عن ونينه　　　گلّي تعب لو جرحه تخدّر

كأني بها تخاطب رأس الحسين عليه‌السلام بلسان الحال:

(عاشوري)

يحسين لا تلتفت لينه　　　واتشوفنه نشگف بدينه

نسوان تدري وانولينه　　　وعليلك المچتّف ولينه

المطلب الثامن

في مكارم أخلاق الحسين **عليهالسلام**

جمع الحسين بن علي عليهالسلام الفضائل أجمع، كالعلم وأسراره، وفصاحة اللسان وبيانه، ومنتهى الشجاعة، وأقصى غاية الجود والعدل والصبر والحلم والعفاف والمروءة والورع والزهد ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، كما خصّه الله عزوجل بسلامة الفطرة، وجمال الخلقة، ورجاحة العقل، وقوة الجسم، وأضعف إلى هذه المحامد كلّها كثرة العبادة، وأفعال الخير، كالصلاة والصوم والحج، والجهاد في سبيل الله، والأحسان للناس، وكان عليهالسلام سخياً بماله، متواضعاً للفقراء، معظماً عند الخلفاء، مواصلاً للصدقة على الأيتام والمساكين، منتصفاً للمظلومين، وكان عليهالسلام علم المهتدين، وهدى للمسترشدين بأنوار محاسنه وآثار فضله.

أمّا علمه فإنّه كان يغر العلم غرا، وأنه ورث العلم من جده رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم، ومن أبيه علي عليهالسلام، ومن كان النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم معلمه ومن كان ابوه علي بن أبي طالب

(تخميس)

رأت الرمح زينبُ حين مالا وعليه رأس الحسين تلالا

خاطبته مذ راح يزهو هلالا

يا هلالاً لما استتم كمالا غاله خسفه فأبدى غروبا

وأُمّه فاطمة الزهراء ناشئاً في أصحاب جدّه وتلامذة أبيه فلا شك أنّه كان يغرُّ العلم غرّاً، ومنه أخذ علم الجفر والجامعة الأئمّة التسعة صلوات الله عليهم.

وكان الناس يقدمون على الحسين عليه‌السلام وينتفعون بما يسمع منه، ويضبطون ما يروون عنه من الأحاديث والفتيا.

وأمّا فصاحته، ناهيك عن خطبته التي خطبها بالمدينة ومكّة قبل خروجه إلى العراق، والتي سجلها له التاريخ في كربلاء، فمن خطبته الشهيرة بمكّة إذ يقول في أولها:

«خطّ الموت علي ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة... إلى آخرها» [1].

وخطبته يوم عاشوراء التّي في أولها يقول:

«ألا إنّ الدعي ابن الدّعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت، وبطون طهرت، وأُنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام» [2].

وأمّا شجاعته فصارت يضرب بها المثل، قال صاحب اسعاف الراغبين: «كان الحسين شجاعاً مقداماً من حين كان طفلاً» [3].

وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج قال: فيما أفتخرت به بنو هاشم على بني أُميّة قولهم: من مثل الحسين بن علي عليه‌السلام يوم الطف، ما رأينا مكثوراً [4] قد فرق من أُخوته وأهله وأنصاره أشجع منه، كان كالليث الوجوب يحطم الفرسان حطماً، وما ظنك برجل أبت نفسه الدنيا الدنيه وأن يعطي بيده، فقاتل حتى قتل

---

(1) كشف الغمة في معرفة الأئمة: 2 / 29.
(2) الملهوف على قتلى الطفوف: 155، واظر تاريخ ابن عساكر: 317.
(3) اسعاف الراغبين: 202 «بهامش نور الأبصار للشبلنجي».
(4) المكثور: المغلوب.

هو وبنوه وأُخوته وبنو عمّه، بعد بذل الأمان لهم والتوثقة بالإيمان المغلظة، وهو الذي سنّ للعرب الإباء، واقتدى به أبناء الزبير وبنو الملهب، وغيرهم [1].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: سيد أهل الإباء، الذي علّم الناس الحميه والموت تحت ظلال السيوف، اختيارا له على الدنية، أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهماالسلام، عرض عليه الأمان وأصحابه، فأنف من الذل وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان مع أنه لا يقتله، فاختار الموت على ذلك، قال: وسمعت النقيب أبا زيد يحيى ابن زيد العلوي البصري يقول كأبيات أبي تمام في محمد بن حميد الطائي ما قيلت الى في الحسين عليه‌السلام:

وقد كان فوت الموت سهلا فرده | إليه الحفاظ المر والخلق والوعر

ونفس تعافي الضيم حتى كأنه | هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر

فأثبت في مستنقع الموت رجله | وقال لها من تحت أخمصك الحشر

تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى | لها الليل إلّا وهي من سندس خضر

وقال صاحب كشف الغمة: شجاعة الحسين يضرب بها المثل، وصبره في الحرب أعجز الأواخر والأول - وأمّا سخاءه وجوده، فإنّه كان يهب الألوف من الدنانير حتى عد من سادات أجواد العرب، [3].

روى «ابن عساكر» في تأريخه عن أبي هشام القناد أنّه كان يحمل إلى الحسين عليه‌السلام بالمتاع من البصرة، ولعلّه لا يقوم حتى يهب عامته، ودخل عليه‌السلام يوماً على أُسامة بن زيد وهو مريض فسمعه يقول: واغمّاه، فقال له الحسين عليه‌السلام: وما غمّك يا أخي؟ قال: ديني وهو ستون ألف درهم؛ فقال الحسين عليه‌السلام: هو عليَّ، قال: إني

(1) و (2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.
(3) كشف الغمة في معرفة الأئمة: 2 / 20.

أخشى أن أموت؟ فقال عليه‌السلام: لن تموت حتى أقضيها عنك، فقضاها قبل موته [1].

أما جماله وحسنه: فقد كان يشبه جدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بجمال وجهه الشريف، قال «صاحب الخزانة» في ترجمة «عبيدالله ابن الحر الجعفي» أنّه قال: ما رأيت أحداً قط أحسن ولا املأ للعين من الحسين عليه‌السلام [2].

وعن أنس بن مالك: أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي عليه‌السلام، فجعل في طشت فجعل ابن زياد ينكث ثناياه، وقال في حسنه شيئاً: رحمك الله يا حسين فلقد كنت حسن الثغر، فقال أنس إبن مالك: كان أشبههم برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وسلم [3].

وأمّا عبادته: فإنّه كان ينهج نهج أبيه أمير المؤمنين عليه‌السلام في عبادته، فقد ذكر «الملك المؤيد أبو الفداء» في تاريخه قال: كان الحسين يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وقد حج خمس وعشرين حجّة ماشياً على قدميه ونجائبه تقاد بين يديه، إلى غير ذلك من عبادته [4].

وأمّا تواضعه: فقد ذكر «ابن عساكر» في التأريخ الكبير: أنّ الحسين عليه‌السلام مرّ بمساكين يأكلون في الصفة، فقالوا: الغداء؛ فنزل عليه‌السلام وقال: إنّ الله لا يحب المتكبرين، فتغدى، ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله وقال للرباب خادمته: اخرجي ما كنت تدخّرين [5].

أقول يظهر من الرواية أنّ ابن عساكر اشتبه في الرباب خادمة الحسين عليه‌السلام،

---

(1) تاريخ ابن عساكر.

(2) خزانى الادب للبغدادي: 1 / 298.

(3) انظر تاريخ ابن عساكر «ترجمة الإمام الحسين عليه‌السلام»: 46 / 49، 50، 51.

(4) تاريخ أبي الفداء. وذكر ذلك ايضا: ابن عساكر في تأريخه) ترجمة الامام الحسين عليه‌السلام (: 215 و 216.

(5) تاريخ ابن عساكر (ترجمة الامام الحسين عليه‌السلام): 218 / 198.

وما سمعنا أنّ للحسين خادمة اسمها رباب، لكن رباب زوجته وهي بنت امرء القيس الكندي الذي يقول فيها:

لعمرك إنني لأحب داراً ... تحل بها السكينة والرباب

أحبهما وأبذل جل مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب [1]

(1) كتاب الأغاني: 16 / 138.

نعم، إنّ الحسين عليه‌السلام آلت ان لا تستظل تحت ظل بعد شهادة أبي عبد الله عليه‌السلام وذلك لمّا رجعت مع النسوة إلى المدينة أمرت البناء أن يرفع السقف وكان لها بكاء ونحيب على فقد الإمام الحسين عليه‌السلام وولدها عبدالله الرضيع، ولسان حالها:

(الموشح)

دايك ما يطيب وداي أبوك النوب ... داي اللي يفلّش ولو سبع اگلوب

حسبت احساب واحسابي طلع مگلوب ... سكنة اميسّرة وانته الفگد يرجاي

يا رجواي يلغيّرك بعد ما لوليت ... اخلاف احسين عيب اگعد تحت ظل بيت

يبني لكربلا يبني عسن لاجيت ... يبني اتموت يبني ما شربت الماي

(تخميس)

سألت ربع الندى والدمع ينهملُ ... عن معشر هاهنا عهدي بهم نزلوا

أين استقلّوا عن الأوطان وارتحلوا

بالأمس كانوا معي واليومَ قد رحلوا ... وخلّفوا في سويد القلب نيرانا

المطلب التاسع

في ترجمة يزيد وكفره

ذكر «القرماني» في تأريخه: عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم يقول: «أوّل من يبدل سُنّتي رجلٌ من بني اُمية يقال له يزيد ابن معاوية واُمّه ميسون الكلبية» [1].

وذكر أرباب التاريخ: انه دخل معاوية ابن أبي سفيان يوما على زوجته ميسون بنت بجدل بن أنيف الكلبي فسمعها تنشد هذه الابيات:

للبس عباءة وتقرّ عيني — أحب إليّ من لبس الشفوف

وبيت تخفق الارياح فيه — أحب إليّ من قصر منيف

وبكر يتبع الأضعان صعب — أحب إليّ من بغل زفوف

وكلب ينبح الأضياف دوني — أحب إليّ من هرٍّ ألوف

وخرق من بني عمّي فقير — أحب إليّ من علج عنيف

فقال لها معاوية: مارضيت يا ابنة بجدل حتى جعلتيني علجا عنيفاً، إلحقي بأهلك. فمضت إلى أهلها مع عبد أبيها [2].

وروى المداءني في كتاب بهجة المستفيد: أن يزيد ابن معاوية اُمّه ميسون

(1) و (2) أخبار الدول وآثار الاول للقرماني: 130.

بنت بجدل الكلبية امكنت عند أبيها من نفسها فحملت بيزيد، وإلى هذا أشار النسابة البكري من علماء السنة بقوله:

فإن يكن الزمان أتى علينا لقتل الترك والموت الوحيي [1]

فقد قتل الدعي وعبد كلب بأرض الطف أولاد النبي

اراد بالدعي عبيد الله ابن زياد، فإنّ أباه زياد بن سمّية، وهذه كانت عاهرة ذات علم، ولدت زيادا على فراش أبي عبيد من بني علاج، فادعى معاوية أنّ أبي سفيان زنى بام زياد وأنه أخوه وكان اسمه «الدعي» حتى أن عايشة كانت تسميّه زياد ابن ابيه لأنّه ليس له أب معروف، [2] ومراده بعبد كلب وهو يزيد بن معاوية لأنّه من عبد بجدل الكلبي.

وكانت ولادته في أيام عثمان ابن عفان، سنة خمس وعشرين في بادية طب بني أخواله، وهم نصارى، وتربى هناك تربيه نصرانية حتى إذا ترعرع جيء به إلى أبيه، وكان لا يشابه أباه، ضخم الجسم، كثير اللحم، اسمر، في وجهه اثار الجدري، ولقد بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه معاوية، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر.

ففي السنة الأولى: قتل الحسين بن علي بي أبي طالب عليهمالسلام سيد شباب أهل الجنة.

---

(1) موت وحي [أي] سم حي: سريع: انظر:

(2) نقول: قال الذهبي في سير أعلام النبلاء:

يقال: «إن أبا سُيان أتى الطائف، فَسكر، فطلب بغيّاً، فواقع سُميّة، وكانت مزوّجةً بعبيد، فولدت من جُماعه زيادا، فلما رآه معاوية من أفراد الدهر، أستعطفه وادّعاه، وقال: نزل من ظهر أبي». انظر سير اعلام النبلاء للذهبي: 3 / 495.

وفي صحيح البخاري في (الفرائض) / باب (من ادعى الي غير أبيه): 8 / 194، وفيه: قال صلىاللهعليهوآلهوسلم: «من ادّعى الى غير أبيه وهو يعلم أنّه غير أبيه فالجنة عليه حرام».

وفي السنة الثانية: نهب المدينة، وأباحها ثلاثة أيّام، وفتك الفتك العظيم بأهلها حتى قتل في الوقعة [1] جماعة من الصحابة، ولم يبقي بدري بعد ذلك، وقتل من سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف، وافتضت ألف عذراء [2].

وفي السنة الثالثة: غزا الكعبة فهدمها.

قال المسعودي: شمل الناس جور يزيد بن معاوية وعمّاله، وعمّهم الظلم وما ظهر من فسقه، ومن قتل ابن بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وما ظهر من شرب الخمور، وسيرته سيرة فرعون، بل كان فرعون أعدل منه في الرعية [3] [4].

وقال محمد بن علي - المعروف بالطقطقي - في كتابه «الفخري»: إنّ يزيد بن معاوية كان موفر الرغبة في اللهو، والقنص، والخمر، والنساء، والشعر [5].

وفي أيامه ظهر الغناء بمكّة والمدينة، واستعملت الملاهي [6]، ومن قوله في الخمرة:

---

(1) انظر أخبار «وقعة الحرّة» في: الفخري في الآداب السلطانية.

(2) قال ياقوت في معجم البلدان (حرة): واستباحوا الفروج، وحملت منهم ثمانمئة حرة وولدن وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة.

(3) مروج الذهب للمسعودي: 3 / 68.

(4) وروى ابن سعد في «الطبقات» - ترجمة عبدالله بن حنظلة:

«أنّه بايع أهل المدينة - ليلة الحرة - على الموت، وقال: ياقوم، اتقوا الله وحده لا شريك له، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنّ رجلاً ينكح الامهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءاً حسناً». انظر طبقات ابن سعد: 5 / 66.

(5) الفخري في الآداب السلطانية: 98.

(6) مروج الذهب للمسعودي: 3 / 67.

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم ودَاعي صبابات الهوى يترنّم

خذوا بنصيب من نعيم ولذه فكلٌّ وإن طال المدى يتصرّم

وهو القائل لما نهاه أبوه عن شرب الخمر الكثير:

أمن شربة من ماء كرم شربتها غضبت عليَّ اليوم طاب لي الخمر

سأشرب فاسخط او رضيت كلاهما حبيب إلى قلبي عقوقك والسكر

يروى أنّ معاوية أرسل سرية إلى قسطنطنية الروم وأمّر عليها سفيان بن عوف ثم ورد الخبر أنهم أصابهم جوع ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول:

إذا ارتفعتُ على الأنماط مصطبحاً بِدَير مُرّان عندي أُمّ كُلثُوم

فَما أُبالي بما لاقَت جُنودُهم بالغَذ قَذونة من حُمّى ومُوم (1)

وكان له قرد يكنى بأبى قيس، يحضره في مجلس منادمته، ويطرح له متكأ، وكان قرداً خبيثاً، وكان يحمله على أتان وحشية، قد ريّضت وذُلّلت لذلك بسرج ولجام، وكان يسابق بها الخيل يوم الحلبة ' فجاء في بعض الأيام سابقاً، فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر، منقوش يلمع بأنواع الألوان، فقال في ذلك بعض شعراء الشام:

تمسك أبا قبيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان

ألا من رأى القرد الذي سبقت به جياد امير المؤمنين أتان (2)

وقال المسعودي في «مروج الذهب»: كان يزيد صاحب طرب، وجوار، وكلاب، وقرود، وفهود، ومنادمة علي الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه

---

(1) انظر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: 17 / 210.
(2) مروج الذهب للمسعودي: 3 / 68.

وعن يمينه عبيد الله بن زياد [1]، وذلك بعد قتل الحسين عليه‌السلام فأقبل على ساقيه فقال:

أسقني شربة تروي حشاشتي ثم قم فاسق بعدها ابن زياد

صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

قاتل الخارجي اعني حسيناً ومبيد الأعداء والحساد

ويروى أيضاً إنّه لمّا جيء أليه برأس الحسين عليه‌السلام وهو في طشت من لجين وضع بين يديه، فجعل يشرب الخمر ويصب فضلته حول الطشت ألذي فيه رأس الحسين عليه‌السلام وهو يتمثل بأبيات ابن الزبعري:

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل [3]

ويروى أنّه لمّا وضعوا الرؤوس بين يدي يزيد وفيها رأس الحسين عليه‌السلام جعل يقول:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت قواظب في ايماننا تقطر الدما

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

---

(1) هوعبيد الله بن زياد: كان يكنى أبا حفص، وكان أباه زياد قد طلّق أُمّه (مرجانة) وزوّجها من شيروية الأسواري ودفع اليها عبيد الله، فنشأ بين الأساورة ومن هنا جاءته اللكنة، وكان ولّاه معاوية خراسان ثم ولي البصرة خمس سنين، ولمّا هلك أبوه ضمت اليه الكوفة فكانت ولايته على العراقيين ثمان سنين، بعد هلاك يزيد أخرجه أهل البصرة من داره واستجار بمسعود بن عمرو الأزدي، ولما قتل مسعود هرب الى الشام فكان مع مروان بن الحكم وكان يوم «مرج راهط» على إحدى مجنبتي عسكره، فلمّا ظفر مروان بالضحاك بن قيس الفهري وقتله وردّه مروان إلى العراق فبينا هو قد قرب من الكوفة إلتقى به إبراهيم بن الأشتر النخعي على جيش من جيوش المختار بن عبيد الثقفي فناجزه الحرب فظفر به وقتله، وكان قتله يوم عاشوراء سنة (67 هـ).
راجع ترجمة (عبيدالله بن زياد) في:
(2) مروج الذهب للمسعودي: 3 / 67.
(3) هذه الأبيات نسبها السيد ابن طاووس في اللهوف إلى ابن الزبعري.

فقام يحيى بن الحكم وهو يقول:

لهام بجنب الطف أدنى قرابة   من ابن زياد النغل ذي الحسب الوغل

سميّة أمسى نسلها عدد الحصى   وبنت رسول الله ليست بذي نسل

وجعل يزيد ينكث ثنايا الحسين عليه‌السلام بعود الخيزران بمنظر من بناته وأخواته.

أتضربها شلّت يمينك إنّها   وجوه لوجه الله طال سجودها [1]

---

(1) وزينب عليهاالسلام كأني بها:

(نصاري)

يحسين راسك حين شفتة   تلعب عصى ايزيد على شفته

ذاك الوكت وجهي لطمتة   صدّيتله ابحرگه وندهتة

شلت يمينك يالضربته

(ابوذية)

هضمنه ما جرى اعلى احد وشافه   برى بينه العدو وجرحه وشافه

على راس السبط تلعب وشافه   عصى ايزيد ويسب حامي الحميّه

* * *

أيهدى إلى الشامات رأس ابن فاطم   وينكته بالخيزرانة كاشحه

المطلب العاشر

في سبب عداوة يزيد بن معاوية مع الحسين **عليه‌السلام**

الأضغان أصلية وفرعية، أمّا الأصلية فهي ما وقع بين هاشم وعبد شمس، لأنّهما ولدا توأمين وقد إلتصقت إبهام رجل هاشم بجبهة عبد شمس، ففرق بينهما بالسيف وخرج الدم فتفؤل بوقوع عداوة بين ذريتهما، ومن هنا كانت العداوة بين حرب ابن اُمية وبين عبد المطلب بن هاشم، وبين النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وبين أبي سفيان بن حرب، وبين علي عليه‌السلام وبين معاوية.

وأمّا سبب عداوة يزيد بن معاوية مع الحسين فأنّها فرعية [1].

يروى أنّه كانت امرأة تسمة ارينب بنت اسحاق زوجة لعبد الله بن سلام، بارعة في الجمال، وكانت مثلاً لأهل زمانها لحسنها وجمالها، فعشقها يزيد بن

---

(1) ذكر هذه القصة «محمّد بن مسلم بن قتيبة» في كتاب) الإمامة والسياسة) و (النويري) في (نهاية الإرب)، وذكرها صاحب (المستطرف) وغيرهم من المؤرخين على اختلاف بسيط شأن أرباب التاريخ، انظر: الامامة والسياسه: 1 / 216، وثمرات الاوراق (بهامش المستطرف): 1 / 169، ونهاية الإرب: 6 / 180 - 185، وتاريخ الطبري: 2 / 252 - 254، وطبقات ابن سعد: 1 / 76، والمستطرف: وفصل النزاع والتخاصم فيما بينى بني اُميه وبني هاشم المقريزي: (6، 18، 38)، والنصائح الكافية للشريف اليمني السيد ابن عقيل: (هامش ص 97)، والأرجوزه اللطيفة لأحمد خيري: 20 - 21 (الأبيات 37 - 39).

معاوية وهام بها حتى مرض مرضا ً شديداً، فلمّا نظر إليه معاوية وهو بتلك الحالة ظن أنّه قد أصابه مرض اعيى الأطباء عن معالجته، وقد قيل له: إنّ ولدك هذا عاشق، ولا تنفعه معالجتنا، وهو لا يبرء حتى تأتيه بطلبته، فانظر ما بُغيته وما طلبته، فاذا أتيت به إليه فإنه يبرء؛ فدعا معاوية عبداً له يدعى سرجون، وقال له: اختل مع يزيد واسأله ما بغيته وما طلبته؟ فاختلى به سرجون وأخبر فأطلعه يزيد على ذلك، فجاء سرجون وأخبر معاوية أنّه عاشق لأرينب بنت إسحاق، فاخذ معاوية يدبر الحيلة في إيصالها له بكل طريق، فأرسل الى زوجها عبدالله بن سلام «أني قلبت الأمر ظهراً لبطن [1] ونظرت فرأيت أنّ أهل الشام أوباش، وأنّهم لا يليقون لهذا الأمر وقد وجدتك مستحقاً للخلافة فأقدم إلينا حتى أجعلك ولي عهدي».

فلما ورد الكتاب على عبدالله بن سلام فرح وسرّ سروراً عظيماً، وتجهز من وقته وساعته وجعل يجدّ السير ليلاً ونهاراً، حتى إذا وصل الشام وبلغ معاوية قدومه خرج لاستقباله هو وحفدته كأبي الدرداء وأبي هريرة ونظائرهما، فلمّا نظر عبدالله إلى ذلك اطمأن قلبه وفرح، ثمّ جيء به الى دار من دور معاوية فأنزل فيها، وبقى في الشام مدّة من الزمن، فقال له معاوية يوماً: أريد أن أزوّجك أبنتي حتى تكون الخلافة لك من بعدي، - وكان ذلك على يد أبي الدرداء [2] وأبي هريرة ـ

---

(1) يعني أمر الخلافة وولاية العهد.

(2) أبو الدرداء هو: عامر بن زيد الانصاري ' كان صحابياً وكان يعد من ثلاثة علماء أهل الأرض قال بن قتيبة: إنّ أبا الدرداء وأبي هريرة جاءا لعلي - ولقد بعثهما معاوية - فقالا لعلي: إنّ لك فضلاً لا يدفع، وقد سرت مسيرة فتى الى سفيه من السفهاء، ومعاوية يسألك أن تدفع إليه قتلة عثمان، فإن فعلت ذلك وقاتلك كنا معك؛ فقال عليه‌السلام: أتعرفانهم:؟ قالا: نعم، فقال عليه‌السلام: فخذاهم، فأتيا محمد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر والأشتر فقال: أنتم من قتلة عثمان قد أمرنا بأخذكم، قال: فخرج إليهم أكثر من عشرة الاف رجل فقالوا: نحن قتلة

فقبل عبدالله، فأخبر معاوية بذلك وجاء معاوية إلى ابنته وقال لها: إذا أتاك أبو الدرداء وأبو هريرة ليخطباك لعبدالله فقولي لهما: إن عبد الله كفؤ كريم، وقريب حميم، غير أنه تحت ارينب بنت إسحاق وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء، فأتولي منه ما أسخط الله فيه فيعذبني عليه، ولست بفاعلة حتى يفارقها، وإذا طلقها رضيت به بعلاً.

ثم إنّ أبي الدرداء وأبي هريرة جاءا إلى معاوية وقالا له: قد أخبرنا عبدالله وسر سروراً عظيماً، فقال لهما معاوية، أن ادخلا على إبنتي وكلماها في هذا الأمر؛ فدخلا عليه، وعرضا عليه ما ارتضاه لها أبوها، فقالت لهما بالذي علمها أبوها، فجاءا لمعاوية وأخبراه بذلك، قال: أمضيا وأعلماه عبد الله ببغيتها؛ فدخلا على عبد الله وأعلما ببغيتها قال: نعم إنّ زوجتي بنت اسحاق طالق، فطلقها بشهادتهما فرجعا لمعاوية وأخبراه، ولما بلغ لارينب الخبر اعدت بعدتها، وبقي عبد الله باشام راجياً أن يزوجه معاوية ابنته وأن يجعله ولي عهده، فصار معاوية بعد ذلك لا يعبأ به ولا يلتفت إليه.

ولما أن قضت عدت ارينب، دعا معاوية أبي الدرداء وقال له: تمضى إلى المدينة خاطبا ارينب لولدي يزيد، وليكن المهر حكمها بالغاً ما بلغ؛ فسار أبو الدرداء حتى إذا وصل المدينة فقال في نفسه: والله لا ابتدأ بشيء قبل أن ازور قبر النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم، فجاء ودخل مسجد رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم فزار النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم، ثم خرج وقال في نفسه: لأمضين إلى زيارة سيدي ومولاي الحسين عليهالسلام، فلمّا رآه رحب به وقال

عثمان فقالا: لنرى امراً شديداً.

وذكر نصر بن مزاحم أنّ أبا الدرداء رجع من صفين ولم يشهد القتال. انظر: الإمامة والسياسة لابن قتيبة 1 / 128، ووقعة صفين للمنقري: 190.

له: من أين أقبلت يا أبا الدرداء؟ قال؟ سيدي من الشام، فقال له الحسين عليه‌السلام: ما حاجتك؟ قال: خاطباً أُرينب ليزيد ابن معاوية، فقال له الحسين عليه‌السلام: أجل اذكرني عندها، واجعل مهرها حكم لسانها بالغاً ما بلغ؛ فقال: اعرض عليها انشاء الله.

ثم خرج من عند الحسين عليه‌السلام، فلقيه القثم بن العباس ابن عبد المطلب [1]، فسأله عن سبب مجيئه فأخبره بما جاء فيه، فقال: اذكرني عندها؛ ثم لقيه عبدالله بن الزبير فسأله عن سبب قدومه الى المدينة، فأخبره بذلك فقال له: اذكرني عندها؛ قال: افعل. ثم أقبل حتى دخل عليها، فسلم فردت عليه‌السلام، ورحّبت به، فلمّا استقرّ بها المجلس قال لها: يا أُرينب إني اتيت خاطباً لك؛ قالت: لمن؟ قال: لأربعة نفر للحسين بن علي بن ابي طالب، وليزيد ابن معاوية، وللقثم بن العباس، ولعبد الله بن الزبير، والصداق ما تحكمين به أنت بالغاً ما بلغ. فتبسمت، فقال لها: لا تتبسمي ولي فيك رغبة، فقالت له: أستشيرك والمستشار لا يخون، فقال: أنا أشير عليك، واعرض لك الحقيقة، أمّا اذا أردت الدنيا بلا لآخرة فعليك بيزيد ابن معاوية، وإن كنت تريدين الجمال والبهاء فعليك بالقثم ابن العباس، وإن كنت تريدين الشجاعة والبسالة فعليك بابن الزبير إلّا أنّه بخيل، وإن كنت تريدين شرف الدنيا والآخره فعليك بالحسين بن علي بن ابي طالب عليه‌السلام، وان كنت

(1) القُثَم ابن العباس بن عبد المطلب: ولد على عهد الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وليست له رواية عنه لأنّه كان صغيراً، وكان من خواص امير المؤمنين عليه‌السلام، وكان عامله على مكّة، وكتب إليه في بعض كتبه: «اقم للناس الحج، وذكرهم بأيّام الله، واجلس لهم العصرين، فأفت المستفتي وعلّم الجاهل وذاكر العالم... إلى اخر كلامه عليه‌السلام» ومنها يُعرف جلالة قدره وعدالته وثقة أمير المؤمنين عليه‌السلام به، [انظر نهج البلاغة: 3: 140 / 67]. وفي رجال الشيخ الطوسي؟ 55 / 7، وفيه: في بعض النسخ المعتبرة قبره بسمرقند؛ وفي المعارف: 122، قال ابن قتيبة: قتل بسمرقند.

تريدين لا دنيا ولا آخرة فعليك بي. قالت: إعقدها للحسين بن علي عليه‌السلام؛ فعقدها أبو الدرداء للحسين عليه‌السلام، وبذل لها الحسين أموالاً جزيرة، وأفرغ لها داراً وأعزّها وأكرمها، ولم يصل إليها ولم يدخل بها، وأمّا عبد الله بن سلام فإنّ معاوية تركه وقكع عنه روافده لسوء قوله فيه، وأسقط ما في يديه، فرجع الى المدينه وقد بلغه ما فعل الحسين عليه‌السلام سرَّ سروراً عظيما، حيث انها لم تصل الى ليزيد ابن معاوية فصادف الحسين عليه‌السلام في الطريق فسلّم عليه وقبل يده، فقال له الحسين عليه‌السلام: يا عبد الله ما فعل بك معاوية؟ قال: سيدي ما لا خفاء به عليك. فقال له الحسين: ألك حاجة عند أُرينب؟ قال: نعم، أودعت عندها حُقاً، وفيه شئ من الدر، سيدي أسألها لعلها ترده عليَّ،. وكان يظن أنّها تجحده لطلاقها من غير سبب كان منها له، فقال له الحسين عليه‌السلام: امض بنا إليها، فمضى عبد الله يمشي خلف الحسين عليه‌السلام، حتى وافيا المنزل فصاح الحسين عليه‌السلام: ربة الخدر أرسلي عليك جلبابك؛ فأرسلت عليها جلبابها ثم سألها الحسين عليه‌السلام عن الحق، قالت: نعم هو عندي ولا أعلم بما فيه، وانه مختوم بخاتمه. ثم قامت ودخلت الحجرة وجاءت بالحق فوضعته بين يدي الحسين عليه‌السلام، فلما نظر اليه عبدالله والى ختمه على حالته بكى، فقال له الحسين: مم بكاؤك؟ قال: سيدي لحسن وفائها وأنّها لم تخنّي بشيء قط منذ كانت عندي، وأبكي أسفاً على ما ابتليت به. فقال له الحسين عليه‌السلام: أتحب؟أن ترجع إليها؟ فسكت عبد الله؛ فقال الحسين عليه‌السلام: أشهد الله أنّها طالق ثلاثاً، اللّهمّ إنك تعلم أنّي لم استنكحها رغبة في مالها ولا في جمالها ولكنّي أردت احلالها لبعلها.

قال الراوي: ولم يأخذ الحسين عليه‌السلام مما ساق لها من مهرها قليلاً ولا كثيراً، وكان عبدالله سأل ارينب التعويض على الحسين عليه‌السلام، فأجابته إلى ذلك شكراً لما صنعه، فلم يقبل الحسين عليه‌السلام وقال: الذي أرجو عليه الثواب خير لي منه؛ فلمّا

انقضت اقراؤها تزوجها عبدالله بن سلام، وعاشا متحابين حتى قبضهما الله تعالى [1].

قال الراوي: ولمّا بلغ يزيد ابن معاوية صنع الحسين عليه‌السلام عظم ذلك عليه، وبقي قبله يغلي على الحسين عليه‌السلام كالمرجل، وكادت شضايا قالبه أن تخرج مع نفسه، لذا لمّا هلك معاوية كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان والياً على المدينة أن خذ من أهل المدينة البيعة لي عامة، ومن الحسين خاصة، وإن أبى فليكن جواب كتابي هذا مع رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام.

ولمّا خاف الحسين عليه السام أن تهتك حرمة جدّه خرج من المدينة بأهله وعياله، كما قال السيد جعفر رحمه الله:

خرج الحسين من المدينة خائفاً كخروج موسى خائفاً يتكتم

أقول فلو كان الحسين خائفا من أحد للزم غير الجادة، كما فعل ابن الزبير وأخوه فأنهما هربا على طريق الفرع، والحسين عليه‌السلام أشاروا عليه في ذلك وقالوا له: لو تنكبت الطريق كما فعل ابن الزبير لئلا يلحقك الطلب؟ فقال: لا والله، لا افارق الطريق الأقوم حتى يقضي الله ما هو قاض.

ولكنّه إنّما خرج ليلاً خوفاً على حرمه لئلّا تقع عليهنّ عيون الأجانب، لذا قال السيد جعفر:

خرج الحسين من المدينة خائفاً كخروج موسى خائفاً يتكتّم

وقد انجلى عن مكّة وهو ابنها وبه تشرفت الحطيم وزمزم

(1) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 1 / 216، وثمرات الأوراق في المحاضرات: 1 / 196.

لم يدر أين يريح بدن ركابه | فكأنما المأوى عليه محرم [1] [2]

(1) انظر ديوان السيد جعفر الحلي رحمه الله.
(2)

(حدي)

يوم الذي راعي الشيم | انوه يشد الراحله
جاب المحامل للحرم | كل فرد وجّه فرد حيد اله
طب لعد زينب مبتسم | عباس راعي المرجله
گاللها يا ضنوة علي | گومي نريد لكربله
گالتله خويه محملي | يا هو الذي يتچقّله
گاللها عيناچ ابشري | امرچ نود نتمثّله
طلعن اوعباس ايحدي | والزمل ضج اهلاهله
كل ساع وعباس ونزل | محمل الحرّه ايعدّله
صد له لحسين وناشده | شنهي نزلتك بالفله
گله يخويه نزلتي | تدري بختنه امدلّله
ما تحمل الذل والهظم | نشات على العز والعله
ريتك ياعباس اتحضر | يوم اطلعت من كربله
سترت وجهها اچفوفها | والدمعه على الخد سايله

(نصاري)

آنه بگيت امحيّره واصفگ باليدين
لا عباس يبرالي ولا احسين

سضربوني من ابچي وتدمع العين
وتبگه عبرتي ابصدري تكسّر

(تخميس)

هذه زينت ومن قبل كانت
بفنا دارها تحطُّ الرحال

أضحت اليوم واليتامى عليها
يالقوم تصدّق والأنذال

المطلب الحادي عشر

في مراسلة أهل الكوفة للحسين ووصية معاوية ليزيد

وروى المفيد رحمه الله قال: لمّا قضى الحسن بن علي عليهماالسلام اجتمع نفر من أهل الكوفه في دار سليمان بن صرد الخزاعي [1]، وكتبوا إلى الحسين عليه‌السلام كتاباً يعزونه

---

(1) سليمان بن صرد الجون الخزاعي:

كان صحابياً، اسمه في الجاهليه: يسار، فسماه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم سليمان ويكنى أبا المطرف، ونقل الكشي عن الفضل بن شاذان: أنّه كان من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم، وقال ابن الأثير في أُسد الغابة في «ترجمة سليمان»: وكان له قدر وشرف في قومه، وشهد مع علي بن أبي طالب مشاهده كلها، وهو الذي قتل حوشباذاظليم الألألهاني بصفين مبارزة، وكان فيمن كتب إلى الحسين عليه‌السلام بعد هلاك معاوية يسأله القدوم إلى الكوفة، فلمّا قدمها كان في حبس ابن زياد، فلمّا قتل الحسين عليه‌السلام ندم هو والمسيب بن نجية الفزاري وجميع من خذله ولم يقاتل معه، وقالوا ما لنا توبه إلا أن نطلب بدمه، وخرجوا من الكوفة مستهل ربيع الآخر سنة اربع وستين، وولو أمرهم سليمان وسموه أمير التوابين، وساروا الى عبيد اله بن زياد، وكان قد سار من الشام في جيش كثير يريد العراق فالتقوا بعين الوردة من أرض الجزيرة وهي رأس عين، قتل سليمان ومسيب وكثير ممن معهما، وحمل رأسيهما إلى مروان بن الحكم بالشام وكان عمر سليمان حين قتل ثلاثاً وتسعين سنة. انظر رجال الكشي: 96 / 124، وأُسد الغابة: 2 / 351، والإصابة: / رقم (3450)، وتاريخ الإسلام للذهبي: 3 / 17، والأعلام للزركلي: 3 / 127، وتاريخ من دفن في العراق من الصحابة (للمؤلف رحمه الله): 219.

فيه بوفاة أخيه الحسن عليه‌السلام، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام.

من شيعته وشيعة أبيه، أما بعد...

«فقد بلغنا وفاة أخيك الحسن عليه‌السلام، فرحمه الله، وضاعف حسناته بدرجة جدّه محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وأبيه علي عليه‌السلام، وضاعف لك الأجر بالمصاب، فعند الله نحتسبه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ممّا اصيب بهذه الامّة عامة، ورزيت به خاصة، فاصبر يا أبا عبد الله، فإن ذلك من عزم الأُمور، وإنّك والحمد لله خلف من كان قبلك، وإنّ الله يعطي رشده لمن كان سبيلك، ونحن شيعتك المحزونون بحزنك، والمسرورون بسرورك، والمنتظرون لأمرك، والسلام» (1)

ثم صار الناس يقولون: إن هلك معاوية لن نبدل بالحسين أحداً، وصاروا يختلفون إليه، فبلغ ذلك معاوية، فكتب للحسين عليه‌السلام كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية بن أبي سفيان

إلى الحسين بن علي بن أبي طالب... أمّا بعد...

«فقد بلغني عنك أشياء قد انتهت إليّ، واظنّها باطلة، ولعمري إن كان ما بلغني عنك كما ظننت، فأنت بذلك أسعد، وبعهد الله أوفى، ولا تحملني على أن أقطعك، فأنك متى تكدني أكدك، ومتى تكرمني أكرمك، ولا تشق عصى هذه

---

(1) نقول: لم نعثر على هذه المكاتبة في كتاب الإرشاد في كتاب المفيد رحمه الله، وذكره اليعقوبي في تأريخه باختلاف يسير: انظر تاريخ اليعقوبي: 2 / 216.

الأُمة فقد خبرتهم وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك، والسلام» [1].

فلمّا وصل الكتاب إلى الحسين كتب إليه:

أمّا بعد... فقد وصلني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، ومعاذ الله أن أنقض عهداً عهده إليك أخي الحسن عليهالسلام، وأمّا ما ذكرت من الكلام، فإنّما أوصله اليك الوشاة الملقون بالنمائم، فإنهم والله يكذبون، والسلام.

ولمّا وصل الكتاب الى معاوية امسك عنه، ولم يجبه إلى أن أحسّ بدنوّ أجله، وكان نغله يزيد غائباً، فدعى بدواة وبياض، وكتب له وصيّة، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد... فإنّ الله خلق كل شيء لميقات يوم معلوم، ولو خُلّدَ في هذه الدنيا أحد، لكان رسول الله أولى بذلك، يا بني أُوصيك بوصية لا تزال بخير ما دمت حافظاً عليها، أُوصيك بأهل الشام فإنهم منك وأنت منهم، فمن قدم عليك منهم فأكرمه: وإذا دهمك عدو سر بهم إليه، وإذا ظفرت فردهم الى بلدهم، فإنهم متى أقاموا بغير بلدهم فسدوا عليك، لأنهم لا يعقلون، وانظر يا بني إلى اهل العراق في امورهم، فان سألوك ان تعزل عنهم في كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل العامل أهون عليك من شق العصى، واعلم يا بني إنّي قد وطئت لك البلاد، وذلّلت لك رقالب العباد، ولا اخشى عليك إلّا من أربعة أنفار، فإنّهم لا يبايعونك، أولهم: عبد الرحمن بن أبي بكر، فأنّه صاحب الدنيا، فمدّه بدنياه، وأعطه ما يريد.

والثاني: عبد الله بن عمر [2]، فإنه صاحب محراب وقرآن، وقد تخلّى من

(1) الإمامة والسياسة: 1 / 201.

(2) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب، كان يكنّى أبا عبد الرحمن، أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير، يروى أنّه دخل على الحجاج أيام عبد الملك بن مروان وقال له: مد يدك أُبايعك لعبد الملك،

الدنيا ولا أظنه ينازعك في هذه الأمر.

والثالث عبد الله ابن الزبير، فإنه يراوغك مراوغة الثعلب، ويجثوا لك جثو الأسد، فإن حاربك فحاربه، وإن سالمك فسالمه، وإن أشار عليك فاقبل مشاورته.

والرابع: الحسين بن علي بي أبي طالب، يا بني فإنّ الناس لا يدعونه حتى يخرج عليك، فإن ظفرت به فاحفظ قرابته من رسول الله، واعلم يا بني أنّ أباه خير من أبيك، وأنّ اُمّه خير من اُمّك، وإن جدّه خير من جدّك، وللمرء ما بقلبه، وهذه وصيّتي إليك والسلام [1].

أقول: لو أمعنا النظر إلى هذه الوصيّة التى اوصا بها معاوية نغله لوجدناها في الحقيقة كما يقال: (كلمة حقّ يراد بها باطل)، كأنه يريد أن يقول: لا يعزب عنك أنّ الحسين بن رسول الله وأبوه أمير المؤمنين واُمّه سيّدة نساء العالمين، وهو حي يرزق، والأبصار شاخصة له، وله الأهلية للخلافة، لشرفه وفضيلته، فالناس لا يتركونه حتى يبايعون له، ويخرج الأمر من يدك، فإذا ظفرت به فاقتله.

لذا كتب الى الوليد كتاباً في أخذ البيعة له من الحسين وإن أبى فليكن رأس الحسين مع جواب الكتاب، وبعدها كتب إلى ابن زياد في أمر الحسين عليه‌السلام، وكتب ابن زياد إلى قائد جيش الظلال وهو عمر ابن سعد: فإذا قتلت حسينا فأوطئ

فمدّ الحجاج اليه رجله - وكان نائماً - وقال له: إصفق على هذه، وبعد هذا دسّ إليه الحجاج رجلاً من جنده فسم زجَّ رمحه والتقى معه في الطريق، فزحمه وطعنه في ظهر قدمه بالزج المسموم، فتورّمت قدمه وسرى السم في جسمه فمات. انظر ترجمة (عبدالله بن عمر) في: طبقات ابن سعد: 4 / 105 - 138، تهذيب الأسماء: 1 / 278، الأعلام: 4 / 108

(1) ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبين وصيّة معاوية بتحريف، منها: وأمّا الحسين فإني أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه. انظر: البيان والتبين: 2 / 106.

الخيل صدره وظهره، فإنّه عات ظلوم، فكان كل ذلك بايعاز من يزيد بن معاوية، إذ أنّ ابن زياد لا يستبد برأيه، وامثال القائد بما أمره به زياد، فلمّا قتل الحسين أعطى الجيش إرادة لازمة برض الجسد الشريف، ونادى باعلى صوته، من ينتدب للحسين فيوطئ الخيل صدره وظهره؟ فانتدب إليه عشرة عشرة يقدمهم الأخنس عليه اللعنه، وداسوا صدر الحسين بحوافر خيولهم بمرئ من الحوراء زينب:

يا عقر الله تلك الخيل اذ جعلت ... اعضاءه لعواديها مضاميرا

رضت جياد الخيل صدري ان سلى ... بالطف قلبي رضّ تلك الأضلع [1]

---

(1)

(نصاري)

نادى ابن سعد گوموا يفرسان ... العبوا فوگ صدر احسين ميدان

تعنّت خيل عشره الفخر عدنان ... خبوها اعلى صدره اشلون جاسين

(دكسن)

داست خيلهم ظهر المچنّة ... بحوافرها يويلي جلبنّة

ظهره فوگ صدره رضرضنّه ... ردّن من بعد ما فعلن الشين

وزينب وكأني بها:

(عاشوري)

يخويه فوگ اصاويبك يرضّوك ... ولا راعوا شرف جدّك ولا ابوك

عطشان من الورد منعوك ... وچثته امعفّرة فوگ الوطيّة

(ابوذيّة)

اليمة تنصب ابعاشور عشره ... على الداست اضلوعة اخيول عشره

متنسه الشابچه اعلى الراس عشره ... لو متنسه اچفوف ابو فاضل وخيّة

* * *

ولصدره تطأ الخيول وطالما بسريره جبريل كان موكلا

المطلب الثاني عشر

في بعض وصية معاوية وتخلف يزيد

وكتابه إلى الوليد بن عتبة بالمدينة

قال أهل السير: إنّ معاوية لمّا دنا أجله بعث على نغله يزيد، وكان والياً على حمص [1]، يأمره بالقدوم إليه، فأقبل إليه الرسول وكان يزيد على سطح الدار، فسمع النحيب، نظر إلى سطح الدار فرأى الرسول واقفاً، فقال له ويلك مات معاوية؟ قال: لا، فأنشأ [يزيد] يقول:

جاءَ البَريدُ بِقِرطاسٍ يحثُّ به — فأوجس القلبُ من قِرطاسه جزعا

قلنا: لك الويلُ ماذا في صحيفتكم؟ — قال الخليفةُ أضحى مدفنا وَجعا

---

(1) في ولاية يزيد (لعنه الله) على حمص، قال بها الذهبي في تاريخ دول الإسلام: 37.

حمص: مدينة مشهورة قديمة وكبيرة، بناها رجل يقال له: حمص بن المهر، وتقع في بلاد الشام بين دمشق وحلب، وتعتبر من المدن الاسلامية المهمّة، فيها مشهد أمير المؤمنين علي عليه‌السلام، فيه عمود عليه موضع إصبعه عليه‌السلام، (هكذا يقال) ويقال ايضاً: أنّ فيها قبر (قنبر) مولى أمير المؤمنين عليه‌السلام، وقبر سفينة مولى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وبها قبور لأولاد جعفر الطيار عليه‌السلام، وإن شئت التفصيل أكثر فراجع معجم البلدان للحموي: 2 / 302 وفيه: إنّ يزيد بن معاوية كان والياً عليها في خلافة أبيه.

فمادت الأرض أو كادت تميد بنا حتى كأن قوى أركانها قلعا

ثم تهيأ للمسير من وقته وساعته، وسار إلى الشام فوجده حياً، وكان معاوية قد كتب له وصية كما تقدم، وقد كتب له في أمر الأربعة وكيف يعاملهم، وهم الحسين بن علي بن ابي طالب، وعبدالرحمن ابن ابي بكر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير؛ فقال ارباب التاريخ:

ولما فرغ يزيد من دفن أبيه جلس للعزاء فدخل عليه الناس وهم لا يدرون يعزونه ام يهنئونه، فتقدم اليه عبدالله بن همام السلوي، وقال: آجرك الله يا أمير على الرزية، وبارك لك في العطية، فاشكر الله على عطيته، واصبر على عظيم رزيته، ثم أنشأ يقول:

اصبر يزيد لقد لاقيت معظلة واشكر أيادي الذي للملك أعطاكا

لا رزء أعظم والأقوم قد علموا لقد رزيت ولا عقباً كعقباكا

أصبحت والي جميع الناس كلّهم فأنت ترعاهم والله يرعاكا

ودخل عليه الضحاك بن قيس الفهري، وقال: يا أمير أصبحت خليفة ورزيت بخليفة، هنيئت بالعطية وأجرت على الرزية.

ولما تمت له الأُمور كتب إلى الوليد ابن عتبة ابن أبي سفيان، كتاباً يأمره بأخذ البيعة له من أهل المدينة عامة، ومن الحسين بن علي، وعبد الرحمن ابن أبي بكر، وعبدالله ابن عمر، وعبدالله ابن الزبير، خاصة [1].

وقال اليعقوبي في تأريخه: كتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وهو عامل المدينة:

(1) المنتظم لابن الجوزي: 5 / 322، تاريخ الأُمم والملوك للطبري: 5 / 338 - 328، وانظر كتاب التعازي والمراثي لابن المبرد: 119 - 121.

إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة، فان امتنعا فاضرب عنقيهما، وابعث إليّ برأسيهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فانفذ فيه الحكم، وفي حسين بن علي وعبدالله ابن الزبير، والسلام [1].

فلما وصل اليه الكتاب بعث على مروان بن الحكم، فأحضره واستشاره في أمر هؤلاء الأربعة، فقال له مروان: الرأي أن ترسل إليهم في الليل، وتدعوهم إلى البيعة، فإن فعلوا فذاك، وإلّا فاضرب عنقهم. ولمّا جنّ الليل أنفذ الوليد إليهم رسولاً، فذكر له أنهم مجتمعون عند قبر النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم، فجاء إليهم وقال لهم: إنّ الأمير يدعوكم؛ فقالوا له: انصرف، نحن نأتي خلفك. فلمّا أنصرف الرسول قال ابن الزبير للحسين عليهالسلام: يابن رسول الله أتدري ماذا يريد منا الوليد؟ قال عليهالسلام: نعم إنّ معاوية قد مات، وقد خلف نغله يزيد من بعده، وولاه الأمر، وقد وجّه في طلبكم ليأخذ منكم البيعة له، فما أنتم قائلون؟ فقال عبد الرحمن ابن بي بكر: أما أنا فأدخل داري وأغلق عليَّ الباب ولا أبايعه؛ وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فعليَّ بقرآءة القرآن ولزوم المحراب؛ وقال ابن الزبير: أما أنا فلا اُبايع، حتى يصير السيف والرمح بيني وبينه؛ وقال الحسين عليهالسلام: أما أنا فأجمع فتيتي وأتركهم بباب الدار وأدخل على الوليد، فأناظرهويناظرني، وأطالب بحقّي.

قال الراوي: ثم تفرّقا، وجاء الحسين عليهالسلام إلى داره وجمع مواليه وإخوته، وهم تسع عشر، وخرج حتى وافى دار الوليد، فقال لإخوته: أنا داخل على هذا الرجل فاجلسوا أنتم على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فهجموا عليه لتمنعوه عنّي؛ ثم دخل عليه فوجد عنده مروان بن الحكم، فقام الوليد إجلالاً له، ورحّب به وأجلسه إلى جنبه، ثم أخرج إليه كتاب يزيد، ونعى إليه معاوية، ودعاه إلى

(1) تاريخ اليعقوبي: 2 / 229.

البيعة.

فقال الحسين عليه‌السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، إذن مثلي لا يبايع سراً، ولا أظنكم تردون منّي في السر، ولكن إذا خرجت إلى الناس ودعوتهم الى البيعة كنت أول مبايع. وكان الوليد يحب حسن العواقب في الأُمور، فقال له: انصرف يا أبا عبد الله على اسم الله، حتى تأتينا غداً. فقال له مروان: إن فاتك الثعلب لم تر إلّا غباره فلا تدعه يخرج حتى يبايع أو تضرب عنقه؛ فلمّا سمع الحسين كلامه وثب إليه قائماً على قدميه، وقال له: يابن الزرقاء [1] أنت تقلتني أم هو؟! كذبت والله واثمت؛ ثم التفت الحسين عليه‌السلام إلى الوليد، وقال له: يا أمير نحن أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أيّنا أحقّ بالبيعة والخلافة.

فبينا هو كذلك اذ دخلوا اُخوة الحسين مجرّدين سيوفهم، وكأني بهم يقدمهم أبو الفضل العباس شاهراً سيفه، منتظراً أمر أخيه الحسين.

قال الراوي: ثم خرج الحسين من عند الوليد وقد احدقت به اُخوته، وهو يقول:

لا ذعرت السوافي فلق الصبح مغيراً فلا دعيت يزيدا

(1) الزرقاء: هي جدّة مروان وكانت مشهورة بالفجور، وكانت لمروان مع الحسين عليه‌السلام مواقف كثيرة، وكان شديد العداوة للحسين عليه‌السلام، منها: أنّه صعد يوماً على المنبر بالمدينة وقال: يا بني هاشم إنّما فخركم بامرأة وهي فاطمة وكان الحسين عليه‌السلام جالساً فقام إليه ولوى عمامته في عنقه حتى خرج الدم من انفه، ثم أراد قتله فأقسم الناس عليه بجده رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إن يتركه فتركه. انظر: تاريخ الطبري: 4 / 338، وتاريخ اليعقوبي: 2 / 229، وتاريخ الخميس: 2 / 297، وتاريخ ابن خلدون: 3 / 19، والكامل في التاريخ لأبن الأثير: 4 / 14.

يوم أعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا

أقول: أجل أين كانت عنه هذه الفتية من بني هاشم لما افترق عليه أهل الكوفة أربعة فرق، نعم كانوا بقربة مجزّرين كالأضاحي:

على الأرض صرعى من كهول وفتية فرادا على حرِّ الصفا وتوام [1]

---

(1) وكأنّي بالحسين عليه‌السلام لمّا نظر إلى أصحابه صرعى مجزّرين على أرض كربلاء:

(بحراني)

ظل يناديهم يفرساني تخلّوني وحيد شالسبب عفتوا مخيّمكم او نمتوا على الصعيد

لا ولد ليه بقه يحمي حريمي او لا عضيد اوابن سعد بعدي يسير هالحراير تّيتة

واشلون يا عباس تتركني او حريم امحيّره عايف الخيمة يبوفاضل ونايم بالثرى

وهاي زينب عگب عينك بالحرم متمرمره او تدري باليفگد عضيده اتقل يخويه حيلته

(موشح)

صاح يا زهير او يا مسلم يا هلال ويا حبيب صحبتي كلكم نسيتوها وتركتوني غريب

ما تجون الها اليتامه ذوبوني امن النحيب ظلّت اجثثهم تموج وتضطرب من نخوته

تصيح سامحته يبو سكنه ترى احنا مصرّعين شوفنا هذا كفوفه امگطّعه وهذا طعين

صاح معذورين يالي على التراب امجزّرين واگبل على امخيمه عزمه يودّع نسوته

(تخميس)

لهفي عليهم وبحد السيف قد صرعوا وبعدهم لأسى والحزن ارتضعُ

بالله هل لهم في رجعةٍ طمعُ

نذرُ عليَّ لئن عادوا وإن رجعوا لأزرعنَّ طريق الطف ريحانا

المطلب الثالث عشر

في موبقات معاوية

ذكر ابن عساكر في تأريخه، قال:

«أربعة خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة [1]: إنتزاءه على هذه الاُمة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوالفضيلة [2]، واستخلافه إبنه [يزيد] بعده سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً. (وقد قال رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» - وقتله حجر ابن عدي؛ فيا ويلاً له من حجر، ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر» [3].

(1) قوله تعالى (وجعلنا بينهم موبقا) أي: مهلكاً، ويوبقهنّ (أي): يهلكهنّ، ومنه: «اعوذ بك من موبقات الذنوب»، اي: مهلكاتها، من إضافة الصفة الى الموصوف، أي: الذنوب المهلكة: الموبق: واد في جهنّم؛ انظر سورة الكهف 18: 52، ومجمع البيان: 6 / 735، ومجمع البحرين.

(2) قال المبرّد في الكامل: ويروى انّ يزيد ابن معاوية قال لمعاوية في يوم بويع له على عهده، فجعل الناس يمدحونه ويقرظونه: يا أمير المؤمنين انخدع الناس أم يخدعوننا؟ فقال له معاوية: كل من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ حاجتك فقد خدعته. انظر الكامل للمبرد: 305.

(3) تاريخ ابن عساكر. ونقله فضيلة الاستاذ المرحوم أحمد خيري عن ابن الأثير والطبري

قال أرباب التأريخ: أمّا سبب قتله حجر بن عدي، فإنّه كان المغيرة بن شعبة والي الكوفة من قبل معاوية، فكان يلعن علي بن ابي طالب عليه‌السلام في خطبته، فيقوم له حجر بن عدي الكندي ويقول له: إنّ الفقراء محتاجون، فلو قسمت مال المسلمين عليهم لكان خير من هذا - وغرضه أن يهيّج عليه، حتى يمتنع من سب أمير المؤمنين عليه‌السلام - فقيل له: لو ضربت عنقه فقد أهاج الناس عليك، فقال: إنّه رجل صحابي وتابعي، وما أحب أن ألقى الله بدمه، وسيأتي غيري، فيفعل معه مثل ما يفعل بي، فيتولي قتله.

حتى إذا ولى المصرين زياد ابن أبيه - وهما الكوفة والبصرة - صار يلعن أمير المؤمنين عليه‌السلام أمام خطبته، فيقوم له حجر ويقول له مثل ما كان يقوله للمغيرة: قسم المال على الفقراء فإنّهم محتاجون، ودع لعن علي بن أبي طالب.

فأمر زياد (لعنه الله) بقبضه، فقبض ومعه ثلاثون رجلاً وبعثه إلى معاوية، فلمّا وصلوا «مرج عذراء» [(1)] حبسا هناك، فأُخبر معاوية بوصولهم، فأمر معاوية بقتل حجر وبعض من كان معه وعفى عن الباقين لتشفع اقوامهم بهم، فلمّا قدموا

______

وايضاً عن ابن عبد ربه، وذلك في ارجوزته اللطيفة: 19 / البيت (35).

انظر: الكامل للتأريخ لابن الأثير: 3 / 209، وتاريخ الطبري: 6 / 157، والإستيعاب (بهامش الإصابة): 1 / 134.

وفي خزانة الأدب للبغدادي نقله ايضاً، وأضافة بعدها ما نصه: (وروي عن الشافعي أنه أسرّ إلى الربيع أن لا يقبل شهادة أربعة، وهم: معاوية وعمرو ابن العاص والمغيرة وزياد). انظر خزانة الأدب للبغدادي: 2 / 519.

(1) مرج عذراء: قرية بغوطة دمشق فتحها حجر بن عدي الكندي، وقتل بها (رضوان الله عليه)، وقبره بها وفيها يقول الشاعر:

وكم من قتيل يوم عذراء لم يكن ... لصاحبه في أوّل الدهر قاليا

انظر معجم البلدان للحموي: 4 / 91.

للقتل، قال حجر: أمهلوني حتى أُصلّي لربّي ركعتين، فأمهلوه، فقام حجر فتوضّأ وصلّى ركعتين، أطال فيهما ليرى الناس أنه مسلم موحد، فَبِم يستحلّ معاوية قتله؟ فلم ير في ذلك اليوم من يقول له: هذا مسلم وموحّد، بم تستحلّ قتله؟ ولما قتله؟ فسمعت ابنة حجر بقتل أبيها فأنشأت تقول:

ترفع أيها القمر المنير ... لعلك أن ترى حجراً يسير

يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير

تجبرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير

وأصبحت البلاد به محولاً ... كأن لم يأتها يوم مطير

ألا ياحجر حجر بن عدي ... تلقتك السلامة والسرور

أخاف عليك ما أردى عدياً ... وشيخاً في دمشق له زئير

فأن يهلك فكلّ عميد قوم ... إلى هلك من الدنيا يصير [1]

وحدث زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق قال: أدركت الناس وهم يقولون: إنّ أوّل ذلٍّ دخل الكوفة هو لمّا مات الحسن بن علي عليه‌السلام وقتل عدي بن حجر الكندي [2].

إذ أنّ حجر كان ثقة، معروفاً صحابياً وتابعاً، شهد مع علي عليه‌السلام صفين،

---

(1) قيل هذه الأبيات لهند بنت زيد الأنصارية قالتها حينما ساروا بحجر إلى معاوية، وذكر بعضهم أنّ هذه الأبيات لأخت حجر، ورثاه أيضاً عبدالله بن خليفة الطائي بقوله:

أقول ولا والله أنسى فعالهم ... سجين الليالي أو أموت فاقبرا

وكذلك رثاه قيس ابن فهدان بقوله:

يا حجر يا ذاالخير والأجر ... يا ذالفضائل نابه الذكر

انظر: ترجمة «حجر بن عدي» من بغية الطالب لابن العديم: 151، 159.

(2) تاريخ الطبري: 5 / 279، وفي آخره: ودعوة زياد. (أي): ادّعاه معاوية لزياد واستلحاقه بأبي سفيان.

والنهروان، والجمل، وكان من رجاله المشهورين، ولمّا قتله معاوية ندم على ما فعل، فدخل عليه رجل من الناس، وقال له: أين صار عنك أبي سفيان؟ قال له: حين غاب عنّي مثلك [1].

وكان معاوية بعدها يقول، ما قتلة أحداً إلّا وأنا أعرف فيم قتلته، وما خلا حجراً فإنّي لا أعرف بأي ذنب قتله.

وروى اليعقوبي في تاريخه: قال معاوية للحسين بن علي عليه‌السلام: يا أبا عبدالله علمت أنّا قتلنا شيعة أبيك فحنطناهم، وكفناهم، وصلّينا عليهم، ودفناهم، فقال الحسين عليه‌السلام: حججتك ورب الكعبة، لكنّا والله إن قتلنا شيعتك، ما كفناهم، ولا حنطناهم، ولا صلّينا عليهم، ولا دفناهم [3].

أقول: لا يخفي على العارف مغزى جواب الحسين عليه‌السلام، كأنّه يقول: إنّ أصحاب أبي إسلام، وأصحابك ليسوا بإسلام.

وذكر اليعقوبي أيضاً: قالت عائشة لمعاوية حيث حج، ودخل إليها: يا معاوية أقتلت حجراً وأصحابه؟ فأين عزب حلمك عنهم؟ أمّا إنّي سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول: «يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات [4] قال: لم يحضرني رجل رشيد يا أم المؤمنين. ويروى أنّ معاوية كان يقول: ما أعدّ نفسي

---

(1) انظر ترجمة حجر بن عدي الكندي في كتاب الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، المعروف «بابن العديم» المتوفي (سنة 660 هـ) والمطبوع مستلاً من كتابه: بغية الطلب في تاريخ حلب، بتحقيق الدكتور سهيل زكّار.

(2) وكان قتل حجر سنة احدى وخمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين من الهجرة.

انظر: المنتظم لابن الجوزي: 5 / 241، وتاريخ الطبري: 5 / 253، والكامل في التأرخ لابن الأثير: 3 / 209.

(3) تاريخ اليعقوبي: 2 / 219.

(4) كنز الكمال للمتقي الهندي: 11 / 30887، مثله.

حليماً بعد قتلي حجراً وأصحاب حجر [1].

وأما استلحاقه زياد بن أبيه وقد كان زياد يدّعي لجماعة، وكان أخطب الناس وألسنهم فخاف معاوية عاقبة أمره لأنه كان يتشيع ويرى ولاية علي بن أبي طالب، ولمّا قتل أمير المؤمنين عليه‌السلام استمال الناس لولده الحسن عليه‌السلام، فخاف منه معاوية، فاستلحق زياداً به لأنّ أباه أبا سفيان كان من جملة الذين وقعوا على اُمّه سمية - فكان ما كان من أمرها - فرغبه معاوية بالمال وألحقه به [2]، ونسى قول النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» [3].

وأمّا استخلافه يزيد (لعنه الله) من بعده وأخذ البيعة له، فقد رواه المؤرخون كمحمّد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة، قال:

لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن بن علي عليه‌السلام إلّا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام، وكتب بيعته إلى الآفاق وإلى عمّاله، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم، فكتب له يأمره أن يجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة، ثم ليبايعوا يزيداً.

فلمّا قرأ مروان كتاب معاوية أبى ذلك، وأبته قريش، فكتب له، إنّ قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك يزيد، فأرني رأيك، والسلام. فلمّا بلغ معاوية كتاب مروان عرف أنّ ذلك من قبله، فعزله واستعمل سعيد ابن العاص [4].

---

(1) تاريخ اليعقوبي: 2 / 219 - 220.
(2) تاريخ اليعقوبي: 2 / 207 - 208.
(3) رواه الترمزي في سننه: 5: 433 / 2120 و 434 / 2121 - الباب (5) - كتاب الوصايا.
ورواه السيوطي في الجامع الصغير: 2: 723 / 9688، وغيرهما باسانيد اُخرى، وهو من الأحاديث المتواترة والمسلم على صحتها عند المسلمين عامة وخاصة.
(4) الإمامة والسياسة: 1 / 197.

قال أهل السير: وأمر معاوية ان يأتيه من كل مصر وفد إليه، فلما إن وفدت عليه الوفود قال للضحاك بن قيس الفهري: لما تجتمع الوفود عندي، أتكلم فإذا سكت فكن أنت الذي تدعو الى بيعة يزيد، وتحثّني عليها، فلمّا جلس معاوية للناس، وتكلم فعظّم الإسلام وحرمة الخلافة وحقّها، وما أمر الله بها، ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة، وعرض بيعته عليهم، فقام الضحاك وقال: يا أمير المؤمنين انه لابد للناس من وال بعدك، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه، وقصد سيرته، وهو من افضلنا علماً، وحلماً، فولّه عهدك، واجعله علماً لنا بعدك؛ قال:

وقام عمرو بن سعيد الأشدق وتكلّم بنحو من ذلك؛ وقام يزيد بن المقفع العذري، فقال: هذا أمير المؤمنين - وأشار إلى معاوية - فإن هلك فهذا - وأشار الى يزيد (لعنه الله) - ومن أبي فهذا - وأشار الى سيفه ـ، فقال معاوية: إجلس فأنت سيد الخطباء.

وقال معاوية للأحنف بن قيس [1]: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته [2].

وروى أبو جعفر الطبري، قال:

بايع الناس ليزيد بن معاوية (لعنه الله)، غير الحسين بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وعبدالله الزبير، وعبدالرحمن ابن أبي بكر [3].

(1) هو أبو البحر: واسمه الضحاك، قيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن مناة بن تيم التميمي السعدي، والأحنف إنّما كان لقبه لأنّ برجليه حنف - اي اعوجاج رجليه - وكان مع أمير المؤمنين عليه‌السلام في صفين وتوفي سنة (67)، انظر تاريخ من دفن في العراق من الصحابة: 13.
(2) الكامل في التاريخ لأبن الأثير: 3 / 507.
(3) في المصدر زيادة: وابن عباس، انظر تاريخ الطبري: 5 / 303.

أمّا ابن الزبير فإنّه هرب إلى مكة على طريق الفرع هو وأخوه جعفر، وليس معهما ثالث، وأرسل الوليد خلفه أحد وثمانين راكباً فلم يدركوه، وخرج الحسين من المدينة الى مكة فسمع يزيد (لعنه الله) بذلك، فغضب على الوليد لصنعه، وعزله عن المدينة، وولّاها عمر بن سعيد الاشدق، فدخلها في شهر رمضان سنة ستين من الهجرة، وأمّا الحسين فإنّه خرج من المدينة بفتيتة كما قال الشاعر:

في عصبة من هاشم علوية ... طهرت أرومتهم وطاب المولد

ساروا ولو لا قضاء الله يمسكهم ... لم يتركوا لبني سفيان من أثر [1]

---

(1)

(نصاري)

طلعوا آل هاشم عن وطنهم ... وظل خالي حرم جدّهم بعدهم

ساروا ابليلهم وابعد ظعنهم ... ولن صوت العليلة ابگلب محتر

دريضوا هنا يهلنه للعليلة ... يهلنه افراگكم مل ليش حيلة

يهلنه بعدكم ما نام ليلة ... او عيني من بعدكم دوم تسهر

يهلنه خلّوا خوية الطفل بالله ... يظل عندي وارحوا وداعة الله

يهلنه من المرض گلبي تگلّة ... يهلنه خلّوا خوية الطفل وسدر

بچن ويلي ونادنها دخلّيه ... اهلها وابحضن امّه ردديّه

طفل وفراگ أُمّه يصعب عليه ... ولا أُمّه على فرگاه تصر

صاح يا حسين يا فاطم دردّي ... درردي للمدينة وطن جدي

اودّي لچ على ابني او چبدي ... ولابد ما تجي يمچ امخبر

(دكسن)

ردّت للمدينة وسار أبوها — او ظلّت ترتقب عمها وابوها

ظنّت فاطمة لنهم يجوها — اخوها والبطل عمها المشكّر

(تخميس)

مَن منشد عن صحب هُنا نزلوا — مثل البدور بها الأنوار تشتعل

بالأمس كانوا معي واليوم رحلوا — وخلّفوا في سويد القلب نيرانا

من طيبةٍ طلعوا من كربلاء أفلوا

المطلب الرابع عشر

في زيارة الحسين عليه‌السلام قبر جدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ووداعه

ذكر صاحب مدينة المعاجز وغيره:

لمّا همّ الحسين عليه‌السلام على الخروج من المدينة إلى مكة أقبل في نصف الليل إلى قبر جده رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقف باكياً، وقال: «السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلّفتني من اُمّتك، فاشهد عليهم يا رسول الله أنّهم قد خذلوني، وضيّعوني، ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك». ثم قام عليه‌السلام وصف قدميه، ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً.

وأرسل الوليد إلى منزله رسولاً لينظر أخرج الحسين عليه‌السلام من المدينة أم لا، فجاء الرسول فلم يصبه في منزله، ورجع وأخبر الوليد بذلك فقال: الحمد لله الذي اخرجه ولم يبتلني بدمه.

قال الراوي: وعند الصباح رجع الحسين عليه‌السلام الى منزله، وفي الليلة الثانية خرج الى القبر ايضاً، فصلى عنده ركعات، ولمّا فرغ من صلاته جعل يقول: (اللّهمّ ان هذا قبر نبيك محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللّهمّ إنّي أحبّ المعروف وأنكر المنكر، وأنا اسألك ياذاالجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه، إلّا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك صلاح». ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصباح وضع رأسه على القبر فأغفى،

فإذا برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قد أقبل في ركباً من الملائكة ورعيل [1] من الأنبياء، عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه، وبين يديه، حتى ضمّ الحسين إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه، وقال: (حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مزملاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كرب وبلاء، في عصابة من أُمّتي، وأنت مع ذلك عطشاناً لا تسقى، وظمئاناً لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، حبيبي يا حسين إنّ أباك وعمّك وأخاك قدموا عليَّ، وهم مشتاقون اليك، وإنّ لك في الجنان درجات لن تنالها إلّا بالشهادة».

قال الراوي: فجعل الحسين عليه‌السلام يبكي، ويقول: يا جداه لا حاجة لي بالرجوع إلى الدنيا، خذني إليك وأدخلني معك في قبرك:

ضمني عندك يا جداه في هذا الضريح	علي يا جد من بلوى زماني أستريح
ضاق بي يا جد من فرط الاسى كل فسيح	فعسى طود الأسى يندك بين الدكتين
جدُ صفو العيش من بعدك بالأكدار شيب	وأشاب الهم رأسي قبل أبان المشيب
فعلى من داخل القبر بكاء ونحيب	ونداء بافتجاع يا حبيبي يا حسين
أنت يا ريحانة القلب حقيق بالبلا	إنما الدنيا أعدت لبلاء النبلا
لكن الماضي قليل بالذي قد أقبلا	فاتخذ درعين من حزم وعزم سابغين
ستذوق الموت ظلماً ظاميا في كربلاء	وستبقى في ثراها ثاوياً منجدلا
وكأن بلئيم الأصل شمر قد علا	صدرك الطاهر بالسيف يحز الوجدين
وكأني بالأيامي من بناتي تستغيث	لغباً تستعطف القوم وقد عز المغيث [2]
قد برى اجسامهن الضرب والسير الحثيث	بينها السجاد في الأصفاد مغلول اليدين [3]

(1) الرعيل: اسم كل قطعة متقدمة من خيل أو رجال أو طير، جمعه: رعال. انظر: القاموس المحيط.
(2) لغب: «وتلغّب السيرُ فلاناً» أتعبه أشد التعب. انظر: مجمع البحرين.
(3) للدمستاني رحمه الله، انظر: ديوان الدمستاني.

فقال له النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: لابد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب الجزيل والثناء الجميل، حبيبي يا حسين فإنّك وأباك وعمّك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلون الجنة.

قال الراوي: فانتبه الحسين عليه‌السلام من نومه فزعاً مرعوباً، ورجع إلى منزله وقصّ رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب، فلم يكن في ذلك اليوم في مشرق ولا مغرب أهل بيت أشد غمّاً من آل بيت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، ولا أكثر باك وباكية، لأنهم يريدون أن يفارقوا سيدهم وزعيمهم، وهم مع ذلك يعلمون أن ذاك أمر من الله ومن رسوله، إذ يقول له جدّه في منامه: يا بني لابد لك من الرجوع الى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب الجزيل والثناء الجميل. فكأنّ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول له، أي بني إنّ حياة هذه الأُمّة بشهادتك.

في الحقيقة إنّ الحسين عليه‌السلام صار هو المعلم الروحاني لأُمّة جده، فأخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الهداية بقتله كما تشير بذلك الزيارة:

«أخرج عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة، والذي جرى عليه عليه‌السلام نزلت به صحف مكرمة وذلك عند موت النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم».

يروى أنّه استدعى علياً، وأعطاه اثنى عشر صحيفة، وقال: «يا علي هذه الصحف مختومة من رب العزة لك وللأئمّة من ذريّتك، فانظر أنت ما في صحيفتك واعمل بها». فكان أمير المؤمنين عليه‌السلام بعد وفاة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ينظر في صحيفته ويعمل على ما فيها.

ولمّا حضرته الوفاة استدعى ولده الحسن عليه‌السلام، وأعطاه أحد عشر صحيفة وأخبره بذلك، ولمّا أخذ الحسن عليه‌السلام صحيفته عمل على ما فيها وبما أُمر به إلى أن حضرته الوفاة استدعى الحسين عليه‌السلام وأعطاه عشرة صحائف وأخبره بذلك، فعمل الحسين على ما فيها وبما اُمر به، حتى إذا جاء كربلاء وقتلت إخوته واولاده وأنصاره وبقي وحيداً فريداً، ناداه منادي: «يا حسين أين المهد بع نفسك وأنا

المشتري». فقام عليه‌السلام في ذلك المقام الرهيب ووقف تجاه أعدائه وهم يريدون قتله، ولمّا حمل عليهم ونازلهم، وقاتلهم مقاتلة الأبطال حتى دمّر فيهم وأزالهم عن مواقفهم، فقلب القلب على الجناحين، والظهير على الكمين، ولمّا نظر قائد الجيش إلى الشجاعة الحسينية قال لأصحابه وهو مشرف على الميدان ينظر إلى الحسين عليه‌السلام: والله لإن بقي الحسين على هذه الحالة إفنانا عن آخرنا، انظروا كيف الحيلة إلى قتله؟

فقال شبث بن ربيعي: يا أمير الحيلة أن تأمر الجيش فيفترق عليه أربعة فرق، فرقة بالسيوف، وفرقة بالرماح، وفرقة باسهام، وفرقة بالحجارة؛ فأنفذ ابن سعد ما أشار عليه شبث بن ربيعي، ونادا منادى العسكر: افترقوا عليه اربعة فرق، فرق بالسيوف والرماح والسهام والحجارة.

فوجّهوا نحوه في الحرب أربعة   والسيف والسهم والخطي والحجرا [1]

---

(1)

(نصاري)

دار العسكر على احسين يا حيف   ناس بالرماح وناس باليسف

يشبه دورها على الليث المخيف   بياض العين بصبيها ايتدور

تلگّه انبالها احسين ابوريده   نوب بالضلوع ونوب بيده

تلايم غيمها واثجل رعيده   او بالزانات فوگ احسين يمطر

ثگل ما يندره ابنشابها امنين   يجيه اوزانها يخطف على احسين

سهم بيده وسهم ابحاجب العين   يويلي وافغرت روحه امن الحر

(دكسن)

صار اشبيح بيه امن المنيّة   ألف نبله يويلي او تسع ميّه

وگف تبة نبل بالغاضريّة   اوزور ارماح شابچ عيب ينطر

* * *

وقف الطرف يستريح قليلاً		فرماه القضا بسهمٍ مُتاحِ
فهوى العرش للثرى وادلهمّت		برمادِ المصابِ منها النّواحي

المطلب الخامس عشر

في وداع الحسين عليه‌السلام للهاشميين والهاشميات

وترجمة اُمّ سلمة

يا بنفسي مودّعين وفي العين بكاها وفي القلوب لظاها

من بحور تضمّنتها قبور وبدورٍ قد غيّبتها رباها

ركبهم والقضا بأضغانهم يس ري وحادي الردى أمام سراها

والمساعي من خلفهم نادبات والمعالي مشغولة بشجاها

ساكبات الدموع لا تتلاقى بين أجفانها وبين كراها

كان يوم خرج الحسين عليه‌السلام من مدينة جدّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أعظم يوم على الهاشميين والهاشميات، إذ إنّ الحسين كان سلوة لهم عن جدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وعن أبيه أمير المؤمنين عليه‌السلام، وعن أخيه الحسن عليه‌السلام، فأقبلت الهاشميات نساء بني عبد المطلب إلى دار الحسين عليه‌السلام لوداعه والتزوّد به ووداع عيالاته وأطفاله، فجعلن يبكين ويندبن، فمشى فيهنّ الحسين عليه‌السلام، وقال: انشدكن الله أن لا تبدين هذا الأمر، لأنّه معصية لله ولرسوله. فقلن: يا أبا عبد الله فعلا من نتبقى النياحة والبكاء بعدك؟ وهذا اليوم عندنا كيوم مات فيه الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وعلي وفاطمة والحسن عليهم‌السلام، جعلنا الله فداك يا حبيب الأبرار.

قال الراوي: وجاءت أُمّ سلمة [1] وقالت له: يا بني لا تحزن بخروجك إلى

---

(1) أُمّ سلمة:

اسمها: هند، وهي من اُمّهات المؤمنين، بنت أبي اُمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية واسم أبيها: حذيفة، وقيل: سيل، ويلقّب: زاد الراكب، لأنّه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد بل يكفي رفقته من الزاد؛ وأُمّها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية، من بني فراس، وكانت زوج ابن عمّها أبي سلمة، فمات عندها، وقد اسلمت قديماً هي وزوجها وهاجر إلى الحبشة فولدت له سلمة. ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة فولدت له عمر، ودرة، وزينب؛ ولمّا أراد أن يهاجر بها زوجها إلى المدينة منعه رجال من بني المغيرة ونزعوا خطام البعير من يده، فنضب عند ذلك بنو عبد الأسد وهو والي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا سلمة حتى خلعوا يده وانطلق به عبد الأسد وتركها زوجها حتى لحق إلى المدينة ففرّق بينها وبين زوجها وابنه فكانت تخرج الى الأبطح تبكي وتولول سبعة أيام، فقال لها قومها: إلحقي بزوجك. فقصدت المدينة، وكان زوجها نازلاً في قرية بني عمرو بن عوف بقباء، فقصدته وقيل: إنّها أوّل امرأه خرجت مهاجرة الى الحبشة، واوّل ضعينة دخلت المدينة.

وقال أرباب التاريخ: ولمّا توفي زوجه وانقضت عدتها خطبها أبو بكر فلم تتزوجه، فبعث النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم، يخطبها، فقال للرسول: أخبر رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم إني امرإة غيري وإني امرإة مصيبة، وليس أحد من أوليائي شاهد. فقال: قل لها أما قولك إني امرأة غيري فساعدو الله فتذهب غيرتك، وأما قولك إني امرأه مصيبة فسلي صبيانك، وأما قولك ليس أحد من أوليائك شاهد فليس أحد من أوليائك شاهد وغاب يكره ذلك، فقالت لإبنها عمر: قم فزوج رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم ابنتها سلمة.

وأخرج ابن سعد من طريق عروة عن عائشة، قالت: لمّا تزوج رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم ام سلمة حزنت حزناً شديدا لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها، فرأيت والله أضعاف ما وصفت، فذكرت ذلك لحفصة فقالت: وما هي كما يقال، قالت: فرأيتها بعد ذلك فكان ما قالت حفصة، ولكنّي كنت غيري، وكانت امّ سلمة موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب، وأشارتها على النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم يوم الحديبة تدل على وفور عقلها وصواب

العراق، فإني سمعت جدك رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول: يقتل ولدي الحسين في العراق بأرض يقال لها كربلاء. فقال لها: يا اُمّاه والله إنّي أعلم ذلك وإني مقتول لا محالة وليس لي من هذا بد، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وأعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا اُمّاه اريك حفرتي ومضجعي، قال: ثم أشار بيده الشريفة إلى جهة كربلاء.

قال صاحب مدينة المعاجز وإثبات الوصية قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» فانخفضت الأرض بإذن الله تعالى حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره. فعند ذلك بكت اُمّ سلمة وسلّمت أمرها إلى الله، فقال لها الحسين عليه‌السلام: يا اُمّاه قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وحرمي ورهطي ونسائي مسبيين، وأطفالي مشردين.

فقالت ام سلمة: يا أبا عبد الله عندي تربة دفعها اليّ جدك رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في قاروة، فقال عليه‌السلام: والله إني مقتول كذلك، وإن لم أخرج الى العراق يقتلوني.

ثم انه عليه‌السلام أخذ تربة وجعلها في قارورة وأعطاها إيّاها، وقال لها: اجعليها مع قارورة جدّي رسول الله، فإذا فاضتا دماً فاعلمي أنّي قد قتلت. فأخذتها اُمّ سلمة ووضعتها مع قارورة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم [1].

ولمّا سار الحسين عليه‌السلام إلى العراق جعلت ام سلمة كل يوم تتعهّد

رأيها.

قال صاحب الاستيعاب: شهدت اُم سلمة غزوة خيبر فقالت: سمعت وقع السيف في أسنان مرحب (يعني سيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه‌السلام) وهي آخر امهات المؤمنين موتاً. توفّيت سنة 63 من الهجرة. انظر: الإستيعاب بهامش الإصابة، وطبقات ابن سعد

(1) إثبات الوصية للمسعودي: 166، ومدينة المعاجز للبحراني:

القارورتين حتى إذا كان يوم عاشوراء أقبلت على عادتها لتنظر إلى القارورتين فنظرتهما وإذا بهما دماً عبيطاً، صاحت وولوت وندبت الحسين، فاجتمعن عندها الهاشميات بخبرتهن بالخبر، ووقعت الصيحة بالمدينة، وصار كيوم مات فيه رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم، وصار الناس ينتظرون البريد حتى إذا وافى البريد بقتل الحسين جدّدوا العزاء والنياحة على الحسين عليهالسلام، وهكذا اتّصلت النياحة حتى يوم ورد السجاد وزين العابدين عليهالسلام بعمّاته وبخواته من أسر يزيد (لعنه الله) فاتّصلت الصيحات والنياحات على الحسين، ولمّا دخلت الحوراء زينب الى المدينة صارت إلى قبر جدّها رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم وقد حفّتها الهاشميّات مشقّقات الجيوب ينادين: وا حسينا. ودخلت زينب على قبر جدّها رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم مناديه: يا جد إنّي ناعية إليك عزيزك الحسين.

قتلوه بعد علم منهم أنّه خامس أصحاب الكسا [1]

---

(1) وزينب عليهاالسلام تخاطب جدّها صلىاللهعليهوآلهوسلم بلسان الحال:

(نصاري)

يجدّي احسينكم رضّوا اضلوعة او شاف الموت روعه بعد روعه

يصد لعياله او تسچت ادموعه يخافنها عگب عينه تيسّر

يجدّي احسينكم ذبحوا انصاره ابو فاضل تكوّر بالمعاره

وجّ ابگلب اخوه حسين ناره دمع عينه على خدّه تخدّر

(دكسن)

جدّي گوم ذاك احسين مذبوح على الشاطي وعلى التربان مطروح

يجدّي ما بگت له من الطعن روح يجدّي گلب اخويه احسين فطّر

(تخميس)

ولو أن أحمد قد رآك على الثرى لفرشن منه لجسمك الأحشاءُ

أو في الطفوف رأت ظماك سقتك من ماء المدامع اُمّك الزهراءُ

المطلب السادس عشر

في هيئة سفر الحسين عليه‌السلام إلى العراق

لا يعذر الله ابن أحمد أن يرى عزّ الرشاد بذلة وخضوع

حتى يغض له الوجود مصائبا تبكي السماء له بحمر دموع

قال أرباب التاريخ: لمّا اراد الحسين عليه‌السلام الخروج من المدينة جمع أولاده وإخوته، وأولاد أخيه وبنو عمومته، ومواليه وجواريه، ثم أمر بإحضار ماءتين وخمسين مركب من الخيل والجمال، لمّا أن احضرت أمر أن تحمل عليها الأثقال ما يحتاجه في الطريق ولوازم السفر، كالخيم والمراجل والأواني والقرب، وكل ما هيئه من الأمتعة، حتى الزعفران والورس، وكثير من الصناديق المملوءة من البرود اليمانية والحلل السندسية، عدا الصناديق التي مُلئت بالدنانير والدراهم، وأمر أيضاً بخمسين شقة من الهوادج حملت على النوق التى أعدها لحمل العائلة من النساء والأطفال والخدم والجواري، وأحضر كل من الهاشميين جواده ثم أمر بإحضار فرس رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وكان يدعى «المرتجز» [1] فركبه

(1) المُرتجز: «اسم فرس لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، سمّي بذلك لجهارة صهيله وحسنه، وكان رسول

هو عليه‌السلام، والمرتجز هو الفرس الذي شهد به خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وكان صاحبه رجلاً من بني مُرّة [1]، اشتراه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم منه بالمدينة بعشرة أوراق، وقيل: اشتراه رسول الله بأربعة آلاف درهم، وأول غزوة غزا به صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عزوة «أُحد»، وكان من جياد الخيل على ما رواه بن قتيبة في «المعارف» [2].

ثم لما قبض رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم انتقل هذه الجواد إلى علي بن أبي طالب عليه‌السلام، وقد ركبه يوم صفين على ماروواه نصر بن مزاحم في «كتاب صفين» [3].

ثم صار من بعده إلى ولده الحسين، فركبه «يوم الطف» ووقف قبالة القوم فخطبهم ووعظهم فلم يتّعضوا، وقال عليه‌السلام: «أنشدكم لله هل تعلمون ان هذه فرس رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنا راكبه؟ قالوا: اللّهمَّ نعم». ولمّا صرع الحسين عليه‌السلام يوم الطف من على ظهره، جعل يحوم حول الحسين عليه‌السلام، ثم مرّغ ناصيته بدم الحسين ونحا نحو خيم العيال يصهل ويحمحم معلناً بقتل الحسين عليه‌السلام.

قال الراوي: ثم أمر باحضار سيف رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فتقلّد به، وكان اسمه البتّار، وقيل الرسوب، وقيل العضب، وقيل الحتف [4]، وكان مكتوبا عليه هذا البيت:

الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قد اشتراه من الأعرابي، وشهد له خزيمة بن ثابت». انظر لسان العرب: 5 / 352 (مادة: رجز).

(1) انظر الكامل في التأريخ لابن الأثير: 2 / 214، وأُسد الغابة للجزري: 1 / 30.

(2) المعارف لابن قتيبة: 149.

(3) وقعة صفين: 403.

(4) ذكر ابن الأثير في تأريخه «أنه كان لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عدّة سيوف، منها: البتّار والحتف والرسوب والعضب»، انظرالكامل في تاريخ ابن الاثير: 2 / 316، وانظر لسان العرب: 1 / 418 (مادة: رسب)، وانظر اسد الغابة: 1 30.

الجبن عار وفي الإقدام مكرمة والمرء بالجبن لا ينجوا من القدر

وهو الذي أعطاه إلى علي عليه‌السلام «يوم اُحد» على ما ذكره السمعاني «في كتاب الفضائل» وحمله أمير المؤمنين عليه‌السلام في حروبه الثلاث، وقاتل به ثم انتقل بعده إلى ولده الحسين عليه‌السلام وكان يحارب به «يوم الطف»، ولقد استشهد الحسين عليه‌السلام على أهل الكوفة به في خطبته، إذ قال: «أنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنا متقلده؟ قالوا: اللّهمّ نعم». ولمّا إن قتل عليه‌السلام تكاثرت القوم على سلبه، فأخذه جميع بن الخلق (لعنه الله).

ثم أمر بإحضار درع رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فأفرغها على بدنه الشريف، وكان اسمها الصعديَّة، وقيل: فضة، وقيل: ذات الفضول، وقيل: ذات الوشاح [1]، ولقد أعطاها رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى علي عليه‌السلام، فأفرغها على بدنه الشريف أيضاً في حروبه الثلاث، البصرة وصفين والنهروان.

ثم من بعده انتقلت إلى ولده الحسين عليه‌السلام، وقد لبسها «يوم الطف»، ولمّا أن وعظ القوم وقال لهم فيما قال: «انشدكم الله هل تعلمون أنّ هذا درع رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنا لابسها؟ قالوا: اللّهمّ نعم». ولمّا قتل سلام الله عليه أخذها عمر بن سعد قائد الجيش ولبسها، ودخل على عيالات الحسين عليه‌السلام فتقدمت زينب عليهاالسلام وقالت: يا ابن سعد أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟!

---

(1) قال ابن الأثير في تأريخه: «إنّه كان لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم درعاً يقال له «الصعديّة»، وأُخرى يقال لها «فضة»، وأُخرى يقال لها «ذات الفضول» واخرى يقال لها «ذات الوشاح»، انظر الكامل في التاريخ: 2 / 316.

وفي اُسد الغابة أيضاً قال عز الدين الجزري: كان له (دروع) تسمى: ذات الفضول، وذات الوشاح، وغيرها، انظر اسد الغابة: 1 / 30.

ثم أمر باحضار عمامة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وكان اسمها «السحاب» [1] وكانت من الخزّ دكناء، وكان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قد تعمم بها يوم «بدر» و «حنين»، ولمّا أن قبض صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم تعمّم بها أمير المؤمنين عليه‌السلام «يوم صفين» على ما رواه نصر بن مزاحم في «كتاب صفين» [2]، ولمّا ضربه ابن ملجم «لعنه الله» بسيفه وفضى نحبه ورثها ولده الحسن عليه‌السلام، ثم انتقلت بعد الحسن عليه‌السلام الى الحسين فتعمم بها «يوم الطف»، ولمّا ناشد القوم في خطبته وقال فيما قال: «أيها الناس أنشدكم هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنا لابسها؟ قالوا: اللّهمّ نعم».

ثم أمر باحضار حربة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وكانت حربة صغيرة تشبة العكازة يقال لها العنزة، وكانت تحمل مع رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في الاعياد، وتركز بين يديه فيصلّي بالناس صلاة العيد، وكان يصحبها في أسفاره، وذكرها عز الدين الجزري في «اُسد الغابة» [3]، ثم لمّا توفي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ورثها أمير المؤمنين عليه‌السلام، وكانت معه «يوم صفين» يحملها كما ذكر ذلك «نصر بن مزاحم» [4]، ثم لمّا استشهد عليه‌السلام انتقلت إلى الحسن عليه‌السلام، ثم إلى الحسين عليه‌السلام، وكانت معه «يوم الطف» وكان اذا حمل على جيش أهل الضلال ورجع من الحرب الى مركز يتكئ عليها وهو يقول: «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم».

أقول: بهذه الهيئة وبهذه الصفة خرج ابن رسول الله من مدينة جدّه، وهو

____

(1) انظر اُسد الغابة: 1 / 30.
(2) وقعة صفين: 403.
(3) اُسد الغابة: 1 / 30.
(4) وقعة صفين.

يقدم ضعينته والفتية من بني هاشم مجرّدين سيوفهم شاهرين ماحهم قد احدقوا بالمحامل.

كب حجازيون بين رحالهم ... تسري المنايا انجدوا او اتهموا

يحدون في هزج التلاوة عيسهم ... والكل في تسبيحه يترنّم

متقلّدين صوارما هندية ... من عزمهم طبعت وليس تكهّم [1]

---

(1)

(بحراني)

طوح الحادي والضعن هاج ابحنينة ... او زينب تنادي سفرة الگشرة علينه

صاحت ابكافلها شديد العزم والباس ... شمر اردناك وانشر البيرق يا عباس

چنّي اعاينها مصيبة اتشيب الراس ... ما ظنّتي نرجع ابدولتنا المدينة

گلها يزينت هاج عزمي لا تنخين ... ما دام آنة موجود يختي ما تذلّين

لو تنجلب شاماتهم ويالعراگين ... لطحن جماجمهم ونا حامي الظعينة

لا تهيجيني اولا يدش ابگلبچ الخوف ... ميروعني الطعن والرماح او ضرب السيوف

بس طلبي امن الله يسلّم لي هالكفوف ... لحمل على العسكر واذكّرهم ببونا

گالت اعرفك بالحرب يا خوية وافي ... او قطع الزند هذا الذي منّه مخافي

اليوم المعزّه او بعدكم مدري شوافي ... ياهو اليرد الخيل لو هجمت علينه

* * *

فاين تلك البدورُ التُمّ لا غربوا ... وأين تلك البحور الفُعمُ لا نضبوا

المطلب السابع عشر

في ترجمة أُمّ هاني ووداعها للحسين **عليه‌السلام**

لمّا بلغ خبر الحسين عليه‌السلام إلى الهاشميات ونساء بني عبد المطلب صرن يأتين إلى دار الحسين عليه‌السلام وينحن ويبكن، قتل [الراوي:]

وأقبلن عدّة من الهاشميات إلى عمّة الحسين «اُم هاني» [1] فأخبرنها الخبر، وكانت «أُم هاني» من النساء الجليلات القدر العظيمات الشأن، وكيف لا تكون كذلك وهي إبنة أبي طالب شيخ الاباطح، وأخت علي أمير المؤمنين عليه‌السلام وشقيقته، وقد اختلف المؤرخين في إسمها فبعض يقول ان اسمها هند، وقال بعضهم: إنها فاطمة، وقال بعضهم: أنها فاختة وهو الأصح؛ واُمّها فاطمة بنت أسد اُم أميرالمؤمنين عليه‌السلام، وكان زوجها هبيرة المخزومي [2]، وكان من المشركين ومن المبغضين لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، ومن المؤلبين عليه والمساعدين على حربه، وما قامت راية لحرب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلا وهو في مقدمة من يحارب النبي فيها، وكان

---

(1) انظر ترجمة ام هاني في: اسد الغابة: 5 / 501، وكذلك في الإستيعاب: 4 / 517. هي اُم هاني بنت أبي طالب بن عبد الطلب بن هاشم اخت علي بن ابي طالب عليه‌السلام كانت تحت هبيرة بن أبي وهب بن أبي عمر بن عائذ بن عمران بن مخذم اسلمت عام الفتح ولدت ام هاني لهبيره عمر وبه كان يكنى وهانئاً ويوسف وجعدة.

(2) انظر ترجمة «هبيرة المخزومي».

مع أبي سفيان حين تحزّبت الأحزاب على حرب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وهو من جملة الذين عبروا الخندق مع عمرو بن عبد ود العامري، ولمّا قتل عمرو فرّ هُبيرة منهزماً، وفي ذلك يقول لزوجته ام هاني:

لَعمرُك ما وليتُ ظهري محمّداً وأصحابه جُبناً ولا خيفةً القتلِ

ولكنّي قلَّبت ظهري فلم أجد لسيفي غناء إنّ أن ضربتُ ولا نبلِ

وقفتُ فلمّا خِفتُ ضيعةَ وقفتي رجعتُ لعودٍ كالهزيرِ أبا الشبل

ولمّا فتح النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم مكة وذعنت له قريش فرّ هبيرة منهزماً من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى نجران ومات فيها كافراً وفي ذلك يقول:

الله يعلمُ ما تركتُ قِتالهم حتى رَموا فَرَسي بأشقر مزَيَد

وكان الاسلامها «يوم الفتح» وقد استجار عندها جماعة من المشركين في ذلك اليوم لعلمهم بها إنّها تجيرهم، وكان من المستجيرين بها الحرث بن هشام، وقيس بن السائب، فجاء علي عليه‌السلام وهو مقنع بالحديد لا يُرى منه إلا حدقتا عينيه، فطرق الباب عليها، فخرجت اليه اُم هاني وقالت له: ما تريد يا عبد الله؟ قال: اخرجوا من آويتهم؛ فقالت: إنصرف يا عبد الله إني ابنة عمّ محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، واخت علي عليه‌السلام؛ فلم يلتفت إليها وقال أن لم تخرجيهم وإلا هجمتُ عليهم الدار. وقالت: والله لأشكونّك إلى رسول الله؛ فلمّا سمع أمير المؤمنين عليه‌السلام ذلك ألقى المغفر من على رأسه فعرفته، فألقت بنفسها عليه وقالت له: أخي فدتك اُختك تريد أن تخفر جواري بين العرب؟ ثم قالت: أخي إنّي حلفت أن اشكوك عند رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، فقال لها: إمضي فإنّه في الوادي، فأقبلت اُم هاني فلمّا رآها صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم مقبله قال لها: مرحباً بك يا ام هاني، جئتيني تشكين علياً عندي فإنّه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله، ثم نادى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: انا قد أجرنا من أجارته اُم هاني.

نعم أسلمت اُم هاني في ذلك اليوم، ولمّا بلغ هبيرة زوجها خبر إسلامها

اغتاظ غيظاً شديداً، وفي ذلك يقول معاتباً لها:

لئن كنت قد تابعتي دين محمّد — وقطعت الأرحام منك حبالها

فكوني على أعلى سحيق بهضبة — ممنعة لا يستطاع قلالها

فإنّي من قوم إذا جد جدّهم — على أي حال أصبح القوم حالها

وإني لأحمي من وراء عشيرتي — إذا كثرت تحت العوالي مجالها

وطارت بأيدي القوم بيض كأنّها — مخاريق ولدان تنوش ظلالها

وإن كلام المرء من غير كُنهِهِ — لنَبل تهوي ليس فيها نصالها [1]

وكانت قد ولدت له أربعة أولاد: أحدهم جعدة بن هبيرة، وولدت له ثانياً فكنيت به، وعمرو فكنى به أبوه، ويوسف [2]، أمّا جعدة فإنّه ولد على عهد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وليست له صحبة وقال العجلي، إنه تابعي، وقيل: بل هو من الصحابة. قال إبن أبي الحديد في «شرح النهج»: أدرك رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وأسلم يوم الفتح مع اُمه «اُم هاني» [3].

وشهد جعدة مع أمير المؤمنين عليه‌السلام صفين [4]، وأبلى بلاءاً حسناً، ودعاه يومئذ عتبة فناداه: يا جعدة فاستأذن جعدة من أمير المؤمنين عليه‌السلام في الخروج إليه، فأذن له. واجتمع الناس لكلامهما، فقال له عتبة: يا جعدة إنه والله ما اخرجك علينا إلا حبك لخالك وعمك ابن أبي سلمة عامل البحرين، وإنا والله ما نزعم أنّ معاوية احق بالخلافة من علي [عليه‌السلام]، ولو لا أمره في عثمان، ولكن معاوية احق بالشام لرضا أهلها به، فاعفوا لنا عنها، فوالله ما بالشام رجل به طرق إلّا هو إجدّ من

---

(1) الإستيعاب (بهامش الإصابة).
(2) انظر شرح نهج البلاغة لابن الحديد: 10 / 79.
(3) انظر شرح نهج البلاغة لابن الحديد: 10 / 77.
(4) وقعة صفين للمنقري: 463 - 465.

معاوية في القتال، ولا بالعراق من له مثل جدّ علي بن أبي طالب في الحرب، ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم، وما اقبح بعليٍّ أن يكون في قلوب المسلين أولى الناس بالناس، حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب. فقال جعدة: أمّا حبّي لخالي فوالله لو كان لك خال مثله لنسيت أباك، وأما ابن أبي سلمة فلم يصب أعظم من قدره، والجهاد احبّ إليّ من العمل، وأمّا فضل علي على معاوية فهذا ممّا لا يختلف عليه اثنان، وأمّا رضاكم اليوم بالشام فقد رضيتم بها أمس فلم نقبل، وأمّا قولك إنّه ليس بالشام من رجل إلّا وهو أجدُّ من معاوية وليس بالعراق لرجل مثل جدّ علي عليهالسلام فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعلي يقينه وقصر بمعاوية شكّه، وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل، وأمّا قولك نحن اطوع لمعاوية منكم لعلي عليهالسلام فوالله ما نسأله ان سكت ولا نرد عليه إن قال، وأمّا قتل العرب فإنّ الله كتب القتل والقتال فيمن قتله الحق فإلى الله، فغضب عتبة وفحش على جعدة، فلم يجبه جعدة وأعرض عنه وانصرفا جميعاً مغضبين، فلمّا انصرف عتبة جمع خيله فلم يستبق «منها» شيئاً، وجلّ اصحابة السّكون والصّدف والأزد، ويهيأ جعدة بما استطاع فالتقيا، وصبر القوم جميعاً، وباشر جعدة يومئذ القتال بنفسه، وجزع عتبة واسلم خيله وأسرع هارباً إلى معاوية، فقال له معاوية: فضحك جعدة وهزمتك، لا تغسل رأسك منها أبداً، فقال عتبة: لا والله، لا أعود إلى مثلها «أبداً»، ولقد أعذرت وما كان على أصحابي من عتب، ولكن أبى الله أن يديلنا منهم، فما أصنع وحضّي بها جعدة عند علي؛ فقال النجاشي فيما كان من شتم عتبة لجعدة وشعراً في ذلك اليوم:

إنّ شَتمَ الكَريم يا عُتبَ خَطبٌ — فاعلَمنهُ من الخطوب عظيمُ

اُمّه اُمّ هاني وأبوه — مِن معدّ ومِن لَؤَيٍّ صميمُ

ذاكَ منها هُبيرَةُ بن أبي وهب — أقرَّت بِفَضلِه مخزومُ

كانَ في حَربِكُم يُعدُّ بألفٍ حينَ تَلقى بها القُرُوم القُرُوم
وإبنهِ جُعدةَ والخليفة مِنهُ هكذا يَخلُف الفروعَ الأرومُ
كُلُّ شيءٍ تُريدُه فهو فيهِ حَسَبٌ ثاقبٌ ودينٌ قويمُ
وَخَطيبُ إذا تَمَعَّرت الأو جُهُ يَشجى به الألدُّ الخصيمُ
وَحليم إذا الحبى حَلّها الجَهـ لُ وخفّت من الرِّجال الحلومُ
وَشكيم الحُروب قد عَلِمَ النَّا س إذا حُلَّ في الحروبِ الشَكيمُ
مَا عَسى أن تقولَ للذّهب الأحـ مَرِ عَيباً هيهات مِنكَ النجومُ

وقال الشّنيُّ في ذلك لعتبة:

ما زلت في عطفيك أبهةً لا يعرف الطَّرف مِنكَ التّية والصّلفُ
لا تَسحبُ القومَ إلا فقع قرقرةٍ أو شحمة بزّها شاو لها نطفُ
حتّى لقيت ابن مخزوم وأيّ فتىً أجيا مآثر آباء له سلفوا
إن كان رَهَط أبي وهب جحاجحةً في الأوّلين فهذا منهم خلفُ
أشجاك جعدة إذ نادى فوارسه حامَوا عن الدين والدنيا فما وقفوا
حتّى رموك بخيل غير راجعةٍ إلا وسمر العوالي منكم تكفُ
قد عاهدوا الله لن يثنوا أعنّتها عند الطّعان ولا في قولهم خلفُ

لمّا رأيتهم صبحاً حسبتهم أشد العرين حمى أشبالها الغرفُ
ناديت خيلك إذ عضّ الثّقاف بهم خيلي إليَّ، فما عَاجوا ولا عطفوا
هلّا عطفت على قتلن مصرّعةٍ منها السّكون ومنها الأزد والصّدفُ
قد كنت في منظر من ذا ومستمع يا عُتبَ لو لا سفاه الرّأي والسّرفُ
فاليوم يُقرَع منكَ السّنُّ عن نَدَم ما للمبارز إلا العجز والنصفُ

فهذان الشاعران مدحا جعدة بموقفه «يوم صفين» تجاه العدو، الموقف المشرف وحق لمثله أن يمدح تمثل هذا الشعر الرائق، وكان جعدة مازماً لخاله

أمير المؤمنين عليه‌السلام إلى قتل أمير المؤمنين عليه‌السلام، فلازم بعده الحسن والحسين عليهم‌السلام إلى أن توفي أيام معاوية، وكان جعدة يفتخر - ويحق له الفخر - ويقول:

أبي من بني مَخزوم إن كُنتَ سائلاً وَمِن هاشمٍ أُمّي لَخيرُ قَبيلِ

فَمن ذا الذي يبني عَليَّ بخالهِ كخَالي علي ذي النّدى وعقيل [1]

«ولقد كاتب الحسين عليه‌السلام بعد وفاة أخيه الحسن عليه‌السلام:

أمّا بعد فإنّ الشيعة متطلّعة أنفسها إليك، لا يعدلون بك الى أحد وقد عرفوا رأي أخيك الحسن في دفع الحرب، وعرفوك باللين لأوليائك والغلظة لأعدائك، فإن أحببت أن تطلب هذا الأمر لك فقد وطنّا أنفسنا على الموت معك».

فأجابه الحسين عليه‌السلام غير أنّ جوابه يظهر كان لعموم الشيعة:

«أمّا بعد فإنّ أخي الحسن أرجو أن يكون الله قد وفقه وسدده، فيما يأتي، وأمّا أنا فليس رأيي ذاك، فألصقوا بالأرض واحترسوا عن الظنّة والتهمة ما دام معاوية حيّاً، فإن حدث به حادث كتبت إليكم برأي والسلام».

فأم هاني على ما ذكرت كانت جليلة القدر، عظيمة الشأن، روت عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أحاديث كثيرة ذكرت في الصحاح؛ ولعظم شأنها أنّ الهاشميات إذا أصابتهن مصيبة أو نزلت بهنّ نازلة فزعن إليها، لذا لمّا بلغهن خبر سفر الحسين عليه‌السلام الى العراق أقبلن إليها وقلن لها: يا أُم هاني أما علمت بما عزم عليه الحسين عليه‌السلام، فإنّه عزم على المسير إلى العراق، فهل لك أن تمضن لنودّع النسوة ونتزوّد من الحسين؟ فقامت أُم هاني - وهي امرأة عجوز محدوبة الظهر - حتى أقبلت إلى دار الحسين عليه‌السلام، وكان الحسين واقفاً على باب داره، فلمّا نظر أليها نظر إلى غلامة وقال له: من هذه المقبلة؟ فقال له: سيدي أظنّها عمّتك أُم هاني؛

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

فقال له: اضرب بيني وبينها ستراً، فوقف قبالة الحسين عليه‌السلام ودخلت ام هاني على النساء وهي تبكي، فدخل الحسين عليه‌السلام وقال لها: يا عمّة ما هذا البكاء؟ فقالت: عمّة عميت عين لا تبكي من بعدكِ. فقال لها الحسين عليه‌السلام: عمّه لا تتطري، فقالت: والله لست بمتطيّرة ولكن سمعت البارحة هاتفاً يقول:

وإنَّ قتيل الطفّ من آلِ هاشمٍ أذلّ رقاباً مِن قريش فَذُلّت

فقال لها عليه‌السلام: عمّه لا تقولي من قريش ولكن قولي: «أذل رقابَ المسلمين فذلّت».
فقال الراوي: وعلا صراخ النساء وبكاؤهن، هذا والحسين نصب أعينهن. أقول: إذاً كيف حالهنّ لمّا دخل بشر بن حذلم المدينة ونادى:

يا أهل يثرب لا مقام لكم فيها قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرّج والرأس منه على القناة يدار [1]

---

(1)

(نصاري)

يولي اتقابلن للنوح والون رباب اتعدّلهن وهن يبجن

ظلمه دورها او بالحزن يدون وهن بالنوح دامن على الوقتين

گومن جاي نلطم على الشبّان وسط الدور وا نغلّج البيبان

بعد احسين وحشه هاي الوطان گومن جاي نتساعد على البنين

وزينب عليهاالسلام:

يدور أهلي أعاينچن اباعين عگب عباس اخويه وعگب الحسين

نعب بيجن اغراب الحزن والبين او عليچن يها الدور الحزن غيّم

(تخميس)

أنقيمُ في جور الزمان وذُلّهِ يا منيةَ الباقي وكعبةَ نيله

كم غائب سرّ الإله بوصله

يا ليت غائبنا يعودُ لأهله فنقول أهلاً بالحبيب ومرحبا

المطلب الثامن عشر

في سبب عدم سفر محمّد بن الحنفية مع أخيه الحسين **عليه‌السلام**

كان السبب لعدم خروج محمّد بن الحنفية مع أخيه الحسين عليه‌السلام إلى العراق أمران:

أحدهما - على ما رواه المؤرخون وأهل السير - أنّه اُهدي درع للحسين فلمّا لبسه الحسين عليه‌السلام فضل عليه مقدار أربعة أصابع، فأراد الحسين عليه‌السلام أن يرسله إلى بعض الحدّادين ليقطع منه مقدار أربعة أصابع، وكان محمد بن الحنفية جالساً فأخذه ولواه على يديه وسرده، فأصابه بعض الحاضرين بنظرة فشلّت يده من وقتها وساعتها، وصار لا يقدر على حمل السلاح.

والأمر الثاني: هو أنّه إعتراه مرض الأغماء، وهذا الذي منعه عن الخروج مع أخيه الحسين عليه‌السلام، وكان أمير المؤمنين عليه‌السلام يحبّه حبّاً شديداً، وشهد معه الجمل وصفين، وله فيهما المقام المحمود، وفي بعض أيّام صفّين قال لأبيه عليه‌السلام: أبه لم لم تأذن لأخوي الحسنين بالبراز وتأذن لي؟ فقال له عليه‌السلام: إنّ الحسن والحسين عيناي، وأنت يميني، فأنا اُدافع عن عيني بيميني.

وكان عالماً، فقيهاً، منطقياً، فارساً، شجاعاً، يكفي من شجاعته ما ظهر منه يوم الجمل وصفين، ويكفي من بلاغته خطبته المشهورة يوم صفين، وحتى أنّس

جماعة إلى الآن يدّعون بإمامته وهم «الكيسانيّة» [1] وبزعمهم أنه لم يمت وأنّه حي يرزق، وأنّه مقيم «بجبل رضوي» وأنّه هو المهدي من آل محمد، وأمّا من طرقنا فإنّ محمّد بن الحنفية مات ودفن «بابلة» أو «بالطائف» [2] وفي بعض الأخبار بالمدينة، مات وله من العمر خمس وستون سنة [3].

وكان يحبّ الحسين حبّاً جمّاً، ولمّا علم أنّ الحسين عازم على الخروج من المدينة أقبل إليه وقال له: يا أخي أنت أحبّ الناس إليّ، وأعزّهم عليّ، ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق [إلّا لك] [4]، وليس أحد أحق بها منك، (لأنّك زاج مائي ونفسي، وروحي وبصري، وبكير أهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي، لإنّ الله قد شرفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنّة) [5]، تنح ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، ثم أبعث رسلك إلى الناس على فادعهم إلى نفسك، فإن بايعك [6] الناس حمدت الله على ذلك، وان اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك، أخي إنّي أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم، فطائفة معك وأُخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنة غرضاً، فإذا خيرُ هذه الأُمة كلّها نفساً وأباً وأمّا اضيعها دماً وأذلّها أهلاً.

---

(1) انظر: رجال الكشّي: 94 / 149 و 96 / 152 و 127 / 204، وانظر: المعارف لابن قتيبة: 622، والملل والنحل: 1 / 131، وفرق الشيعة: 26 - 31، والفرق بين الفرق: 38 / 52، وتعليقة الوحيد البهبهاني: 410.
(2) انظر: محمّد بن الحنفية - للمؤلف - ص 82.
(3) انظر: كانت وفاته سنة احدى وثمانين في ايام عبد الملك بن مروان. محمّد بن الحنفية - للمؤلف.
(4) أثبتناها من المصدر.
(5) ما بين القوسين لم يرد في نسختنا أثبتناه من المصدر.
(6) في المصدر: تابعك.

فقال له الحسين عليه‌السلام: «فأين أذهب يا أخي؟». قال: تخرج الى مكّة فإن اطمأنّت بك الدار بها فذاك وإلّا خرجت إلى اليمين، فإنّهم أنصار جدّك وأبيك، وهم أرأف الناس وأرقهم قلباً وأوسع الناس بلاداً، فإن إطمأنت بك الدار فذاك وإلّا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وجزت من بلد إلى بلدٍ حتى تنظر ما يؤل إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين، فإنك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالاً.

فقال الحسين عليه‌السلام: «يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية». فقطع محمد بن الحنفية كلامه وبكى، وبكى الحسين معه ساعة ثم قال: «يا أخي جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشفقت، وأرجوا أن يكون رأيك سديداً موفقاً، وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك انا وأخوتي وبنو أخي، وشيعتي أمرهم أمري، ورأيهم رأيي، وأمّا أنت فلا عليك إلّا أن تقيم بالمدينة فتكون عيناً عليهم، ولا تخفي عنّي شيئاً من أُمورهم [1].

ثم دعى الحسين عليه‌السلام بدوات وبياض وكتب هذه الوصيّة لأخيه محمّد بن الحنفية:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصي به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه المعروف «بابن الحنفية»...

«إنّ الحسين يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عند الحق، وأنّ الجنّة حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريت فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدّي محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أريد أن آمر بالمعروف

(1) انظر: إرشاد المفيد: 2 / 34 - 35.

وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وأبي علي بن أبي طالب عليه‌السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، هذه وصيّتي يا أخي إليك، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه انيب».

ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد بن الحنفية ثم ودّعه وخرج من عنده [1].

أقول: وصايا الحسين عليه‌السلام أربع، الأولى: الّتي أوصى بها محمّد بن الحنفية كما مرّ آنفاً، أوصاه بالنسبة إلى شؤون المدينة وأن يراسله في أمرها، وأن يكون عيناً له عليها.

والوصية الثانية: الّتي أوصى بها ولده السجّاد وهي بالنسبة للإمامة نصبه علماً للناس وإماماً من بعده وسلّمه مواريث الأنبياء [2].

أمّا الوصيّة الثالثة: أوصى بها اخته الحوراء زينب ليلة العاشر من المحرم، فقد قال لها: اُخيّة إذا أنا قتلت فلا تسقّي عليّ جيباً ولا تخمشي عليَّ وجهاً... إلى آخرها [3].

وأمّا الوصية الرابعة: أوصى بها شيعته جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، وذلك ما روي عن سكينة بنت الحسين قالت: لمّا رميت بنفسي على جسد أبي الحسين أشمّه واوّدعه، سمعت الكلام يخرج من منحر أبي الحسين وهو يقول: «بني سكينة إقرأي شيعتي عنّي السلام وقولي لهم إنّ أبي الحسين قتل عطشاناً وقيل عن لسانه:

---

(1) محمد بن الحنفية - للمؤلف - ص 60.
(2) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: 2 / 779 - 784.
(3) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: 2 / 225، نقلها عن الإرشاد للشيخ المفيد: 2 / 93 - 94.

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني | أو سمعتم بقتيل أو شهيد فاندبوني
وأنا السبط الذي من غير جرم قتلوني | وبجرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني

صرت استسقي بطفلي فأبوا أن يرحموني [1]

وقال المؤلف مخمساً بيتين من قصيدة الشيخ صالح العرندس:

أيا زائراً قبراً على العرش قد علا | تضمّن سبط المصطفى خيرة الملا
اسل دمعك القاني وقل متمثّلا | أيقتل عطشاناً حسين بكربلا

وفي كلّ عضو من أنامله بحر

فمن مبلّغ الزهراء بضعة أحمد | قضى نجلها ظام بمصارم ملحد
أيقضي ظماً سبط النبي محمد | ووالده الساقي على الحوض في الغد

وفاطمة ماء الفرات لها مهر [2] [3]

(1) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: 3 / 282.
(2) ديوان الهاشميات للمؤلف رحمه الله: 69 - 70.
(3) ولسان حال الزهراء عليهاالسلام إلى ولدها ليلة الحادي عشر من المحرم:

(نصاري)

شافت الزهرة احسين محزوز الوريدين | ليلة احد عشر وهي صاحت آه يحسين
ما لومك او لشرة عليك او لا اعتبك | ارخصت هالروح العزيزة الدين ربّك
يبني أريد أشبگك وحط گلبي فوگ گلبك | وبچي ونادي ساعدوني يلمحبين
شلتك ابطني تسعة اشهر يا جنيني | وسهرت ليلي او سيدتك عن يميني
تالهيا مرمي اعله الثرى تنظرك عيني | عگب الدلال اعلى الترب اتنام يحسين

يحسين يبني مصرعك گطع اگليبي يا ريت دونك يذبحوني يا حبيبي
ابروحي فديتك واشربت صافي حليبي او برباك يوليدي اسهرت يا گرّة العين

(تخميس)

قضى ظامياً ما ذاق للماء برده بحرّ هجير تصهر الشمس خدّه
فوالله لو يوماً تقومين بعده
إذا للطمت الخدّ فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات

المطلب التاسع عشر

في كيفية خروج موسى من مدينة فرعون

وخروج الحسين عليه‌السلام من مدينة جدّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم

كان خروج الحسين بن علي عليه‌السلام من المدينة يوم الأحد ليومين بقين من رجب سنة ستين من الهجرة، وكان خرجه ليلاً خائفاً يتكتّم [1]، كما قال المرحوم السيد جعفر الحلّي رحمه الله في قصيدته الغرّاء الميمية:

خرج الحسين من المدينة خائفاً كخروج موسى خائفاً يتكتّم [2]

ولكن هناك فرق عظيم بين خروج الحسين عليه‌السلام وخروج موسى عليه‌السلام، خرج من مدينة فرعون شرّ خلق الله والحسين عليه‌السلام خرج من مدينة جدّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم خير خلق الله، وموسى خرج خائفاً على نفسه، والحسين عليه‌السلام خرج خائفاً من أن يقتل بالمدينة وتهتك حرمة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وموسى عليه‌السلام خرج وحده لم تكن معه عائلة ولا أطفال والحسين عليه‌السلام خرج بعيالاته وأطفاله؛ قالت سكينة: خرج أبي بنا في ليلة ظلماء، وما كان أحد أشدّ خوفاً منّا.

---

(1) إرشاد المفيد: 2 / 34.
(2) ديوان السيد جعفر الحلي رحمه الله.

وموسى عليه‌السلام لمّا وصل إلى «مدينة شعيب» أمن ونجا، والحسين عليه‌السلام لمّا وصل إلى «مكّة» حرم الله وبيته لم يأمن على نفسه من القتل لأنّ يزيد بن معاوية كان قد دسّ له من الحاج ثلاثين شيطاناً من شياطين بني أُمية وقال لهم: اقتلوا الحسين أينما وجدتموه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

موسى عليه‌السلام لمّا وصل ألى «مدين» وجد بنتي شعيب على البئر يسقيان، فسقى لهنّ وكان الدلو لا يجره إلا عشرة فجره، وقد حكى الله ذلك في محكم كتابه المجيد: (وَلَمّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمّةً مِنَ النّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتّى يُصْدِرَ الرّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمّ تَوَلّى إِلَى الظّلّ) - وكان جائعاً خائفاً (فَقَالَ رَبّ إِنّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [1] فأقبلتا إلى أبيهما بالماء وقد أسرعتا في الرجعة، وتعجّب شعيب وقال: أسرعتنّ؟! فقالت إحداهنّ: إن رجلاً صفته كذا وكذا سقى لنا قبل الناس؛ فبعث إحداهنّ خلفه، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله عزّ إسمه العظيم (فَجاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنّ أَبِي يَدْعُوكَ) (سورة القصص: 24) فمشى خلفها وجاءت الريح فحملت ثوبها فأدار موسى عليه‌السلام وجهه عنها، وقال لها: إمشي خلفي ورام لي الحصاة على الطريق فإنّا قوم لا ننظر على أعجاز النساء؛ فصارت تمشي خلفه - (فَلَمّا جَاءَهُ وَقَصّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ) [2].

فموسى عليه‌السلام إستسقى بطريقة لبنات شعيب، والحسين عليه‌السلام سقى في طريقه الحرّ وأصحابه الذين كانت عدّتهم ألف فارس عدا خيولهم؛ موسى عليه‌السلام لمّا قصّ

---

(1) سورة القصص 28: 23، 24.
(2) سورة القصص 28: 25.

على شعيب قصّته وهو خائف قال له: (لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ) (سورة القصص: 25)، والحسين عليه‌السلام لمّا قصّ قصّته للحرّ عند توجهه إلى العراق جعجع به الحرّ وارعبت العائلة؛ قال أرباب التفسير:

ولمّا جاء موسى إلى شعيب ورغبت فيه إحدى إبنتيه كما حكى الله تعالى ذلك (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ)[1]

والعلّة في خدمة موسى عليه‌السلام لشعيب - وهو كليم الله - هي: أنّ شعيب عليه‌السلام بكى من خشية الله حتى ذهب بصره فأعاد الله عليه بصره، فبكى ثانية فذهب بصره فأعاد الله عليه بصره ثلاثاً، فأوحى الله: «يا شعيب ممَّ بكاؤك طمعاً في جنّتي أعطيتك إيّاها، أو خوفاً من ناري أمنتك»؛ فقال [شعيب]: «ربّي لا ذا ولا ذاك، ولكن رأيتك أهلاً أن تخشى»، فأوحى الله اليه: «وعزّتي وجلالي لأخدمنّك كليمي موسى».

(فَلَمّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا) - وكانت زوجته حاملة - (إِنّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلّي آتِيكُم مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النّارِ لَعَلّكُمْ تَصْطَلُونَ)[2].

ويروى في ذلك الحين كان قد أخذها الطلق، فلمّا مضى الى النار وأراد أن يقتبس منها مالت عليه فولّى هارباً، وإذا بالنداء: (يَامُوسَى إِنّي أَنَا اللّهُ رَبّ

---

(1) سورة القصص 28: 27.
(2) سورة القصص 28: 29.

الْعَالَمِينَ) [1] وما أحسن ما قيل من باب المثل في ذلك: «رُبَّ أمرٍ ليس يُرجى لَكَ في الغَيبِ يخبي»، إنّ موسى عليه‌السلام راح كي يطلب ناراً فتنّبى، وإذا بتلك النار هي نور الجلالة فبعثه الله الى فرعون.

أقول: خاف موسى عليه‌السلام من تلك النار بمجرّد أن رأى الميلان صار عليه وهرب منها، والحسين عليه‌السلام مالت عليه سيوف أهل الكوفة ورماحهم يوم «عاشوراء» ونار الحرب تستعر فلم يرع منها، بل كان ثابت الجنان، رابط الجأش، حتى شهد له العدو بذلك، فقال بعضهم: «والله ما رأينا مكثوراً قط قتل ولده وأهل بيته أربط جأشاً من الحسين عليه‌السلام، ولقد كان يشد علينا وقد تكاملنا ثلاثين ألفاً فننكشف من بين يده إنكشاف المعزى إذا شدّ فيه الذئب، وهو يقول: والله لا اعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد».

فأبى أن يعش إلّا عزيزاً	أو تجلى الكفاح وهو صريع
فتلقّى الجموع فرداً ولكن	كلّ عضو في الروع منه جموع
زوج السيف بالنفوس ولكن	مهرها الموت والخضاب النجيع [1]

(1) سورة القصص 28: 30.
(2)

لاح ابظهر غوجه احسين	او سل سيفه وتعنّه الگوم
صكها الحيد وراواها	انجوم الظهر ذاك اليوم
تجلّى الغيم من سيفه	او تموت العده امن اتشوفه
خطفها وخطف منه الروح	ومن الخوف مخطوفه
برض الغاضريّه احسين	ابد ما ترك بالكوفه
بيت إله النوايح بيه	تنوح أو مچدر او مهموم

لا چن لوله ما ينزل امن الباري العهد لحسين
ناداه الوعد وينه او گال انچان هذا الدين
أبد ما يستقيم الّه بچتلي اخذيني يا سيوف الحين
يسيوف العده او دارت عليه أو كل كتر ملزوم
حاطت بيه بس ترميه بحجار او نبل وسهام
هذا ايطعنه بالخطي او ذاك ايضربه بالصمصام
حال العطش عن شوفه او عن الماي بالطّف صام
من كثر النبل والزان ما يگدر يولي ايگوم
الف وتسعميت اصوابـ المثلث مرد گلبه
او وگع للگاع ابو اليمه وعليه الدينا منجلبه
گطع راسه الشمر بالسيف او فزعوا كلهم السلبه
او لامت حربه سلبوها او عليه ما تركو من اهدوم
عليه ما تركو من ثياب وموسد على التربان
ورضّت خيلهم جسمه او راسه على سنان اسنان
ظل عاري ثلث تيّام ابلياليها او گضه عطشان
او ماي العذب مهر امّه او من عنده انچتل محروم

(تخميس)

أيقتل ضمآناً حسين بكربلا   وفي كل عضو من أنامله بحر

ووالده الساقي على الحوض في غد   وفاطمةُ ماء الفرات لها مهرُ

المطلب العشرون

في خروج الحسين عليه‌السلام من المدينة ودخوله مكة المكرمة

قال الشيخ المفيد رحمه الله: فسار الحسين عليه‌السلام [من المدينة] إلى مكة [وهو يقرأ] [1]: (خَائِفاً يَتَرَقّبُ) - وهو يقول - (رَبّ نَجّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ) [2] ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: [لو تنكبت الطريق الأعظم كما صنع ابن الزبير] [3] لئلا يلحقك الطلب، فقال: « لا والله لا اُفارقه حتى يقضى الله ما هو قاض ».

ولمّا دخل [الحسين] [4] مكة المشرفة، وكان دخوله إياها يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان [سنة ستين من الهجرة] [5]، ودخلها وهو يقرأ: (وَلَمّا تَوَجّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السّبِيلِ) [6] ثم نزل بها (فأقام بقية شعبان

(1) ما أثبتناه من المصدر.
(2) سورة القصص 28: 21.
(3) ما أثبتناه من المصدر، وفي الأصل: خَلِّ عن هذا..ـ
(4) ما أثبتناه من المصدر.
(5) لم ترد في المصدر، وأثبته المؤلف رحمه الله نقلاً عن الملهوف للسيد إبن طاووس: 101.
(6) سورة القصص 28: 22.

وشهر رمضان وشوال وذي القعدة وثمان ليال خلون من ذي الحجة) [1] (وكان الناس يختلفون إليه وكان عبدالله) [2] بن الزبير [3] بها قد لزم جانب الكعبة [فهو قائم يصلي عندها ويطوف، ويأتي الحسين عليه‌السلام فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين، ويأتيه بين كل يومين مرة] [4]، وصار الحسين أثقل خلق الله لأنّه يعلم أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين عليه‌السلام موجوداً بمكة، وأنّ الحسين أطوع للناس منه وأجلّ وأشرف [5].

وكان ابن الزبير يسمى [حمامة الحرم] لأنّه يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان [ضَبِّ خَب] [6] كما قال أمير المؤمنين عليه‌السلام: «بنصب الآخرة حبائل للدنيا ويروم أمر فلا يدركه] [7]. وكان يتردد على الحسين عليه‌السلام بين اليوم واليومين، ويقول له: يا أبا عبدالله إنّ أهل الكوفة شيعتك وشيعة أبيك؛ وكان الحسين عليه‌السلام يعرض عنه فالتفت إليه ابن عباس يوماً وقال: يابن الزبير تريد أن يخلو لك

(1) ما بين القوسين من المؤلف رحمه الله، لم ترد في المصدر، وأثبتها عن السيد ابن طاووس: 101.
(2) ما بين القوسين من المؤلف رحمه الله، وفي المصدر: وأقبل أهلها يختلقون إليه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق،...
(3) ولد عبدالله بن الزبير بعد الهجرة بعشرين شهراً - كما ذكر الواقدي ذلك - وكان يكنى: أبا بكر، وأبا حبيب، قتله الحجاج بعد أن حاصره بمكة وقد أصابته رمية فمات بها، وكان بخيلاً، وهو صاحب المثل «اكلتم تمري، وعصيتم أمري» حتى قال فيه الشاعر:

رأيت أبا بكر وربّك غالب على أمره، يبغي الخلافة بالتمر

قتل وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وصلب حيث اصيب.
(4) ما أثبتناه من المصدر، لعلّه سقط في الأصل.
(5) إرشاد المفيد: 2 / 35.
(6) يقال: رجل خبّ ضبّ - أي - مراوغ، والضب - أيضاَ الحقد الخفي.
(7) الظاهر من كلامه عليه‌السلام [انّه] يروم الخلافة فلا يحصل عليها، وهذه من المغيبات التي أخبر عنها أمير المؤمنين عليه‌السلام.

الحجاز من الحسين؟ ثم التفت إلى الحسين عليه‌السلام وقال له: «يا ابن العم إنّي أتصبّر ولا أصبر، أنت سيد أهل الحجاز فأقم في هذه البلد، وإن أبيت إلّا أن تخرج فاخرج الى اليمن فإنّهم أنصار جدّك وأبيك، وهم أرقّ الناس عليك فإنّي أخاف عليك أن تقتل ونساؤك واطفالك تنظر إليك». فقال الحسين عليه‌السلام: إنّ جدّي رسول الله قد أمرني بأمر وأنا ماض فيه» [1].

ثم قال له عبدالله بن الزبير: يابن رسول الله قد حضر الحج وأنت ماض إلى العراق؟ فقال عليه‌السلام: «لإن ادفن بشاطئ الفرات أحب إليّ من أن ادفن بفناء الكعبة، فإن أبي حدثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أحب أن أكون ذلك الكبش» [2].

قال السيد ابن طاووس رحمه الله في «الملهوف»: وجاء إليه محمد بن الحنفية فأجابه مثل ما أجاب عبدالله بن عباس [3]،، وجاءه عبدالله بن عمر [4] فأشار عليه بصلح أهل الضلالة وحذره من القتل والقتال، فقال عليه‌السلام: «يا أبا عبدالرحمن أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا اهدي إلى بغي من بغايا

---

(1) انظر الملهوف للسيد ابن طاووس: 101

(2) وهذه من المغيبات التي أخبر عنها إمامنا أمير المؤمنين عليه‌السلام، فإنّ ابن الزبير حوصر بمكة خمسة أيام - حاصره الحجاج - ثم قتل في البيت، فكان هو الكبش، وأمر به الحجاج فصلب بمكة، وكان مقتله يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادي الأول سنة (73 هـ)

انظر: تاريخ ابن الأثير: 4 / 135، تاريخ الطبري: 7 / 202، فوات الوفيات: 1 / 210، تاريخ الخميس: 2 / 301، الأعلام للزركلي: 4 / 87، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

(3) ابن عباس، حبر الأمة والصحابي الجليل رضي‌الله‌عنه، ولد بمكة ولازم الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وروى عنه، وشهد مع أمير المؤمنين عليه‌السلام الجمل وصفين ونهروان، كفّ بصره في آخر عمره وسكن الطائف وتوفي بها سنة (68 هـ). انظر: الإستيعاب، والإصابة، وصفة الصفوة: 1 / 314، حلية الاولياء: 1 / 314، نسب قريش: 26، المحبر: 98، الأعلام للزركلي: 4 / 95.

(4) عبدالله بن عمر: وكنيته أبو عبدالرحمن، آخر من توفي بمكة من الصحابة، وكانت ولادته بمكة. انظر: الإصابة، الإستيعاب، طبقات بن سعد: 4 / 105.

بني إسرائيل، أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يفعلوا شيئاً، فلم يجعل الله عليهم بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام، اتّق الله يا أبا عبدالرحمن، ولا تدع نصرتي».

وقال: وسمع أهل الكوفة بقدوم الحسين عليه‌السلام إلى مكة وامتناعه من البيعة ليزيد، فاجتموا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فلمّا تكاملوا قام [سليمان] فيهم خطيباً، وقال في آخر خطبته:

«[يا معشر الشيعة]، إنكم قد علمتم بأن معاوية قد هلك، وقد قعد في موضعه إبنه يزيد [شارب الخمور والضارب بالطنبور]، وهذا الحسين بن علي عليه‌السلام قد خالفه وجاء الى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبل، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدون دونه، فاكتبوا إليه وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغرّوا الرجل».

قال: فأجابوه بأننا نبايعه ونجاهد عدوّه، فقال: إذاً اكتبوا إليه كتاباً؛ فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الحسين بن علي بن أبي طالب.

من سليمان بن صرد الخزاعي [1]، والمسيب بن نجبة [2] ورفاعة بن

---

(1) تقدّمت ترجمته عن المؤلف رحمه الله، وذكرنا هناك مصادر ترجمته.

(2) المسيب بن نجمة الفزّاري: تابعي، وشهد القادسية وفتوح العراق، وشهد مع أمير المؤمنين عليه‌السلام حروبه الثلاثة، وكان شجاعاً مقداماً، ومتعبداً ناسكاً، ثار مع التوابين في طلب دم الإمام الحسين عليه‌السلام، واستشهد مع سليمان بن صرد الخزاعي بالعراق في وقعة «عين الوردة»، وحمل رأسيهما إلى مروان بن الحكم (لعنه الله)، وكان الذي حمل رأسيهما هو

شدّاد [1]، وحبيب ابن مظاهر، وعبدالله بن وائل، وشيعته من المؤمنين. سلام الله عليكم.

أمّا بعد، فالحمدلله الذين قصم عدوّكم وعدوّ أبيك من قبل، الجبار العنيد الغشوم الظلوم، الذي ابتزّ هذه الامة أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها، فبعداً له كما بعدت ثمود وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وعتاتها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

ثمّ أنّه ليس علينا إمام غيرك، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحق، والنعمان في قصر الإمارة، فإنّا لا نجتمع معه لا جمعة ولا جماعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو بلغنا قدومك لأخرجناه حتى يلحق بالشام، والسلام عليك ورحمهالله وبركاته [2].

قال أهل السير: وجعلت الكتب تترى على الحسين عليهالسلام ومن اهل الكوفة حتى ملأ منها خرجين [3]، وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله:

قد بايعوا السبط طوعاً منهم ورضى ... وسيّروا صحفاً بالنصر تبتدر

أقدم فإنّا جميعاً شيعة تبع ... وكلّنا ناصر والكلّ منتظر

أقبل وعجّل قد اخضرّ الجناب وقد ... زهت بنظرتها الأنهار والثمر

أدهم بن بحير الباهلي (لعنه الله) وكانت وقعة «عين الوردة» في أول ربيع الآخر سنة (65 هـ). انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير: 4 / 68 والإصابة: رقم (8424)، الإعلام للزركلي: 7 / 225، تاريخ من دفن في العراق من الصحابة (للمؤلف رحمه الله): 220 (آخر ترجمة: سليمان بن صرد الخزاعي).

(1) رفاعة ابن شدّاد البجلي:

(2) الملهوف على قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: 102 - 105.

(3) الأخبار الطوال للدينوري: 229.

أنت الإمام الذي نرجوا بطاعته	خلد الجنان اذا النيران تستعر
لا رأي للناس إلّا فيك فأت ولا	تخشى اختلافاً ففيك الأمر منحصر
وأثموه إذا لم يأتهم فأتى	قوماً لبيعتهم بالنكث قد خفروا
فعاد نصرهم خذلاً وخذلهم	قتلاً له بسيوف للعدى ادّخروا
يا ويلهم من رسول الله كم ذبحوا	ولداً له وكريمات له أسروا

وكان آخر كتاب قدم عليه مع هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي، فضّه وقرأه وإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي

من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين

أمّا بعد، فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم إلى غيرك، فالعجل العجل يابن رسول الله، فقد احضر الجناب، وأينعه الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فأقدم علينا إذا شئت، فإنّما تقدم على جند لك مجنّدة، والسلام عليك وعلى أبيك من قبلك ورحمه‌الله وبركاته.

فقال الحسين عليه‌السلام للرسول وهو هانئ بن هانئ السبيعي: «اخبرني من هؤلاء الذين كتبوا إلي هذا الكتاب؟» قال: يابن رسول الله هم شيعتك، فقال عليه‌السلام: من هم؟ قال: شبث بن الربيعي، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمر بن الحجاج الزبيدي [1]، وهؤلاء كلهم من اعيان الكوفة.

(1) الملهوف على قتلى الطفوف للسيد بن طاووس: 105 - 107، وفي الأخبار الطوال للدينوري: شبث بن ربيعي وحجار بن ابجر ويزيد بن الحارث وعزرة بن قيس وعمرو بن الحجاج ومحمّد بن عمير بن عُطارد، وكان هؤلاء الرؤساء من أهل الكوفة...؛ انظر ذلك ص 229.

اقول هؤلاء كلهم حضروا يوم الطف ورأوا الحسين عليه‌السلام يستغيث فلا يغاث، ويستجير فلا يجار، فما نصروه وما أجابوه، بل أعانوا عليه، أما شبث بن الربيعي فإنّه قال لابن سعد: يا أمير آمر العسكر أن يفترق عليه أربعة فرق ضرباً بالسيوف، وطعناً بالرماح، ورمياً بالسهام، ورضخاً بالحجارة؛ فافترقوا على الحسين اربعة فرق كما أشار شبث بن ربعي على ابن سعد، وهؤلاء ايضاً كلهم هجموا على خدره وانتهبوا ثقله واحرقوا خيمه وروّعوا عياله وأطفاله.

ومخدّرات من عقائل أحمد	هجمت عليها الخيل في أبياتها
وحائرات أطار القوم أعينها	رعباً غدات عليها خدرها هجموا [1]

---

(1) وزينب عليهاالسلام كأني بها تخاطب أخاها الحسين عليه‌السلام بلسان الحال:

(ابوذية)

الحراير من لهيب النار هاجن	ولعد جسمك يبو السجّاد هاجن
يگلّنك علينه الليل هاجن	وانته اموسد الغبرة رميّه

* * *

يخوية النار بوسط الخيم تنهاب	او وصلت خيلهم للخدر تنهاب
الماعدها عشيرة اشلون تنهاب	يليث الغاب ما تلحك عليه

(طور عبود غفلة)

يفترن خوات احسين	من خيمه لعد خيمه
ينخن وين راحو اوين	ما مش بالكفر شيمه
كل خيمة تشبّ ابنار	ردن ضربن الهيمة
والسجاد اجو سحبوه	ودمعه اعلى الوجه ساله

(تخميس)

قلّبوه عن نطع مسجّى فوقه	فبكت له أملاك سبع شداد

ويصيح وا ذلّاه أين عشيرتي وسراة قومي أين أهل وداد

المطلب الحادي والعشرون

في خطبة الحسين عليه‌السلام قبل خرجه من مكة المشرفة

لقد دمعت عيون البيت حزناً ... لفقد منى قلوب العارفينا
وطافت طائفوه طواف ثكلى ... وقد لبسوا السواد ملهّفينا
وكانت تلبياتهم رثا رثاءاً ... لسبط كان خيرَ الناسكينا
فقدنا ها هنا قصراً مشيداً ... وبيت العز والبلد الأمينا
فقدنا ها هنا كهف الأيامى ... وسور المحتمين طور سينا [1]

روي السيد في اللهوف وغيره قال:
لمّا همّ الحسين عليه‌السلام ان يتوجّه إلى العراق قام خطيباً في أصحابه فقال:
«الحمد لله ماشاء ولا حول ولا قوة إلّا بالله، وصلّى الله على رسوله محمد وآله أجمعين، خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّر لي مصرع أنا لاقيه، وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني اكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، حين تشذّ عن رسول الله لحمته، وهي

(1) هنا أشار عليه‌السلام إلى ابن الزبير، فإن تقتله هتك حرمة الحرم، وهذه من معيباته التي أخبر عنها عليه‌السلام.

مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده».
ثم قال عليه‌السلام: «ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فاليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً انشاءالله تعالى» [1].
قال أرباب التاريخ: وجاء كتاب من ابن عمّه مسلم بن عقيل من الكوفة مع عابس بن شبيب الشاكري يقول فيه:
«أما بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل، فعجّل الإقبال حين وصول كتابي، فإنّ الناس كلّهم معك، وليس لهم في آل معاوية [آل أبي سفيان] رأي ولا هوى والسلام» [2].
وروي محمد بن داود القمي إسناده عن أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام قال: «وجاء بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي اراد الحسين الخروج من صبيحتها من مكة فقال له: يا أخي أنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنّك أعز من بالحرم وأمنعه» فقال له: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت [3].
فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمين أو بعض نواحي البرّ، فأنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد. [فقال الحسين عليه‌السلام] [4]: أنظر فيما قلت.
ولمّا كان السحر ارتحل الحسين عليه‌السلام، فبلغ ذلك محمد بن الحنفية فأتاه

(1) الملهوف في قتلى الطفوف للسيد بن طاووس: 126.
(2) الاخبار الطوال: 243.
(3) هنا أشار عليه‌السلام إلى بن الزبير، فإنّ بقتله هتك حرمة الحرم، وهذه من مغيباته التي أخبر عنها عليه‌السلام.
(4) أثبتناه من المصدر، والظاهر أنه سقط في الأصل.

وأخذ بزمام ناقته التي ركبها، وقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: بلى، قال: إذاً فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال له: يا أخي أتاني رسول الله بعد ما فارقتك وقال لي: يا حسين اُخرج قد شاء الله أن يراك قتيلاً، فقال ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخي إذاً فما معنى حملك هذه النسوة وأنت تخرج على مثل هذه الحالة والصفة؟ قال له: أخي قد شاء الله أن يراهنّ سبايا على اقتاب المطايا» [1].

أخي إن الله شاء بأن يرى	جسمي بفيض دم الوريد خضّيبا
ويرى النساء على الجمال حواسراً	أسرى وزين العابدين سليبا
فاكفف فقد خطّ القضاء بأنني	أمسي بعرصة كربلاء غريبا

وفي رواية أخرى قال له: «أخي اناشدك الله أن لا تسير إلى قوم غدروا بأبيك سابقاً، وغدروا بأخيك لاحقاً، وأبقوا عدوّكم، فأقم في حرم جدّك رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم وإلا فارجع إلى حرم الله، فإن لك فيها أعواناً كثيرة، فقال له: «لابدّ من المسير الى العراق»، فقال له محمد إنه ليفجعني ذلك، ثم بكى وقال: والله يا أخي لا أقدر ان أقبض على قائم سيفي ولا أقدر على حمل رمحي، ثم لا فرحت بعدك أبداً». ثم ودّعه وسار الحسين عليهالسلام.

قال الراوي: وعند خرجه من مكة لقيه رجل من أهل الكوفة يكنّى أبا هرة الأزدي، فسلّم عليه ثم قال له: يا بن رسول الله من الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم؟ فقال له عليهالسلام: «ويحك يا أبا هرة إن بني امية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وايم الله إن تقتلني الفئة الباغية، وليلبسنّهم الله ذلاً شاملاً، ويرسل عليهم سيفاً قاطعاً، وليسلّطنّ عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من قوم سبأ أذ ملكتهم إمرأة فحكمت في

(1) الملهوف للسيد ابن طاووس رحمه الله: 127.

أموالهم ودمائهم»[1] قال: ثم ودّعه وسار الحسين عليه‌السلام ومن معه قاصدين العراق[2].

ومقوّضين تحملوا وعلى مسراهم المعروف محتمل

وكبوا إلى العزِّ الردى وحدى للموت فيهم سائق عجل

وبهم ترامت للعلى شرفاً أبل المنايا السود لا الإبل

نزلوا بأكناف الطفوف ضحى وإلى الجنان عشية رحلوا[3]

(1) كلما ذكره الحسين عليه‌السلام لأبي هرة جرى على أهل الكوفة من قبل المختار وأضرابه.
(2) الملهوف للسيد بن طاووس رحمه الله: 132.
(3)

(نصاري)

سار احسين واصحابه بلظعون وصلوا كربلا ووچب الميمون

ركب ستة افراس امن اليسجون وگفوا وانشد اجموع الحمية

شسم هالگاع گالوا شاطي الفرات وسمها نينوى والغاضريات

رد انشد وگالوله المسنات ورض لعراگ يا شبل الزچيّه

بچه اوگلهم دمع العين مذروف هم الها اسم گالوله الطفوف

رجع سايل اسمها البيها معروف سكتوا والدموع اتكت هيه

ناده احسين واليكم ترونه سايلكم وشو متجاوبونه

گالوا كربلا واهلّت اعيونه او تحسّر والگلب ناره سرّيه

(دكسن)

صاح احسين يصحابي انزلونه ابهاي الگاع كلنه ايذبحونه

او بس يبگه علي ويگيدونه | او طفلي ينذبح ما بين ايدّيه
يگومي ابهاي يتشتت شملنه | او نبگه بالشمس والدم غسلنه
او تسبى احريمنا او تندب يهلنه | چه ترضون نتيسّر هديّه

(تخميس)

يا من إذا ذكرت لديه كربلا | لطم الخدود وللمدامع اهملا
مهما مررت على الفرات فقل ألا
بعداً لشطّك يا فرات فمرّ لا | تخلوا فإنّك لا هني ولا مري

المطلب الثاني والعشرون

في استنصار الحسين عليه‌السلام

إسنتصر الحسين عليه‌السلام جماعة في طريقه الى كربلاء، وألقى عليهم الحجج وحذّرهم من سماع واعيته، وكان استنصاره لهم تارة بلسانه، وتارة بإرسال رسول من قبله إلى من يستنصره، وتارة بالكتب، فمنهم من أجاب ورزق الشهادة معه، وسُعد في الدارين بل وحضى السعادة الأبدية، ومنهم من اعتذر بتجارة له، ومنهم من لم يجبه على ذلك بشيء وبعدها أسف وندم على ما فاته من فضل الشهادة، فالذي أجاب الحسين عليه‌السلام لمّا دعاه لنصرته هو «زهير بن القين البجلي رحمه الله»، وأرسل عليه الحسين أثناء الطريق وطلب منه النصرة، فأجاب ورزق الشهادة وحظي بالسعادة والذي اعتذر بتجارته هو «عمرو بن قيس المشرفي» - كما ذكره صاحب أسرار الشهادات - قال عمرو:

دخلت على الحسين عليه‌السلام أنا وابن عمّ لي وهو في «قصر بني مقاتل» فسلّمنا عليه، فقال له ابن عمّي: يا أبا عبدالله هذا الذي أرى خضاب أو شعرك؟ فقال [عليه‌السلام]: «خضاب، والشيب إلينا بني هاشم يعجل»، قال: ثمّ أقبل عليه‌السلام علينا، وقال: جئتما لنصرتي؟ قال عمرو: وقلت له: سيدي إنّي رجل كبير السن، كثير الدين، كثير العيال، وفي يدي بضائع للناس ما أدري ماذا يكون من أمرك، وأكره أن أُضيّع أمانتي، وقال له ابن عمّي مثل ذلك: فقال لنا: «إذاً انطلقا ولا تسمعا لي

واعية، ولا تريالي سواداً، فإنّه من سمع واعيتنا أو شهد سوادنا ولم يعيننا كان حقاً على الله عزّوجلّ أن يكبّه من منخريه في النار) [1]. فهذا هو عمرو بن قيس وابن عمّه تقاعدا من النصرة واعتذرا للحسين عليه‌السلام بالتجارة.

وأمّا الذي استنصره الحسين عليه‌السلام وما أجابه وندم بعدها على عدم نصرته هو «عبيدالله بن الحر الجعفي» - كما ذكره صاحب درّ النظيم - عن أبي مخنف قال:

لمّا نزل الحسين عليه‌السلام «قصر بني مقاتل» رأى فسطاطاً مضروباً فقال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل له: لعبيدالله بن الحرّ الجعفي، وكان مع الحسين عليه‌السلام الحجاج ابن مسروق الجعفي وزيد بن معقل الجعفي، فأرسل الحسين عليه‌السلام الحجاج ليدعوه إليه، فلمّا أتاه وقال له: يابن الحرّ أجب الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام، فقال له: أبلغ الحسين عنّي وقل له إنّي لم أخرج من الكوفة إلّا فراراً من دمك، ولئلّا أعين عليك، والحسين ليس له ناصر بالكوفة ولا شيعة.

فجاء الحجاج وبلّغ الحسين عليه‌السلام مقالته فعظم ذلك على الحسين عليه‌السلام، ثم أنّه دعى بنعليه وقد ركبها، وأقبل يمشي حتى دخل على عبيدالله وهو في الفسطاط، فلمّا رأى الحسين أقبل قام إجلالاً له وأوسع له عن صدر المجلس حتى أجلسه في مكانه - قال يزيد بن مرة: حدّثني بن الحر، قال: دخل عليَّ الحسين عليه‌السلام ولحيته المباركة كأنّها جناح غراب، وما رأيت أحداً قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين، ولا رققت لأحد قط كرقّتي على الحسين حين رأيته يمشي وأطفاله حواليه [2] ـ، فألفت الحسين عليه‌السلام ألى عبيدالله وقال له: «ما يمنعك يابن الحرّ أن

(1) أسرار الشهادات للفاضل الدربندي: 2 / 166 (المجلس الرابع).
(2) هذا الخبر جاء اعتراضي من المؤلف رحمه الله ضمن سرد خبر «الدرّ النظيم»، وسيعود إلى اتمامه بعد تمام هذا الخبر.

تخرج معي؟» فقال: لو كنت ممّن كتب لك مع من كتب لكنت معك ثم كنت من أشد أصحابك على عدوك، وأنا الآن أحب أن تعفيني من الخروج معك، ولكن هذه خيلي المعدّة والأدلاء من أصحابي وهذه فرسي «الملحقة» فوالله ما طلبت عليها شيئاً إلا أدركته، وما طلبني أحد إلا فلت، فدونكها فأركبها حتى تلحق بمأمنك، وأنا ضمين لك بالعيالات حتى أؤدّيهم إليك أو أموت أنا وأصحابي دونهم، وأنا كما تعلم إذا دخلت في أمر لا يضمني فيه أحد. فقال له الحسين عليه‌السلام: «هذه نصيحة منك لي؟» قال: نعم فوالله الذي لا فوقه شئ، فقال الحسين عليه‌السلام: «أني سأنصحك كما نصحتني، مهما استعطت أن لا تشهد وقعتنا ولا تسمع واعيتنا، فوالله لا يسمع اليوم واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلّا أكبّة الله على منخريه في النار» [1].

وفي أمالي الصدوق رحمه الله: فقال له عليه‌السلام: «لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، - ثم تلا - (وَمَا كُنتُ مُتّخِذَ الْمُضِلّينَ عَضُداً) [2]». قال: ولما قتل الحسين عليه‌السلام ندم عبيدالله على عدم نصرته فأنشأ يقول:

فيا ندمى على أن لا أكون نصرته ... ألا كلّ نفس لا تسدّد نادمه

سقى الله أرواح الذين تأزّروا ... على نصره سقياً من الغيث دائمه

تأسوا على نصر ابن بنت نبيّهم ... بأسيافهم آساد غيل ضرغامه

وله أيضاً قال متأسف على عدم نصرته للحسين عليه‌السلام:

فيا لك حسرةً ما دمت حيّاً ... تردّد بين حلقي والتراقي

حسين حين يطلب بذل نصري ... على أهل الضلالة والنّفاق

---

(1) الدر النظيم.
(2) سورة الكهف / 51.

غداة يقول لي بالقصر قولاً أتتركنا وتزمع بالفراق
ولو أنّي أواسيه بنفسي لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن المصطفى نفسي فداء تولّى ثم ودع بانطلاق
فلو فلق التلهّف قلب حيًّ لهم اليوم قلبي بانقلاق
فقد فاز الأُولى نصروا حسيناً وخاب الآخرون ذوو النفاق

فهذا عبيدالله بن الحر يتأسف ويتلهّف لعدم نصرته الحسين عليه‌السلام، وذلك لمّا رأى إنّ الذين نصروه سعدوا في الدارين، ونالوا بنصرته تلك المرتبة العالية والمنزلة السامية، قال الأعسم رحمه الله:

نصروا ابن بنت نبيّهم طوبى لهم نالوا بنصرته مراتب سامية

وأي مرتبة هي أعظم وأرفع من هذه المرتبة بحيث يقف عليهم الصادق عليه‌السلام ويخاطبهم بقوله: «بأبي أنتم وأمي، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم، وفزتم والله فوزاً عظيماً».

صالوا وجالوا وادّوا حقّ سيدهم في موقف عقّ فيه الوالد الولد
يتهادون الى الحرب سكارى طرباً فيه وما هم بسكارى [1]

---

(1)

(نصاري)

گضوا حگ العليهم دون الخيام ولا خلّوا خوات حسين تنضام
لمّا طاحوا تفايض منهم الهام تهاهوا مثل مهوى النجم من خر

(دكسن)

هذا الرمح بقّادة ايتثنه وهذا بيه للنشّاب رنّة

وهذا الخيل صدره رضرضنّه وهذا وذاك بالهندي اموذّر

(عاشوري)

ركب غوجه وتعنّه احسين ليها لگاها بس جثث وامسلّبيها

المطلب الثالث والعشرون

في ترجمة مسلم بن عقيل **عليهالسلام**

روى المدائني وغيره، قال:

قال معاوية ابن أبي سفيان لعقيل بن أبي طالب يوماً: هل من حاجة فأقضيها لك؟ قال: نعم، جارية عرضت عليَّ وأبى أصحابها أن يبيعوها إلّا بأربعين ألفاً. فأحب معاوية أن يمازحه، فقال له: وما تصنع بجارية قيمتها أربعين ألفاً وانت أعمى وتجتزي بجارية قيمتها أربعون درهماً؟ فقال عقيل: أرجوا أن أطأها فتلد لي غلاماً إذا أغضبته ضرب عنقك بالسيف؛ فضحك معاوية وقال: مازحناك يا أبا يزيد [1]، وأمر فابتيعت له الجارية التي أولدها مسلماً [2].

صبّ الدمع واتلهّف عليها   وگال احتسب عند الله واصبر

(تخميس)

يا عاذليّ اقطعوا ما عندكم ودَعوا   أبكي على من بقلبي حبُهم طبعوا

غابوا وعن ناظري طيب الكرى منعوا

نذرٌ عليّ لئن عادوا وإن رجعوا   لأزرعنّ طريق الطفّ ريحانا

(1) الشهيد مسلم بن عقيل للسيد المقرم ص 68.

(2) هي علّية النبطية من آل فرزندا، هكذا ذكرها بن قتيبة في المعارف. انظر: المعارف لابن قتيبة: 204، وطبقات ابن سعد: 4 / 29.

فلمّا أتت على مسلم سنين وقد مات أبوه عقيل وجاء إلى الشام وقال لمعاوية: إنّ لي أرضاً بمكان كذا من المدينة [1]، وقد اُعطيت بها مائة ألف، وقد احببت أن ابيعك إياها فادفع لي ثمنها؛ فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه، فبلغ ذلك الحسين عليه‌السلام فكتب إلى معاوية: «أمّا بعد فإنك أغررت غلاماً من هاشم فابتعت منه أرضاً لا يملكها فاقبض منه ما دفعته إليه واردد الينا أرضنا».

فبعث معاوية إلى مسلم فأقراه كتاب الحسين عليه‌السلام وقال له: اردد علينا مالنا وخذ أرضك، فإنّك بعت مالا تملك. فقال مسلم: أمّا دون أن أضرب رأسك بالسيف فلا، فاستقلى معاوية ضاحكاً يضرب برجليه الأرض ويقول له: يا بني هذا والله ما قاله أبوك حين ابتاع اُمّك. ثم كتب إلى الحسين أن قد رددت أرضكم وسوّغت مسلماً ما أخذ [2].

قال أهل السير: كان مسلم بن عقيل فارساً شجاعاً، شهد مع عمّه أمير المؤمنين عليه‌السلام «صفين»، وكان من القواد الذين جعلهم أمير المؤمنين عليه‌السلام على الميمنة «يوم صفين» [3]، كان يوم بعثه الحسين عليه‌السلام إلى الكوفة قد ذرف على الأربعين.

وروى أبو مخنف وغيره، أنّ أهل الكوفة لمّا كتبوا الى الحسين عليه‌السلام دعا مسلماً وسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعبدالرحمن بن عبدالله وجماعة من الرسل، وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأي الناس مجتمعين

---

(1) وهي البغيبغة، وفيها عين ماء وهي للحسين، فباع مسلم قسم منها على معاوية وهي التي أراد الحسين عليه‌السلام أن يعطيها لابن سعد عوض ملك الري الذي حرمه الله منه. انظر:

(2) شرح نهج البلاغة: 3 / 82 طبعة مصر.

(3) المناقب: 2 / 260.

[مستوثقين] [1] عجّل إليه بذلك [2]. وكتب الحسين عليه‌السلام إلى أهل الكوفة كتاباً يقول فيه: «أمّا بعد، فقد أرسلت إليكم أخي وابن عمّي، وثقتي من أهل بيتي، مسلم بن عقيل، وأمرته أن يكتب لي إن رآكم مجتمعين، فلعمري ما الإمام إلّا من قام بالحق وما يشاكل هذا».

فخرج مسلم من مكة في نصف شهر رمضان [3]، وأتى المدينة فصلّى في مسجد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وودّع أهله وخرج، فإستأجر دليلين من بني قيس، وودع قبر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وسار، فلمّا أن صار في بعض الطريق ضلّا الدليلان وأصابهما عطش شديد، فقالا له: هذا طريق ينتهي بك إلى الماء فلا تفارقه. ثم ماتا، فكتب مسلم بن عقيل الى الحسين عليه‌السلام من الموضع المسمى «بالمضيق»:

«أمّا بعد فإني ُخبرك يابن رسول الله إنّي قد أتيت مع الدليلين فضلّا عن الطريق واشتد بهما العطش فماتا، فتطيّرت من وجهي هذا». فلمّا وصل الكتاب الى الحسين عليه‌السلام كتب جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي بن أبي طالب

إلى ابن عمّه مسلم بن عقيل

«أمّا بعد، يابن العمّ إنّي سمعت جدّي رسول الله يقول «ما منّا أهل البيت من يتطيّر به» فإذا قرأت كتابي هذا فامض على ما أمرتك به، والسلام عليك ورحمه‌الله وبركاته».

---

(1) ما أثبتناه من المصدر.

(2) مقتل الحسين عليه‌السلام لابي مخنف: 19.

(3) انظر مروج الذهب للمسعودي: 3 54.

فلمّا ورد الكتاب إلى مسلم وقرأه سار من وقته وساعته حتّى مر بماء «لطي» فنزل عليه، ورأى رجلاً قد رمى ظبية فصرعها فقال: نقتل عدوّنا هكذا انشاء الله تعالى. قال: وسار حتى وافى الكوفة، فدخلها ونزل في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي [1].

وقال ابن شهر آشوب: لمّا دخل مسلم الكوفة نزل في دار سالم بن المسيب، ولما دخل ابن زياد الكوفة انتقل من دار سالم إلى دار هاني بن عروة المرادي المذحجي [2] في جوف الليل [3]. وكان دخوله يوم الخامس من شوال سنة ستّين [4].

فجعل الناس يختلفون إليه وجعل مسلم كلّما دخل عليه جماعة من أهل الكوفة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه‌السلام وهم يبكون، حتى بايعه في ذلك اليوم ثمانون ألف، وقيل: حتى صار مجلسه ثمانية عشر ألفاً [5].

ويروى أنه بايعه ثمانية عشر ألف كما كتب الى الحسين عليه‌السلام: «أما بعد فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف فالعجل العجل بالإقبال حين يأتيك كتابي هذا، فإن الناس كلّهم معك وليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى». ثم أرسل الكتاب مع عابس بن شبيب الشاكري إلى مكة [6].

---

(1) الشهيد مسلم بن عقيل: 14 عبدالرزاق المقرم.
(2) مذحج: كمجلس، أبو قبيلة من قبائل اليمن، وهو مذحج بن جابر بن مالك بن زيد كهلان ابن سبأ ومراد: بطن من مذحج، وكان هانئ بن عروة مرادياً. انظر:
(3) المناقب لابن شهر آشوب: 4 / 91.
(4) مروج الذهب للمسعودي: 3 / 54.
(5) الملهوف على قتل الطفوف: 108.
(6) الاخبار الطوال للدينوري: 243.

قال: ولمّا سمع النعمان بن بشير الانصاري [1] بقدوم مسلم إلى الكوفة كتب كتاباً إلى يزيد: «أمّا بعد فإن مسلم بن عقيل قد دخل الكوفة وقد بايعه الناس فإن كانت لك في الكوفة حاجة فابعث إليها من ينفذ أوامرك».

وكتب - ايضاً - عبدالله بن شعبة الحضرمي [2] إلى يزيد: «أمّا بعد فإنّ مسلم بن عقيل ورد الكوفة وقد بايعه شيعة الحسين، فإن كانت لك في الكوفة حاجة فانفذ إليها رجلاً قويّاً فإنّ النعمان ضعيف أو يتضاعف».

وكتب له عمر بن سعد بنحو ذلك، فدعى يزيد بمولى له يقال له سرجون، فاستشاره بهذا الأمر، فقال له: لو نشر لك معاوية حيّاً لما عدا رأيه عن أبن زياد، قال: فكتب يزيد الى بن زياد وهو يومئذٍ والٍ على البصرة: «أمّا بعد فإنّي ولّيتك المصرين الكوفة والبصرة [3]، فخذ بالرأي السديد واعمل النصح، ثم قد بلغني أن مسلم بن عقيل قد ورد الكوفة وقد اجتمع عليه الناس يبايعونه، فإني لا أجد سهماً أرمي به عدّوي أجرأ منك، فإذا قرأت كتابي هذا فسر من قوّتك وساعتك، وإيّاك والإبطاء والتواني، واجتهد ولا تبقي من نسل علي بن أبي طالب، واطلب مسلم بن عقيل طلب الخرزة واقتله، وابعث إليَّ رأسه والسلام».

---

(1) النعمان بن البشير: كان والياً على الكوفة من قبل معاوية فأقره يزيد عليها، وأُمّه: عمره بنت رواحة أُخت عبدالله بن رواحة، قال ابن أبي الحديد في الشرح: كان النعمان بن البشير منحرفاً عنه - يعني علياً عليه‌السلام - وعدوّاً لله وخاض الدماء مع معاوية خوضاً، وكان من أمراء يزيد بن معاوية حتى قتل وهو على حاله. ويروى أنّه قتله حمص في فتنة ابن الزبير، لأنّه كان والياً عليها. انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: «النعمان بن بشير».

(2) وكان أوّل ما كاتب يزيد في حرب الحسين عليه‌السلام.

(3) أو يقال: العراقين، وهي البصرة والكوفة، وذكر ابن قتيبة وغيره أن أول من جُمع له (العراقين) هو زياد بن أبيه وذلك في زمن معاوية، ثم جاء يزيد بن معاوية فجمع (العِراقين) لابن زياد فكان ثاني من يجمع له (العِراقين). انظر: المعارف لابن قتيبة: 346، 347.

ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي [1]، وقال له: إمض إلى البصرة وافع كتابي هذا إلى عبيدالله بن زياد. فأخذه اللعين وجاء به، فلمّا قرأه بن زياد «لعنه الله» صعد على المنبر خاطباً وقال: يا أهل البصرة إنّ الخليفة يزيد ولّاني الكوفة والبصرة، وقد عزمت على الرحيل إليها، وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد، فاسمعوا له وأطيعوا له، وإياكم الأراجيف، فوالله ان بلغني أن رجلاً منكم خالف أمري لاقتلنّ عزيزه ولآخذّن الأدنى بالأقصى حتى تستقيموا.

ثم خرج من البصرة يريد الكوفة ومعه جماعة منهم: المنذر بن جارود العبيدي، وشريك الأعور الحارثي، ومالك بن مشيع، ومسلم بن عمرو الباهلي، ويقال: أن هؤلاء الثلاثة تكاسلوا في الطريق وما مضى معه الى الكوفة إلّا اللعين مسلم بن عمرو الباهلي، فجاء معه حتى دخلا الكوفة.

هذا اللعين (مسلم بن عمرو الباهلي) هو الذي قابل مسلم بن عقيل عليه‌السلام

---

(1) مسلم هذا والد قتيبة بن مسلم أمير خراسان المشهور؛ باهلي، وباهلة: من قيس عيلان، وليس لهم في الشرف من ذكر، وعن أمالي الطوسي قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «فو الذي فلق الحبة وبرء النسمة ما لهم في الإسلام نصيب». يعني بهذا الكلام قبائلا منهم: باهلة.

وفي الكامل للمبرد: أنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس:

أباهلي ينجي كلبكم ... وأسدكم ككلاب العرب

إذا قيل للكلب يا باهلي ... عوى الكلب من لؤم هذا النسب

وقال الآخر:

إذا ولدت حليلة باهلي اللئام ... غلاماً زيد في عدد

انظر: أمالي الطوسي: 116 / 180 (المجلس الرابع - الحديث 34).

بكلمات حين جيء به مكتوفاً، فرأى قلّة [1] على باب القصر، فقال اسقوني ماء؟ فقال له اللعين مسلم بن عمرو الباهلي: والله لن تذوق منها قطرة واحدة حتى تذوق الحامية وتشرب من حميمها، فقال له مسلم عليهالسلام: لأُمّك الثُكل، ما أجفاك وأفضّك وأقسى قلبك: ثم قال له: من أنت؟ قال: أنا مسلم بن عمرو الباهلي، فقال له، يابن باهلة أنت أولى وأحق بالحميم من نار جهنم، ويلك أنا أرد على رسول الله وأشرب من الكوثر [2].

ثم أدخل على ابن زياد وجراحاته تشخب دماً.

ومذ به شاء الإله ما به قد حكما	للقصر أقبلوا به لهفي له يشكوا الظما [3]

(1) القلة: إناء كبير يوضع فيه الماء، ويكون من الفخار لكي يبرد الماء فيه.
(2) انظر مروج الذهب للمسعودي: 3 / 59.
(3)

(نصاري)

ضرب وجهه يويلي نغل حمران	او وصل گصر الإمارة وهو عطشان
عليه آمر يچتلونه الخوّان	او ذبّه من السطح لرض الوطيّة
صعدوا بيه وهو زاد لونين	او على صوب المدينة ايدير بالعين
صله وصاح الله وياك يحسين	او گطعوا راسه او أمسه رميّة

(بحراني)

مصيبتهم مصيبة اتصدع الجبال	من گبل المشيّب تشيب الاطفال
شفت ميت يجرّونة بالحبال	يصاحب لا تظن صارت مثلها

(تخميس)

عين جودي لمسلم بن عقيل	لرسول الحسين سبط الرسول
لشهيد بين الأعادي وحيداً	وقتيل لنصر خير قتيل

المطلب الرابع والعشرون

في كيفية دخول ابن زياد الى الكوفة

قال أبو مخنف [1]:

كان دخول بن زياد الكوفة ممّا يلي البر، وعليه ثياب بيض وعمامة سوداء متلثّماً، وانتعل نعلين يمانيتين وتختّم بيده اليمنى، وكان راكباً على بغله شهباء، وبيده قضيب من الخيزران، وكان دخوله يوم الجمعة، هذا وقد انصرف الناس من الصلاة وهو يتوقعون قدوم الحسين عليهالسلام، فلمّا رأوه ضنّوا أنه الحسين لتشبه به بلباسه فجعلوا يقولون: مرحباً بك يابن رسول الله، قدمت خير مقدم؛ وصار لا يمرّ على ملأ إلّا ويسلّم عليه بقضيبه وهم يستبشرون. فلمّا وصل إلى قصر الإمارة قال لهم مسلم بن عمرو الباهلي: تأخرّوا عن وجه الأمير، فليس هو طلبتكم؛ ثم أسفر ابن زياد عن وجهه، فلمّا رأوه وعرفوه تفرقوا عنه، فجاء وطرق باب القصر فأشرف النعمان وإذا على الباب ابن زياد، وصاح ابن زياد: ويلك افتح، لا فتحت حصنة دارك وضيعة مصرك. ثم دخل القصر، وبات مسلم بن عقيل والناس

(1) مقتل الحسين لأبي مخنف: 26، 28.

حوله، فلمّا أصبح الصباح دخل شريك بن الأعور [1] إلى الكوفة ونزل في دار هاني بن عروة المرادي فبقي عنده حتى مات.

وقال ابن زياد: فلينادي منادي الصلاة جامعة؛ فنادى المنادي واجتمع الناس في المسجد، فصعد ابن زياد على المنبر خطيباً وقال:

«أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا اعرفه بنفسي، أنا عبيدالله بن زياد، وإن الامير يزيد بن معاوية قد ولاني مصركم هذا، وأمرني بالانصاف للمظلوم، وإعطاء المحروم، والإحسان إلى محسنكم، والتجاوز عن مسيئكم، وأنا متّبع فيكم أمره، وأمرني أن أزيد في عطائكم، وأن أضع السيف في رقاب الذين يخالفوني». ثم نزل عن المنبر، وأمر مناديه أن ينادي في قبائل العرب أن اثبتوا على بيعة يزيد بن معاوية.

قال أبو محنف: فلمّا سمع أهل الكوفة جعل بعضهم يقول لبعض: مالنا الدخول بين السلاطين، ونقضوا بيعة الحسين عليه‌السلام وبايعوا يزيد بن معاوية، وخرج مسلم عليه‌السلام إلى المسجد ليصلي صلاة الظهر فلم يجد أحداً، فأذّن وأقام وجعل يصلي وحده، فلمّا فرغ من صلاته وإذا هو بغلام فقال له: يا غلام ما فعل أهل هذا المصر؟ قال: سيدي إنّهم نقضوا بيعة الحسين عليه‌السلام وبايعوا يزيد بن

---

(1) قال ابن الاثير: كان شريك بن الأعور الحارثي كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الامراء، وكان شديد التشيّع، وشهد مع أمير المؤمنين عليه‌السلام «صفين» وله حكاية مشهورة مع معاوية حين قال له: أنت شريك وليس لله شريك.

وأبوه الحارث الهمداني رحمه الله الذي كان من خواص أميرالمؤمينين عليه‌السلام، وهو الذي قال له أمير المؤمنين عليه‌السلام الكلمات التي نظمها السيد الحميري شعراً:

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا الخ

انظر: الكامل في التاريخ لابن الاثير: 4 / 26، ووقعة صفين للمنقري: 117، وتاريخ من دفن في العراق من الصحابة - للمؤلف.

معاوية، فلمّا سمع مسلم عليه‌السلام صفق بين يديه وخرج من المسجد متّجهاً إلى دار هاني ابن عروة، فلمّا أتى عليها رأى على الباب جارية فقال لها: أمة الله أدخلي على هاني وقولي له أن على الباب رجل، فأن سألك عن إسمي فقولي له مسلم بن عقيل؛ فدخلت الجارية هنيئة وخرجت، فقالت: ادخل يا سيدي، وكان هاني بن عروة يومئذٍ عليلاً، فنهض ليعتنقه فلم يقدر وجلسا يتحدّثان.

قال الراوي: ولم يعلم ابن زياد بمكان مسلم بن عقيل عليه‌السلام، وضاع عليه خبره فجعل العيون على مسلم بن عقيل عليه‌السلام، ومن جملتهم مولاه «معقل» وكان داهية دهماء، وأعطاه ثلاثة آلاف درهم وقال له: خذ الدراهم واجعل نفسك من الموالين للحسين لعلّك تأتيني بخبر مسلم بن عقيل. فأخذ معقل الدراهم وجعل يدور في الكوفة ويسأل عن مكان مسلم، حتى أرشد إلى مسلم بن عوسجة، فجاء إليه وهو يصلي في المسجد، فلمّا فرغ من صلاته قام إليه معقل واعتنقه واظهر له الإخلاص، وقال له، أنا رجل شامي وقد أنعم الله عليَّ بحب أهل البيت، وعندي ثلاثة آلاف درهم وقد أحببت أن ألقى الرجل الذي بايع على يده الناس لابن رسول الله، وقد دللت عليك وأنا اريد منك أن تأخذ هذه الدراهم إليه وتدخلني عليه، فأنا ثقة من ثقاته وعندي كتمان أمره. فقال له مسلم بن عوسجة: يا اخا العرب أعزب عن هذا الكلام، مالنا وأهل البيت، وما أصاب الذي أرشدك الي؟ فقال له معقل: إن كنت لم تطمئن فخذ عليّ العهود والمواثيق، ثم حلف له الإيمان وأقسم عليه قسماً عظيماً أني لم أخبر بسرّه أحداً، ولم ينزل به حتى اطمئن منه مسلم بن عوسجة فادخله على مسلم بن عقيل عليه‌السلام وأخبره بخبره، فوثق به مسلم عليه‌السلام وأخذ منه البيعة للحسين عليه‌السلام، ثم أن مسلم عليه‌السلام أعطى الدراهم لأبي ثُمامة

الصائدي وكان هو الذي يقبض الأموال ويشتري السلاح، وكان فارساً شجاعاً [1].

قال الراوي: وصار معقل يأخذ أسرارهم حتى استقصى أسرارهم، فخرج من عند مسلم عليهالسلام وجاء إلى ابن زياد وأخبره بمكان مسلم وبثّ إليه أسراره، فصار ابن زياد جلّ همّه أن يحتال بهاني ويقبضه وقد أخبر أنه مريض، فأرسل إليه: أريد أن أعودك؛ فقال هاني لمسلم: أن ابن زياد بلغه أنّي مريض وهو يريد أن يعودني، فخذ هذا السيف وادخل المخدع فإذا جلس أخرج إليه وأقتله، وأحذر أن يفوتك، فإن فاتك فإنه يقتلني ويقتلك، انظر إذا أنا رميت عمامتي عن رأسي؛ فقال مسلم عليهالسلام: أفعل.

قال الراوي: ولما فرغ ابن زياد من صلاة العشاء أقبل يعود هانياً، ولم يكن معه سوى حاجبه، فلمّا صار على الباب استخبر هاني فقال لمسلم: خذ السيف وأدخل الى المخدع، فقام مسلم عليهالسلام ودخل المخدع، ودخل ابن زياد على هاني وسلم عليه وجلس إلى جنبه وجعل يحادثه ويسأله عن حاله، وهاني يشكو إليه الذي يجده وهو مع ذلك يستبطي خروج مسلم، فجعل هاني يأخذ معامته من على رأسه ويضعها على الارض مراراً مسلم لا يخرج، ثم وضعها على رأسه، ولم يزل يصنع هاني هكذا ثلاث مرّات ومسلم لا يخرج، فجعلُ هاني يتمثّل بهذه الأبيات وهي

ما الإنتظار بسلمى لا تُحييّها   كأس المنية بالتعجيل اسقوها

هل شربة عذبة أسقى على ظمأ   ولو تلفت وكانت منيتي فيها

فإن أحست سليماً منك داهية   فلست تأمن يوماً من دواهيها

فلم يزل هاني يردد هذه الأبيات ومسلم لم يخرج، فقال ابن زياد: ما بال

---

(1) تاريخ الطبري: 5 / 346.

الرجل؟ يهجر؟ فقيل له؟ بلى يهجر من شدّة المرض، ويقال إنه احسّ بشيء وقام من عند هاني وخرج وأقبل إلى قصر الإمارة. فقال هاني لمسلم: مالذي منعك عن قتله؟! قال سمعت خبراً عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال: «لا إيمان لمن قتل مسلماً» فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ قال: خلصتان: إحداهما كرهت أن يقتل في دارك، والثانيه لحديث حدّثنيه الناس عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنه قال: «الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن»؛ فقال لها هاني: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً [1].

وقال بعض المؤرخين: إنّ ابن زياد جاء ليعود شريكاً حيث لمّا ورد الكوفة ونزل في دار هاني بن عروة؛ هكذا روى أبو الفرج الأصفهاني والدينوري [2].

أقول امتنع مسلم من قتل ابن الزاينة، لا والله بل القضاء والقدر حال بينهما، ولو لا القضاء والقدر لما أُدخل عليه مسلم بن عقيل عليه‌السلام مكتوفاً، فلمّا أُدخل عليه لم يسلّم، فقال له الحرس: لم لا تسلّم على الأمير؟ فقال ما هو لي بالأمير، فقال له ابن زياد: لا عليك إن سلّمت أو لم تسلّم فإنك مقتول لا محالة، فقال مسلم: إن قتلتني فقد قتل من هو شرّ منك خير منّي، فقال ابن زياد: يا شاق أتيت الناس وهم جمع فشتّتّ كلمتهم وفرّقت جماعتهم، فقال مسلم: كلا ما لهذا أتيت، ولكن أهل هذا المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالمعروف وننهي عن المنكر؛ فجعل ابن زياد يشتمه ويشتّم عقيلاً والحسن والحسين ومسلم ساكت لا يتكلم.

أقول: كان اللعين ابن زياد هذا دأبه وهذه سجيّته وهذا دينده، يشتم

---

(1) انظر تاريخ الطبري: 5 / 360 - 363.

(2) مقاتل الطالبين: 98، الأخبار الطوال: 234.

أمير المؤمنين عليهالسلام، حتى إذا جاؤا إليه بالسبايا صعد المنبر وتكلّم بكلمات الظفر وجعل يشتم أمير المؤمنين عليهالسلام والحسن والحسين عليهمالسلام.

أعلى المنابر تعلنون بسبّه ... وبسيفه نصبت لكم إعوادها [1]

---

(1)

(نصاري)

دشّت على ابن زياد زينب والخواتين ... وياهم السجاد يهمل دمعة العين

والرجس فوگ التخت يتفرج عليها ... كلها بليا استار بستر بيديها

بيده قضيب او ينكت ابمبسم وليها ... ويگول هاللي امغلل ابزنجيل من وين

گالوا علي گلهم على يقولون مذبوح ... گالوا نعم الأكبر ابوادي الطف مطروح

جدّام أبوه احسين ظل يعالج الروح ... وهذا الذي ظل من أولاد الهاشميين

اتكلم وبو محمد يجيبه وابدمع سكّاب ... گلّه بعد تگدر عليه اتردّ الجواب

وآمر يسحبونه ابقيده فوگ التراب ... وضجت الحاله بالبكا ذيك الخواتين

او زينب تنادي وين عزنا ماخذينه ... گلبي اتقطّعت هالولد لا تسحبونه

وانكان يا ظالم عزمكم تذبحونه ... گبله اذبحوني عيشتي گشري ابلا معين

وكأني بمولاتي زينب عليهاالسلام تلتفت إلى رأس الحسين عليهالسلام ولسان الحال:

(عاشوري)

إن صحت خويه يضربوني ... وإن صحت بويه يشتموني

(تخميس)

جور الزمان رماني منه بالعَجَب ... وحكمُهُ جار في السادات بالعطب

لم يبق ذا حَسبٍ منّي ولا نسب

أخي ذبيح ورحلي قد أُبيح وبي ضاق الفسيح وأطفالي بغير حمي

المطلب الخامس والعشرون

في كيفية قبض هاني بن عروة وقتله رحمه الله

كان هاني بن عروة هو وأبوه من وجوه الشيعة، يروى أنّه كان كأبيه صحابياً، وحضرا مع أمير المؤمنين عليه‌السلام حروبه الثلاث، وهو القائل يوم الجمل شعراً:

بالك حرباً حثّها جمالها يقودها لنقصها ضلالها

هذا علي حوله إقبالها [1]

وروى المسعودي في مروج الذهب: أنه كان شيخ مراد وزعيمها، وكان يركب في أربع آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا تلاها أحلافها من كندة ركب في ثلاثين ألف دارع [2].

وكان معمراً، ذكر بعضهم أنّ عمره كان ثلاث وثمانين سنة، وقيل: بضع وتسعين سنة، وكان يتوكأ على عصى بها زجّ، وهي التي ضربه ابن زياد بها.

وروى أبو مخنف: أنّ ابن زياد لمّا أخبره معقل بخبر هاني أرسل إليه محمد ابن الأشعث وأسماء بن خارجة وقال لهما: إءتياني به آمناً، فقالا، وهل أحدث

---

(1) انظر تاريخ من دفن في العراق من الصحابة: 466.
(2) مروج الذهب: 3 / 59.

حدثاً؟! قال: لا، فأتوه إليه جماعة، وقالوا له: ما الذي يمنعك من لقاء الأمير فإنّه قد ذكرك وقال: لو أعلم أنّه مريض لعدته ولكن بلغني أنّه يجلس في باب داره، وأنت تعلم إن الإستبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، فإنّا نقسم عليك إلّا ما ركبت معنا.

قال: فدعى هاني بثيابه فلبسها، ثم دعى ببغلته فركبها، وجاء معهم حتى إذا دنا من القصر كأن نفسه أحسّت ببعض الذي كان فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة: يابن أخي إني والله لخائف من هذا الرجل، فقال له: اي عم والله ما أتخوّف عليك شيئاً ولِمَ تجعل على نفسك سبيلاً وأنت بريء [1]؛ فأدخل هاني على ابن زياد فلمّا رآه عبيدالله بن زياد جعل يقول:

أتتك بخائن رجلاه تسعى — يقود النفس منها للهوان

وكان قد عرس عبيدالله بن زياد إذ ذاك بأم نافع ابنة عمارة بن عقبة المرادي، فلمّا دنا من ابن زياد وعنذه شريح القاضي إلتفت إليه وقال:

أريد حياته ويريد قتلي — عذيرك من خليلك من مراد [2]

فقال هاني: وما ذاك يا أمير؟ قال: ايه هاني ما هذا الأمور التي تربص في دارك، جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أنّ ذلك يخفي عليَّ؟ قال: يا أمير ما فعلت ذاك وليس عندي مسلم. قال: بل عندك؛ ولمّا كثر الكلام بينهم دعى ابن زياد معقلاً، فجاء اللعين والتفت ابن زياد إلى هاني وقال له، أتعرف هذا؟ قال: نعم؛ ثم أسقط ما في

---

(1) يقال إن حسان بن أسماء بن خارجة كان لا يعلم في أي شيء بعثه ابن زياد، وكان محمّد ابن الاشعث من جملة من كان معه.

(2) وهذا البيت لعمرو بن معدي كرب الزبيدي.

يده، وعلم أنّ هذا كان عيناً له، ثم أنّ نفسه راجعته وقال له: أسمع منّي وصدّق مقالتي فوالله لا أكذب، والله الذي لا إله غيره فإنّي آويت مسلماً وقد كان أمره الذي بلغك فإن شئت أعطيتك رهينة في يدك حتى أنطلق وآمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الارض فأخرج من ذمامه وجواره، فقال: لا والله لا تفارقني حتى تأتيني به؛ قال: والله لا آتيك به.

فقام مسلم بن عمرو الباهلي وقال: يا أمير دعني أكلّمه؛ ثم أخذه واعتزل به بحيث إذا تكلّموا تارة يسمعهم ابن زياد وتارة لا يسمعهم، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي - ولم يكن شامي ولا بصري غيره - قال: سلّم له مسلماً فإنّي أخشى عليك من القتل - فقال هاني: والله لا أسلمه حتى أقتل؛ فسمع ابن زياد (لعنه الله) كلامه فصاح بمسلم بن عمرو: ادنه منّي، فأدناه منه فقال له ابن زياد: لتأتيني به أو لأضربنّ عنقك؟ فقال هاني: إذاً تكثر البارقة حول دارك. فقال: وا لهفتاه أبالبارقة تخوّفنيي - يظنّ أن عشيرته سيمنعونه - فقال ابن زياد: ادنوه منّي، فأخذ يدنوا إليه فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب وجهه وكسر أنفه وسال دماه على ثيابه حتى كسر القضيب، فضرب هاني يده على قائم سيف شرطي فجاذبه الشرطي ومنعه، قال ابن زياد (لعنه الله): خذوه واحبسوه في حجرة من هذه الحجر وأغلقوا عليه بابها: فأُخذ هاني وحبس.

فسمعت مذحج وسمعت عمرو بن الحجاج أن هانياً قد قبض، لأن روعة أخت عمرو ابن الحجاج تحت هاني بن عروة [1] فأقبلوا حتى أحاطوا بالقصر، ونادى عمرو بن الحجاج: أنا عمرو وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة، فقيل لعبيدالله بن زياد: هذه مذحج بالباب! فقال لشريح

(1) وهي أم يحيى بن هاني الذي قتل بالطف مع اصحاب الحسين في الحملة الأُولى.

القاضي: أدخل عليه صاحبهم وانظر إليه ثم اخرج إليهم وأعلمهم بأنّ صاحبهم حي لم يقتل؛ فقام شريح ودخل على هاني في الحبس وتكلّم معه، فقال هاني: والله لو دخل عليَّ من مذحج عشرة لأنقذوني من هذا اللعين. ثم خرج شريح من عنده وأقبل حتى أشرف على مذحج وقال لهم: إن الأمير لما بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه فأتيته فنظرت إليه وخرجت لأخبركم أنه صحيح سالم، والذي بلغكم من موته كان باطلاً. فعند ذلك انصرفوا وهم يقولون فأمّا إذا لم يقتل فالحمدلله [1].

وبقي هاني في السجن حتى إذا قبض على مسلم وقتل أمر ابن زياد بإخراج هاني إلى السوق الذي تباع فيه الأغنام، فأخرج مكتوفا فجعل ينادي: وا مذحجاه ولا مذحج لي اليوم.. وامذحجاه وأين عني مذحج...

فلمّا رأي أن لا ينصره أحد اجتذب يده من الكتاف فنزعها ثم قال: أما من عصا أو سكّيناً أو حجرا أو عظماً يذب به الرجل عن نفسه! فتواثبوا عليه وشدّوه وثاقاً فقيل له: امدد عنقك! قال: ما أنا بها مجدٍ سخيّ، وما أنا بمعينكم على نفسي! فضربه مولى لعبيدالله بن زياد (تركي) يقال له الرشيد [2] بالسيف فلم يصنع شيئاً، فقال هاني: إلى الله المعاد اللّهمّ إلى رحمتك ورضوانك [3].

ثم حزّوا رأسه وجاؤا بجثّته وجثّة مسلم بن عقيل وربطوا برجليهما الحبال، وجعلوا يسحبونهما في الاسواق، وفي ذلك يقول عبيدالله بن الزبير الاسدي من

---

(1) مقتل أبي مخنف: 39 - 40.

(2) قال ابن الأثير في الكامل: لمّا كان يوم خازر نظر عبدالرحمن بن الحصين المرادي إلى رشيد التركي وقال قتلني الله إن لم أقتله أو أقتل دونه ثم حمل عليه بالرماح فقتله ورجع إلى موقفه. انظر الكامل لابن الاثير: 5 / 379.

(3) مقتل أبي مخنف: 56 - 57.

بني أسد - وكان يتشيّع ويقال أنّها للفرزدق - شعراً [1]:

إن كُنتَ لا تَدرينَ مالموتَ فانظري | إلى هانىء بالسوق وابن عَقيلِ
إلى بطل قد هَشَّمَ السّيفُ وَجهَهُ | وآخرَ يهوي من طِمارٍ جَديلٍ
أصابَهُما فَرَخ البغي فأصبَحا | أحاديثَ من يسري بكلِّ سبيلِ
ترى جسداً قَد غَيّرَ الموتُ لونَهُ | وَنَضَجَ دمٍ قَد سأل أيُّ مَسِيلِ
فتىً كان أحيا من فتاة حَييةٍ | وأقطعَ مِن ذي شَفَرتين صَقيلِ
أيركبُ أسماءُ [2] المهاليجِ آمناً | وقد طَلَبتهُ مِذحجٌ بذُحُول
وتُطيفُ حواليهِ مُرادٌ وكُلّهُم | على رقبة من سائل ومسول
فَإن أنتُم لَم تثأروا بِأخيكُم | فَكونوا بَغَايا أرضيت بِقليلِ

وكان قتل مسلم وهاني يوم التروية، قال: وأمر ابن زياد (لعنه الله) بجثّة هاني ومسلم فصلبتا بالكناسة، وبعث برأسيهما إلى يزيد بن الزبير بن الأروح التميمي وهاني بن أبي حيّة الوداعي [4].

أقول: وكان رأس مسلم أول رأس حمل من بين هاشم، وأول جثّة منهم صلبت وبعدها رأس الحسين عليه‌السلام ورؤوس أخوته وأولاده وبنو عمومته وأصحابه، فلئن حمل رأس مسلم من الكوفة إلى الشام فقد حمل رأس الحسين عليه‌السلام على قتاة من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام، بمرءى من

---

(1) نسبها في رياض المصائب: 268، إلى الفرزدق، انظر في ذلك ايضاً: الكامل في التاريخ (لابن الأثير): 4 / 15، الملهوف في قتلى الطفوف: 123، والأخبار الطوال للدينوري: 242، والإرشاد للشيخ المفيد: 2 / 64، ومثير الأحزان لابن نما: 37.
(2) هو أسماء بن خارجة الفزاري أحد الثلاثة الذين ذهبوا بهانىء بن عروة الى ابن زياد.
(3) مقتل أبي مخنف: 57 - 58.
(4) مقتل أبي مخنف: 59.

عيون أخواته وبناته، وهو يتلوا القرآن تارة ويدعوا على حامله أُخرى، وربما وعظ القوم. وقال زيد ابن أرقم: كنت في روشن لي فمرّوا عليَّ برأس الحسين بن علي عليه‌السلام وهو على رأس رمح طويل فسمعته يتلو: (أَمْ حَسِبْتَ أَنّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً) [1] قال زيد: فضربت رأسي بالروشن وقلت: يابن رسول الله رأسك أعجب وأعجب [2].

يتلوا الكتاب على السنان وإنّما رفعوا به فوق السنان كتابا

ألم تعه يتلوا الكتاب ونوره يشق ظلام الليل والليل مسدف

يا رأس مفترس الضياغم في الوغى كيف انثنيت فريسة الأوغاد [3]

(1) سورة الكهف 18: 9.
(2) الإرشاد للمفيد: 2 / 117.
(3) وزينب عليهاالسلام كأني بلسان حالها:

(دكسن)

ما تدري يخوية اشلون حالي على راس الرمح راسك اگبالي

كلمن شاف ذل حالي بچالي عدوانك عليَّ غدو يبچون

(ابوذية)

راسك على الرمح يمشي ويتلي الكتاب ونار محنتكم ويتلي

ابگلبي جارت الدنيا ويتلي المصايب من وصلت الغاضرية

زجر يحسين من بعدك محنا ابسفر واعداك ما بيهم محنا

على راس الرمح اشبيك محنا ابدماه او بس يدير العين ليّه

(تخميس)

لك نور بجبهة الحسن لا لا بمحيّا كساه ربّي جمالا

ضاء في الدهر حقبة ثم زالا

يا هلالاً لم استتمّ كمالا غاله خسفه فأبدى غروبا

المطلب السادس والعشرون

في غدر أهل الكوفة بمسلم عليه‌السلام وهاني

روى الشيخ المفيد رحمه الله عن عبدالله بن خازم، قال: أنا والله أول رسول لابن عقيل أمضي إلى القصر وأنظر ما فعل بهاني، فمضيت حتى إذا ضرب وحبس، ركبت فرسي وكنت أول أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة من مراد مجتمعات ينادين: يا عبرتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم وأخبرته بخبر هاني فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله، وكانوا أربعة آلاف رجل، فناديت: يا منصور أمت، فتنادى أهل الكوفة واجتمعوا إليه فعقد لعبدالله بن عزيز الكندي راية على ربع كندة، ويروى أنه عقد لحبيب بن مظاهر راية وبعثه إلى ركن من أركان الكوفة، وعقد راية لمسلم بن عوسجة، وعقد راية إلى المختار بن أبي عبيدة الثقفي، وعقد راية إلى عابس بن شبيب الشاكري [1].

وخرج عليه‌السلام ومعه ما ينوف على الألفين فجاءوا واحاطوا بالقصر، فخاف ابن زياد واضطرب وضاق عليه أمره فأخذ يفكّر ولا يدري ما يصنع، فاستشار محمد بن الأشعث وشبث بن ربعي فأشارا عليه أن يخرج لهم من القصر ثلاثين رجلاً شاكّين بالسلاح ويتفرّقون مع اصحاب مسلم بن عقيل ويتكلّم بعضهم مع

---

(1) الارشاد للمفيد: 2 / 51 - 52، ومقتل الحسين عليه‌السلام لابي مخنف: 41 - 42.

بعض على أنّ الأمير قد بعث جيشاً جرّاراً إلى الكوفة لقتال مسلم بن عقيل بحيث يسمع أصحاب مسلم فإذا سمعوا ذلك فإنّهم يتفرّقون عن مسلم ويتخاذلون فيما بينهم. قال: وقام إليه أنس بن مالك، وقال: يا أمير الآن معك في قصرك ما ينوف على ثلاثمائة رجل فاخرج إليهم وقاتلهم؛ فالتفت إليه ابن زياد وقال له: اعرض عن هذا الكلام، والتفت إلى شبث بن ربعي وقال له: القول ما قلت أنت، فدعى ابن زياد ثلاثين رجلاً من اصحابه وقال لهم: إنزلوا جميعاً والحقوا بأصحاب مسلم بن عقيل؛ فنزلوا واختلطوا مع أصحاب مسلم، وجعلوا يسبّون ابن زياد ويزيد، وجعلم يكلم بعضهم بعضاً بأن الأمير يزيد بن معاوية قد بعث جيشاً جرّاراً لقتال مسلم بن عقيل، وصاح شبث بن ربعي من أعلي القصر: أيها الناس... إلحقوا بأهاليكم ولا تعجّلوا الشرّ ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت من الشام، فإن صمّمتم على حربنا ولم تنصرفوا من عشيّتكم هذا فيحرم ذريّتكم العطاء ويفرّق مقاتلتكم؛ وتكلّمت الأشراف بنحو من ذلك فلما سمعوا أصحاب مسلم جعلوا يتشتتون ويتفرّقون عنه.

قال أبو مخنف: حدّثني مجالد بن سعيد، قال: إن المرأة كانت تأتي ولدها وأخاها فتقول له: انصرف فالناس يكفونك، ويأتي الرجل إلى إبنه وأخيه ويقول له: انصرف غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر!! حتى يذهب به، فما زالوا يتخاذلون ويتفرقون حتى أمسى مسلم ولم يبقي معه إلا ثلاثون رجلاً، فدخل المسجد وصلى المغرب والعشاء وهم معه، ثم خرج من باب كندة فنظر وأذا عشرة، ثم صار في بعض الأزقة فنظر إلى ورائه فلم يجد أحداً منهم من يدّله على الطريق، فمضى على وجهه يتلدد في أزقة الكوفة ولا يدري إلى أين يذهب؟! حتى خرج إلى دور بني جبلة من كندة فمشى حتى انتهى إلى باب الدار وعليها أمرأة يقال لها «طوعة» ام ولد، وكانت تحت الاشعث بن قيس، ثم تزوّجها أسيد

الحضرمي فولدت له بلالاً، ومات أسيد عنها، فاستسقاها ماء فسقته، ثم وقف، فقالت له: ألم تشرب الماء؟! قال: بلى، فقالت له: إذاً فما وقفك على باب داري؟ فقال لها: ألا تجيريني ولعلي مكافئك به بعد اليوم، فقالت له: من أنت؟ قال أنا مسلم بن عقيل غدر بي أهل مصركم هذا، فقالت له: أنت مسلم رسول الحسين عليه‌السلام؟! قال: نعم، فقالت له: ادخل على الرحب والسعة. فدخل دارها وجعلته في بيت لها، ولمّا إن جاء إبنها بلال إلى الدار رأى أمه تكثر الدخول والخروج إلى تلك الحجرة، فسألها فلم تجيبه حتى ألح عليها، استحلفته أن لا يخبر أحداً بأمره، فعاهدها وأقسم لها أن لا يخبر أحداً، فقالت: هذا مسلم بن عقيل.

ويروى: إنه لما كان وقت الفجر جاءت طوعة إلى مسلم بالماء ليتوضأ، فقالت له: يا مولاي ما رأيتك رقدت هذه الليلة!! فقال: اعلمي أني رقدت رقدة ورأيت في منامي عمّي أمير المؤمنين وهو يقول: الوحا الوحا العجل العجل العجل ولا أظن إلّا وهذا اليوم هو آخر أيامي من الدنيا.

وأمّا ابنها بلال فإنّه بات ليلته ينتظر الصباح، حتى إذا أصبح خرج من الدار وأقبل إلى قصر الإمارة، فرأى ابن زياد جالساً وعنده الأشراف من أهل الكوفة وهو في حديث مسلم، فجاء وجلس إلى جانب محمد بن الأشعث وأخبره بخبر مسلم فقال ابن زياد: ما أسرك هذا الغلام؟ فأخبره بمقالته وأن امه أجارت مسلم بن عقيل في بيتها، فقال ابن زياد: طوّقوه بطوق من ذهب، فطوقوه من حينه بطوق من ذهب والتفت ابن زياد إلى محمد ابن الاشعث وقال له: قم فأتني به الساعة؛ فخرج محمد بن الأشعث في سبعين رجل حتى إذا وصلوا الدار خرج إليهم مسلم وهو يقول:

هُوَ الموتُ فاصنع وَيكَ ما أنتَ صانعُ ... فأنتَ لِكأسِ الموتِ لا شكَّ جارع

فصبراً لأمر الله جلّ جلاله ... فحكم قضاء الله في الخلق ذايع

قال الراوي: وجعل يضرب بسيفه فصاح محمد بن الأشعث يا مسلم لك الأمان لا تقتل نفسك فجعل يقول:

أقسمتُ لا أُقتلُ إلّا حُرّا — وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكراً

كُلُّ امرءٍ يوماً ملاقٍ شَرّا — أخاف أن اكذب أو أُغَرّا

ردّ شعاع الشّمس فاستقرّا — وتَخلِطُ الباردَ سُخناً مُرّا

فقال له محمد بن الأشعث: يا مسلم لا تكذب ولا تقر أنت آمن، فقال له مسلم: لا أمان لكم أهل الكوفة!! فجعل يقاتلهم حتى قتل منهم جماعة، فأرسل محمد بن الأشعث لابن زياد أن مدّني بالخيل والرجال، فبعث إليه جند كثير فجعل مسلم يقاتلهم حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، فأرسل محمد بن الأشعث أن مدّني بالخيل والرجال، فبعث إليه ابن زياد: إنّما بعثتك على رجل واحد من بني هاشم فكيف لو بعثتك إلى من هو أشجع منه؟! يعني الحسين عليه‌السلام فأرسل إليه [ابن الأشعث]: [أيّها الأمير أتظن أنك] بعثتني على بقال من بقاقيل الكوفة أم إلى جرمقان [1] من جرامقة الحيلة؟! هذا مسلم بن عقيل عمّه على ابن أبي طالب، فمدّه ثلاثاً بالخيل والرجال ومسلم يقاتلهم حتى اثخن بالجراح، وكثرت عليه الحجارة والخشب والرماد من فوق الدور، وجعلوا يضرمون النار بأطناب [2] القصب ويرمونه عليه، فلمّا شاهدوا منه هذه البسالة وهذه الشجاعة قد دمّر فيهم عزموا أن يأخذوه غيلة، فحفروا له حفيرة وأسقفوها بجريد النخل والليف ووضعوا عليها التراب، ثم لمّا حمل عليهم انكسروا بين يديه، فأقبل يعدو خلفهم حتى سقط في الحفيرة، فلمّا سقط فيها اغمى عليه فجاء إليه بكر بن حمران

---

(1) الجرمقان: هو رقاع الأخذية.
(2) اطناب: جمع طنب والطنب الحزمة من الحطب.

الأحمري وبيده سيفه فضربه على شفته العليا فقطعها، ومضى السيف إلى السفلى، ثم ازدحموا عليه فقبضوه وقد ضعف حاله وأوثقوه كتافاً فأراد أن يمشي معهم فما استطع المشي، فجاؤو اليه ببغلة وأركبوه عليها واجتذبوا سيفه من يده، فجرت دموعه على خدّيه فكأنّه أيس من نفسه.

فقال عمرو السلمي: أن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل هذا لا يبكي فقال: والله ما لنفسي بكيت ولا لها من القتل أرثى، وإن كنت لا أحب لها التلف طرفة عين ولكني أبكي لأهلي المقبلين، ابكي لحسين وآل الحسين.

بكتك دماً يابن عمّ الحسين	محاجر شيعتك السافحة
ولا برحت هاطلات العيون	تحييك غادية رائحة [1]

---

(1)

(نصاري)

يمسلم وين ذاك اليوم عمّك	يجيك ايعاينك غارگ ابدمّك
يمسلم محّد من النّاس يمك	وحيد ابهالبلد مالك تچيّة
يمسلم وين ذاك اليوم عباس	يجيك ابشيمته ومفرّع الراس
يشوفك يوم صابك نغل الأرجاس	وهويت من الگصر لرضّ الوطيّة

(ابوذية)

عاد اليستجيره ايكون ينجار	وعن چتله حليف الشرف ينجار
مثل مسلم صدق بالحبل ينجار	وتتفرّس ابچتله علوج أميّه

* * *

ما شدّ لحييه من عمرو العلى أحدٌ	كلّا ولا ندبته الأهل من أمم
نائي العشيرة منبوذٌ بمصرعه	مترّب الجسم من قرنٍ إلى قدم

المطلب السابع والعشرون

في شهادة مسلم بن عقيل عليه‌السلام

لما جيء بسلم بن عقيل إلى قصر الأمارة مكتوفاُ التفت إلى محمد بن الأشعث وقال له: أتستطيع أن تبعث رجلاً عن لساني يبلغ حسيناً، فإنّي لا أراه إلّا وقد خرج إليكم اليوم، أو هو خارج غداً وأهل بيته معه وإن ما ترى من جزعي لذلك، فيقول الرسول: «إنّ مسلماً بعثني إليك وهو في قبضة القوم أسير لا يرى أن يمسي حتى يقتل وهو يقول ارجع بأهل بيتك ولا يغرّك أهل الكوفة فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، فإنّ أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لمكذوب رأي». فقال محمد ابن الأشعث: افعل. إلّا أنّه ما فعل.

قال الراوي: وأقبلوا بمسلم بن عقيل إلى باب القصر وقد كضّه العطش لأنّه لم يشرب الماء يومين، فرأى قلة فيها ماء قال: اسقوني ماء، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: والله لن تذوق الماء حتى ترد الحميم من نار جهنم، فالتفت إليه مسلم وقال له: من أنت يا هذا؟! قال: أنا مسلم بن عمرو الباهلي الذي أطاع لأميره إذ عصيته، فقال: أنت يا يابن باهلة أولى بالحميم من نار جهنم، أنا أرد على رسول الله وعلى علي وعلى فاطمة وعلى الحسن فيسقوني من ماء الكوثر.

ثم أدخل على ابن زياد ولم يسلم بالإمرة على ابن زياد، فقال له الحرس: لم

لا تسلم على الأمير، فقال ابن زياد: دعه إن سلم أو لم يسلم فإنّه مقتول لا محالة، ثم التفت إليه وقال له: يا عاق يا شاق أتيت الناس وهم جمع فَشتَّتّ كلمتهم وفرقت جماعتهم، فقال مسلم: كلّا ما لهذا أتيت ولكن أهل هذا المصر زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دمائهم، فأتيناهم لنأمر بالعدل وننهى عن الفحشاء والمنكر؛ فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق كنت تشرب الخمر في المدينة. فقال مسلم: الفاسق من ولغ في دماء المسلمين ولغا؛ ثم قال له: لأقتلنّك شرّ قتلة، فقال: إن قتلتني فلقد قتل شرّ منك خيراً منّي.

قال الراوي: ثم أقبل عليه يشتمه ويشتم علياً وعقيلاً، ومسلم ساكت لا يتكلم ثم قال: يابن زياد إن كنت عازم على قتلي دعني أوصي بعض قومي، قال: افعل، فنظر مسلم إلى جلسائه فإذا فيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقال: يا عمر إن بيني وبينك لقرابة [1] ولي إليك حاجة وهي وصية؛ فأبى ابن سعد، فقال له عبيدالله: قم وانظر لحاجة بن عمّك، فقام معه وجلس بحيث ينظر إليه ابن زياد، فقال: أوصي، قال: وصيّتي «فأنا أشهد أن لا أله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وأن علياً ولي الله ووصيّه وخليفته في أُمته، يابن سعد وإن عليّ دين بالكوفة استدنته منذ دخلت الكوفة، وهي سبعمائة درهم بع لامتي واقضها عنّي، استوهب جثّتي من ابن زياد فوارها، ثمّ ابعث إلى الحسين من يرّده، فإني كتبت إليه أعلمه أنّ الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً).

فقال عمرو بن سعد لابن زياد: يا أمير أتدري ما قال لي؟! قال كذا وكذا فقال ابن زياد: ما خانك الأمين ولكن ائتمنت الخائن، ثم قال: أمّا درعه فبعها واقض بها

---

(1) كان ابن أبي وقاص بن وهيب والد آمنة وإنّ أُم عمر بن سعد وام علي بن الحسين عليهالسلام الأكبر أُمّهاتهنّ أخوات فمن هنا ادّعاه مسلم بالقربة.

دينه، وأمّا جثّته إذا قتلناه لا نعبأ بجثته، وأمّا الحسين فإنّه إن لم يردنا لم نرده، ثمّ صاح من الذي ضربه على وجهه؟ فقيل له: هو بكر بن حمران الأحمري قال: هو يتولّى قتله، فأمر بإحضاره فاحضر فقال له: اصعد به إلى أعلى القصر واضرب عنقه وارمه من أعلى القصر إلى الأرض واتبع رأسه جسده؛ فصعد به بكر بن حمران ومسلم يسبّح الله ويقدّسه ويكبّره ويستغفره وهو يقول: احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذّبونا وذلّونا.

قال مسلم: يا بكر دعني اصلّي لربّي ركعتين، فقال: صلّ، فصلّي مسلم حتى إذا فرغ من الصلاة وجّه وجهه نحو مكّة وقال: «السلام عليك يا أبا عبدالله، السلام عليك يا بن رسول الله» فصيح به: يا بكر عجّل عليه، فشهر بكر سيفه وضرب عنق مسلم ورمى برأسه من أعلى القصر الى الأرض وأتبع جسده، وأراد أهل الكوفة في ذلك اليوم إرضاء ابن مرجانة بفعلهم فجاؤا لمسلم ولهاني ورضعوا الحبال برجليهما وجعلوا يسحبونهما في بالأسواق [1].

بكتك دماً يابن عمّ الحسين	محاجر شيعتك السافحه
ولا برحت هاطلات العيون	تحييك غادية رائحه
لأنّك لم تروَ من شربة	ثناياك فيها غدت طائحه
رموك من القصر إذا أوثقوك	فهل سلمت فيك من جارحه

(1) ولمّا قتل ابن زياد مسلماً وهانياً صلب جثتيهما ثلاثة أيام وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية مع هاني بن أبي حية الوادعي والزبير بن الأروح التميمي، وكان قتلهما في يوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية في ذلك اليوم كان خرج الحسين من مكة المشرفة.

ويروى أنّه لمّا قتلا مسلم وهاني أمر ابن زياد باخراج جماعة من الحبس وقتلهم فقتلوا ويروى أنّه كان قبض مسلم على غير هذا وانهم أعطوه الأمان؛ راجع ابصار العين للسماوي: 48.

وسحباً تجرّ بأسواقهم ألست أميرهم البارحه

أتقضي ولم تبكك الباكيات أما لك في المصر من نائحه

لئن تقض نحباً فكم زرود عليك العشية من صائحه [1]

(1) الابيات للمرحوم السيد باقر الهندي رحمه الله انتهى. ابصار العين للسماوي: 48.

وذلك لمّا وصل خبر الستشهاد مسلم عليه‌السلام للحسين عليه‌السلام وكان في زرود، كأني به استرجع قائلاً إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ثم إنّه عليه‌السلام عمد إلى خيمة النساء ونادى الحوراء زينب عليهاالسلام قائلاً ائتني بحميدة، فلمّا أقبلت إليه وضعها في حجره وأخذ يمسح على رأسها:

(نصاري)

أخذ بت مسلم من الخيم بيده يمسح على راسها ابحسره شديده

وبالشر حسّت الطفله حميده گالتله يعمّي وسالت العين

يعمّي لاحت ابوجهك علامه على راسي امسحت گلّي علامه

السجيه هاي بس ويّه اليتامه أظن عودي گضه ويتّمني البين

(دكسن)

غده يمسح دمعها ومحنّي ضلعه ابوچ آنه يگلها ويهل دمعه

يعمّي النوح دلالي يصدعه وبطلي البچه وهوّدي لا تونّين

(تخميس)

مسح الحسين برأسها فاستشعرت باليتم وهي علامة تكفيها

لم يبكها عدم الوثوق بعمّها كلّا ولا الوجد المبرّح فيها

لكنّها تبكي مخافة أنّها تمسي يتيمة عمّها وأبيها

المطلب الثامن والعشرون

في استعلام الحسين عليه‌السلام بقتل مسلم عليه‌السلام

روى الصدوق في أماليه، باسناده عن ابن جبير، عن ابن عباس، قال: قال علي عليه‌السلام يوماً لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: يا رسول الله إنّك لتحبّ عقيلاً؟ فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «اي والله إنّي لأحبّه حبّاً لأبي طالب عليه‌السلام، إنّ ولده مقتول في محبّة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلّي عليه الملائكة المقرّبون» ثم بكى حتى جرت دموعه على خدّيه، ثم قال: إلى الله اشكوا ما تلقى عترتي من بعدي [1].

ولعظم قدره بكاه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، كيف لا يكون كذلك وهو رائد الحسين وسفيره عليهما‌السلام والذي يدّلنا على جلالة قدره وعظيم شأنه كتاب الحسين عليه‌السلام الذي كتبه إلى الكوفة: «أمّا بعد... فقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، مسلم بن عقيل رأيه رأيي، أمره أمري، فأطيعوا له...». ورحم الله الأعرجي حيث أنشد:

أيا ابن عقيل ومن قد سمى — فخاراً إلى الكوكب الثاقب

لسرّ سليل النبي اصطفاك — له دون آل أبي طالب

هنيئاً فرفعة قدر المنوب — تدلّ على رفعة النائب

(1) أمالي الصدوق.

ولعظم قدره ومنزلته عند الحسين عليه‌السلام وحبّه له فقد بكاه في مواطن عديدة وذلك لمّا استعلم بقتله، فالموطن الأول هو:

ما قد رواه أبو مخنف عن عبدالله بن سليمان والمنذر ابن المشعل الأسديان، قالا: لمّا قضينا حجّنا لم تكن لنا همّة إلا اللحاق بالحسين في الطريق للنظر ما يكون من أمره وشأنه، فأقبلنا ترقل بنا ناقتنا مسرعين حتى لحقناه بزرود، فلما دنونا منه وإذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين، قالا: فوقف الحسين وكأنّه يريده ثمّ تركه ومضى. فقال أحدنا لصاحبه امض بنا إليه لنسأله عن خبر الكوفة، قال: فانتهينا إليه وسلّمنا عليه، وانتسبنا له وانتسب لنا، فإذا هو بكير بن المثعبة الأسدي، فاستخبرناه عن الكوفة فقال: ما خرجت من الكوفة حتى رأيت مسلماً وهانياً قتيلين يجرّان من أرجلهما في الأسواق، قالا: ثم ودّعنا وسار فلحقنا بالحسين فسلّمنا عليه وسايرناه حتى نزل الثعلبيه ممسياً، فدخنا عليه وقلنا له: يا ابن رسول الله، إنّا عندنا خبراً إن شئت أخبرناك به سرّاً وإن شئت علانية؟ قال: فنظر إلى أصحابه وقال: مادون هؤلاء سرّ، فقلنا: رإيت الراكب الذي استقبلك عشية أمس؟ قال: نعم وقد أردت مسألته، فقلنا وقد استبرئنا لك خبره وكفيناك مسئلته، وهو امرء منّا ذوي رأي وصدق وفضل وعقل وقد حدّثنا يابن رسول الله قال: لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني، فاسترجع وقال: رحمه‌الله عليهما وكررهما مراراً، فقلنا: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت فإنّه ليس لك في الكوفة ناصر بل نتخوّف أن يكونوا عليك؛ فالتفت إلى بني عقيل وقال: ما ترون يا بني عقيل: فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثارنا أو نذوق ما ذاق مسلم، ثم التفت إلينا وقال: قبّح الله العيش بعد هؤلاء. فعلمنا أنه عزم على المسير فقلنا له: خار الله لك، قال: يرحمكم الله.

والموطن الثاني: وذلك لمّا ورد الحسين عليه‌السلام زبالة أخرج كتاباً لأصحابه فقرأه عليهم، وفيه: «أمّا بعد... فقد أتانا خبر فضيع بأنّه قتل مسلم بن عقيل وهاني ابن عروة وعبدالله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحبّ منكم الإنصراف فالينصرف فليس عليه منّا ذمام». قال: فتفرّق الناس عنه يميناً وشمالاً إلّا صفوته.

وروي في خبر آخر، إنّه لقيه رجل من شيعة أبيه في زبالة فسلّم عليه، فردّ السلام عليه عليه‌السلام فقال له: يابن رسول الله كيف تركن لأهل الكوفة وهم الذين قتلوا بن عمّك مسلم بن عقيل؟! قال: فاستعبر الحسين عليه‌السلام باكياً، وقال: رحم الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله وريحانه وتحيته ورضوانه، ألا إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا، ثم أنشأ يقول:

فإن تكن الدّنيا تعدّ نفيسة ... فإنّ ثواب الله أعلى وأنبل

وإن تكن الأبدان للموت أنشأت ... فقتل امرء بالسيف في الله أفضل

وإن تكن الأرزاق قسماً مقدّراً ... فقلّة حرص المرء في الرّزق أجمل

وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

ثم قال: «اللّهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك، إنك على كلّ شيء قدير».

والموطن الثالث: يروى أيضاً عن زهير بن القين البجلي قال: بينا نحن جلوس في زرود إذ طلع علينا رجل من جهة الكوفة، وبيده لواء أسود فركزّ اللواء بباب خيمتي، ثم دخل وقال: السلام عليك يا أبا عبدالله الحسين، فقلت له: من تريد؟ قال: الحسين بن علي بن إبي طالب. فقال له الناس: وما تريد منه؟ قال: أريد أن أعلمه بقتل ابن عمّه مسلم بن عقيل، قال: فأشاروا له على خيمة الحسين. قال: فقام الرجل وأقبل الى الخيام فرأى حول الخيام أطفالاً يلعبون، فقال للأطفال: من يدلّني على خيمة الحسين؟ فقامت إليه بنت صغيرة وقالت: يا هذا

وما تريد منه؟ قال: أريد أن أعلمه بقتل ابن عمّه مسلم بن عقيل، فصاحت البنت: واأبتاه وامسلماه... ثم وقعت مغماً عليها، أقبل إليه الحسين وأقبلت بنو هاشم وقالوا للرجل: ما صنعت بها؟ قال: والله ما قلت له شيء إلّا أنّي قلت له إرشديني على خيمة الحسين، فقالت: وما تريد منه؟ فقلت لها: أريد أن اعلمه بقتل ابن عمّه مسلم بن عقيل، فقالوا: يا هذا إنّها إبنة مسلم.

قال الراوي: وأخذها الحسين إلى الخيمة فأجلسها في حجره فجعل يمسح على رأسها وناصيتها فقالت له: عم استشهد والدي مسلم؟ فقال لها: بنية أنا أبوك وبناتي إخوتك:

مسح الحسين برأسها فاستشعرت ... باليتم وهي علامة تكفيها

لم يبكها بعدم الوثوق بعمّها ... كلا ولا الوجد المبّرح فيها

لكنّها تبكي مخافة أنها ... تمسي يتيمة عمّها وأبيها

أقول: ولا تسمّى هذه الطفلة يتيمة وإن كان اليتم للأب لكن بوجود عمّها الحسين لا تعد يتيمة، لأنّ الحسين عليه‌السلام ما نزل إلّا ودعاها وأجلسها في حجره يلاطفها ويسلّيها، فهي عزيزة مكرّمة بوجود عمّها الحسين عليه‌السلام، وعمومتها من بني عقيل وبني هاشم واخوتها، بل اليتيمة سكينة لأنّها بعد قتل أبيها الحسين عليه‌السلام لم تجد أحداً يسلّيها، بل كان يقرعها شمر برمحه ويضربها زجر بسوطه وهي القائلة «كلّما دمعت من أحدنا عين أو بكت منّا طفلة قرعوا راسها بالرمح».

يقنّعها بالسوط شمر وإن شكت ... يؤنّبها زجر ويوسعها زجراً

تسوّد من ضرب السّياط متونها ... ووجوهها بلظى الهواجر تصطلي

فإن يبكي اليتيم أباه شجواً ... مسحن سياطهم رأس اليتيم [1]

---

(1) نعم سكينة بنت الحسين عليه‌السلام كانت تضرب بكعب الرمح إذا دمعت لها عين.

المطلب التاسع والعشرون

في مقتل أولاد مسلم بن عقيل

ذكر الصدوق رحمه الله في أماليه:

«إنّه لمّا قتل الحسين عليهالسلام وهجم القوم على رحله، فرّت العيالات والأطفال كالطيور الهاربة من النار، فمن جملة من هرب من الاطفال طفلي مسلم بن عقيل، ولمّا ألقي القبض عليهما جيء بهما إلى الكوفة وادخلا على ابن زياد فأمر بهما أن يزجا في السجن، حتى إذا مرت عليهما سنة كاملة وهما في السجن، وقد ضاقت صدورهما، فقال الصغير ذات يوم لأخيه الكبير: أخي.. يوشك أن تفنى أعمارنا

(نصاري)

يسلّنها السياط ولوّعنها ... ومن ضرب السياط اسود متنها

يتيمه اتيتّمت من زغر سنها ... يسيره او يالعده او ركبت هزلها

(ابوذيّة)

سرى حادي الظعن بالحرم وحده ... ولا بالي بس على السجّاد وحده

يسارى وبس تهل الدمع وحده ... يضربوها وتون ونّه خفيّه

(تخميس)

كم دعاك اليتيم في قفر واد ... لم تُجبُه وكنتَ غوثَ المنادي

ما أذلَّ اليتيم حين ينادي ... بأبيه لا يراه مُجيبا

يا أخي ندبه أذاب فؤادي

في هذا السجن، فلم لا نخبر السجّان بخبرنا ونعرفه أنفسنا لقربنا من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم؟ ولمّا أن جاء إليهما السجّان بقوتهما قام إليه الصغير وقال له: يا هذا أتعرف محمد المصطفى نبي هذه الأمّة؟ قال: وكيف لا أعرف النبي!! فقال له: أو تعرف ابن عمّه علي بن أبي طالب عليه‌السلام؟ قال: وكيف لا أعرفه وهو إمامي!! فقال له: يا شيخ أو تعرف مسلم بن عقيل؟ قال: نعم، فقال له: يا هذا فنحن أولاده فمالك ومالنا لا ترحمنا لصغر سنّنا؟! فلمّا سمع السّجان بكى وانكبّ عليهما ويقبلهما، وهو يقول: نفسي لكما الفداء، والله ما كان لي علم بأنكما أبني مسلم وإنّ أمير المؤمنين عمّكما، سيّدي هذا باب السجن مفتوح فخذا أي طريق شئتما وسيرا في الليل واكمنا في النهار.

قال الراوي: فأطلقهما من السجن وخرجا وهما لا يدريان إلى أين يتوجّهان، فجعلا يسيران في شوارع الكوفة حتى إذا كان وقت طلوع الفجر ودخلا في بستان هناك فكمنا، فمرّت عليهم جارية فسألتهما عن حالهما، فأقسما عليها أن لا تخبر أحداً بخبرهما، وعلما منها انّها موالية لعمهما، فقصا لها خبرهما فقالت لهما: سيّدي إمضيا معي فإن مولاتي موالية لعمّكما ومحبّة لكما. فجاءا معها حتى إذا وصلا سبقتهما الجارية على مولاتها وأخبرتها فلّما سمعت قامت لاستقبالهما وقالت لهما: ادخلا البيت على الرحب والسعة ورفّهت عليهما.

هذا وقد استخبر ابن زياد بخروجهما من السجن فأمر مناديه أن ينادي: من جائني بولدي مسلم له عند الأمير الجائزة العظمى. فصار أجلاف أهل الكوفة يفتّشون عليهما ويطلبونهما، ومن جملتهم زوج تلك المرأه التي جارتهما، قال: فلمّا جنّ الليل أقبل زوجها وقد أتعب نفسه في طلبهما رجاء الجائزة، فقالت له زوجته: أين كنت اليوم وأرى عليك آثار التعب؟! فحكى لها بما نادى منادي ابن زياد وقد أتعب نفسه في طلب الطفلين، فلمّا سمعت الحرّة قالت له: مالك وذريّة

عبد المطلب أما تخشى أن يكون محمّداً غداً خصمك؟ فقال لها: دعيني من هذا؛ فبينما هي تكلّمه ويكلّمها إذ سمع همهمة من داخل الحجرة فقال لها: أي شيء أسمعه هل عندنا أحد؟! فأعرضت وتلجلجت فقام اللعين وأخذ الضياء ودخل الحجرة وإذا بالطفلين قائمين يصليان حتى إذا فرغا قال لهما: من أنتما؟ فقالا: أولاد مسلم بن عقيل أجارتنا هذه الحرّه، فقال اللعين: أتعبت نفسي وفرسي في طلبكما وأنتما في داري!!

ثم رفع يده ولطم الكبير على وجهه وجاء لهما بالحبال واوثقهما كتافاً فقالا له: مالك تفعل بنا هذا الفعل وامرأتك أضافتنا؟ أما تخاف الله فينا، أما تراعي يتمنا وقربنا من رسول الله؟ فلم يعبأ اللعين بكلامهما ولا رقّ لهما فتركهما في الحجرة يبكيان حتى الصباح.

ثم أخرجهما من داره وتبعته امرأته وولده وعبده، هذا وامرأته تتوسّل به وتمانعه وتذكّره الله، حتى جاء بهما إلى جانب الفرات ليقتلهما فالتفت إلى عبده وقال له: خذ السيف واضرب عنقيهما وأثنى برأسيهما، فأخذهما العبد وأراد قتلهما فقالا له: يا هذا ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول الله... يا هذا لا تقتلنا فإنّك إن قتلتنا يخاصمك رسول الله يوم القيامة. فقال لهما: من أنتما؟! فقالا: نحن أولاد مسلم بن عقيل.

قال: فانكب العبد عليهما يقبّلهما ورمى السيف من يده وألقى نفسه في الفرات وعبر إلى جانب الآخر، فصاح به مولاه: عصيتني؟! فقال له: عصيتك لمّا عصيت الله، فقال اللعين: والله لا يتولّى قتلهما أحد غيري. فأخذ السيف وأتى إليهما فلمّا هم بقتليهما جاء إليه ابنه وقال له: أبه ارحمهما لقربهما من رسول الله ولصغر سنّهما، فلم يعبأ به فلمّا رأيا صنعه تباكيا ووقع كل منهما على الآخر يودعه ويعتنقه، والتفتا إليه وقالا له، يا هذا لا تدعنا نطالبك بدمنا أمام رسول الله يوم

القيامة خذنا حيّين إلى ابن زياد يصنع بنا ما يشاء، فقال: ليس إلي ذلك من سبيل، فقالا: يا هذا بعنا في السوق وانتفع بأثماننا ولا تقتلنا، فقال: لابد من قتلكما. فقالا له: أما ترحم يتمنا وصغر سنّنا، وإن كنت عزمت على قتلنا فدعنا نصلّي لربّنا ركعتين. قال: صلّيا ما شئتما إن نفعتكم الصلاة، فلمّا فرغا من الصلاة شهر سيفه وقدّم الكبير ليضرب عنقه فقال له الصغير: أقتلني قبل أخي، فقال الكبير: إنّي لا أحبّ أن أرى أخي قتيلاً، فشهر سيفه وضرب الكبير فقتله فوقع عليه الصغير يتمرّغ بدم أخيه وهو ينادي: واأخاه ثم اجتذبه وضرب الصغير فقتله، وقطع رأسيهما وحملهما في مخلاة له ورمى بأبدانهما في الفرات، وسار برأسيهما إلى ابن زياد، فلمّا مثّل بين يديه ووضع المخلاة فقال له ابن زياد: ما معك؟ فأخرج إليه الرأسين فكشف عن وجهيما وإذا هما كالقمرين فقال له: لم قتلتهما؟ قال: طمعاً بالجائزة، فقال أين ظفرت بهما؟ قال: في داري وإن زوجتي أجارتهما، فقال له ابن زياد، ما عرفت لهما حق الضيافة وقتلتهما، ولو جئتني بهما أحياء لضاعفت لك الجائزة، ثم قال: ويلك ما قالا لك حين أردت قتلهما؟ قال: قالا: لي ارحم يتمنا ولا تقتلنا فيكون خصمك محمّداً يوم القيامة وامضي بنا إلى ابن زياد حيّين، وإن شئت فبعنا في السوق وانتفع بثمننا. فقلت لهما: لابدّ من قتلكما، فنظر ابن زياد إلى جلسائة وقال: ما أفضه وأجفاه.

قال الراوي: فامر ابن زياد بقتله فقتل عليه لعائن الله وأمر الرأسين أن يدفنا في المكان الذي قتلا به، وليت اللعين فعل هذا الفعل ودفن رأس الحسين ورؤوس أهل بيته مع الجثث، بل سير على أطراف الرماح من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام وفي مقدمة الرؤوس رأس إمامنا الحسين عليه‌السلام كأنه البدر ليلة تمامه:

رأس ابن بنت محمّد ووصيّه   للناظرين على قناة يرفع

والمسلمون بمشهد وبمسمع لا منكر منهم ولا متفجّع

يتلو الكتاب وما سمعت بواعظ تخذ القنا بدلاً عن الأعواد

أحامل ذاك الرأس قل لي برأس من تمايل هذا السمهري الثقف [1]

---

(1) وزينب عليه‌السلام كأني بلسان حالها تخاطب رأس الحسين عليه‌السلام وهو على الرمح:

(نصاري)

لحگتك على ريحة الخوّه أشوفك عفتني ابگاع شلوه

بديرة غرب ما هي امروّه تدري الشمر بيّه اشسوّه

سوطه على امتوني تلوّه

(بحراني)

ناداها من فوگ الرمح الله يرعاچ صبري يختي وسلّمي أمرچ المولاچ

راسى على راس الرمح هالرايح اوياچ ويّاچ يبره العايله ويرعى اليطيحون

يختي استعدّي للهظم والهظم جدّام ولابد يودّوك يساره الطاغي الشام

ولابد تسمعون المسبّه ابمجلس العام ولابد تشوفون المذلّه الوان وافنون

(تخميس)

خفراتِ الرسولِ في الأسر تَجلى أرملاتٌ في السبي جاوبن ثكلى

فترفّق بها فما هي إلّا ناظرٌ دامع وقلبٌ مروعٌ

من لها والحماة بالطف قتلى

المطلب الثلاثون

في شهادة رسول الحسين عليه‌السلام قيس رحمه الله

قال شيخنا المفيد: لمّا بلغ ابن زياد قدوم الحسين من مكة المشرفة يريد الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطته حتى نزل القادسية [1]، ونظم الخيل والرجال ما بين القادسية إلى خفان [2]، وما بين خفان إلى القطقطانية [3]، وقال للناس: هذا الحسين يريد العراق.

(1) قال أبو عمر وقيل سمّيت القادسية بقادس هراة وقال المدايني كانت القادسية تسمى قدّيساً، وروى أبو عيينة قال: مر ابراهيم الخليل بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً فغلست رأسه فقال قدّست من أرض فسمّيت القادسية وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد ابن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب في سنة ستة عشر من الهجرة وقاتل المسلمون يومئذ وسعد في القصر ينظر إليهم فنسب إلى الجبن فقال رجل من المسلمين:

ألم تر أن الله نصره — وسعد بباب القادسية معصم

فأبنا وقد أمت نساء كثيرة — ونسوة سعد ليس ليهنّ آيم

(2) خفان بالخاء المعجمة والفاء المشدودة والألف والنون موضع فوق الكوفة قرب القادسية.

(3) قال أبو عبدالله السكوني القطقطانيه بينها وبين الرهيمة مغرباً نيف وعشرون ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشام ومنه إلى قصر مقاتل وقال ياقوت في المعجم ورواه الأزهري بالفتح موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف كان به سجن النعمان بن منذر وقال السكوني وقصر مقاتل قريباً منها وهو منسوب إلى مقاتل بن حسان ولم يذكر قصر بني مقاتل وأما عين التمر فهي الآن تعرف بشفاثا.

وروى المفيد رحمه الله قال: لمّا بلغ الحسين الحاجر [1] من بطن الرمة [2]، بعث قيس بن مصهر الصيداوي [3]، وقيل: بعث أخاه من الرضاعة عبدالله بن يقطر [4] وكتب معه كتاباً يقول فيه:

«من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى إخوته المؤمنين،

سلام عليكم

أمّا بعد.. فإن كتاب مسلم بن عقيل قد جائني يخبر فيه بحسن رأيكم، واجماع ملّتكم على نصرنا، والطلب بحقّنا، فسئلت الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيامي هذه والسلام»

ويروى أنّه كتب كتاباً غير هذا إلى أشراف أهل الكوفة ممن كان يظن أنه على رأيه، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي بن أبي طالب...

---

(1) بحاء مهملة وجيم وراء مهملة اسم مكان.

(2) الرمة بضم الراء المهملة وتشديد الميم وقد تختلف قاع عظيم بنجد.

(3) أحد بني الصيداء وهي قبيلة من بني أسد وإيّاهم عنى الشاعر:

يا بني الصيداء ردّوا فرسي ... إنّما يفعل هذا بالذليل

وقال علماء السير: كان قيس رجلاً شريفاً شجاعاً مخلصاً في محبة أهل البيت عليهم‌السلام.

(4) روى عزالدين الجزري في أسد الغابة والعسقلاني في الإصابة كان عبدالله بن يقطر صحابياً لأنّه لدة الحسين واللدة الذي ولد مع الإنسان في زمان واحد لأنّ يقطر كان خادماً عند رسول الله وكانت زوجته ميمونة في بيت أمير المؤمنين عليه‌السلام فولدت عبدالله قبل ولادة الحسين بثلاثة أيام وكانت حاضنة للحسين عليه‌السلام.

إلى سليمان بن صرد الخزاعي والمسيّب بن نجيبة ورفاعة بن شدّاد وعبدالله بن وائل وجماعة المؤمنين...

«أمّا بعد... فقد علمتم أنّ رسول الله قد قال في حياته: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لمحارم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغير بقول ولا فعل كان حقيقياً على الله أن يدخله مدخله» وقد علمتم أنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتوانوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالغيّ، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإنّي أحق بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليَّ رسلكم ببيعتكم، أنّكم لا تسلّموني ولا تخذلوني، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظّكم ورشدكم، ونفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهليكم وأولادكم، فلكم بي أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهودكم وخالفتم بيعتكم فلعمري ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم وأخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فعلى نفسه، وسيغنينى الله عنكم».

ثم طوى الكتاب ودفعه لقيس بن مسهر الصيداوي، فسار قيس بكتاب الحسين عليه‌السلام حتى إذا بلغ القادسية قبض عليه الحصين بن نمير ليفتّشه، فأخرج قيس الكتاب حرقه، فحمله الحصين إلى ابن زياد بالكوفة، فلمّا مثل بين يديه قال له: من أنت؟ قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين. قال: لماذا أحرقت الكتاب؟ قال: لئلا تعلم بما فيه؛ قال: ممّن الكتاب وإلى من؟ قال: من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى جماعة لا أعرف أسمائهم.

قال: فغضب ابن زياد وقال: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء القوم، أو تصعد المنبر فتسب الحسين وأباه وأخاه، وإلا قطعتك بالسيف إرباً إرباً.

فقال قيس: أمّا القوم فلا أُخبرك بأسمائهم، وأمّا السب فأفعل - وحاشاه - قال: إذاً فاصعد المنبر.

[فصعد المنبر]، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلّى عليه، وأكثر من الترحّم على علي وولده، ثم لعن ابن زياد وأباه وأخاه، وعتات بني امية عن آخرهم، ثم قال: «أيّها الناس.. أنا رسول الحسين إليكم، وقد خلّفته بموضع كذا وكذا، فأجيبونني» فغضب ابن زياد وأمر أن يصعد به إلى أعلى القصر، وأن يوثّقوه كتافاً ويرموه من أعلى القصر إلى الأرض حيّاً فصعدوا به إلى أعلى القصر ورموه إلى الأرض فتكسرت عظامه، فوقع وبه رمق الحياة فأقبل إليه رجل من أهل الكوفة يسمّى عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه بمديه وعيب عليه بعد ذلك، فقال: أردت أن أريحه.

ولمّا بلغ خبره الحسين عليه‌السلام فاستعبر باكياً، هذا وقد سمع بقتله ولم يسمع بأنه يجرّ من رجليه في الأسواق، إذاً ما حاله عليه‌السلام حين سمع بخبر مسلم بن عقيل وقد رموه من أعلى القصر إلى الأرض ووضعوا الحبال في رجلي مسلم وهاني وسحبوهما في الأسواق:

ولو كان في الكوفة غير مسلم ومسلم ما قطّعوه إربا [1]

---

(1)

اويلي اعلى ابو طاهر اويلاه	يوم الذي خانت رعاياه
واصبح غريب ابولية اعداه	ومن اخوته ما واحد اوياه
او يجر صارمه ويمنع اليدناه	شالته الغيره أو يومه ساواه
يشبه العمّه حامي احماه	من ضعف والطاغي تلقّاه
وبمرهفه وگع ثناياه	أوجتفوا يساره فوگ يمناه
وظل يلتفت ويدير عيناه	أو لحسين ذيگ السا تمنّاه

المطلب الواحد والثلاثون

في كتب الحسين عليه‌السلام إلى البصرة

قال السيد في اللهوف:

كتب الحسين عليه‌السلام إلى أهل البصرة اثنى عشر كتاباً وحين أراد الخرج من مكة المشرفة مع مولى له يقال له: سليمان، ويكنّى: أبا رزين [1]، يدعوهم إلى نصرته واللزوم تحت طاعته، منها: كتاب إلى يزيد بن مسعود النهشلي، ومنها: كتاب المنذر بن الجارود العبدي، ومنها: إلى الأحنف بن قيس، ومنها إلى مالك بن

يويلي أو لابن زياد من جاه	فرحان متشمّت لگاه
او من فوگ عالي القصر ودّاه	وانوخذ ما واحد ترجّاه
آه ولرجس يوم التولّاه	گص راسه والجسمه رماه
او للگاع صار النفل مهواه	او بحبال سحبوه عالي الجاه

* * *

قتلوه ثم رموه من أعل البنا	وعلى الثرى سحبوه وهو قتيلُ
ربطوا برجليه الحبال ومثّلوا	فيه فليت أصابني التمثيلُ

(1) أقول: سليمان المكني بأبي رزين، مولى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام، أرسله بكتبه إلى رؤساء الأخماس بالبصرة حين كان بمكة، وأُمّه كبشة كانت جارية للحسين اشتراها بألف درهم، وكانت تخدم في البيت ام اسحاق بنت طلحة بن عبدالله التميمية زوجة الحسين، ثم تزوج الجارية أبو رزين فولدت منه سليمان فهو مولى للحسين عليه‌السلام.

مسمع البصري، ومنها: إلى قيس بن الهيشم... وغيرهم من الرؤساء والأشراف [1].

فأمّا الأحنف بن قيس فإنّه كتب إلى الحسين عليه‌السلام يصبرّه ويرجّيه، والباقون كتموا أسرارهم إلّا المنذر بن الجارود العبدي فإنّه خاف أن يكون دسيسة من عبيدالله بن زياد، فإنه جاء بالكتاب والرسول إلى ابن زياد وكانت بنت المنذر بحرية زوجة عبيدالله بن زياد. فأخذ عبيد الله ابن زياد الرسول فصلبه ثم صعد المنبر فخطب وتوعّد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الأرجاف.

وأما يزيد بن مسعود النهشلي فإنّه جمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلمّا حضروا عنده قام فيهم خطيباً وقال: يا بني تميم كيف ترون موضعي منكم وحسبي فيكم؟ فقالوا: بخ بخ أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً وتقدمت فرطاً. فقال: إني جمعتكم لأمر أريد أن اُشاوركم فيه واستعين بكم عليه. فقالوا: أما والله نمنحك النصيحة ونحمد لك الرأي، فقل نسمع ونطع. فقال: إنّ معاوية قد هلك فاهون به هالكاً ومفقوداً إلّا إنّه قد انكسر باب الجور وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة ظن إنّه قد أحكمها، فهيهات الذي أراده اجتهد، ففشل وشاور فخذل، وقام من بعده نغلة يزيد شارب الخمور ورأس الفجور، يدعي للخلافة على المسلمين مع قلة علمه وقصر فهمه، لا يعرف من الحق موطىء قدمه، واقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين

______

(1) وهذا ما كتبه إليهم:

بسم الله بالرحمن الرحيم

من الحسين بن علي بن أبي طالب

«أمّا بعد... فإنّ السنة قد اميتت، والبدعة قد اُحييت، فإن أجبتم دعوتي أهديكم إلى سبيل الرشاد والسلام».

وكان عليه‌السلام إذا أراد أن يكتب كتاباً مثل هذا يوجز لأن «خير الكلام ما قلّ ودلّ».

افضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي ذي الشرف الأصيل والرأي الأثيل له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وقدمه، يحنو على الكبير ويعطف على الصغير، فأكرم به من راعي رعيه وإمام حق وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، وقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم مع بن بنت رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم، وها أنا قد لبست للحرب لامتها، وادرعت لها بدرعها، فمن لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلمت بنو حنظلة وقالوا: يا أبا خالد نحن نبل كنانتك وفرسان عشريتك، إن غزوت بها فتحت، لا تخوض غمرة إلا خضناها، ولا تلقى شدّة إلا لقيناها، ننصرك بأسيافنا ونقيك بأبداننا، فانهض لما شئت.

وتكلمت بنو تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو ابنك وحلفاؤك لا ترضى إن غضبت والأمر إليك إذا شئت.

وتكلمت بنو سعد فقالوا: يا أبا خالد إن أبغض الأشياء علينا خلافك والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمره وبقى عزنا فينا، فأمهلنا حتى نراجع المشورة ونأتيك بالجواب.

فقال: والله يا بني سعد لإن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم ولا زال سيفكم فيكم أبداً.

ثم كتب إلى الحسين عليهالسلام كتاباً يقول فيه: أمّا بعد.. فقد وصل إليّ كتابك وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وإن لم يخل الأرض من عامل عليها بخبر وأنتم حجج الله على خلقه وأمناؤه على عباده، تفرّعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وأنتم فرعها، فاقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذللت لك أعناق بني تميم وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الإبل الظما لورود الماء في يوم خمسها، وذللت لك أعناق بني سعد،

وغسلت درن صدرهم بماء سحابة مزن حين استهل برفقها فلمع.

قال: ثم سرح الكتاب إلى الحسين عليه‌السلام فورد على الحسين وهو إذ ذاك بكربلاء وحيداً فريداً وقد قتلت أصحابه وإخوته، فلمّا فض الكتاب وقرأه جعل يقول: مالك يابن مسعود آمنك الله يوم الخوف الأكبر.

قال الراوي: وتجهزّ يزيد بن مسعود، وخرج من البصرة بأثنى عشر ألف رجل، فلما صار في بعض الطريق بلغه خبر قتل الحسين عليه‌السلام فشهق شهقة ومات.

هذا ولم ير ما صنع بإمامه، فيعزّ على ابن مسعود لو رأى سيده الحسين وقد احاطت به أعداؤه هذا يضربه بسيفه وهذا يطعنه برمحه وهذا يرميه بالحجارة.

ولقد غشوت فضارب ومفوّق	سهماً إليه وطاعن متقصّد [1]

---

(1) نعم هذا يزيد بن مسعود بلغه خبر قتل الحسين عليه‌السلام فشهق شهقته ومات ساعد الله قلب الحوراء زينب عليهاالسلام حين نظرت إلى أخيها وفيه ألف وتسعمائة جراحة كأنها بها:

(نصاري)

يحسين خوية اشيوجعك گول	او من يا جرح يا خوي معلول
لو ناشدونة الناس شنگول	يالچنت سور او سيف مسلول
دون الحرم يا ربع المحول	وسافه اعلى حگك تمسي مگتول
مرمي اوعليك اتدوس الخيول	او من فوگ صدرك گامت اتجول
تمنّيت ألك من هاشم اشبول	يشوفون جسمك على الرمول
وراسك براس الرمح مشيول	ويشوفنّه اشمتّه العد تنول

(ابوذية)

الگلب شاجر على ابن امي وداوي	تضعضع وانهدم سوري وداوي
لا مجروح حتى اگعد وداوي	ولا غايب وأگول ايعود ليه

(تخميس)

قد كنت فينا في الشدائد معقلاً ولبيتنا السامي سراجاً مُشعلا

واليوم مالك لم تُجبنا ثكّلا

ألمحنة شغلتك عنّا أم قلى حاشاك إنك ما برحت ودودا

المطلب الثاني والثلاثون

في من حظي بالشهادة من أهل البصرة

لمّا كاتب الحسين بن علي عليهالسلام أشراف أهل البصرة ورؤسائهم يدعوهم إلى نصرته؛ واللزوم تحت طاعته، أجابه من أجابه كيزيد بن مسعود النهشي، ومعه اثنا عشر ألف، لكنّهم فاتتهم نصرة الحسين عليهالسلام إذ إنّهم خرجوا من البصرة متّجهين إلى الحسين عليهالسلام فوافاهم خبر قتله في بعض الطريق، فرجعوا خائبين من نصرته.

وأما الذين سعدوا ورزقوا الشهادة فهم ستة كما ذكرهم أهل المقاتل، أولهم: عبدالله الفقعسي، وكان شيخاً كبيراً طاعناً في السن، وولده أربعة والسادس هو سعيد بن مرة التميمي، أمّا سبب خروج هذا الشيخ وولده [1] على ما يروى أنّه كان إمرأة من أهل البصرة تسمى مارية بنت منقذ العبدي، وكانت تتشيّع، وهي من ذوي البيوت والشرف، وقد قتل زوجها وأولادها يوم الجمل مع أمير المؤمنين عليهالسلام، وقد بلغها أنّ الحسين عليهالسلام كاتب أشراف أهل البصرة ودعاهم إلى نصرته، وكان عندها ناد يجتمع فيه الناس فجائت وجلست بباب مجلسها وجعلت تبكي، حتى علا صراخها فقام الناس في وجهها وقالوا لها: ما عندك ومن

---

(1) اي: عبدالله الفقعسي.

أغضبك؟ قالت: ويلكم، ما أغضبني أحد، ولكن أنا إمرأة ما أصنع، ويلكم سمعت أنّ الحسين بن بنت نبيّكم استنصركم وأنتم لا تنصروه، فأخذوا يعتذرون منها لعدم السلاح والراحلة، فقالت: أهذا الذي يمنعكم؟ قالوا: بلى؛ فالتفتت إلى جاريتها وقالت لها: أنطلقي إلى الحجرة وآتيني بالكيس الفلاني، فإنطلقت الجارية وأقبلت بالكيس إلى مولاتها، فاخذت مولاتها الكيس وصبّته وإذا هو دنانير ودراهم، وقالت: فاليأخذ كل رجل منكم ما يحتاجه وينطلق إلى نصرة سيدي ومولاي الحسين.

قال الراوي: فقام عبدالله الفقعسي وهو يبكي - وكان عنده أحد عشر ولداً - فقاموا في وجهه وقالوا: إلى أن تريد؟ قال: إلى نصرة ابن بنت رسول الله. ثم التفت إلى من حضر وقال: ويلكم هذه إمرأة أخذتها الحمية وأنتم جلوس؟ ما عذركم عند جدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يوم القيامة.

قال: ثم خرج من عندها وتبعه من ولده أربعة فأقبلوا يجدون السير، حتى استخبروا بأن الحسين عليه‌السلام ورد كربلاء، فجاء الشيخ بأولاده إلى كربلاء ورزقوا الشهادة.

وأما السادس: فهو سعيد بن مرّة التميمي، وكان سعيداً شاباً له من العمر تسعة عشر سنة، فإنّه لما سمع بأن الحسين عليه‌السلام يستنصر أشراف أهل البصرة في كتبه أقبل إلى اُمّه في صبيحة عرسه وصاح: امّاه علي بلامة حربي وفرسي.. قالت: وما تصنع بها؟! قال: اُماه قد ضاق صدري واريد ان أمضي خار البساتين، فقالت له: ولدي إنطلق إلى زوجتك ولاطفها، فقال: يا اُمّاه لا يسعني ذلك... فبينما هم كذلك إذ إقبلت إليه زوجته وقالت له: إلى أين تريد يا ابن العم؟ فقال لها: أنا ماضي إلى من هو خير منّي ومنك. فقالت له: ومن هو خير منك ومنّي؟! فقال لها: سيّدي ومولاي الحسين بن علي عليه‌السلام. فلمّا سمعت أُمّه بكت وقالت له: ولدي

جزاك الله عن الحسين خيراً، ولكن يا ولدي أما حملتك في بطني تسعة أشهر؟ قال: بلى، قالت: أما سهرت الليالي في تربيتك؟ قال: بلى، وأنا لست بمنكر لحقّك عليَّ. قالت: إذاً عندي وصية، قال: وما هي يا أمّاه؟ فقالت له: ولدي إذا أدركت سيد شباب أهل الجنّة إقرأه عنّي السلام وقل له فليشفع لي يوم القيامة. فقال لها: يا أماه وأنا أوصيك بوصيّة، قالت: ماهي؟ قال: إذا رأيت شاباً لم يتهنّا بشبابه وعرّيساً لم يهنأ بعرسه اذكري عرسي وشبابي.

قال الراوي: ثم ودّعها وخرج من البصرة، وأقبل يجدّ السير في الليل والنهار واستخبر ببعض الطريق أنّ الحسين قد نزل كربلاء، وجعل يجدّ السير حتى وافى الحسين يوم العاشر من المحرم وحيداً فريداً، فلما رآه الحسين قال: سعيد هذا؟! قال: نعم سيدي، قال: يا سعيد ما قالت لك أُمّك؟ فقال: سيّدي تقرؤك السلام؛ فقال الحسين عليه‌السلام: عليك وعليهاالسلام، يا سعيد إنّ أُمك وأُمي في الجنّة. ثم قال سعيد: سيّدي أتأذن لي أن اسلم على بنات الرسالة؟ قال: نعم؛ فأقبل سعيد حتى وقف بإزاء الخيام ونادى: السلام عليكم يا آل بيت رسول الله. فصاحت جاريه زينب: وعليك السلام، فمن أنت؟ قال: سيدتي أنا خادمكم سعيد بن مرّة التميمي، جئت إلى نصرة سيدي ومولاي الحسين. فقالت: يا سعيد أما تسمع الحسين عليه‌السلام ينادي هل من ناصر؟ هل من معين؟ قال: ثم سلّم عليهنّ ورجع إلى الحسين ووقف يستأذنه للبراز، فأذن له الحسين عليه‌السلام، فحمل على القوم وجعل يقاتل حتى قتل جمعاً كثيراً، فعطفوا عليه أعداء الله فقتلوه، ولمّا قتل سعيد مشى لمصرعه الحسين فجلس عنده، وأخذ رأسه ووضعه في حجره، وجعل يمسح الدم والتراب عن وجهه، وهو يقول: أنت سعيد كما سمّتك أمك، سعيد في الدنيا وسعيد في الآخرة.

وكان عليه‌السلام كلّما قتل منه قتيل يقف عند مصرعه ويؤبنّه إما بآية من القرآن، أو بكلمة تناسبه.

ولما صرع الغلام التركي مشى لمصرعه الحسين عليه‌السلام ووضع خدّه على خّده، وكان الغلام مغمى عليه فلمّا أفاق رأي الحسين عليه‌السلام واضعاً خدّه على خدّه فقال: من مثلي وابن رسول الله واضعاً خدّه على خدّي.

نصروا ابن بنت نبيهم طوبى لهم نالوا بنصرته مراتب سامية [1]

---

(1)

(بحراني)

عاف العرس وگبل سعيد اوحيدته ليك اينادي ابلسانه والگلب يحسين لبيك

ودِّع سعيد اُمّه وتعنّه الغاضرية ليل او نهار ايسير في صبح او عشيّه

امن ابعيد شاف احسين مفرد بين اميّه اينادوه المن تنتظر يحسين يأتيك

لن هالشباب ايصيح الك روحي فديّه عبدك سعيد اگبل رحت يحسين رجليك

اووّدع احسين او صال بمجموع العساكر او خلّه الايادي اوية الجماجم بس تناثر

ادّع العيله وطاح بالميدان عافر او ناده يبو سكنة سعيد ايسلّم عليك

راح السبط مسرع او جابه يم الخيام او مدد سعيد ابصف علي الاكبر او جسّام

او ناح او بچه او ناده الفواطم ويّه الايتام نوحوا وگولوا يا شباب الله يهنّيك

هذا تره معرّس شباب وما تهنّه اُمّه وبت عمّه ابصباحه فارگتّة

دارن عليه رمله وليله يندبنّه اوزينب تنادي اشلون من دمّك نحنّيك

(تخميس)

كيف السلو ونار الحزن تشتعل تلهّبا ودموع العين تنهمل

سحاً على جيرة في كربلا نزلوا

بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا وخلّفوا في سويد القلب نيرانا

المطلب الثالث والثلاثون

في ترجمة زهير بن القين البجلي رحمه الله

ذكر صاحب إبصار العين، قال: كان زهير بن القين البجلي رجلاً شريفاً، شجاعاً له في المغازي مواقف مشهورة وكان أولاً عثمانياً، حجّ سنة ستين من الهجرة بأهله ثم عاد من الحج فوافق الحسين عليهالسلام في الطريق.

حدّث جماعة من فزارة وبجليه، قالوا: كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين عليهالسلام، فلم يكن شئ أبغض علينا من أن ننازله في منزل، فإذا نزل الحسين تقدم زهير، وإذا سار الحسين تخلف زهير، فلم نزل هكذا حتى صرنا في منزل لم نجد بدّاً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين جانبا ونزل زهير إلى جانب آخر، فبينما نحن جلوس نتغذى إذا برسول الحسين قد أقبل علينا حتى دخل الخيمة، فسلم عينا فرددنا عليهالسلام ثم قال: يا زهير إنّ الحسين يدعوك. قال: فطرح كل انسان ما كان في يده، حتى كأن على رؤوسنا الطير.

قال ابو مخنف، حدّثتني دلهم بنت عمرو زوجه زهير، قالت: فقلت له يا سبحان الله أيبعث إليك الحسين ثم لا تجيبه؟! فأجبه واسمع منه كلامه ثم انصرف. قال: ثم مضى إليه زهير، فما لبث إن جاء مستبشراً وأمر بفسطاطه وثقله فقوّض وحمل الى الحسين عليهالسلام. ثم قال: أنت طالق، إلحقي بإهلك فإني لا

أحب أن يصيبك بسببي إلّا خيراً؛ ثم التفت إلى اصحابه وقال: من أحبّ منكم إن يتّبعني وإلّا فهذا آخر العهد؛ ثم التفت إليهم ثانياً وقال: إني اُحدّثكم بحديث:

غزونا بلنجر [1]، فتح الله عينا، وأصبنا غنائم كثيرة، فقال لنا سلمان بن ربيعة الباهلي: أفرحتم بما فتح الله على ايديكم وأصبتم من الغنائم؟ قلنا: نعم، قال: إذا أدركتم سيد شباب أهل الجنة، فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه، فأمّا أنا فأستودعكم الله [2].

ثم صار الى الحسين عليه‌السلام، وكان معه سلمان بن مضارب بن قيس - ابن عم

---

(1) في القاموس: بلنجر كغضنفر - بفتحين وسكون النون وجيم مفتوحة وراء - هي مدينة ببلاد الخزر خلف باب الابواب، فتحت في زمان عثمان في سنة اثنين وثلاثين على يد عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي، كما ذكره أصحاب السير، وقال البلاذري: فتحها سليمان بن ربيعه الباهلي، وتجاوزها، ولقيه خاقان في جيشه خلف بلنجر، فاستشهد هو وأصحابه، وكانوا أربعة آلاف، وكان في أول الامر قد خافهم الترك وقالوا: إنّ هؤلاك ملائكة لا يعمل فيهم السلاح، فاتفق أنّ تركيا اختفي في غيضة ورشق مسلماً بسهم فقتله، فنادا في قومه انّ هؤلاء يموتون كما تموتون فلِمَ تخافوهم، فاجترؤا عليهم ووقعوهم حتى استشهد عبد الرحمن بن ربيعة، وأخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة ولم يزل يقاتل حتى امكنه دفن أخيه بنواحي بلنجر، ورجع ببقية المسلمين على طريق جيلان، فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة، فقال عبدالرحمن بن جمانة الباهلي:

وإن لنا قبرين قبر بلنجر — وقبر بأرض الصين يا لك من قبر

فهذا الذي الصين عمّت فتوحه — وهذا الذي يسقى به سبل القطر

يريد أن الترك لمّا قتلوا عبد الرحمن بن ربيعة وأصحابه كانوا ينظرون في كل ليلة نوراً على مصارعهم، فأخذوا سلمان بن ربيعة وجعلوه في تابوت فيهم يستسقون به إذا اقطعوا، وإذا الذي بالصين فهو قتيبة ابن مسلم الباهلي. (أقول) فقول زهير قال لنا سلمان أي سلمان بن ربيعة الباهلي لأنّ سلمان الفارسي توفي في زمن الخليفة الثاني وبلنجر فتحت في زمن عثمان ولم يشهد سلمان الفارسي وقعة بلنجر.

(2) ابصار العين: 95.

زهير بن القين لحاً - فالقين أخو مضارب وأبوهما قيس، وكان سلمان حج مع ابن عمّه سنة ستين، ولما مال زهير مع الحسين عليه‌السلام مال معه في مضربه، وقتل أيضاً يوم الطف [1].

ولمّا بلغ الحسين عليه‌السلام ذو حسم [2]، قام خطيباً في أصحابه، فحمد الله واثنى عليه، وذكر النبي فصلّى عليه، ثم قال:

أمّا بعد، فإنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، ولم يبق منها الّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، ألا وإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما.

قال: فقام إليه زهير بن القين البجلي رحمه الله، وقال لأصحابه: أتتكلّمون أم أتكلّم؟ فقالوا: بل تكلّم. فحمد الله واثنى عليه، ثم قال:

قد سمعنا هداك الله يابن رسول الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنّا فيها مخلدين [3]، لآثرن النهوض معك على الإقامة فيها. قال الراوي: فدعا له

---

(1) ابصار العين: 100.

(2) ابصار العين: 100. (2) حسم بضمّتين وهو اسم لموضع وفي شعر النابغة:

أليلتنا بذي حسم أنيري	إذا انتِ انقضيت فلا تحوري
فإن يك بالذنائب طال ليلي	فقد أبكى من الليلِ القصيري

انظر نهاية الإرب: 15 / 401.

وقال لبيد:

بذي حسم قد عربت ويزينها	دماث فليج وهو هاو المحافل

(3) في المصدر زيادة: إلّا انّ فراقها في نصرك ومواساتك...

الحسين عليه‌السلام وقال له: جزاك الله عن ابن بنت نبيك أخيراً [1].

وقال كثير بن عبدالله الشعبي: لمّا زحفنا نحو [2] الحسين عليه‌السلام يوم عاشوراء، خرج إلينا زهير بن القين البجلي على فرس له ذنوب، ووقف بين الصفين ونادى بأعلى صوته:

يا أهل الكوفة نذاري لكم من عذاب الله، نذار إنّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الان إخوة على دين واحد وعلى ملّة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف [3]،، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنّا أمة وكنتم امّة، أيها الناس [4]: أن الله قد ابتلانا وإيّاكم بذرية نبيه محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد [5] وعبيد الله بن زياد، فإنّكم والله لا تدركون منهما إلّا بسوء عمر سلطانهما كله، وإنهم والله ليسملان أعينكم، ويقطعان ايديكم وأرجلكم، ويصلبانكم على جذوع النخل، ويمثّلان بكم [6]،، أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشياعه [7].

قال: فسبوه، واثنوا على عبيدالله بن زياد فحمدوه، وقالوا: والله يا زهير لا تبرح حتى نقتل صاحبك - يعني الحسين عليه‌السلام - ومن معه، أو نبعث به إلى ابن زياد سالماً. فقال زهير: ويلكم يا أهل الكوفة، إن ولد فاطمة أحقّ بالودّ من ابن سميّة، فإن لم تنصروه فأعيذكم بالله أن تقتلوه، فخلوا بين هذا الرجل وبين يزيد بن

(1) مقتل أبي مخنف: 86.
(2) في المصدر: قبل.
(3) في المصدر زيادة: وأنتم للنصيحة منّا أهل...
(4) أيها الناس، لم ترد في المصدر.
(5) يزيد، لم يرد في الصدر.
(6) في المصدر بعد (وأرجلكم): ويمثّلان بكم، ويرقعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثلكم وقرّائكم،...
(7) في المصدر: وأشباهه.

معاوية، فلعمري إنّه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

قال الراوي: فرماه شمر [1] وقال: أسكت، أسكت الله نامتك، [2]، أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال له زهير: يا ابن البوّال على عقبيه، ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة، والله لا أظنّك تحكم من كتاب الله آيتين فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال الشمر إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، فقال زهير: أفبالموت تخوّفني، فوالله الموت معه أحبّ إليَّ من الخلد معكم.

قال: ثم أقبل على الناس رافعاً صوته، فقال: عباد الله لا يغرّنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لن ينالوا شفاعة محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قط قوم أراقوا دماء ذريته وعترته، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم.

قال الراوي: فناداه رجل من أصحابه: يا زهير إن الحسين عليه‌السلام يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قوم، وابلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ. فرجع إلى الحسين عليه‌السلام، فقال له عليه‌السلام: جزاك الله عن رسوله واله خيراً [3].

قال [4]: ولمّا أتت نوبته حمل على القوم، فجعل يقاتل قتالاً شديداً لم ير مثله قط، ولم يسمع بشبهه، وهو يقول:

أنا زهير وأنا ابن القين ... أذودكم بالسيف عن حسين

إنّ حسيناً احد السبطين ... من عترة البر التقي الزين

ثم رجع ووقف الامام الحسين عليه‌السلام، وقال:

---

(1) في المصدر: بسهم.

(2) النامة: بالتشديد الصوت يقال ذلك كناية عن الموت وهو دعاء العرب مشهور، وأبرمتنا أي أضجرتنا بكثرة كلامك.

(3) مقتل أبي مخنف: 119 - 120، باختلاف بسيط.

(4) والكلام للراوي.

فدتك نفسي هادياً مهديّا اليوم ألقى جدك النبيا

وحسنا والمرتضى وعليّاً وذاالجناحين الشهيد الحيّا

فكأنّه ودعه، وعاد يقاتل حتى قتل مائة عشرين رجلاً، فشدّا عليه كثير بن عبدالله الشعبي ومهاجر بن اوس التميمي فقتلاه، ولمّا سقط الى الارض مشى لمصرعه الحسين عليه‌السلام ووقف عنده، وتكلّم بكلمات، وقال: لا يبعدنّك الله يا زهير عن رحمته، ولعن قاتليك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير [1].

جادوا بأنفسهم عن نفس سيّدهم والجود بالنفس اقصى غاية الجود

ويروي في تذكرة ابن الجوزي: أنّه لمّا قتل زهير قالت امرأته لغلامه: إذهب وكفّن مولاك، فقال لها: أكفن مولاي وأدع الحسين؟! لا والله [2].

ما غسّلوه ولا لفّوه في كفن يوم الطفوف ولا مدّوا عليه ردا [3]

---

(1) انظر تاريخ الطبري: 6 / 253.

(2) تذكرة الخواص لابن الجوزي: 256، نقول: امرأة زهير إنّما قالت ذلك للغلام بعد مقتل الحسين عليه‌السلام، ومفاده أنه لا يريد أن يترك الحسين بلا كفن ويكفن مولاه.

(3) وزينب عليهاالسلام نادت القوم أمّا فيكم مسلم يواري هذا الغريب، اما فيكم مسلم يكفن هذا السليب فلم يجيبوها كأني بها التفتت إلى أهلها:

(نصاري)

تعالوا لبنكم غسّلوه ويّاكم كفنكم دجيبوه

جيبو گطن للجرح شدّوه ثلث تيام مرمي بغير تغسيل

(ابوذية)

ادمن للگلب يحسين يرحين وبس الهن دموع العين يرحين

خواتك عالهزل للسير يرحين او يعوفن جثتك بالطف رميّة

(تخميس)

يا سائلاً وشظايا القلب في شجن — هل جهّزوا لقتيلٍ مات ممتحن

أجبته بفؤادٍ خافقٍ وهن

ما غسّلوه ولا لفّوه في كفن — يوم الطفوف ولا مدّوا عليه ردا

المطلب الرابع والثلاثون

في ملاقات الحسين عليه‌السلام للحرّ وما جرى بينهما

روي عن عبدالله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا: كنّا نساير الحسين عليه‌السلام حتى نزل شراف [1]، ولما كان السحرة أمر أصحابه أن يحملوا الماء وأن يكثروا، فلمّا أصبحوا ساروا من شراف حتى انتصف النهار، فبينما هم يسيرون إذ كبر رجل من اصحابه، فقال له الحسين عليه‌السلام: الله اكبر، لم كبرت؟! قال: سيدي رأيت النخل، فقال له رجل من اصحابه: ما رأينا في هذا المكان نخلة واحدة!! فقال الحسين عليه‌السلام: وما ترون؟ قالوا: والله لا نرى إلّا أسنّة الرماح، وآذان الخيل، فقال عليه‌السلام: وأنا والله أرى ذلك، ثم قال عليه‌السلام: ما لنا ملجأ نلجأ إليه ونجعله

---

(1) شراف بفتح اوله وآخره فاء وثانيه مخفف فعال من الشرف وهو العلو وقال أبو عبيدة السكوني ومن شرف إلى واقصة ميلان وهناك بركة تعرف باللوزة وفي شراف ثلاث آبار كبار رشاؤها أقل من عشرين قامة وماؤها عذب كثير وبها آبار كثيرة طيّبة الماء يدخلها ماء المطر وقيل شراف استنبطه رجل من العماليق اسمه شراف فسمّي به. وقال الكلبي: شراف وواقصة ابنا عمرو بن معتق بن زمرة بن عبيد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح عليه‌السلام. وقال زميل بن زامل الفزاري قاتل ابن داه:

لقد عضّني بالجو جو كثيفة ... ويوم التقينا من وراء شراف

قصرت له الدعسى ليعرف نسبتي ... وأنبأته أني ابن عبد مناف

خلف ظهورنا، ونستقبل القوم بوجه واحد؟ قالوا: بلى، هذا ذوحسم إلى جنبك، فمل إليه عن يسارك. فأخذت ذات اليسار، قالا: فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي [1] الخيل كأن أسنّتهم اليعاسيب [2]، وكأن راياتهم أجنحة الطير.

فأمر الحسين عليه‌السلام بالأبنية فضربت، وجاء القوم زهاء ألف فارس يتقدّمهم الحرّ [3] بن يزيد الرياحي، وكان مجيئه من القادسية [4]، فنزل حذاء الحسين عليه‌السلام في حر الظهيرة، والحسين وأصحابه جالسين متقلّدي أسيافهم، فقال الحسين عليه‌السلام لفتيانه: اسقوا القوم [وارووهم من] [5] الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفا، فأقبلوا يملؤن القصاع والطساس ثم يدنونها من الفرس، فإذا عب فيها ثلاثاً أو أربعاً عزلت وسقى الآخرى، حتى سقوهم عن آخرهم. قال علي بن الطعان المحاربي: كنت يومئذ مع [الحرّ بن يزيد]، [6]، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين عليه‌السلام ما بي وبفرسي من العطش، قال لي: يا ابن أخي إنخ الجمل؛ فأنخته

---

(1) الهوادي جمع الهادي العنق والمتقدم وهنا يريد مقدمة الخيل.
(2) جمع يعسوب أمير النحل وذكرها يشبه لمعان الأسنّة بلمعان أجنحة اليعاسيت في الشمس.
(3) الحر بن يزيد الرياحي كان شريفاً في قومه جاهلية وإسلاماً فإنّ جدّه عتابا كان رديف النعمان بن المنذر وولد عتاب قيسا وقعنبا ومات عتاب فردف فقيس النعمان ونازعه الشيبانيون فقامت بسبب ذلك حرب يوم الطخلة والحر بن عم الاخوص الصحابي الشاعر.
(4) القادسية وحسبما جاء في ج 4 ص 291 من كتاب المعجم البلدان للحموي موضع بينه وبين الكونة خمسة عشر فرسخاً وبينه وبين العذيب أربعة أميال وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد ابن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب وذلك سنة 16 من الهجرة.
(5 و 6) ما اثبتناه من المصدر.

فجعلت كلّما أشرب سال الماء [1]، وسقيت فرسي [2].

قال الراوي: وما زال الحر موافقاً للحسين عليه‌السلام حتى حضرت وقت صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه‌السلام الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذن، فأذّن، ثم خرج الحسين عليه‌السلام والتفت إلى الحرّ، وقال: أتصلي بأصحابك؟ فقال الحرّ: كلا، بل تصلي ونصلّي بصلاتك، فصلّى بهم الحسين عليه‌السلام، فلمّا فرغ من صلاته اقبل عليهم بوجهه، فحمد الله وأثني عليه، وذكر النبي فصلّى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إني لم آتيكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رسلكم فإن كتبتم لقدومي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه، فقال الحرّ: أنا والله لا أدري ما هذه الكتب والرسل!! فصاح الحسين عليه‌السلام لعقبة بن سلمان، أخرج الخرجين المملوئين صحفاً، فأخرجها عقبة ونشرها بين يدي الحسين عليه‌السلام والحرّ، فقال الحرّ: لست من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرت أن لا افارقك حتى ادخلك الكوفة، واضع يدك في يد ابن زياد.

فقال الحسين عليه‌السلام: إذاً الموت أدنى إليك من ذلك. ثم أن الحسين عليه‌السلام أمر أصحابه أن يسيروا، فحال الحرّ بينهم وبين المسير، فقال الحسين عليه‌السلام: ثكلتك اُمّك، ما تريد منهم؟ فقال الحرّ: لو غيرك من العرب قالها لي وهو في هذا الحال الذي أنت عليه ما تركت ذكر اُمّه بالثكل كائناً من كان، ولكن والله مالي إلى ذكر اُمّك من سبيل إلّا بأحسن ما نقدر عليه. فقال الحسين عليه‌السلام: إذاً ما تريد؟ قال: اُريد أن أنطلق بك إلى الكوفة إلى ابن زياد. فقال الحسين عليه‌السلام: إذاً والله لا أتّبعك.

---

(1) هنا سقط في الاصل: من السقاء، فقال الحسين عليه‌السلام: اخنث السقاء (أي) إعطفه. قال: فجعلت لا أدري كيف أفعل، فقام الحسين عليه‌السلام فخنثه فشربت...

(2) عن أبي مخنف في مقتل الحسين عليه‌السلام: 81 - 82.

فقال الحرّ: إذاً والله لا أدعك؛ فترادّا القول فيما بينهم ثلاث مرات، فخشي الحرّ الفتنة فقال: يا أبا عبدالله إني أمرت إذا لقيتك لا أفارقك، فإذا كان الأمر كذلك فخذ طريقاً لا يردك إلى المدينة ولا يدخلك الكوفة، ليكون بيني وبينك نصفاً، حتى أكتب إلى ابن زياد، فلعلّ الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه [العافيه] [1] من أن أبتلي بشيء من أمرك، فخذ هاهنا تياسراً من طريق العذيب والقادسية. فرضي الحسين بذلك، فساروا [2].

فبينما هم يسيرون إذ التفت الحر الى الحسين عليه‌السلام وقال له: يا أبا عبد الله إني أذكّرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ. فقال له الحسين عليه‌السلام: أفبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونني؟ وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، وهو يريد نصرة رسول الله فخوّفه ابن عمّه وقال له: أين تذهب؟ إنك مقتول، فأنشأ يقول:

أُقدّم نفسي لا أريد بقاءها ... لتلقي خميساً في الوغي وعرمرما

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وودّع مجرما

فإن عشت لم أندم وإن متّ لم أذم ... كفى بك ذلاً أن تعيش وترغما [3]

قال: فلمّا رأى امتناع الحسين عليه‌السلام سكت وجعل يسايره، فلمّا أصبح الصباح نزل وصلّى، ثم عجّل بالركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد ان يفرّقهم،

(1) ما أثبتناه من المصدر.

(2) انظر مقتل الحسين عليه‌السلام لابي مخنف: 83 - 85. ومقتل الحسين عليه‌السلام للخوارزمي: 1 / 231 - 233، والأخبار الطوال للدينوري: 249.

(3) مقتل الحسين عليه‌السلام للخوارزمي: 1 / 233، وانظر انساب الأشراف: 3 / 171، وتاريخ الكامل لابن الأثير:

فيأتيه الحرّ وكان إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه، فلم يزالوا يتياسرون كذلك حتى انتهوا الى نينوى [1]. [2]

ويروى أنّ زهير بن القين البجلي قال للحسين عليه‌السلام: سيدي دعنا نقاتلهم، فإن قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا قبل لنا بهم، فقال الحسين عليه‌السلام: ما كنت لأبدءهم بالقتال [3]. ثم قال: والتفت الحسين عليه‌السلام إلى أصحابه وقال: من منكم يعرف الطريق على غير الجادة؟ فقال الطرماح [4]: أنا يابن رسول الله؛ فقال له الحسين عليه‌السلام تقدّم، فتقدّم الطرماح أمام الركب وجعل يرتجز:

يا ناقتي لا تذعري من زجر ... واسر بنا قبل طلوع الفجر

بخير فتيان وخير سفر ... وآل رسول الله آل الفخر

السادة البيض الوجوه الزهر ... الضاربين بالسيوف البتر

الطاعنين بالرماح السمر ... يا مالك النفع معاً والضر

أيّد حسيناً سيّدي بالنصر ... على الطغاة من بقايا الكفر

واخذل يزيد العهر ابن العهر

---

(1) نينوى: المكان الذي نزل به الحسين عليه‌السلام، وهي ناحية بسواد الكوفة، وقيل: قرية يونس بن متى. انظر معجم البلدان: 8 / 368.

(2) الارشاد للشيخ المفيد: 2 / 82، ومقتل الحسين عليه‌السلام لابي مخنف: 92.

(3) مقتل الحسين عليه‌السلام لابي مخنف: 94، ورواه في الارشاد: 2 / 84.

(4) هو الطرماح بن عدي: عدّه الشيخ الطوسي رحمه الله في أصحاب أمير المؤمنين عليه‌السلام وقال: رسوله عليه‌السلام إلى معاوية، وعدّه أيضاً في اصحاب الإمام الحسين عليه‌السلام، وقال المولى عناية الله القهباني: الطرماح بن عدي بن حاتم الطائي: وطرماح - كسنّمار - العالي النسب المشهور. انظر رجال الشيخ: 46 / 3، و 75 / 1، ومجمع الرجال: 3 / 229. انظر ترجمته في تنقيح المقال: 2 / 109.

أقول: وإنّما حدا الطرماح لغاية هناك رام أن تسير الإبل سيراً سهلاً على عادتها في الحداء، ولتسكن روعات النساء إذا سمعت عميدها بمدح الحسين عليه‌السلام، فسارت إلى كربلاء على هذه الحالة، قد حفّتها بنو هاشم وأصحابه الصفوة، والطرماح يحدوا بها، ولكنها يوم خرجت من كربلاء حفّت بها الأعداء من كل جانب، وسارت على حالة يحدو بها شمر بن ذي الجوشن وزجر بن قيس.

أيسقوها زجر بضرب متونها　　　والشمر يحدوها بسبّ أبيها [1]

---

(1) وزينب عليهاالسلام تخاطب أخاها الحسين عليه‌السلام بلسان الحال:

(نصاري)

ودّعتك الله يا عيوني　　　يردون عنّك ياخذوني

او زجر او خوله اليباروني　　　للكوفة انووا يمشّوني

نخيّت اخوتي أو لا جاوبوني　　　وابغصب عنكم فارگوني

گطعت الرجه او خابت اظنوني

وكانّي بها توجهت إلى جهة العلقمي وخاطبت الجمّال:

(دكسن)

يجمال مر بينا اعلى عباس　　　اخونة العجيد اليرفع الراس

تگلّة تراهم گوم الارجاس　　　خذونة وعلينة الشمر حرّاس

تتفرّج على أحوالنا الناس

(تخميس)

مُخدّرةُ المختار من بعد مجدها　　　تُسيّرها ابناء حرب لوغدها

دعت مُذ نأى عن عينها بدر سعدِها

ونادت على الاقتاب من عظم وجدها　　　أبا حسنٍ يا خير من ضمّه القبر

المطلب الخامس والثلاثون

في كيفية سعادة الحر ولحوقه بالحسين عليه‌السلام

روي عن عقبة بن سمعان [1] قال: لمّا سار الحسين عليه‌السلام من قصر بني مقاتل [2] سرنا معه، فبينا نحن نسير إذ خفق الحسين عليه‌السلام وهو على ظهر جواده، ثم قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون [والحمد لله رب العالمين] [3]؛ فأقبل عليه ولده علي الأكبر فقال له: أبه مم حمدت الله واسترجعت؟ فقال: يا بني أني خفقت برأسي

---

(1) عقبة بن سمعان: عدّه الشيخ الطوسي رحمه الله في أصحاب الحسين عليه‌السلام (78 / 27)، وقيل: انه كان عبدا للرباب زوجة الامام الحسين عليه‌السلام، وأنّه كان يتولى خدمة أفراسه عليه‌السلام وتقديمها له، فلمّا استشهد عليه‌السلام أخذه أهل الكوفة أسيراً، ثم أُطلق سراحه، وجعل يروي واقعة الطف، ومنه أُخذت أخبارها، وروي عنه أبي مخنف بالواسطة، ويقول العلامة المامقاني رحمه الله: حاله مجهول، بل تخلّفه عن نصرة الإمام عليه‌السلام يجعلنا في ريب منه. وقال السيد الخوئي رحمه الله: ممّن وقع التسليم عليه في الزيارة الرجبية، وأنّه استشهد معه عليه‌السلام. انظر: معجم رجال الحديث: 14: 170 / 7736، تنقيح المقال: 2: 254 / 7969.

(2) قصر بني مقاتل: قال ياقوت الحموي: «قصر كان بين عين التمر والشام، وقال السكوني: هو قرب القطقطانة وسلام ثم القريات، وهو منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم ابن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية امرىء القيس بن زيد بن مناة بن تميم». انظر معجم البلدان: 4 / 364.

(3) ما أثبتناه من المصدر.

خفقه فعنَّ لي فارس [على فرس] [1] وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا (تسير بهم إلى الجنة) [2]، فقال علي بن الحسين: أفلسنا على الحق؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، فقال: أبه أذاً لا نبالي بالموت، فقال الحسين: أذاً جزاك الله [من ولد] [3] خير ما جزى ولداً عن والده [4].

قال المفيد: ولمّا أصبح نزل وصلّى بأصحابه، ثم عجّل الركوب، فأخذ يتياسر، فورد كتاب ابن زياد الى الحرّ يلومه في أمر الحسين ويأمره بالتضييق عليه، فتعرّض له الحر وأصحابه ومنعوه من المسير، فقال له الحسين عليه‌السلام: ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق؟ قال: بلى ولكن كتاب الأمير قد ورد إليَّ يأمرني بالتضييق عليك، وقد جعل عليَّ عيناً يطالبني بذلك [5].

قال السيد رحمه الله في اللهوف، ثم إنّ الحسين ركب وصار كلّما أراد المسير يمنعونه تارة ويسايرونه اُخرى حتى ورد كربلاء في اليوم الثاني من المحرم (سنة أحدى وستّين فبينا هو يسير واذا بجواده قد وقف فقال الحسين) [6]: ما اسم هذه الأرض؟ فقيل له: (نينوى، فقال: ألها اسم غير هذا؟ فقيل له: الغاضريات، قال: ألها اسم غير ذلك؟ فقيل له: المسنّات، فقال: ألها اسم غير هذا؟ فقيل له) [7]: كربلا، قال: كرب وبلا، هاهنا محطّ رحالنا، هاهنا مقتل رجالنا، هاهنا تذبح

---

(1) ما أثبتناه من المصدر.
(2) ما بين القوسين لم يرد في المصدر وجاء فيه: تسري إليهم.
(3) ما أثبتناه من المصدر.
(4) مقتل الحسين عليه‌السلام لأبي مخنف: 92، وأيضاً الإرشاد للشيخ المفيد: 2 / 82.
(5) الإرشاد للشيخ المفيد: 2 / 82 - 83 (باختلاف بسيط).
(6) ما بين القوسين لم يرد في نسختنا من المصدر، وجاء فيه: فلمّا وصلها، قال...
(7) ما بين القوسين لم يرد في نسختنا من المصدر.

أطفالنا؛ ثم أمر اصحابه بالنزول فنزلوا وأمر بأبنيته فضربت، ونزل الحرّ إلى جانب [1].

فلمّا بلغ ابن زياد نزول الحسين عليه‌السلام كربلاء جمع الجيوش والعساكر وأمّر عليهم عمر بن سعد، وجاءت تترى إلى كربلاء حتى تكاملت الجيوش سبعين ألف، فلمّا رأى الحرّ تصميم القوم على قتل الحسين عليه‌السلام وأهل بيته أقبل على ابن سعد وقال له: أمقاتل أنت هؤلاء القوم؟ يعني الحسين، قال، اي والله، قتالاً أيسره أن تطيح فيه الرؤوس والأيدي؛ فرجع الحر ووقف مع اصحابه فأخذه مثل الإفكل، فقال له مهاجر بن أوس التميمي: إنّ أمرك لمريب! ما هذا الذي أراه منك؟ ولو قيل مَن اشجع العرب لما عدوتك. فقال له الحرّ: إنّ نفسي تخيّرني بين الجنّة والنار، فوالله لا اختار على الجنّة شيئاً ولو قطعت وأُحرقت. ثم ضرب فرسه، ولحقه ولده حتى صارا قريباً من خيم الحسين عليه‌السلام، فنزل من على ظهر فرسه وقلّب ترسه وأغمد سيفه، ووضع يده على رأسه، وجاء الى الحسين عليه‌السلام وهو يقول: «اللّهمّ إليك أتوب واليك أُنيب فتب عليَّ فقد ارعبت قلوب أولاد نبيّك». ثم سلّم على الحسين عليه‌السلام، فرد الحسين عليه‌السلام، وقال: سيدي أنا صاحبك الذي منعتك عن الرجوع، وجعجعت بك في الطريق، سيدي وما ظننت أنّ القوم يبلغون بك إلى ما أرى، سيدي أنا تائب إلى الله عليك، ثم قال: فهل ترى إليَّ من توبة؟ فقال له الحسين عليه‌السلام: نعم إن تبت تاب الله عليك؛ فقال: سيدي كنت أوّل خارج عليك فأذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك، فإذن له الحسين عليه‌السلام للبراز، فبرز وهو يقول:

إني أنا الحر ومأوى الضيف — أضرب في أعناقكم بالسيف

عن خير من حلّ بأرض الخيف

---

(1) الملهوف على قتلى الطفوف: 139.

قال: ثم رجع إلى الحسين عليه‌السلام وقال: سيدي إنّي اُحدّثك بشيء ثم أعود للحرب، اعلم لمّا وجّهني ابن مرجانة إلى الخروج إليك فخرجت من باب قصره سمعت منادياً ينادي: يا حرّ ابشر بالجنّة فالتفتّ إلى ورائي فلم أر أحد، فقلت في نفسي: سبحان الله بعثني هذا الطاغية إلى ابن بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فما هذا النداء؟ يا سيدي والآن تحقّق عندي أنّي اُرزق الشهادة بين يديك.

ثم ودّع الحسين عليه‌السلام، وحمل على القوم، فلم يزل يقاتل حتى قتل جمعاً كثيراً، ثم عقروا فرسه وبقي يقاتل راجلاً، حتى قتل اربعين فارساً، وخمسة عشر راجلاً، فتعطّفوا عليه أعداء الله وقتلوه، ولمّا قتل مشى لمصرعه الحسين عليه‌السلام، وجلس عند رأسه وهو يقول: «انت كما سمَّتك اُمّك حرّ في الدينا وحرّ في الآخرة».

ورثاه علي بن الحسين قال:

لنعم الحرِّ حرِّ بني رياحِ — صبورٌ عند مُشتبكِ الرماحِ

ونعم الحرِّ إذا واسا حسيناً — وجاد بنَفسهِ عندَ الصياحِ [1]

ويروى أن الحسين عليه‌السلام عصب جبينه بمنديل كان عنده.

أقول: أنا لا أدري لمّا صرع هو عليه‌السلام من حضر عنده وعصب رأسه؟ نعم،

---

(1) توضيح: قال المفيد رحمه الله: اشترك رجلان في قتل الحر احدهم ايوب ابن مسرح ورجل آخر من فرسان أهل الكوفة انتهى. وقال صاحب الابصار: وإنّما دفنت بنو تميم الحر على نحو ميل من الحسين عليه‌السلام حيث قبره الآن اعتناءً به ويقال إنّ بعض ملوك الشيعة وهو الشاه اسماعيل استغرب ذلك فكشف عن قبر الحر فوجده على صفته التي ترجم بها ورأسه غير مقطوع لأنّه لمّا أرادوا قطع الرؤوس منعت بنو تميم وقالوا: رأس الحر لا يقطع فدفن ولم يقطع رأسه ووجده ذلك الملك معصّباً بالعصابة التي عصّبه بها الحسين فطمع بها فحلّها ليأخذها تبرّكاً بها فأنبعث الدم من جبينه فخاف ذلك الملك فشدّها وخرج من القبر وصنع على قبره صندوقاً.

مالك بن النسر لما شهر سيفه وضرب الحسين عليه‌السلام على أُمّ رأسه، وكان على رأسه برنس فامتلأ البرنس دماً، فقال له الحسين عليه‌السلام، لا أكلت بيمينك ولا شربت بها:

ولقد غشوه فضارب ومفرّق سهماً إليه وطاعن متقصّد [1]

---

(1) ويروى أنّ الحسين عليه‌السلام عصّب جبيته بمنديل كان عنده وبعد ذلك اقبلت عشيرته ووارته حيث قبره الآن، أسفي عليك يا أبا عبدالله مَن الذين عصَّب جبينك من الذي دفن جثمانك، وفي ذلك يقول الخضري:

(موشح)

جله اهموم الفواطم مجلة القتوت ورج الغاضرية او حامي البيوت

وعگب ما شافت امن امذهبة الموت طاح او فيض دمّه على الثر يسيل

اجاه احسين مثل الليث يهدر ينادي ودمع عينه عليه يحدر

أُمّك ما خطت من سمّتك حر مسح عنه التراب ومدمعة ايسيل

او من ناده الرجس يا خيلنه اوصاح عمامه ابغيض سلت بيض الصفاح

ابذيج الخيل نادت كل بني رياح عميد الحر عجب ينداس بالخيل

على خشوم الزلم رغماً نشيلة وكل مچتول تنهضله جبيله

تسل بيض السيوف وتعتنيله لعند المعركه ولجثته اتشيل

العيره شالته ابحّر الظهيره الكل منهم عليه شالته الغيره

بس ظلّو الما عدهم عشيره ضحايا على الثرى من غير تغسيل

(تخميس)

كان يستسقي به غيث السما فقضى روحي فداه بالضما

وبخيل الكفر عدواً حُطما

غسلوه بدم الطعن وما كفنوه غير بوغاء الثرى

المطلب السادس والثلاثون

في نصيحة كامل لابن سعد لعنه الله

لمّا وافى الحسين عليهالسلام ومعه الحرّ إلى كربلاء، فإذا هم براكب على نجيب له، وعليه السلاح متنكبّاً قوساً، مقبلاً عليه، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلمّا انتهى إليهم سلّم على الحر ولم يسلّم على الحسين عليهالسلام، ثم أخرج كتاباً من ابن زياد ودفعه إلى الحرّ، وإذا فيه:

أما بعد... فجعجع بالحسين، ولا تنزله إلا بالعراء، في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري.

وكان مع الحسين عليهالسلام يزيد بن مهاجر الكندي [1]، فجاء الى رسول ابن زياد فعرفه فقال له: ثكلتك أُمّك، بماذا جئت؟ قال: أطعت إمامي ووفيت ببيعتي؛ فقال له ابن المهاجر: بل عصيت ربّك، وأطعت إمامك في هلاك نفسك، وكسبت النار والعار، وبئس الإمام إمامك، كما قال عز من قائل:

(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمّةً يَدْعُونَ إِلَى

(1) هو يزيد ابن زياد المهاجر الكندي، أبو الشعثاء البهدلي، من بني بهدلة، كان رجلاً شريفاً شجاعاً فاتكاُ، وبهدلة حي من كندة، وقد جاء ذكره في الزيارة الناحية المقدسة والتسليم عليه استشهد رضياللهعنه مبارزاً.
انظر ذخيرة الدارين: 239.

النّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ) فأمامك هذا منهم.

قال: ونزل الحسين عليه‌السلام في كربلاء على غير ماء ولا كلاء، فقال زهير بن القين البجلي: يا بن رسول الله إن قتال هؤلاء القوم الساعة أهون علينا من يأتينا من بعدهم، فقال عليه‌السلام: ما كنت لأبدئهم بالقتال.

قال: ولما بلغ ابن زياد نزول الحسين كربلاء صعد على المنبر وخطب الناس، وأمرهم بالخروج إلى حرب الحسين، ووفر لهم العطاء، وكان عدتهم سبعين ألف، وأراد أن يؤمر عليه أميراً فدعى ابن سعد وقال له، أريد أن أؤمرك على هذا الجيش، وان تتولى قتل الحسين ولك ولاية الري، فقال له ابن سعد أمهلني حتى أُراجع نفسي.

ثم انصرف إلى منزله متفكراً، فاستشار رجلاً يقال له (كامل) - وكان صديقاً لأبيه سعد، وكان على اسمه كاملاً - فقال له: ويلك يا ابن سعد تريد ان تقتل الحسين ابن بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم؟! اف لك ولدينك، اسفهت الحق وضللت الهدى؟! اما تعلم الى حرب من تخرج ولمن تقاتل؟! والله لو اعطيت الدنيا على أن أقتل رجلاً واحداً من امة محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ما فعلت، فكيف وأنت تريد أن تقتل ريحانة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وما الذي تقوله لرسول الله إذا وردت عليه يوم القيامة وقد قتلت سبطه؟ وإني اقسم بالله لئن حاربته أو قاتلته أو أعنت عليه لا تلبث في الدنيا إلا القليل؛ فقال ابن سعد: أفبالموت تخوفني!! واني إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف وأتولى ملك الري. فقال له كامل: إذاً أُحدثك بحديث، فقال ابن سعد: قل حتى اسمع. قال: إعلم إني سافرت مع أبيك سعد الى الشام فانقطعت عن أصحابي في الطريق وعطشت عطشاً شديداً، فلاح لي دير راهب

فملت إليه وأتيت إلى باب الدير، فقال لي الراهب: ما تريد يا هذا؟ قلت له: إنّي عطشان، فقال لي: أنت من أُمّة محمّد الذين يقتلون بعضهم بعضا على حب الدينا. فقلت له: أنا من الأُمّة المرحومة أمّة محمد؛ فقال: إنّكم لشر أُمّة، فالويل لكم يوم القيامة، وإنّكم لتقتلون ابن بنت نبيّكم، وإنّ قاتله لعين أهل السماوات والأرض، اعلم يا هذا وإنّ قاتله لا يلبث بعده إلّا قليلاً؛ قال كامل: فقلت إنّي اُعيذ نفسي من أن أكون ممّن يقاتل إبن بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم؛ فقال لي: أن لم تكن أنت وإلّا فرجل قريب منك؛ ثم ردم الباب في وجهي ودخل الدير فركبت فرسي ولحقت بأصحابي.

[وحدّثت أباك بما جرى بيني وبين الراهب من الكلام]، فقال لي أبوك سعد: صدقت وأنا مررت بالراهب قبلك فقال لي من ولدك من يقتل ابن بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، فاحذر يا عمر ودع عنك هذا الامر فإنه خير لآخرتك ودنياك.

قال: فبلغ الخبر إلى بن زياد فاستدعى كاملاً فقطع لسانه، وعاش يوماً أو بعض يوم ثم مات رحمه الله.

قال: وجعل ابن سعد يفكّر في ولاية الري أو الخروج إلى حرب الحسين فصمّم رأيه أن يخرج إلى حرب وانشأ يقول:

فوالله لا أدري وإنّي لحائر ... اُفكّر في أمري على خطرين

أأترك ملك الري والريّ منيتي ... أم أرجع مأثوماً بقتل الحسين

حسين ابن عمّي والحوادث جمّه ... لعمري ولي في الري قرّة عين

وإنّ إله العرش يغفر زلّتي ... ولو كنت فيها أظلم الثقلين

ألا إنّما الدنيا لخير معجّل ... وما عاقل باع الوجود بدين

يقولون إنّ الله خالق جنّة ونار وتعذيب وغلّ يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنّني أتوب إلى الرحمن من سنتين
وإن كذّبوا فزنا بدنيا عظيمة وملك عقيم دائم الحجلين

قال: فأجابه القائل:

ألا أيها النغل الذي ليس مثله ويمضي من الدنيا بقتلة شين
إذا أنت قاتلت الحسين بن فاطم وانت تراه أشرف الثقلين
فلا تحسبنّ الري يا أخسر الورى تفوز به من بعد قتل الحسين

قال الراوي: فما لبث أن خرج إلى حرب الحسين عليه‌السلام وكان أوّل رام بسهم على حرم الحسين، فإنّه خرج من الخيمة بيده القوس فقال: اشهدوا لي عند الأمير فأنا أوّل رام. ثم رمى السهم نحو الحسين ورمت اصحابه حتى صار السهام كالمطر، وأنفذ اللعين أوامر ابن مرجانة بالحسين، منها: انه كتب له امنعه عن شرب الماء هو وأصحابه وعياله وأطفاله، فمنعهم ذلك.

ومنها: كتب إليه بعد قتله احرق مضاربه ومضارب من معه، فحرقها.

ومنها: كتب إليه إذا قتلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره وظهره وما أظن إنّ هذا يضرّ به بعد القتل شيئاً، ولكن على قول قد قلته فصنع اللعين ذلك.

والذي زاده هو من نفسه أنّه لمّا صرع الحسين عليه‌السلام وأقبلوا على سلبه وسلبوه حتى تركوه عُرياناً، فأخذ بن سعد درعه ولبسها ودخل على حرمه، فلمّا رأينه وقد لبس درع الحسين عليه‌السلام صحن: وا حسينا... وخرجت زينب من الخيمة واضعة عشر أصابعها على رأسها، تنادي: وا جدّاه وا محمّداه... يا جدّ هذا حسينك

بالعرا محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامة والردا [1].

(1)

(نصاري)

يجدّي اگعد وشوف ابنك رميّة	خذوا راسه او جسمه اعلى الوطيه
عليه اتجول گامت خيل اميّه	او لا ظل بيه مفصل ما تهشم

(دكسن)

يجدي شوف أصاويب البصدره	تسع ميّه والف طعنه وطبره
غير اللي تعدّى الخرز ظهره	شبج فوگه او لعند الخرز فصّم

(ابوذية)

لتوالي العمر ذاخرتك وريداك	عفتني وذبل يبن أُمّي وريداك
عسى سيف الگطع بالطف وريداك	گطع مني الوريد وعمل بيّه

(تخميس)

أخي ذا فؤادي سقيمٌ جريح		وجفني عليك يابن أُمّي قريح
أخي هُدَّ ركني وصبري استبيح	ولم لا وأنت عفيرٌ طريح	وبُدّد شملي فلم يُجمع

المطلب السابع والثلاثون

في اجتماع الحسين عليه‌السلام مع ابن سعد

لمّا وافى ابن سعد كربلاء وضرب أبنيته أرسل إليه الحسين عليه‌السلام «إنّي أُريد أن ألقاك». فامتثل لأمر الحسين عليه‌السلام واجتمعا ليلاً، وتناجيا طويلاً، وكان الحسين عليه‌السلام مع ولده علي الاكبر، وابن سعد مع ولده حفص، ثم رجع الحسين عليه‌السلام إلى خيمته، وإنّ ابن سعد دعا بدوات وبيضا وكتب إلى زياد كتاباً يقول فيه:

«أمّا بعد... فإنّ الله أطفأ الثائرة وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأُمّة، وهذا الحسين بن علي عليه‌السلام قد أعطاني عهداً، أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه أو أن يسير إلى ثغر من الثغور، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيرى رأيه فيه».

فلمّا ورد الكتاب الى ابن زياد قال: هذا كتاب ناصح مشفق؛ فقال الشمر: أتقبل هذا منه وقد حلّ بأرضك، فوالله لئن رحل من بلادك ليكوننّ اولى بالقوّة ولتكونن أولى بالضعف، فلا تعطه هذه المنزلة فإنّها من الوهن، ولكن فالينزل على حكمك؛ فقال ابن زياد: الرأي رأيك، اخرج بهذا الكتاب إلى ابن سعد

فليعرض على الحسين النزول على حكمي فأن فعل فليبعث إليَّ به وبأصحابه سلما، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع وإن أبى فأنت أمير الجيش.

ثم كتب إلى ابن سعد:

«أمّا بعد... فإني لم أبعثك الى الحسين لتمنيّه السلام أو البقاء، ولا لتكون له عندي شفيعاً، انظر فإن نزل الحسين على حكمي إبعث إليَّ به وبأصحابه سلما، وإن أبى فقاتله، وإن قتلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره، ولا أرى الله أن هذا يضرّ بعد القتل شيئاً ولكن على قول قد قلته».

قال الراوي: فجاء الشمر بكتاب ابن زياد إلى كربلاء وعرضه على ابن سعد، فلمّا [نظر في الكتاب] قال له: مالك... ويلك يابن ذي الجوشن لا قرّب الله دارك، وقبّح الله ما قدمت به، والله لأظنّك أنت الذي نهيته عمّا كتبت به إليه، والله إنّ الحسين لا يبايع وإنّ نفس أبيه لبين جنبيه.

قال الراوي: ثم ضيّق على الحسين وقسّم الجيش، وجعل على المسنّاة أربعة آلاف وأمرهم أن يمنعوا الحسين وأصحابه من حمل الماء، وكتب الكتائب، فلمّا رأى الحسين عليه‌السلام ذلك جلس في خيمته يصلح سيفه وهو يقول:

يا دهر أُفٍّ لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل

من طالب بحقّه قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل

وكلّ حيٍّ سالك سبيل ... ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنّما الأمر إلى جليل

وفي رواية عن الامام زين العابدين عليه‌السلام: إنّ الحسين عليه‌السلام قال هذه الأبيات عشيّة اليوم التاسع من المحرم، قال علي بن الحسين عليه‌السلام:

«إنّي لجالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمّتي زينت تمرّضني وإذا اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلح وأبي ينشد هذه الأبيات فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، وعرفت ما أراد وخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت وعلمت إن البلاء قد نزل، وأما عمتي لمّا سمعت وهي امرأة من شأن النساء الرقّة والجزع لم تملك نفسها دون أن وثبت تجر ثوبها حتى انتهت إليه نادت: وا ثكلاه... وليت الموت أعدمني الحياة... اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضين وثمال الباقين. فنظر إليها الحسين عليه‌السلام وقال لها: «يا اختاه لا يذهبنّ بحلمك الشيطان». فقالت: أخي نفسي لك الفداء، فردّت عليه غصّته وترقرقت عيناه بالدموع ثم قال: «لو ترك القطا ليلاً لنام»، فقالت: يا ويلتاه افتغصب نفسك اغتصاباً؟ فذلك اقرح لقلبي وأشدّ على نفسي..، ثم لطمت وجهها وأومت إلى جيبها فشقّته فخرجت مغشيّاً عليها، فقام إليها الحسين
عليه‌السلام فصب على وجهها الماء حتى أفاقت فقال لها الحسين: «يا اُختاه تعزّي بعزاء الله، فإنّ سكان السماوات يفنون، وأهل الأرض كلّهم يموتون، وجميع البرية يهلكون، وكل شيء هالك إلّا وجهه الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعيدهم وهو فرد وحده، جدّي خير مني وأبي خير منّي وأخي خير منّي، ولي ولكم ولكلّ مسلم برسول الله اسوة، ثم قال لها: يا اُختاه إنّي أقسمت عليك فأبرّي قسمي، ولا تشقّي

عليَّ جبيناً، ولا تخمشي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور».

أخت يا زينب أوصيك وصايا فاسمعي إنّني في هذه الأرض ملاق مصرعي

واصبري فالصبر من شيم كرام المفزع كلّ حيّ سينجيه عن الأحياء حين

واجمعي شمل اليتامى بعد فقدي وانظمي اطعمي من جاع منهم ثم روّي من ظمي

واعلمي أنّي في حفظهم طلّ دمي ليتني بينهم كالبدر بين الفرقدين

قال الراوي: ولما سكنت خرج الحسين عليه‌السلام من الخيمة وجمع أصحابه ثم خطبهم وقال:

«اللهم احمدك على ما أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا بالدين، فاجعلنا من الشاكرين - ثم قال ـ: أصحابي انطلقوا أنتم في حلٍّ مني، وإنّ القوم لا يريدون إلّا قتلي». فقالوا له اخوته واولاد عمّه: لم نفعل ذلك، أتحب أن نبقى بعدك عاراً في الناس؟ لا أرانا الله ذلك يا أباعبدالله...، وبدأهم في ذلك العباس بن علي، ثم التفت الحسين عليه‌السلام الى بني عقيل وقال:

«يا بني عقيل... حسبكم من القتل بمسلم، فاذهبوا أنتم في حلِّ منّي». فقالوا: يا سبحان الله!! ما نقول للناس وما يقولون لنا لو نترك سيّدنا وبنو عمومتنا ولم نرم معهم بسهم ونطعن معهم برمح ولم نضرب معهم بالسيف، لا والله لا نفعل ذلك نفديك بأنفسنا ونقتل دونك حتى نرد موردك، قبّح الله العيش بعد يا أبا عبدالله.

وتكلّمت أصحابه، قالوا: أبا عبدالله.. نحن نخلّي عنك؟ وبماذا نعتذر الى الله في أداء حقّك؟ لا والله لا نفارقك حتى نطعن في صدورهم رماحنا ونقاتلهم

بأسيافنا.

أقول: بيّض الله وجههم، لقد بذلوا مهجهم دون أبي عبدالله الحسين عليهالسلام ولله درّ من قال:

جادوا بأنفسهم عن نفس سيّدهم والجود بالنفس أقصى غاية الجود [1]

---

(1)

(نصاري)

اطربوا عالمنايه او غدوا يحدون او دون ابنات وحي الله يحامون
لمن طاحوا ضحايا ابخطة الكون او عليهم بالشهادة الباري أنعم
غدوا هذا اعلى حرّ الگاع مطروح او ذاك ايعالج او دم منحره ايفوح
وهذا من الطعن ما بگت بي روح او ذاك من الطبر جسمه تخدّم
تعنّه احسين واوچب بالمعاره لگال امطرحه او دمعها ايتجاره
صفگ بيده وتلهّف على انصاره او عليهم دمع عينه انحدر واسجم

(ابوذية)

يحگ لي انصب على اهل المجد مأتم بدر تم بالبلوغ وبدر ما تم
عجيد اصياح منهم أبد ما تم بس ديارهم أمست خلية

* * *

أحبّاي لو غير الحمام أصابكم عتبتُ ولكن ما على الموت معتبُ

المطلب الثامن والثلاثون

في ما صدر في ليلة العاشر من المحرم

لمّا كانت الليلة العاشرة من المحرم جمع الحسين عليه‌السلام أصحابه عند المساء، قال علي بن الحسين عليه‌السلام: فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وان إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: «أُثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللّهمّ إنّي أحمدك على ما كرّمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين، أمّا بعد... فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، وأهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً، الا وإنّي أظنّ أنّ يوماً لنا من هؤلاء القوم، ألا وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً، أنتم في حلّ منّي ليس عليكم منّي ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، ودعوني وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يريده غيري». فقالوا له إخوته وأبناءه وبنو أخيه وأبناء عبدالله بن جعفر؟ ولم تفعل ذلك لنبقي بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً.

فبدأهم بهذا القول العباس بن علي وأتبعه الجماعة عليه فتكلّموا بمثل هذا، ثم نظر إلى بني عقيل فقال: «حسبكم من القتل بمسلم إذهبوا فقد إذنت لكم».

فقالوا: يا سبحان الله، فما يقول الناس لنا؟ وماذا نقول لهم؟ إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله لا نفعل ذلك ولكنّا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهالينا.

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخلّي عنك وقد أحاط بك هذا العدو؟! وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقك؟ لا والله... لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمة بيدي، ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به أقذفهم بالحجارة ولا افارقك أو أموت معك.

وقام سعيد بن عبدالله الحنفي فقال: لا والله يابن رسول الله لا نخلّيك أبداً حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا فيك وصيّة رسوله محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، والله لو علمت أنّي أُقتل فيك ثم أحيا ثم أُحرق حيّاً ثم أُذري ويفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك؟ وإنما هي قتلة واحدة ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين وقال: والله يابن رسول الله لوددت أنّي قُتلت ثم نُشرت ألف مرة، وإنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من إخوتك وولدك وأهل بيتك.

وتكلّم جماعة من أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً وقالوا: أنفسنا لك الفداء نقيك بأبداننا وأنفسنا، فإذا نحن قتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربّنا وقضينا ما علينا.

وكان من جملة أصحابه وهب بن عبدالله الكلبي، وكان رجلاً نصرانياً نازلاً على بئر أُم عمير بالكوفة، ولمّا بعث ابن زياد الجيوش إلى حرب الحسين عليه‌السلام

جعل يسأل العسكر: إلى أين ماضين؟ فيقولون له: الى حرب الحسين؛ فسألهم: ابن من؟ فقالوا له: ابن بنت رسول الله. قال: فجاء هو وأُمّه وزوجته حتى وافوا كربلاء، فجاء الى الحسين عليه‌السلام فأسلم هو وأُمّه وزوجته على يد الحسين، ولما كانت اليوم العاشر من المحرم أراد البراز فأقبلت زوجته تمانعه فصاحت به أُمّه: بني دع كلامها وانصر ابن بنت رسول الله، فتركها وحمل سيفه وأقبل إلى الحسين يستأذنه، فأذن له الحسين فحمل على القوم، فبينما هو يقاتل وإذا زوجته أتت إليه من خلفه وهي تنادي: وهب... قاتل دون الطيبين آل رسول الله؛ فرجع إليها وقال لها، ويلك الآن كنت تنهيني عن القتال؛ قالت: وهب لا تلمني إنّ واعية الحسين كسرت قلبي، ثم قال لها: ارجعي إلى خدرك، فلم ترجع لأنّها مدهوشة... أقبل وهب إلى الحسين وقال له: سيدي ارجعها. فجاء إليها الحسين وأرجعها، فحمل وهب على القوم وجعل يقاتل حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، فتعطّفوا عليه أعداء الله وقتلوه واحتزوا رأسه رموا به نحو معسكر الحسين، فأخذته أمّه ووضعته في حجرها وجعلت تقول: بني وهب بيّض الله وجهك...، وحملت على القوم وجعلت تقول:

أنا عجوز في النسا ضعيفه ... خاوية بالية نحيفة

اضربكم بضربة عنيفة ... دون بني فاطمة الشريفة [1]

يقول الراوي: فأصابت رجلين فقتلتهما، نظر الحسين عليه‌السلام وإذا بامرأة تقاتل فعندها أقبل إليها وقال لها: يا أُم وهب ارجعي إلى الخدر.

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى المحصنات جرّ الذيول

(1) توضيح ذكر صاحب الإبصار أنّ صاحبة الرجز هي أُم عمرو بن جنادة وإنّ ام وهب قتلها رستم غلام الشمر بعمود والله أعلم.

اقول: سيدي أبا عبدالله أشفقت على امرأة عجوز برزت بين العساكر!! إذاً كيف حالك وما كنت صانعاً لو نظرت الى حال مخدراتك وقد أحاط بهنَّ العدو من كل جانب ومكان، وهنَّ يلذن ببعضهن وقد أشعلوا النار في خدورهنّ فخرجنّ من الخدور ناشرات الشعور مشققات الجيوب.

لقد فزعت من هجمة الخيل ولّهاً — إلى ابن أبيها وهو فوق الثرى مغف

ونادت عليه حين الفته عارياً — على جسمه تسفى صبا الريح ما تسفي [1]

---

(1)

(عاشوري)

لمّن لفتها الخيل غاره — وعلى المخيّم غدت داره

طلعت تحشّم للمعارة — شافت وليها البي نماره

عالگاع دم نحرة ايتجارة — صاحت يابن حمّاي جاره

گوم الخواتك سوي چاره — ولتها العدى وظلت حياره

(ابوذية)

انگطع بت گلبي من الحزن والتل — على الهامت ابذاك الشعب والتل

گوم احمي الحرم يحسين والتل — جبتها ابشيمتك للغاضرية

(تخميس)

أخي يا تاج عزّي وافتخاري — ويا بدر المنير لكلّ ساري

أخي كيف السلوّ وأنت عار

أخي لم لا يفارقني اصطباري — وممَّ وكيف لا يعلوا نحيبي

المطلب التاسع والثلاثون

في ترجمة حبيب بن مظاهر رحمه الله

ذكر صاحب «إبصار العين» أنّه كان حبيب بن مظاهر الأسدي [1] صحابياً، وقيل: تابعياً، وكان من خواص أمير المؤنين عليه‌السلام، والمقتبسين علومه، فمن علومه ما رواه الكشّي، قال: مر ميثم التمار [2] على فرسٍ له فاستقبله حبيب بن مظاهر عند

---

(1) في ابصار العين: حبيب بن مظهر: قال أهل السير إنّ حبيباً نزل الكوفة وصحب علياً في حروبه كلّها، وكان من خاصته وحملة علومه.

انظر: إبصار العين: 56، وتاريخ من دفن في العراق من الصحابة.

(2) ميثم التمار: كان من حواري أمير المؤمنين عليه‌السلام، وقد أطلعه على علوم جمة وأسرار خفية، فكان ميثم يحدّث ببعض ذلك، فمنه ما يروى عن أبي خالد التمار قال: كنت مع ميثم التمار بالفرات يوم الجمعة، فهبّت ريح وهو في سفينة من سفن الرّمان، قال: فخرج ونظر إلى الريح وقال: شدوا برأس سفينتكم، أن هذا الريح عاصف مات معاوية الساعة، قال: ولمّا كانت الجمعة القادمة وقدم البريد من الشام فلقيته واستخبرته وقلت له: يا عبدالله ما الخبر؟ قال: الناس على احسن حال، هلك معاوية وبايع الناس يزيداً. قلت: أي يوم هلك؟ قال: يوم الجمعة.

وروى المفيد وقال: كان ميثم الثمار عبداً لأمرأة من بني أسد فاشتراه أمير المؤمنين عليه‌السلام وأعتقه وقال: اسمك؟ فقال: سالم، فقال عليه‌السلام: أخبرني حبيبي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إن اسمك الذي أسماك به أبوك ميثم. قال: صدق رسول الله وصدقت يا أمير المؤمنين والله إنّه لاسمّي؛

مجلس بني أسد، فتحادثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال حبيب: لكأنّي بشيخ اصلع ضخم البطن يبيع البطّيخ عند سوق الطعام يصلب في حب آل البيت نبيّه وتبقر بطنه على الخشبة؛ وقال ميثم: واني لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج إلى نصرة ابن بنت نبيّه فيقتل بين يديه ويجال برأسه في الكوفة معلّق بلبان الفرس؛ فضحكا وافترقا. قال أهل المجلس: ما رأينا أحد أكذب من هذين.

قال الراوي: ولم يفترق أهل المجلس حتى اقبل رشيد الهجري [1]

فقال عليه‌السلام: ارجع الى اسمك الذي سمّاك به رسول الله ودع سالماُ. فرجع الى ميثم وكنّى بأبي سالم.

وقال له أمير المؤمنين عليه‌السلام يوماً: كيف بك يا ميثم إذا دعاك دعيّ بني أمية عبيدالله ابن زياد إلى البراءة منّي؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين والله لا أبرء منك: قال عليه‌السلام: إذاً والله يقتلك ويصلبك، قلت: اصبر فذاك في الله قليلـ فقال: إذاً تكون معي في درجتيـ

وحج ميثم في السنة التي قتل فيها، ولمّا رجع قبضه ابن زياد وحبسه مع المختار ابن أبي عبيدة الثقفي، ثم أخرجه وصلبه على خشبة حول باب عمرو بن حريث فجعل ميثم يحدّث بفضائل أمير المؤمنين، فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، قال: الجموه، فكان ميثم أول من الجم في الإسلام، ولمّا كان اليوم الثامن طعن بالحربة ثم انبعث في آخر النهار فمه وانفه دماً فمات رحمه الله، كان قتله بعد شهادة مسلم بأيام قليلة، قال: وبقي مصلوباً حتى اجتمع سبعه من التمارين وسرقوا جثّته، وجاءوا به الى فيض ماء في مراد فدفنوه ورموا الخشبة في خربة هناك. انظر رجال الكشي: 80 / 135 و 83 / 139.

(1) كان رشيد الهجري من رجال أمير المؤمنين عليه‌السلام، ومن أعيان الشيعة المشهورين، وكان أمير المؤمنين عليه‌السلام يسميه رشيد المنايا، علّمه أمير المؤمنين علم المنايا والبلايا، كان يقول: فلان يموت بموته كذا وكذا، وفلان يقتل بقتله كذا وكذا.

روى الشيخ الكشي رحمه الله في رجاله عن أبي حيان البجلي، عن قنواء بن رشيد الهجري رحمه الله، قال: قلت لها: اخبريني بما سمعت من أبيك، قالت: سمعت أبي يقول: أخبرني مولاي أمير المؤمنين عليه‌السلام قال: يا رشيد كيف صبرك إذا ارسل إليك دعيّ بني أمية فقطع يديك

فطلبهما، فقالوا: له: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد: رحم الله ميثماً، نسي ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم، ثم أدبر.. فقال القوم: هذا والله اكذبهم.

فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب عمرو بن حريث، وكذلك قتل حبيب بن مظاهر مع الحسين عليه‌السلام وجيء برأسه، ورأينا كلّما قالوه [1].

وذكر أهل السير: أنّ حبيب بن مظاهر كان ممن كاتب الحسين عليه‌السلام وحبّذ له القدوم الى الكوفة، وكان رحمه الله هو ومسلم بن عوسجة يأخذان البيعة للحسين في الكوفة، حتى إذا دخل عبيدالله ابن زياد الكوفة وخذل أهلها عن مسلم بن عقيل أخفوهما عشايرهما، ولمّا ورد الحسين عليه‌السلام كربلاء خرجا إليه مختفيين يسران الليل ويكمنان النهار حتى وصلى إليه ليلة السابعه أو الثامنة من المحرم.

وذكر صاحب «أسرار الشهادة»: أنّه لمّا نزل الحسين عليه‌السلام كربلاء عقد اثني

ورجليك ولسانك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين آخر ذلك في الجنّة؟ فقال عليه‌السلام: يا رشيد أنت معي في الدنيا والآخرة.

قالت: فوالله ما ذهبت الأيام والليالي حتى أرسل إليه عبيد الله بن زياد فدعاه الى البراءة من أمير المؤمنين عليه‌السلام فأبى أن يتبرأ منه، فقال له الدعي: فأيّ ميتة قال لك مولاك تموت؟ فقال: أخبرني خليلي إنك تدعوني الى البراءة منه فلا أتبرأ، فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لأكذبن قوله فيك. قالت: فقدّموه فأمر به فقطعت يديه ورجليه وترك لسانه، فحملت أطراف يديه ورجليه فقلت له: يا أبتاه هل تجد ألماً أصابك؟ فقال: لا يا بنية إلا كالزحام بين الناس، فلمّا احتملناه واخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله، فقال: ائتوني بصحيفة ودواة أملي لكم ما يكون الى يوم الساعة! فأرسل إليهم الحجام فقطع لسانه فمات في ليلته رحمه‌الله عليه، انتهى. انظر رجال الكشي: 75 / 131.

(1) رجال الكشي: 78 / 133.

عشر راية وقسّمها على أصحابه، فبقيت في يده راية واحدة فأقبل إليه رجل من أصحابه فقال له: سيّدي سلمني هذه الراية، فقال له الحسين عليه‌السلام: انت نعم رجل ولكن لهذه الراية رجلاً يركزها في صدور القوم وهو يعرفني حق المعرفة وسأكتب إليه كتاباً يأتي ان شاء الله تعالى؛ فقال له: سيدي ومن تعني بذلك؟ فقال له عليه‌السلام: أعني حبيب بن مظاهر الأسدي، فقال: انه لكفؤ كريم.

قال الراوي: ثم دعى الحسين عليه‌السلام بدواة وبياض وكتب إليه كتاباً يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام...

إلى أخيه النجيب حبيب...

أمّا بعد... يا حبيب فقد نزلنا كربلاء وقد بانت من أهل الكوفة الخيانة كما خانوا بأبي سابقاً، وبأخي لاحقاً، فإن كنت يا حبيب تروم أن تحظى بالسعادة الأبدية فبادر الى نصرتنا والسلام.

ثم ختم الكتاب بخاتمه الشريف ودفعه الى رجل من أصحابه فأقبل به يجد السير حتى دخل الكوفة، وكان حبيب حينئذ قد قدّمت اليه زوجته طعاماً يتغذّى به وهي واقفة على رأسه تروّح له، فبينا هو يأكل تغير لونه، فقالت له زوجته: مالي أراك كففت عن الاكل وتغيّرت؟! فسكت رحمه الله، ثم قالت: إن صدق ظنّي الان يأتيك رسول من الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام، فبينا هما بالكلام وإذا بالباب تطرق فقام حبيب وفتح الباب، وإذا برسول الحسين عليه‌السلام سلّم فرد عليه‌السلام ثم قال: الله الله صدقت الحرّة بمقالتها، ثم دخل الرسول الى الدار وخرج الكتاب وسلّمه إلى حبيب.

فضه وقرأه، ولما علم بما فيه جرت دموعه على شيبته ووضع الكتاب على عينيه وعلى رأسه وقال: أفديه بنفسي وأهلي وولدي، ثم قال لرسول، ابلغ سيدي عني السلام وقل له يأتي خلفي ان شاء الله.

ثم خرج الرسول من عنده فجاءت اليه زوجته وقالت له: يا أبا القاسم سمعت كلمات حدّثك بها الرسول، فقال حبيب: اسكتي لا يشعر بسرّنا أحد، فقالت له: كأنّك خائف من أخبر أحداً، والله يا حبيب إن لم تمض إلى نصرة سيدي ومولاي الحسين عليه‌السلام لألبسن ملبوس الرجال وأنا أمضي الى نصرته.

قال الراوي: وكان حبيب في كل يوم يخرج خارج البساتين في زي المتنزه فالتفت ذلك اليوم إلى عبده وقال له: خذ الجواد وامض به خارج البساتين وانتظرني هناك، فخرج العبد بالجواد فودّع حبيب أهله واولاده ثم خرج حتى إذا صار قريباً من العبد سمع العبد يخاطب الجواد وهو يقول: والله إن لم يأت إليك صاحبك ويركبك لأنا أركبك وأمضي الى نصرة سيدي ومولاي الحسين.

فلما سمع حبيب ما سمع من العبد بكى وقال: بأبي أنت وأُمّي يا أبا عبدالله العبيد تريد نصرتك ومؤازرتك فكيف بنا؟

قال: فجاء إليه حبيب وأخذ منه الجواد وقال له: انطلق أنت حر لوجه الله، فوقع العبيد على قدميه وهو يقول: سيّدي أيسرّك أن تمضي الى الجنّة وأنا أمضي إلى النار؟ لا كان ذلك أبداً بل أمضي معك الى نصرة سيّدي ومولاي الحسين عليه‌السلام، فقال له حبيب: امض بارك الله فيك.

قال: فجاء حبيب يجد السير ومعه عبده حتى ورد كربلاء في اليوم الثامن من المحرم، وكان الحسين عليه‌السلام جالساً في خيمته ومعه أخوته وأولاده وأصحابه، إذ التفت الى اصحابه وقال لهم: هذا حبيب قد أقبل، ثم إنه لما قرب من خيم الحسين عليه‌السلام نزل من على ظهر جواده الى الأرض وأقبل يمشي حتى دخل على الحسين عليه‌السلام ووقع على قدميه يقبلهما وهو يبكي ويقول: سيدي لعن الله غادريك.

قال: واستبشر أصحاب الحسين بقدوم حبيب، وكذلك عيالات الحسين استبشرن بقدومه.

(للشيخ قاسم محي الدين رحمه الله):

بنفسي أنصاراً فدوا سبط أحمد وجدّوا بنصر السبط في كلّ مشهد
وفوا حيث وافوا طالبين لنصره وبالعزم كلّ والبسالة مرتدي
وقد آثروا الموت الزؤام وورده بنصر ابن هاديها على كلّ مورد [1]

(1)

گام ابنة الوصي البيه الكفاية عدل عسكره او شد الروايه
جسمها اعلى اهلها او بگت رايه ذاخرها لعد ضنوة الطيبين
ذاخرها لعد ذاك المچنّه حبيب اوليه الطارش من تعنة
طلع ليه ايتلگّه وجذب ونّه يگله انته يطارش مگصدك وين
يگلّه وينحب الطارش على الباب الك گاصد ومتعني ابهالكتاب
گله اسدر او دمع العين سچّاب لبو اليمة أجي على الراس والعين
هله صاحت حبيب احسين ينخاك أظن بالغاضريه اليوم يتناك
بالله اعليك اخذني الزينب اوياك اشوفنها وشوف الهاشميين
يگلها الهلچ روحي امودّعه اليوم گطع لرض الطفوف افجوع واحزوم
وصل للطف وشاف الخيل والگوم كلها امدرچله او خيمت صوبين
گصد يبچي او يهل دمعه على خدّه لمخيم الحسين اوياه عبده
حب ايد الإمام او فاخ وجده هله ابجية حبيب ايصيح لحسين

ولمّا سمعت بذلك مولاتنا زينب عليهاالسلام قالت: اقرؤه عني السلام، ولمّا بلغه ذلك استأذن من الحسين عليه‌السلام في السلام على بنات الرسالة وقال: السلام عليكنّ يا بنات رسول الله، وعليك السلام يا عم يا حبيب وكأني بها:

(نصاري)

اوصيك يا عمّي بالحسين اولاده واهل بيته قليلين
انا خايفه من هجمة البين على العباس يا عمّي والحسين

(تخميس)

رجالٌ تواصوا حيث طابت أصولهم وأنفسهم بالصبر حتى قضوا صبراً
حماةٌ حموا خدراً أبى الله هتكه فعظّمه شأناً وشرّفه قدرا
فأصبح نهباً للمغاوير بعدهم ومنه بنات المصطفى ابرزت حسرى

المطلب الأربعون

في استنصار حبيب بن مظاهر لبني أسد

ذكر صاحب «أسرار الشهادة»: أنّ حبيب بن مظاهر كان ذات يوم بالكوفة واقفاً عند عطّار يشتري صبغاً لكريمته، فمرّ عليه مسلم بن عوسجة فالتفت إليه حبيب وقال له: يا مسلم إنّي أرى أهل الكوفة يجمعون الخيل والرجال والأسلحة فبكى مسلم وقال: صمموا على قتال ابن بنت رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم؛ فبكى حبيب ورمى الصبغ من يده وقال: لا والله لا تصبغ هذه إلا من هذه. وأشار إلى نحره ثم سار حتى وافى كربلاء.

وذكر محمد بن أبي طالب في مقتله: إنّه لمّا رأى حبيب بن مظاهر كثرة العساكر وتصميمهم على حرب الحسين أقبل إلى الحسين وقال له: سيدي إنّ هاهنا حي من بني أسد أفتأذن لي أن أمضي إليهم وأدعوهم الى نصرتك؟ فقال له الحسين عليهالسلام: بلى امض. فانسل حبيب في جوف الليل حتى إذا جاء الى ذلك الحي اجتمعوا عليه ورحبوا به، ثم قالوا له: ما حاجتك؟ فقال: إني أتيتكم خير ما أتى به وافد على قومه، جئتكم أدعوكم الى نصرة ابن بنت رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم، وهذا ابن سعد أحاط به وأنتم عشيرتي أطيعوني تنالوا شرف الدنيا والآخرة، والله لا

يقتل احد منكم إلّا وكان لمحمّد صلىاللهعليهوآلهوسلم رفيقاً يوم القيامة.

فقام إليه رجل يسمى عبدالله بن بشير، فقال: يا حبيب أمّا أنا فأول من يجيبك إلى هذه الدعوة، وها أنا ماض معك. قال: فتبادروا حتى اجتمعوا تسعون رجلاً وأقبلوا معه يريدون الحسين عليهالسلام.

قال: وخرج رجل من ذلك الحي وأقبل الى ابن سعد فأخبره، فدعى اللعين بالأزرق الشامي وضم إليه خمسمائة فارس ووجّههم معه إلى بني أسد، فاستقبلهم الأزرق ليلاً على شاطيء الفرات، فتصادموا معه بنو أسد سويعة، وصاح به حبيب: ويحك يا أزرق دع يشقى بنا غيرك؛ قال: ولمّا رأوا بنو أسد أن لا طاقة لهم على القوم تراجعوا الى حيّهم ورحلوا عن منازلهم، وبقي حبيب وحده فرجع الى الحسين عليهالسلام وأخبره بالخبر، فقال الحسين: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

قال الراوي:

واعترضه علي الأكبر فقال: يا عم حبيب إنّ أهل الكوفة قد تألبوا لقتال أبي الحسين واستلّوا سيوفهم عليه، ونحن اسرة قليلة لا تنهض بالدفاع عنه ولا عن سلامته، فلو إنّ أبي يسلم ونحن نقتل ما بالينا بالموت، فالله في هذه النسوة والأطفال إذا جن عليهم الليل وهم من غير محام ولا كفيل ولا حمى ولا ولي.

فأطرق حبيب رأسه إلى الأرض هنيئة ثم رفع رأسه وقال: ما الذي تريد يابن سيّدنا؟ قال: اريد منك أن تشير على والدي بالرجوع الى المدينة.

فقال حبيب: هيهات يابن سيّدنا قد جرى في علم الله ما تحاذر، ولأجل أبيك طلّقنا حلائلنا وفارقنا أهالينا وأعرضنا عن زهرة دنيانا، أمّا عمّك حبيب

فشيخ كبير قد أعرض عنه النعيم الفاني، أفلا تحب أن يرحل إلى النعيم الباقي؟ وما أشوقني أن أكون أول قتيل بين أيديكم ولا أسمع واعيتكم ولا أرى هاشمية تسبى.

فقال علي بن الحسين: أمّا أنت يا عم فقطب رحاها وليث وغاها وأنا إنّما استعملت خبرك بكلامي معك لأواجه به عمّتي زينب، فإنّها قالت لي، يابن أخي إنّ أباك الحسين خطب أصحابه وأذن لهم بالتفرق والموت، يابن أخي مُر وكربه مطعمه أفلا تتعرض لعمّك حبيب وترى ما عنده؟ وبقي حبيب على هذا الحال، وكان حبيب بوّاباً على خيمة الحسين عليه‌السلام وحاملاً لوائه يوم عاشوراء.

قال: ولما كان اليوم العاشر من المحرم جلس حبيب بإزاء خيمة النساء واضعاً رأسه في حجره يبكي ثم رفع رأسه وقال: آه آه لو جدك يا زينب يوم تحملين على بعير ظالع يطاف بك البلدان ورأس أخيك الحسين أمامك، وكأنّي برأسي هذا معلق بلبان الفرس تضربه بركبتيها.

فضربت زينب رأسها بعمود الخيمة وقالت: بهذا أخبرني البارحة، لوددت أن أكون عمهاء [1].

ثم جاء حبيب واستأذن الحسين عليه‌السلام للبراز، فأذن له، فحمل على القوم وهو يقول:

أقسم لو كنّا لكم أعدادا   أو شطركم ولّيتم اكتادا [2]

ثم قاتل القوم فأخذ يحمل فيهم بسيفه وهو يقول:

---

(1) عمهاء: من العمة، (انظر لسان العرب 13 / 519).

(2) اكتاد جمع كتد وهو مجتمع الكتفين من الإنسان وغيره انتهى.

أنا حبيب وأبي مُظهَّر | فارس هيجاء وليث قسور
أنتم أعد عدة وأكثر | ونحن أوفى منكم واصبر
ونحن أعلى حجة وأظهر | حقّاً، وأتقى منكم وأعذر

ولم يزل يقاتل حتى قتل من القوم مقتلة عظيمة، فحمل عليه بديل بن صريم العقفاني [1] فضربه بسيفه، وحمل عليه آخر من تميم فطعنه برمح فوقع إلى الأرض، فذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فسقك إلى الارض، فنزل اليه الحصن فاحتزّ رأسه.

وروى عن أبي مخنف قال: لمّا قتل حبيب هدّ قتله الحسين عليه‌السلام، فجاء إلى مصرعه وقال: عند الله احتسب نفسي وحماة اصحابي، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قتل والله أسد من آساد الله، يذبّ عن حرم الله، رحمك الله يا حبيب، لقد كنت شجاعاً فاضلاً تختم القران في ليلة واحدة [2].

وفي ذلك يقول الشيخ محمد السماوي رحمه الله:

إن يهدُّ الحسين قتل حبيب | فلقد هدّ قتله كلّ ركن
بطل قد لقى جبال الاعادي | من حديد فردّها كالعهن
لا يبالي بالجمع حيث توخّى | فهو ينصب كأنصاب المزن
أخذ الثار قبل أن يقتلوه | سلفاً من منية دونَ منّ
قتلوا منه للحسين حبيباً | جامعاً للفعال من كلّ حسن

(فائدة): وإنّما دفنت بنو أسد حبيباً عند رأس الحسين عليه‌السلام اعتناء به، أو

---

(1) العقفاني بالعين المهملة والقاف والفاء نسبة الى عقفان بضم العين وهو (حي من خزاعة).
(2) مقتل أبي مخنف: 145 - 147.

ولكونه كان يوم الطف بوّاباً على خيمة الحسين عليه‌السلام، وكان لحبيب أولاد ثلاثة: محمد وعبدالله والقاسم أكبرهم، ولمّا أن سمعت زوجته بقدوم السبايا وأنّهم دخلوا الكوفة دعت ولدها القاسم وقالت له: ولدي إنطلق الى السبايا وقل لهم إنّ أمي تقول: أبي حبيب بيّض وجوهنا أم لا؟

فأقبل الغلام حتى قرب من السبايا فرأى رأس أبيه معلّق بلبان الفرس، فجعل يصرخ ويبكي، ثم أقبل على الموكل برأس أبيه وقال له: إدفع لي هذا الرأس وأنا إعطيك مقداراً من الدنانير.

فقال اللعين: إنّ جائزة الأمير خير لي. ولمّا قاربوا دار حبيب رفع الغلام حجراً وضرب رأسه، ودخل على اُمّه باكياً يصيح: اُمّاه قومي واستقبلي رأس أبي. فخرجت اُمّه ولما رأت رأس زوجها معلق بلبان الفرس صاحت: حبيب بيّض الله وجهك كما بيّضت وجهي عند الزهراء عليه‌السلام.

ويروى أنّ القاسم سأل عن قاتل أبيه فعرّفوه، فجعل يتربّص به الدوائر مدّة من الزمن إلى زمن مصعب بن الزبير، فلمّا غزا مصعب باجميرا [1] جاء القاسم ودخل في معسكر مصعب، فإذا قاتل أبيه في فسطاطه نائماً فجثى القاسم على صدره فانتبه اللعين، فقال له القاسم: أتعرفني من أنا؟ قال: لا، قال: أنا ابن حبيب بن مظاهر، فعرفه، ثم إن القاسم إحتزّ رأسه وأقبل به حتى دخل على مصعب بن الزبير فوقف أمامه وقال له: إعلم يا أمير ما نامت عيناي منعمة إلي إن أخذت ثاري

(1) باجمير الباء المفردة والجيم المضمومة والميم المفتوحة والياء المثناة والراء المهملة والألف المقصورة موضع من أرض الموصل كان مصعب ابن الزبير يعسكر في محاربه عبدالملك بن مروان حين يقصده من الشام أيّام منازعتهما في الخلافة. انظر معجم البلدان: 1 / 314.

من قاتل أبي، فقال له: من أنت؟ قال: أنا ابن حبيب بن مظاهر، فشكره ابن الزبير على صنعه وأطلقه.
أقول: أجل ومتى يؤخذ بثار الحسين عليهالسلام:

متى ينجلي ليل النوى عن صبحه نرى الشمس فيها طالعتنا من الغرب [1]

---
(1)

(موشّح)

بحشاك النوايب خلّفت شطّار والهم جرح دلّالك يراعي الثار
اول جرح كسر الضلع والبسمار ومغيبك يبدر العصر تاليه
متى اتگوم او تجرد السيف من غمده ونشوف المنايا اتلوح ابحدّه
حيدر من سجد ما تمم السجده وبن ملجم جسم هامته ابماضيه
دلّالك تمرمر لون من مرمر چان انفطر من عظم الصبر وتفطّر
من تذكر امصاب الحسن تتحسّر يالصاحب اومن تسمع ابطاريه
مهر احسين انشده امن انچتل يمّه چله اشلون بالطف طاح ابو اليمّه
يخربرك من تحنّت گصته ابدمّه وسدّر يصهل او زادت بواچيه
گلبك خلص من كثر الهضم والهم من خلصوا هلك ما بين چتل وسم
حتى الطفل يوم الطف سبح بالدم يالغايب شله ويالگوم من سيّه
متى يابن الحسن تنهض او يمته اتگوم او تاخذ ثار طفل البسهم مفطوم
يا يوم المبارك يا بدر مخزوم تروي السيف بالدم من بني اُميه

* * *

ادرك تراتك أيها الموتور فلكم بكل يدٍ دمٍ مهدور

ما صارم إلّا وفي شفراته نحر لآل محمّد منحور

المطلب الواحد والأربعون

في ترجمة العباس بن علي بن أبي طالب عليهمالسلام

ولد العباس بن علي عليهالسلام سنة ست وعشرين من الهجرة [1]، وأُمّه أُم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية، وقد أشار عليه عقيل بأخذها كما رواه السيد الداودي في العمدة، قال:

إن أمير المؤمنين عليهالسلام قال لأخيه عقيل - وكان نسّابه عارفاً بأخبار العرب وأنسابهم ـ: اريد منك أن تختار لي امرأة من ذوي البيوت والشجاعة، حتى أُصيب منها ولداً ينصر ولدي الحسين بطفّ كربلاء، فأطرق عقيل برأسه إلى الأرض هنيئة، ثم رفع رأسه وقال له: أخي أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلابية، فإنه ليس في العرب اشجع من أبنائها [2].

وفي آبائها يقول لبيد للنعمان ملك الحيرة:

نحن بنو ام البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعه

الضاربين الهام وسط المعمعه

---

(1) انظر بحار الانوار: 45.
(2) عمدة الطالب: 357 (بتصرف).

فلا ينكر عليه أحد من العرب، ومن قومها ملاعب الأسنة أبو برآء [1] الذي لم يُعرف في العرب مثله في الشجاعة، والطفيل بن مالك فارس فرزل [2]، وابنه عامر ابن الطفيل فارس للزنوق [3].

قال: فتزوّجها أمير المؤمنين عليه‌السلام فولدت له أربعة أولاد أنجبت بهم، وأول ما ولدت العباس، وبعده عبدالله، وبعده جعفر، وبعده عثمان [4]، وعاش العباس مع أبيه أربعة عشر سنة، ومع أخيه الحسن أربعة وعشرين سنة، ومع أخيه الحسين أربع وثلاثين سنة، وذلك مدّة عمره وكان يلقب قمر بني هاشم، ويكنّى أبا الفضل، وقال المؤرخون: حضر العباس بن علي بعض حروب أبيه كالجمل وصفّين والنهروان ولم يقاتل، وكان يقال له السقّا.

ويروى أنّ امير الؤمنين عليه‌السلام كان جالساً في المسجد وحوله الحسن والحسين عليهماالسلام والعباس، وإذ عطش الحسين عليه‌السلام فقام العباس وهو صبي صغير وجاء إلى اُمّ البنين فقال لها: امّاه إن أخي الحسين عطشان، فقامت فاطمة اُمّ البنين وملئت له الركوة ووضعتها على رأس العباس، فجاء به الى المسجد والماء يتصبب على كتفيه حتى جاء به الى الحسين، فلما رآه امير المؤمنين عليه‌السلام صاح: ولدي عباس أنت ساقي عطاشا كربلاء؛ فسمّي عند ذلك السقّاء.

ويقال إنّ أمير المؤمنين عليه‌السلام لمّا عمّمه ابن ملجم (لعنه الله) بسيفه وحضرته

---

(1) انظر بطل العلقمي: 1 / 121.

(2) اسم فرس له، والفرزل: الضخم، وقيل: القيد، وقيل: المقراض (وهو الذي يقطع به الحداد الحديد): والرجل الفرزل: كالقنفذ الضخم. تاج العروس: 8 / 57، ولسان العرب: 11 / 518، وانظر ما كتبه الشيخ المظفر في ترجمته في كتاب بطل العلقمي: 1 / 118.

(3) اسم فرس له

(4) انظر بطل العلقمي: 1 / 91.

الوفاة، جمع أولاده وجعل يوصيهم واحداً بعد واحد، ثم دعى العباس وأوصاه بوصيّة خاصّة، فقال له: «ولدي أبا الفضل إذا كان يوم عاشوراء وملكت المشرعة لا تشرب الماء وأخوك الحسين عطشاناً».

قال: ولمّا كتب ابن سعد الى ابن زياد كتابه الذي يقول فيه: «الحمد لله الذي أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأُمّة، وهذا الحسين قد اعطاني عهداً أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه». فقام إليه شمر ابن ذي الجوشن وتلّكم بما ذكرنا آنفاً، وكتب الى ابن سعد يعرض على الحسين عليه‌السلام النزول على حكمه... إلى آخر الكتاب. فقام إليه عبدالله ابن أبي المحل بن حزام بن خالد - وكانت عمته أُم البنين - فطلب من عبيد الله كتاباً فيه أماناً للعباس وأخوته، فكتب عبيدالله له كتاباً فيه أماناً للعباس وأخوته وسلّمه الى الشمر فجاء به إلى كربلاء.

ولمّا كان اليوم التاسع من المحرم ركب جواده وجاء حتى وقف إزاء خيم الحسين عليه‌السلام، وصاح: أين بنو اختنا، أين العباس وأخوته؟ وكان العباس حينئذ جالساً بين يدي الحسين، فأطرق برأسه حياء من الحسين عليه‌السلام، فصاح الشمر ثانياً، وثالثاً، فالتفت الحسين إلى أخيه العباس وقال: أخي قم وانظر ما يريد هذا الفاجر؛ فقام العباس وركب جواده وأقبل إليه وقال له: ما تريد يا ابن ذي الجوشن؟ فقال: هذا كتاب من ابن زياد يذكر فيه إنك أنت الأمير على هذا الجيش، وأنت وإخوتك آمنون، فلا تعرض نفسك للقتل؛ فقال له العباس: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمّنا وابن رسول الله لا أمان له؟! ويلك أفبالموت تخوّفني؟! وأنا المميت خوّاض المنايا، أأترك من خلقني الله لأجله وأدخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟! ويلك أنا أدعوك الى الجنة وأنت تدعوني الى النار؟! يابن ذي الجوشن فأقبل نصيحتي، وكن مع غريب رسول الله ولك عند جدّه الجائزة العظمى.

فلما سمع الشمر كلام العباس لوى عنان جواده، ورجع أبو الفضل العباس

يتهدرس كالأسد الغضبان، استقبلته الحوراء زينب وقد سمعت كلامه مع الشمر، قالت له: يا أخي [أُريدُ] ان احدّثك بحديث؛ قال: حدّثيني يا زينب، لقد حلا وقت الحديث. قالت: اعلم يابن والدي لمّا ماتت اُمّنا قال أبي لأخيه عقيل: اُريد منك أن تختار لي امرأة من ذوي البيوت والشجاعة حتى اُصيب منها ولداً ينصر ولدي الحسين بطفّ كربلاء، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصر يا أباالفضل. فلمّا سمع العباس كلامها تمطى في ركاب سرجه حتى قطعهما وقال لها: أفي مثل هذا اليوم تشجعيني وأنا ابن أمير المؤمنين عليه‌السلام، فلمّا سمعت كلامه سرّت سوراً عظيماً.

بطل إذا ركب المطهّم خلّته	جبلاً أسمّ يخفّ فيه مطهّم
بطل تورّث من أبيه شجاعة	فيها أنوف بني الظلالة ترغم [1]

---

(1)

بالطف صوّل العباس	صولت علي الماصوفه
سل سيفه وصرخ بيها	او كوّر عسكر الكوفه
كوّر كل روایاها	او عملت بدر راواها
چدسها اوتاه منواها	وبالمذهب منایاها
تموج الخيل خلاها	او غوجه ايخوض بدماها
الملازم والزلم والخيل	طواها على المردوفة
شبل المرتضى الكرار	صوّل على الخيل او غار
مشهر صارمه البتّار	سم يگطر ويلهب نار
بالطف حارب الكفّار	حرب الماجره او لا صار
أبدك الرمك ثار اغبار	منه الشمس مكسوفه

سم جتّال سل او داي		ما خلّة بصير او داي

صال اعلى الشريعه احماي		صاح العلگمي بحماي

(فائدة): زوجته لبابة بنت عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب، كان له من الأولاد خمسة: عبيدالله والفضل والحسن والقاسم، وبنتاً. وعدّ ابن شهرآشوب في الطف ولد له وهم: محمد وعبيدالله والفضل أمهما لبابة بنت عبيدالله.

خاضه والگلب حمّاى ذبّه او گال أضوگ الماي

او عبدالله الطفل ظامي او روح السبط ملهوفه

سل سيفه او لگف جوده او رمحه فصم اعجوده

وفده من بحر جوده دون ابن النبي او جوده

ابغفله گطعوا ازنوده او طر هامته ابعاموده

الكندي او جاه ابو السجاد شافه المگطعه اچفوفه

او عينه انطفت والهامه ابذاك العمد مخسوفه

يروحي ويا ضوة اعيوني ناده او صبّن ادموعه

گلت حيلتي او صبري او عليه اتحنّت اضلوعه

(عاشوري)

تخوصر يم عضيده وصاح اويلي يشمس انهاري ويا بدر ليلي

يبو فاضل يخويه اگطعت حيلي او طود الصبر من بعدك تهدّم

(تخميس)

عباس يا حامي الضعينه والحرم بحماك قد نامت سكينه بالخيم

صرخت ونادت يوم قد سقط العلم

اليوم نامت اعين بك لم تنم وتسهّدت أُخرى وعزِّ منامها

المطلب الثاني والأربعون

في ترجمة العباس بن علي **عليهماالسلام** ومصرعه

قال أهل السير: يروى عن أمير المؤمنين عليه‌السلام أنّه قال: «إن ولدي العباس زقّ العلم زقّاً» [1].

وذكر المؤرخون: إنّ العباس بن علي كان أعلم أصحاب الحسين عليه‌السلام يوم عاشوراء، وأضجعهم وأصلبهم إيماناً، وكان بطلاً، فارساً، وسيماً، جسيماً، بين عينيه أثر السجود، وكان إذا ركب الفرس المطهم يخطّان رجلاه في الأرض خطّاً.

وبلغ من شجاعته في كربلاء أنّ عمرو بن خالد الصيداوي، وسعداً مولى حسان بن الحارث، وجمع بن عبيدة العائدي، حملوا على أعدائهم فلمّا وغلوا فيهم عطفوا عليهم واقتطعوهم من أصحابهم وأحاطوا بهم، وقال ابن الأثير:

فانتدب لهم العباس بن علي عليه‌السلام وحده، وحمل على القوم ففرّقهم واستنقذ أصحابه، فلمّا رآهم وكانوا قد جرحوا عدّة جراحات، قويت به قلوبهم فتحاملوا بجراحاتهم وجعلوا يقاتلون القوم حتى رجع العباس إلى موقفه.

ومن صلابة إيمانه أنه عليه‌السلام لمّا ضاق صدره [كان] - ونظر إلى حالة أخيه الحسين عليه‌السلام، وحالة أصحابه، وحالة عيالاته - ينظر الى الحسين عليه‌السلام فيشاهده

---

(1) انظر أسرار الشهادات (للدربندي): 324، (الطبعة الحجرية).

حزيناً كئيباً، وينظر أصحاب أخيه فيشاهدهم مجزرين كالأضاحي، وينظر عيالاته فيشاهدهنّ يتصارخن من شدّة العطش، سئم الحياة ومنعه إيمانه أن يبرز بلا رخصة من أخيه الحسين عليه‌السلام، فجاء الى الحسين عليه‌السلام وقال له، أخي قد ضاق صدري وسئمت الحياة واريد أن أطلب بثاري من هؤلاء المنافقين، فهل لي من رخصة؟ فقال الحسين عليه‌السلام: أجل اطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء؛ فذهب الى القوم ووعظهم وحذّرهم فما افاد الوعظ ولا التحذير، رجع الى الحسين وسمع الأطفال ينادون العطش، أقبل إلى الخيمة - ومعه الحسين عليه‌السلام - ليودّع عياله ويأخذ القربة ليملأها لهم من الفرات، وقد كانت زينب قالت لأختها اُم كلثوم: اُخية في هذا اليوم كلّ فرد من أخوتنا إذا أراد البراز يأتينا الى المخيّم ويودّعنا، والآن لم يبق من اخوتنا الا الحسين والعباس، فإذا جاء إلينا نقسم عليه بالجلوس فإذا جلسا خذي أنت بطرف رداء العباس وأنا آخذ بطرف رداء الحسين، ولا ندعهما يخرجان من الخيمة. فلما رأتهما الحوراء زينب أقسمت عليهما بالجلوس، فجلسا فقامت زينب وجلست الى جنب إخيها الحسين، وكذلك ام كلثوم [جلست] وبيدها رداء العباس وهن يبكين، فبينما هم في هذا ونحوه إذا المنادي ينادي: يا حسين ويا أبا الفضل جبنتما عن الحرب وجلستما بإزاء النساء، فنبض العرق الهاشمي بين عيني العباس، فاجتذب رداءه من اُخته اُم كلثوم وقام، فتعلقت به اُم كلثوم، فناداها الحسين: اُخيّه دعيه يمضي فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه؛ فصاحت زينب: أمري وأمركما إلى الله، فقام العباس وركب جواده:

لا تنس للعباس حسن مقامه ... بالطف عند الغارة الشعواء

واسا أخاه بها وجاد بنفسه ... في سقي أطفال له ونساء

ردّ الاُلوف على الاُلوف معاً ... رضاً حدّ السيوف بجبهة غرّاء

ويروى أنّه سمع الأطفال ينادون العطش، رمق السماء بطرفه وقال: «إلهي

اُريد أن أعتدُّ بعدّتي، وأملأ لهؤلاء الأطفال قربتي». فركب فرسه وحمل قربته على كتفه، وأخذ الرايه معه وقصد المشرعة، ونزل الى الفرات فلمّا أحسّ ببرد الماء وقد كضّه العطش، اغترف بيده غرفة ليشرب فذكر وصيّة أبيه أمير المؤمنين عليه‌السلام وتذكّر عطش أخيه الحسين عليه‌السلام وعيالاته، رمى الماء من يده وقال: لا والله لا أشرب الماء وأخي الحسين عطشان، ثم جعل يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أو تكوني

هذا حسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

ثم ملأ القربة وحملها على كتفه وخرج من المشرعة، استقبله الكتائب وصاح ابن سعد: اقطعوا عليه طريقه، فلما رأى العباس عليه‌السلام ذلك حمل عليهم بسيفه وهو يقول:

إنّي أنّا العباس اغدوا بالسقا ولا أخاف الشرَّ يوم الملتقى

نفسي لنفس الطاهر الطهر وقا حتى أُوارى ميّتاً عند اللقا

فجعل يقاتلهم مقاتلة الأبطال في ذلك المجال، حتى قتل منهم جماعة، فبينما هو يقاتل فجاء سهم الى القربه فأصابها واُريق ماؤها، فدمعت عيناه ووقف متحيراً، فبينما هو كذلك أذ أتاه السهم فوقع في عينه اليمنى، وضربه الحكيم بن الطفيل السنبسي على يمينه فقطعها، أخذ الواء بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتموا يميني إنّي اُحامي أبداً عن ديني

وعن إمامٍ صادق اليقين

فضربه زيد بن ورقاء الجهني على شماله فقطعها، فضمّ اللواء إلى صدره ببقيّة يده وهو يقول:

يا نفس لا تخشي من الكفّار وأبشري برحمة الجبّار

مع النبيّ سيّد الأبرارِ مع جملة السادات والأطهار

فقد قطعوا ببغيهم يساري فأصلهم يا ربّ حرّ النار

فحمل عليه رجل تميمي من أبناء ابان بن دارم وبيده عمود من حديد فضربه على أُم رأسه، خر صريعاً إلى الأرض ونادى بأعلى صوته: ادركني يا أخي، فانقضّ عليه الحسين عليه‌السلام كالصقر، فرآه مقطوع اليدين، مرضوض الجبين، السهم نابت في العين، المخّ سائل على الكتفين، نادى: الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، الان شمت بي عدوي.

ويقال: إنه عليه‌السلام أخذ رأسه ووضعه في حجره، وكان العباس مغمى عليه، أفاق فظن أنّ رجلاً من الأعداء يريد حزّ رأسه، فقال العباس عليه‌السلام: بالله عليك أمهلني حتى يأتي إليَّ ابن والدي، فقال له الحسين عليه‌السلام: أخي أنا أخوك.

ثم أنّ الحسين وضع رأس العباس على الأرض، وقام ووضع يديه تحت ظهره أراد حمله إلى المخيم، فقال العباس: بالله عليك ألا ما تتركني في مكاني، فقال له الحسين عليه‌السلام: لماذا يا أخي؟ فقال العباس: لحاليتين الأُولى فقد نزل بي الموت الذي لابد منه، والثانية إنّي واعدت سكينة بالماء والآن مستحي منها.

ثم فاضت نفسه الزكية، فقام الحسين عليه‌السلام من عنده وأقبل الى المخيّم يكفكف دموعه بكمّه كي لا تراه النساء، استقبلته سكينة فقالت له: أين عمّي العباس؟ لعلّه شرب الماء ونسي ما وراه؛ فقال لها: بني عظّم الله لك الأجر بعمّك العباس، فصاحت: وا عمّاه وا عباساه، من للنساء الضائعات [من بعدك]:

عباس تسمع زينباً تدعوك من ... لي يا حماي إذ العدى سلبوني

أو لست تسمع ما تقول سكينة ... عمّاه يوم الأسر من يحميني

(فائدة): وفيه يقول: - رائياً - حفيده الفضل بن الحسن بن عبدالله بن العباس رضوان الله عليهما:

إني لأذكر للعباس موقفه ... بكربلاءَ وهام القوم تختطف

يحمي الحسين ويحميه على ظمأ ... ولا يولّي ولا يثني فيختلف

ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده	مع الحسين عليه الفضل والشرف
أكرم به مشهداً بانت فضيلته	وما أضاع له أفعاله خلف

(فائدة): روى جماعة عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة، قال: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، وقد كنت أعرفه قديماً شديد البياض جميلاً، فسألته عن سبب تغيّره، وقلت له: ما كدت أعرفك؟! فقال: إنّي حضرت كربلاء وقتلت وسيماً وجسيماً بين عينيه أثر السجود، فما بت ليلة منذ قتلته إلى الآن إلّا وجائني ذلك الرجل بالنوم وأخذ بتلابيبي وقادني إلى جهنّم، فيدفعني فيها فأضل أصيح فلا يبقي أحد في الحي إلّا ويسمع صياحي وتنتبه الناس من نومها، قال الاصبغ: والمقتول هو العباس بن علي بن إبي طالب عليهالسلام.

(فائدة): وأنّما دفن العباس في مكان مصرعه لأنّ بني أسد ما استطاعوا حمله لتوزيع أعضاءه كما إنّ الحسين عليهالسلام لم يحمله على العادة كما كان يحمل القتلى.

(فائدة)

بذلت أيا عباس نفساً نفيسة	لنصر حسين عز بالمجد عن مثل
أبيت التذاذ الماء قبل التذاذه	فحسن فعال المرء فرع عن الأصل [1]

(1)
(نصاري)
خاض الماي بس هيّس ابرّده	ترس چفّه ويروي عطش چبده
تذكّر لن أخوه حسين بعده	ذبّ الماي من چفّة اوتحسّر
هذا الماي يجري ببطون حيّات	وضوگة گبل اخوية احسين هيهات
اظن طفله يويلي من العطش مات	وظن موتي گرب والعمر گصّر
شلون اشرب وخوي حسين عطشان	وسكنه والحرم واطفال رضعان

وظن گلب العليل التهب نيران يريت الماي بعد لا حله او مر

المطلب الثالث والأربعون

في ترجمة علي الأكبر عليه‌السلام

روى ابن إدريس في السرائر، قال: ولد علي الأكبر بعد وفاة جدّه أمير المؤمنين عليه‌السلام بسنتين؛ ورواه المفيد ايضاً في الإرشاد.

وأمه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة الثقفي، وقيل: ولد في أوائل خلافة عثمان؛ وروى الحديث عن جدّه أمير المؤمنين عليه‌السلام؛ وكان أشبه الناس خلقاً ومنطقاً برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

همته بس يوصل الماي لحسين	لا گامن او گعدن الچفين
همته اطفال موته بالصواوين	عطاشى اگلوبهم تلهب امن الحر
اجاه السهم للگربه او فراها	وگف يبچي وسكنه ما نساها
مواعدها على اميّه لحشاها	او منها يستحي للخيم يسدر
سمع حسّه الحسين او ركب وارزم	غار اعلى العده من باب المخيم
رد يمّه او شافه سابح ابدم	تخوصر فوگ راسه والدمع خر
حط راسه بحضنه او راد الوادع	شاله وتربه عباس بالگاع
رد احسين راسه ابگلب مرتاع	شاله اردود للتربان والحر

(تخميس)

نادى وقد ملأ البوادي صيحة	صمّ الصخور لهو لها تتألم
أأخي من يحمي بنات محمّد	إن صرن يسترحمن من لا يرحم

وروى أبو الفرج الأصبهاني: إنّ معاوية ابن أبي سفيان قال يوماً: من أحق الناس بهذا الأمر - يعني - الخلافة؟ فقال له جلساؤه: أنت! قال: لا، إنّ أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين الأكبر لأنّ جدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وفيه شجاعة بني هاشم وسخاء بني أمية وزهو ثقيف.

وكانت تقصده الوفود والشعراء، فممّا مدح به قول الشاعر:

لم تر عين نظرت مثله　　　من محتف يمشي ومن ناعل

يغلي نييء اللحم حتى إذا　　　انضجّ لم يغل على الآكل

كان إذا شبّت له ناره　　　يوقدها بالشرف الطائل

كيما يراها بائس مرمل　　　أو فرد حي ليس بالآهل

لا يؤثر الدنيا على دينه　　　ولا يبيع الحق بالباطل

أعني ابن ليلى ذاالسدى والندى　　　أعني ابن بنت الحسب الفاضل

وكان يكنى اباالحسن، ويلقّب بالأكبر، [لأنّه أكبر] أولاد الحسين عليه‌السلام على ما رواه صاحب كتاب «الحدائق الوردية» في قول العقيقي وكثير من الطالبية، لأنّ أولاد الحسين عليه‌السلام ثلاثة منهم اسمهم اسم أبيه علي عليه‌السلام.

وعن كثير ابن شاذان: شهدت علي الأكبر وهو إذ ذاك صبي وقد اشتهى عنباً في غير أوانه، فقال لأبيه الحسين: أبه إنّي اشتهيت عنباً! فضرب الحسين عليه‌السلام على يده إلى إسطوانة المسجد فأخرج له عنباً وموزاً في غير أوانه ودفع إليه وقال له: ولدي كل من فضل ما أنعم الله علينا. ثم التفت إلينا وقال: ما عندالله لأوليائه أكثر.

وذكر أرباب التأريخ في تأريخهم وأجمعوا على أن علي الأكثر شابه جدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، لا بل شابه الأشباح الخمس وهم: رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم‌السلام، أما شباهه بجدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فكان إذا تلى آية أو

روى رواية شابه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في كلامه ومقاله، بل وفي خلقه وأخلاقه.

يروى: أنّه دخل رجل نصراني مسجد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فقال له الناس: أنت رجل نصراني اخرج من المسجد. فقال لهم: إني رأيت البارحة في منامي رسول الله ومعه عيسى ابن مريم، فقال عيسى ابن مريم: أسلم على يد خاتم الأنبياء محمد ابن عبدالله فإنّه نبي هذه الأمّه حقّاً؛ وأنا أسلمت على يده وأتيت الآن لأُجدّد إسلامي على رجل من أهل بيته. قال: فجاؤا به إلى الحسين عليه‌السلام فوقع على قدميه يقبلهما، فلمّا استقرّ به المجلس قص له الرؤيا التي رآها في المنام فقال له: أتحبّ أن آتيك بشبيهه؟ قال: بلى سيدي؛ قال: فدعى الحسين عليه‌السلام بولده علي الأكبر - وكان إذ ذاك طفل صغير وقد وضع على وجهه البرقع - فجيء به إلى أبيه، فلمّا رفع الحسين عليه‌السلام البرقع من على وجهه ورآه ذلك الرجل وقع مغمى عليه، فقال الحسين عليه‌السلام: صبّوا الماء على وجهه، ففعلوا فلمّا أفاق إلتفت إليه الحسين عليه‌السلام وقال: يا هذا إنّ ولدي هذا شبيهاً بجدّي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم؟ فقال الرجل: اي والله؛ فقال له الحسين عليه‌السلام: يا هذا إذا كان عندك ولد مثل هذا وتصيبه شوكة ما كنت تصنع؟ قال: سيّدي أموت! فقال الحسين عليه‌السلام: أخبرك إني أرى ولدي هذا بعيني مقطّعاً بالسيوف إرباً إرباً.

وأمّا شباهته بجدّه أمير المؤمنين عليه‌السلام فإنّه شابهه عليه‌السلام بالإسم والكنية وبالشجاعة وتعصّبه للحق، وناهيك عن شجاعته عمّا رواه شيخنا أبو جعفر ابن بابويه القمي قال: ولمّا حمل علي بن الحسين على القوم زحزحهم عن أماكنهم وأنهضهم عن مواضعهم، حتى قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً.

وروي: أنّه لمّا حمل على القوم يوم عاشوراء اختلف العسكر فيه وأخذ أصحاب ابن سعد كل يسأل من صاحبه: ابن من هذا؟! ومن يكون هذا الصبي؟! وأمّا الذين هم آخر الجيش فقد أخذتهم الدهشة حتى ظنّوا أنّ أمير المؤمنين عليه‌السلام

قد خرج إليهم من قبره، فلمّا رأى علي بن الحسين عليه‌السلام ذلك جعل يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيتِ الله أولى بالنبي

أضربكم بالسيف أحمي عن أبي ضرب غلام هاشمي علوي

فرجعت الخيل تسحق بعضها بعضاً.

قال بعض الرواة: وشد علي على الناس مراراً، وقتل منهم جمعاً كثيراً حتى ضج الناس من كثر من قتل منهم.

وفي بعض التواريخ إنّ حملاته بلغت إثني عشر حملة فهذه شباهته بجدّه أمير المؤمنين عليه‌السلام.

وأمّا شباهته بالزهراء عليه‌السلام فقد أجمع المؤرخون على أنّ الزهراء عليهاالسلام توفّيت ولها من العمر ثمانية عشر سنة، وكذلك علي الأكبر عليه‌السلام قتل يوم كربلاء وله من العمر ثمانية عشر سنة.

وأمّا شباهته بعمه الحسن عليه‌السلام فقد شابهه بالبهاء والهيبة. يروى أنّ الحسن عليه‌السلام كان إذا مشى في الطريق لا يسبقه سابق، وإذا جلس بباب داره ينقطع الطريق لهيبته، وإذا جلس في البيت المظلم لا يحتاج الى ضياء، وكذلك علي الأكبر كان مهاباً يتلألأ وجهه نوراً.

وأمّا شباهته بأبيه الحسين عليه‌السلام فقد شابهه بالإباء والكرم؛ يروى أنّ علي ابن الحسين بنى داراً للضيافة في زمن أبيه الحسين عليه‌السلام بالمدينة وكانت تقصده الشعراء والوفود حتى قيل فيه:

يغلى نيء اللحم حتى إذا انضج لم يغل على الآكل

قال أبو الفرج وغيره: كان علي الأكبر أول قتيل من بني هاشم من بعد الحسين عليه‌السلام.

ويروى: إنه لما نظر إلى وحدة أبيه الحسين عليه‌السلام تقّدم إليه وهو على فرس له

يدعى «ذاالجناح» فاستأذنه للبراز، وكان علي الأكبر من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، فنظر إليه الحسين عليه‌السلام نظر آيس وأرخى عينيه بالدموع وأطرق برأسه لئلّا يراه العدو فيشمت به، ثم رفع رأسه مشيراً بسبابتيه إلى السماء وقال:

«اللَّهم اشهد عليهم فقد برز إليهم أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا على هذا الصبي، اللّهمّ امنعهم بركات الأرض وفرّقهم تفريقا، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضي الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا»

قال: وصاح بعمر ابن سعد: ويلك يابن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي [1]، ولا بارك الله لك في أمرك، وسلّط الله عليك من يذبحك على فراشك؛ ثم تلا قوله تعالى: (إِنّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرّيّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

قال الراوي: فكأنما علم الرخصة من أبيه فحمل على القوم وجعل يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيتِ الله أولى بالنبي

أضربكم بالسيف أحمى عن أبي ضرب غلام هاشمي علوي

* * *

(1) كما قدمنا آنفاً لأنّ أُم ليلى وأُم عمر بن سعد أخوات، لذا خاطبه الحسين عليه‌السلام: قطع الله رحمك كما قطعت رحمي.

(فائدة): وإنّما جعل يوم الثامن مخصوصاً بعلي الأكبر ويلقى مصرعه فيه لأنّه جاء بالماء يوم الثامن من المحرم كما أنّ العباس جاء بالماء يوم السابع، وكما أن برير جاء بالماء يوم التاسع، انتهى.

[ولله درّ من قال]:

وعلي قدر من ذؤابه هاشم ... عبقت شمائله بطيب المحتد

في بأس حمزة في شجاعة حيدر ... بأبا الحسين وفي مهابة أحمد

وتراه في خلق وطيب خلائق ... وبليغ النطق كالنبي محمّد [1]

(1)

(نصاري)

الأكبر لا ظهر الغوج وارزم ... او عليه احسين دمعه انحدر واسجم

تچنّه ابوالده وعالخيل ذبها ... او يمنه الحرب عاليسرة گلبها

چسب نوماسها وضيّع دربها ... او لف راياتها او للسرب حطم

عگب ما بالطفوف ابده الفراسه ... او راواهم حرب حيدر او باسه

العبدي غافله وصابه اعلى راسه ... او تغير نور وجهه بحمر الدم

(دكسن)

شبگ على المهر لباله يودّيه ... لبوه حسين عنّ الگوم يحميه

اويلي المهر للعدوان فر بيه ... واوچب آه بوسط العسكر

هذا يگطع ابسيفه وريده ... او هذا بالخناجر فصل ايده

وهذا يغط رمحه الحديده ... ابخاصرته وهو يعالج لو يفغر

(عاشوري)

تعنّاله وعلى ابنيه تخوصر ... او صاح بصوت منّه الصخر ينطر

على الدنيا العفه بعدك يالأكبر ... عگب عيناك ريت الكون يعدم

يبويه من وصل ليك او تدنّاك　　او خضّب وجهك الشعّاع بدماك

يبويه ريت روحي اتروح ويّاك　　او لا شوفك خضيب الوجه بالدم

(تخميس)

لا طاب عيش بعد فقدك لا صفا　　واظلمّت الدنيا بعيني مذ خفا

منها ضياؤك يا شبيه المصطفى

فلتذهب الدنيا على الدنيا العفا　　ما بعد يومك من زمان أرغد

المطلب الرابع والأربعون

في شهادة علي بن الحسين الأكبر **عليهماالسلام**

ذكر أرباب المقاتل أنّه لمّا قتل أصحاب الحسين عليهالسلام فلم يبق معه إلّا أهل بيته، تقدم إليه ولده علي الأكبر فاستأذنه للبراز ثم حمل على القوم فجعل يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي.... الخ

قال الراوي: فجعل يقاتل القوم مقاتلة الأبطال في تلك المجال، وناداه رجل من أهل الكوفة: يابن الحسين إنّ لك رحماً بأمير المؤمنين يزيد، فإن شئت آمنّاك؟ فقال له علي بن الحسين: ويلك لقرابة رسول الله أحقّ أن ترعى!!

قال: ولمّا رأى ابن سعد ما رأى من شجاعته وبسالته دعا طارق بن كثير - وكان شجاعاً فارساً مناعاً - فقال له: أنت الذي تأكل نعمة الأمير وتأخذ منه العطاء، فاخرج إلى هذا الغلام، وثنّى برأسه فقال له: يابن سعد أنت تأخذ ملك الري وأنا أخرج إليه؟! بل الواجب عليك أن تبارزه أنت أو أن تضمن لي عند الأمير إمارة الموصل. قال: فضمن له ذلك فخرج طارق إلى مبارزة علي بن الحسين، وتراجع الناس فحمل عليه علي الأكبر فضربه ضربة منكرة فرقع صريعاً يخور بدمه، فلمّا رآه أخوه وقد صرعه علي الأكبر وعطف عليه بضربة فوقعت على عينيه فخر صريعاً.

قال: وخرج ابن طارق ثائراً بأبيه وعمّه، فحمل عليه علي بن الحسين فقتله، ثم طلب البراز فلم يبرز إليه أحد فحمل على القوم وجعل [يضرب] فيهم بسيفه، هذا والحسين عليه‌السلام واقف بباب الخيمة وليلى تنظر في وجه الحسين عليه‌السلام تراه يتلألأ نوراً وسروراً بشجاعة ولده علي، فبينما هو كذلك إذ تغيّر لون وجهه، فقالت له ليلى: سيدي أرى لون وجهك قد تغيّر! هل اصيب ولدي؟ فقال لها: لا يا ليلى ولكن برز له من أخاف منه عليه، يا ليلى ادعي لولدك علي.

دخلت ليلى إلى الفسطاط، نشرت شعرها، جرّدت عن ثدييها، قائلة: الهي بغربة أبي عبدالله.. الهي بعطش أبي عبدالله.. يا راد يوسف إلى يعقوب اردد إليَّ ولدي علي.

قال الراوي: فاستجاب الله دعء ليلى ونصر علياً على بكر فقتله وحزّ رأسه، وجاء به إلى الحسين عليه‌السلام وقد قتل مائة وعشرين فارساً، وهو ينادي: أبه العطش قد قتلني وثقل الحديد قد اجهدني [1]، فهل إلى شربة ماء من سبيل اتقوّى بها على الأعداء؟ فقال الحسين عليه‌السلام: بني هات لسانك، أخذ بلسانه فمصه ثم دفع إليه خاتمه الشريف وقال له، ولدي امسكه في فيك وارجع الى قتال عدوّك، فكأنّه ارتوى.

ويروى: أنه قال: ولدي دونك اُمّك في الخيمة فودّعها؛ فدخل علي الأكبر إلى الخيمة فتعلّقت به اُمّه وتعلقن به النسوة فصاح الحسين عليه‌السلام: دعنه فقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه.

---

(1) قوله وثقل الحديد قد اجهدني هل إن الحديد الذي كان معه أجهده كالسيف والدرع والدرقة قالوا لا وإنّما أراد بهذا القول حديد الجيش وسلاح الأعداء أو لكثرة العسكر والتعبير بالعسكر بالحديد تعبير شايع انظر الى قول الكشّي في حبيب ابن مظاهر إنّه كان من السبعين الذين نصروا الحسين ولقوا جبال الحديد.

قال الراوي: وأفلت علي الأكبر نفسه من النساء ورجع إلى الحرب وجعل يقاتل حتى قتل المائتين.

قال حميد بن مسلم: كنت واقفاً وبجنبي مرّة بن منقذ التميمي وعلي بن الحسين يشدّ على القوم يمنة ويسرة فيهزمهم، فقال مرّة: عليَّ آثام الحرب إن مرّ بي هذا الغلام ولم أثكل به أباه. فقلت: لا تقل هذا يكفيك هؤلاء الذين احتوشوه؛ فقال: والله لأفعلنَّ.

قال: ومرّ بنا علي الأكبر وهو يطرف كتيبه أمامه فطعنه برمحه فانقلب على قربوس سرج فرسه، واعتنق الفرس فحمله الفرس الى معسكر الأعداء فاحتوشوه وقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً، ولمّا بلغت روحه التراقي نادى رافعاً صوته: أبه عليك منّي السلام هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة أظمأ بعدها أبداً، وهذا كأساً مذخورا لك حتى تشربه.

قالت سكينة: ولمّا سمع أبي صورت أخي علي جعل تارة يجلس وهو يقول: وا ولداه... ثم انحدر إليه الحسين عليه‌السلام ومعه اهل بيته حتى وقف عليه، ورآه مقطعا بالسيوف إرباً إرباً، فقال يا بني قتل الله قوما قتلوك ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول. ثم استهلّت عيناه بالدموع وقال: ولدي على الدنيا بعدك العفا، أمّا أنت يا بني فقد استرحت من همّ الدنيا وغمها وبقي ابوك لهمّها ولكربها.

قال حميد بن مسلم: لكأنّي أنظر إلى امراة خرجت من الفسطاط وهي تنادي: يا حبيباه يا ابن اُخيّاه... فسالت عنها فقيل لي: هي عمّته زينيب. فجاءت حتى انكبّت عليه فاخذها الحسين بيده وردها الى الفسطاط ثم التفت الى فتيانه وقال: احملوا أخاكم.. فحملوه وجاؤا به الى الخيمة وهم يبكون، قيل: وارسلت ليلى إلى الحسين عليه‌السلام قائلة: سيدي اُريد أن أبكي على ولدي، مر اهل بيتك أن

يخرجوا من الخيمة، فأمر الحسين عليه‌السلام أهل بيته فخرجوا من الخيمة ودخلت ليلى الى الخيمة ودخلن النساء معها وجعلن ينحن على شبيه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

تقول ليلى بدر ليلى خبا	منه ضياء باعتراض الظلام
وددت أنّي لم أكن حاملاً	أو أنّني أسقطت قبل التمام [1]

(فائدة): قتل علي الاكبر عليه‌السلام ولا عقب له.

(فائدة) اختلف أرباب المقاتل في عمره، ففي رواية كان عمره خمساً وعشرين سنة، والأصح: ثمانية وعشرين سنة، وذهب عليه أكثر الرواة.

---

(1)

فجيده يا علي يبني فجيده	بعيده شوفتك صارت بعيده
المدّ ايده عليك انشلّت ايده	او شرابه ولا هنّه ولا طالبه الزاد
هذا حسين ابوك امحنب اعليك	عن للعده او عين التصد ليك
اسمع يا علي وامّك تحاچيك	يا رجواي بيك ارباي ما فاد
تگلّه يا علي يبني شگلّك	يذخري للكبر هذا محلّك
دگلّي لو شفت شبّان حلّك	اشو لن اصبر وهودن وثني الوساد

* * *

وزينب قابلت ليلى وقالت	أعيدي النوح يا ليلى أعيدي

المطلب الخامس والأربعون

في ترجمة القاسم بن الحسن وشهادته عليه‌السلام

الشجاعة حالة طبيعية وهي عزيزة الحصول في البشر، وقلّ ما تراها في بعض الرجال، وفي الحقيقة هو فرع من الجنون، ولقد قال أمير المؤمنين عليه‌السلام: «جنونان لا أخلاني الله منهما الشجاعة والكرم». لان الشجاعة هي عبارة عن بذل النفس، وتوجّه الشجاع إلى العدم وهي تضحية تجاه الحياة السعيدة، وتسلم الشجاع نفسه للموت وعلى الأخص إذا كان المقابل له شجاعاً أعظم قوّة منه من حيث العدة والاستعداد، وهناك يعلم المنازل أنّ للحرب رحى طحانة تطحن الهام وتقضي على المهج، وبها تزهق النفوس الغالية، فهو لا يعبأ بها للغريزة التي فيه من الشجاعة.

وقد قيل: إن الشجاعة قسمان: غريزية وكسبية، فالكسبية تحصل بالتمرين والممارسة، فترى الرجل إذا باشر الحرب يحصل بعدها على القوّة في الجنان، ولا يعبأ بمنازلة الأقران. وأمّا الغريزية فهي من طبيعة الإنسان من حيث هو شجاع، وربما تكون الشجاعة وراثة خلفاً عن سلف، وقد جمعت الخصال الحميدة كلها في بني هاشم لاسيّما الشجاعة.

وقد قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يوم الفتح: «رحم الله عمّي أبو طالب، لو أولد الناس كلّهم لكانوا شجعاناً». وناهيك عمّا أبدوه أشبال علي عليه‌السلام في كربلاء مع قلّة عددهم وكثرة الأعداء ممّن شاهد منهم الحروب قبلاً ومن لم يشاهدها قبل يوم كربلاء كالقاسم بن الحسن عليه‌السلام حتى قال حميد بن مسلم: خرج إلينا القاسم ابن حسن عليه‌السلام وبيده سيفه، ووجهه كفلقة قمر طالع، وعليه قميص وإزار، وفي رجليه نعلان من ليف، فجعل يضرب هذا وقد تكاملوا عليه أهل الكوفة سبعين ألف رجل [1].

أقول: ولو تصفّحت التاريخ لما وجدت غلاماً كهذا الغلام يبرز إلى سبعين ألف وعليه قميص وإزار، والحالة أنّ العرب كانوا لا يبرزون إلّا بعد الاستعداد ويفرغون عليهم الدروع والمغافر، حتى أنّ الرجل منهم كان لا يعرف لكثرة ما عليه من الحديد ومن لامة الحرب ولا يرى منه إلّا عيناه، والقاسم بن الحسن عليه‌السلام برز يوم عاشوراء إلى الأعداء وعليه قميص وإزار كما سمعت، فأين هذا من ذاك؟! وأعجب من هذا أنّ القاسم لعدم مبالاته بكثرة الاعداء بحيث انقطع شسع [2] نعله وقف بين تلك الجموع يشدّه وهذا ممّا يغيض العدو، ولقد أجاد الشيخ السماوي رحمه الله حيث قال:

أتراه حين أقام يصلح نعله ... بين العدى كي لا يروه بمحتف [3]

غلبت عليه شهامة حسنيّة ... أم كان بالأعداء ليس بمحتف [4]

---

(1) مقتل أبي مخنف: 169.
(2) الشسع ما يدخل بين الاصبعين في النعل العربي ممتدّ الى الشراك.
(3) الإحتفاء هنا المشي بلا نعل.
(4) الإحتفاء هنا الإعتناء يقال احتف به ولم يحتف. انظر إبصار العين في أنصار الحسين: 36.

ولبسالته وصباحة وجهه قال بعض الأعداء: والله لو بسط إليَّ هذا الغلام يده وضربني لما رفعت يدي وضربته.

وللحرب قواعد وشؤون تعرف منها أنّه لابدّ أن يكون مع المحاربين سقاة وجرّاحون ومحرّضات، ولابدّ للجيش من مقدم وكمين وقلب وجناحين، ولكلّ واحدة من هذه الوظائف اناس يقومون بها لا يشاكلهم أحد، أمّا وظيفة السقاة فإنّهم يجعلون الماء بالقرب فإذا رجع المحارب سالماً استقبلوه بالماء، وإذا سقط جريحاً أدركوه بالماء. وحرب كربلاء خال من هذه الاشياء كلّها، أمّا الماء فقد منعوا اصحاب الحسين عليه‌السلام من أن يصلوا إليه وعلى المشرعة أربعة آلاف محارب، فمن أين لهم الماء إذا رجع المحارب حتى يسقوه؟! أو إذا جرح المقاتل وسقط على وجه الارض؟!

وللمحارب أيضاً صفات خاصة وهي إذا برز لابدّ وأن تقوم أعمامه وأخواله أو إخوته وأولاده، ويقفون بمكان حيث يرونه خوفاً عليه من الغيلة او أن يجعل له ظهيراً كما صنع أمير المؤمنين عليه‌السلام ذلك يوم صفين لولده محمد بن الحنفية.

والقاسم [بن الحسن] عليه‌السلام لم يجد ظهيراً لمّا برز، وهناك فرق عظيم بين القاسم وبين عمّه محمّد بن الحنفية لأنّ محمد بن الحنفية شاهد حروباً جمّة والقاسم صبي لم يبلغ الحلم ولم يشاهد حرباً قبل يوم كربلاء.

ومنها أنّ محمد بن الحنفية برز وعليه لامة الحرب، والقاسم برز يوم كربلاء سافراً على ذراعيه.

ومنها أن محمد بن الحنفية كان إذا رجع من الحرب استقبله أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم‌السلام وأصحابه يحملون الماء له، والقاسم كان إذا رجع استقبلته

عمّته زينب صارخة باكية وأُمّة رملة معولة.

ومنها أنّ محمد بن الحنفية كان إذا حمل على القوم وضايقه العدو أدركه المدد من أبيه بالأبطال والشجعان وإن ناداهم ادركوه، والقاسم حمل على القوم وهو ينظر إلى أصحاب عمّه مجزّرين كالاضاحي وينظر الى عمّه يستغيث فلا يغاث وينظر إلى النسوة بالخيمة وقد علا صرخهن.

ومنها أنّ محمد بن الحنفية تكعكع يوم الجمل لمّا رأى السهام ترشق عليه أراد حتى تنفذ سهام القوم، والقاسم أراد الحسين عليه‌السلام تأخيره عن الحرب مراراً وهو يلحّ على عمّه ويقبل يديه ورجليه وهو يقول: يا عمّاه لا طاقة لي على البقاء وأرى بنو عمومتي وأخوتي مجزرين وأراك وحيداً فريداً، والحسين يقول له: ياابن أخي أنت الوديعة.

قال الأروي: فلم يزل يستأذن عمّه الحسين عليه‌السلام حتى إذن له [1].

أقول: فلو فكّر الإنسان إلى ما لاقاه القاسم يوم كربلاء لعرف بسالته وشجاعته تجاه العدو لمّا حمل على القوم وجعل يضربهم بسيفه، فهذه أفعاله يوم الطف، وأمّا أقواله فتبهر العقول وذلك هو لمّا ارتجز وهو في الميدان غايته أن يعرّفهم نفسه قائلاً بل مفتخراً:

إن تنكروني فأنا نجل الحسن ... سبط النبي المجتبى والمؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين اناس لا سقوا صوب المزن

---

(1) لم نعثر عليه، وأحسبه من مصادر أبناء العامة حيثُ لم يذكره آغا بزرك رحمه الله في الذريعة، وأغلب الظن هو الشيخ إبراهم الآروي شارح مسند الشافعي المطبوع بالهند سنة 1305 هـ.

وكانت همّته أن يقتل حامل راية عمر ابن سعد فبينا هو يقاتل إذ انقطع شسع نعله اليسرى فوقف ليشدّها، فقال عمر بن سعيد بن نفيل الأزدي: والله لأشدنّ عليه وأثكلنّ به اُمّه.

قال حميد بن مسلم: فقلت: سبحان الله وما تريد منه يكفيك هؤلاء الذين احتوشوه من كل جانب؟! فقال: والله لافعلن ثم حمل عليه فما ولّى وجهه حتى ضرب الغلام بالسيف على رأسه فوقع القاسم لوجه وصاح: أدركني يا عمّاه... فأتاه الحسين عليه‌السلام ورآه يفحص بيديه ورجليه. قال: وحمل على قاتله فقتله ثم رجع إلى القاسم ووقف عليه قائلاً: يا ابن اخي بعداً لقومٍ قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة جدّك وأبوك... ثم قال: يابن أخى عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا ينفعك أجابته يوم كثر واتره وقل ناصره... ثم حمله على صدره ورجلاه يخطّان في الارض خطاً حتى جاء به الى المخيم ووضعه الى جانب ولده علي الأكبر وهو يقول: يا ابن أخي أنت الوديعة.

(فائدة): القاسم بن الحسن عليه‌السلام لم أقف على تزويجه في كربلاء إلّا في منتخب الطريحي رحمه الله فإنّه يذكر قضية تزويجه نقلاً عن الغير، ولم يثبت هناك من مصدر معلوم، ومن المؤكّد أنّ هذا الخبر مرسل يأباه العقل السليم وتركه أولى من ذكره.

(فائدة): كان القاسم بن الحسن عليه‌السلام أخصّ أولاده، وقد خصّه بالوصايا الأكيدة والنصائح الشديدة، وقد سأل القاسم عمّه الحسين عليه‌السلام ليلة العاشر من المحرم عمّن يقتل، فجعل الحسين عليه‌السلام يخبره، فقال له الحسين عليه‌السلام: وكيف القتل

عندك يا قرّة عيني؟ فقال: يا عم فو حقّك إنّ القتل عندي أحلى من الشهد؛ فأخبره الحسين عليه‌السلام بقتله فاستبشر القاسم عليه‌السلام [1].

(1) انظر مقتل أبي مخنف: 170 - 171، وإبصار العين في أنصار الحسين عليه‌السلام: 36.

ثم حمله على صدره ورجلاه يخطّان في الأرض حتى جاء به إلى المخيم ووضعه الى جنب ولده علي الأكبر وهو يقول يابن أخي أنت الوديعة.

(دكسن)

جابه ومدّده ما بين اخوته   بچه عدهم يويلي وهم موته
بس ما سمعن النسوان صوته   اجت رمله تصيح الله واكبر

(نصاري)

يبني امهنّه ابطيب نومك   عريان وامسلبه اهدومك
حرّ الشمس غير ارسومك   لون تنشره ابروحي لسومك
وين الذي ياخذ اعلومك   لبوك الحسن وهلك او گومك
اويلاه يالغسلك ادمومك   اويلاه يبني يوم يومك

(ابوذية)

أنه ردتك ما ردت دنيا ولا مال   تحضرني لو وگع حملي ولا مال
يجاسم خابت اظنوني والآمال   محل الضيج يبني اگطعت بية

(بحراني)

شيبت راسي بالحزن يبني سجام   شيبت راسي بالحزن يبني يجسام
لما رأيتك على الثرى يبني رميّه   حلحلت جسمي وهيّجت حزني عليّه
عگبك يروحي ما دريت اشصار بيّة   ويا هو اليركّبني عگب عينك يجسام

* * *

خلفت والدة ولهى محيّرةً ترعى نجوم الدجى في الليل بالسهر

المطلب السادس والأربعون

في ما جرى في يوم التاسع من المحرم

روى صاحب أسرار الشهادة عن سكينة بنت الحسين عليهاالسلام قالت: عزّ ماؤنا يوم التاسع من المحرم حتى كظّنا العطش، فلمّا أمسى المساء عطشت أنا وبعض الفتيات والأطفال فقمت إلى عمّتي زينب كي أخبرها بعطشنا لعلّها قد ادخرت لنا ماء، فوجدتها جالسة في خيمتها وفي حجرها أخي الرضيع وهي تارة تقوم وتارة تجلس وأخي الرضيع يضطرب على يديها اضطراب السمكة في الماء وهو يصرخ وهي تقول: يابن أخي وأنّى لك الصبر وأنت على هذه الحالة يعزّ والله على عمّتك أن تراك عطشاناً.

قالت سكينة: فلمّا سمعت كلامها انتحبت باكية فالتفتت إليَّ وقالت لي: يا ابنة أخي ما يبكيك؟! فقلت لها؟ عمّة أبكي لحال أخي الرضيع. ولم أعلمها بعطشي خشية أن يزيد همّها، ثم قلت لها: عمّة لو أرسلت إلى بعض عيالات الأنصار أن يكون عندهم ماء؟ فقامت وأخذت الطفل بيدها فمرت بخيم عمومته وأولاد عمّه فلم تجد عندهم ماء، فرجعت وقد تبعها بعض أولاده رجاء أن تسقيهم الماء، ثم جلست في خيمة أولاد عمّي الحسن وأرسلت الى خيم الأصحاب لعل عندم ماء، فلم يكن عندهم شيئاً من الماء، فلمّا أيست رجعت إلى خيمتها ومعها ما يقرب من عشرين صبي وصيبة فأخذت بالعويل ونحن

نتصارخ بالقرب منها، فمرّ علينا رجل من أصحاب أبي الحسين يقال له «برير بن خضير الهمداني» فلمّا سمع بكاءنا رقّ لحالنا وجعل يبكي، فنادى أصحابه وقال لهم:

أصحابي ما رأيكم أيسرّكم أن تموت هذه الصبية عطشاً وفي أيدينا قوائم سيوفنا؟ لا والله لا خير في الحياة بعدهم بل نرد دونهم حياض الموت... أصحابي فاليأخذ كل واحد منا بيد فتاة من هذه الفتية ونهجم على المشرعة قبل أن يهلكوا من الظمأ، وإن قاتلنا القوم قاتلناهم.

فقال له يحيى المازني: إنّ الحرس يمنعونا ويقاتلوننا فإذا أخذنا الأطفال ربّما تنالهم بعض السهام فنكون نحن السبب لذلك، لكن الرأي أن نحمل معنا قربة ونملأها لهم فإن قاتلونا قاتلناهم ومن قتل منا يكون فداء لبنات رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

فقال له برير: شأنك..

ثم أخذوا قربة وساروا قاصدين الفرات وأقبلوا نحو المشرعة، فأحسّ بهم الحرّاس وصاحوا: من هؤلاء؟ فقال لهم برير: أنا برير وهؤلاء أصحابي وقد كظّنا العطش... فقالوا لهم: مكانكم حتى نخبر رئيسنا إسحاق بن حوية (لعنه الله).

ثم إنهم نزلوا إلى المشرعة ونزل برير فلمّا أحس ببرد الماء انتحب باكياً وقال: لعن الله ابن سعد هذا الماء يجري وأكباد الفاطميات تذوب من العطش... ثم صاح: أصحابي أذكروا ما وراءكم واملؤا القربة ولا تشربوا حتى ترووا أكباد الفاطميات.

فقال له أصحابه: والله يا برير لا نشرب قبل أطفال الحسين عليه‌السلام.

قالت: فسمعه رجل من الحرس فصاح بهم ما كفاكم الورود حتى تحملوا الماء الى هذا الخارجي؟ والله لأخبرن بأمركم إسحاق بن حوية. فقال له برير: اكتم

عيلنا أمرنا... ثم دنى منه وهو يريد قبضه فولى منهزماً وأخبر إسحاق بذلك، فقال اللعين: إعترضوهم وآتوني بهم وإن أبوا فقاتلوهم.
فلما تعرضوا لهم وصاحوا بهم إن إسحاق بن حوية لا يرضى بحملكم الماء، فلم يلتفتوا، فصاحوا بهم ثانية إنّ فيه إراقة دمائكم، فقال برير: إراقة الدماء أشهى إلينا من إراقة الماء، والله ماذاق منا أحد طعم فراتكم وإنّما همتنا أن نروي أكباد أطفال الحسين، والله لا ندع الماء حتى تراق دماؤنا حول هذه القربة.
فقال أحدهم: إنّ هؤلاء مستميتون على يسير من الماء ولا يجدي لهم نفعاً؟ وقال بعضهم: لا تخالفوا حكم الأمير... ثم أحاطوا بهم فوضع برير وأصحابه القربة على الأرض ووقفوا دونها، وبرير يبكي دونها ويقول: وا لهفتاه على أكباد الفاطمياة، صدّ الله رحمته عمّن صدّ عنكم ياآل بيت رسول الله.
قالت: فحملها رجل منهم على عاتقه فأحسوا الحرس فجعلوا يرشقونهم بالسهام فأصاب حبل القربة سهم حتى خاطه الى عاتقه وسال الدم على ثوبه، فلمّا نظر إلى الدم يسيل من رقبته قال: الحمدلله الذي جعل رقبتي وقاء لقربتي. فلمّا رأى برير إنّ القوم غير تاركيه صاح بأعلى صوته: ويلكم يا أعواه آل أبي سفيان لا تثيروا الفتنة ودعوا أسياف بني همدان في مغامدها - وكان حول الحسين عليه‌السلام جماعة - فقال رجل منهم: إني أسمع صوت برير ينتدب أصحابه تارة ويعضّ القوم اُخرى، فقال لهم الحسين عليه‌السلام: إلحقوا به، فقام أبو الفضل العباس وتبعه بعضهم وركبوا، فلمّا رأوا الحرس إنّ العباس انحدر نحوهم انكشفوا عن برير وأصحابه.
قالت: وجاء برير بالقربة حتى دنا من الخيمة وقال: إشربوا يا آل بيت رسول الله، فتباشرت الأطفال بالماء وصحن الفتيات صيحة واحدة: هذا برير قد جاءنا بالماء، ورمين بأنفسهنّ على القربة هذه تحضنها والاُخرى تضع فؤادها

عليها والأُخرى تضمّها الى كبدها، ولمّا كثر ازدحام الأطفال على القربة انفلت وكاءها فأريق ماءها، فصحن الفتيات: أريق الماء يا برير... فرجعن الى الخيمة باكيات صارخات.

قال الراوي: ولما أصبح الصباح وهو يوم عاشوراء جاءت الحوراء زينب إلى أخيها الحسين عليه‌السلام تحمل عبدالله الرضيع فدفعته إلى الحسين وهي باكية وقالت له: أخي خذ طفلك هذا واطلب له قليلاً من الماء، فأخذه الحسين عليه‌السلام وقد غارت عيناه من شدّة العطش حتى جاء به نحو الأعداء.

فدعى الأقوام يا لله للخطب الفضيع نبئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع

لا حظوه فعليه شبه الهادي الشفيع لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

اختلف العسكر فيما بينهم، ومنهم من لعن عمر ابن سعد، ومنهم قال: إذا كان ذنب للكبار فما ذنب هذا الطفل؟

فلمّا رأى ابن سعد اختلاف العسكر صاح بحرملة بن كاهل: ويلك يا حرملة اقطع نزاع القوم. قال: ما أصنع؟ قال: إرم الطفل بسهم.

قال حرملة: فوضعت سهما في كبد القوس وتأمّلت أين أرمي الطفل، فرأيت رقبته تلمح على عضد أبيه الحسين عليه‌السلام فرميت الطفل بسهمي وذبحته من الوريد الى الوريد، فلمّا أحسّ الطفل بحرارة السهم أخرج يده من القماط واعتنق أباه الحسين وجعل يرفرف كالطير المذبوح.

ثم ملأ الحسين عليه‌السلام كفه من دمه ورمى به إلى السماء وقال: اللّهمّ لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح.

ويروى أنّه قال: «ياربّ إن كنت حبست عنّا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا من هؤلاء الضالمين». فنودي: دعه يا حسين فإنّ له مرضعاً في الجنة.

وروي عن الباقر عليه‌السلام أنه قال: لم يقع من ذلك الدم إلى الأرض قطرة واحدة [1].
ثم جاء به إلى المخيم، استقبلته سكينة قائلة: أبه لعلك سقيت أخي الماء وجئتنا ببقيته؟ فقال لها الحسين عليه‌السلام: بنيّة خذي أخاك مذبوحاً... فلمّا رأته صاحت: وا أخاه وا عبدالله... وجاءت إليه أُمّه فرأته والسهم مشكوك في نحره صاحت: وا ولداه...

ومذ رأته أمه أنشأت — تدعوا بصوت يصدع الجلمدا
تقول عبدالله ما ذنبه — منفطماً آب بسهم الردى
لم يمنحوه الورد بل صيّروا — فيض وريده له موردا

وقال الآخر:

وكل رضيع يغتذى دّر اُمّه — ويرضع من ألبانها ثمّ يفطم
سوى أنّ عبدالله كان رضاعه — دماه وغذّته عن الدرّ أسهم
تبسّم لم جاء سهم حتفه — وكلّ رضيع للحلوبة يبسم
تخيّله ماءاً ليروي غليله — ففاض عليه الغمر لكنّه دم [2]

---

(1) مقتل أبي مخنف: 173.
(2) أقول: ساعد الله قلب الحسين عليه‌السلام لما نظر إلى رضيعه كأني بلسان حاله:

(ابوذية)

مياتم للحزن ننصب ونبني — فجعني حرملة ابسهمه ونبني
الطفل عاده يفطمونه ونبني — انفطم يا ناس بسهام المنيه

(نصاري)

تلّگة احسين دمّ الطفل بيدة — شحالة البنچتل ابحضنة اوليدة
سال وترس چفّة من وريدة — وذبّه للسما وللگاع ما خر

(فائدة):

أقول: كان تبسمه لشيء آخر وهو أنّه لمّا أحس بحرارة السهم فتح عينه فرأى جدّته الزهراء عليهاالسلام فاتحة باعها ترحّب به فتبسّم لها.

وأمّا أُمّه الرباب فكأنّي بها:

هاي أُمّك يعبدالله انطفت عيني — يا ظيها العلى دربي يجدّيني

سهم الصابك الماذيك ماذيني — ابنحرك ما نبت يبني نبت بحشاي

يا زهرة الدنية الشلت راسي بيك — لبوك احسين عين او عين تربي ليك

حسبت احساب سالم ومك اتربّيك — ومك سالمه او تخلف عليَّ ارباي

(تخميس)

فمذ لاحّ السهم النحر ودّت لو أنّها — تشاطره سهم الردى وتساهمه

أقلّته بالكفّين ترشف ثغره — وتلثم نحراً قبلها السهم لاثمه

المطلب السابع والأربعون

في ما جرى في ليلة العاشر من المحرم

روى صاحب الدمعة الساكبة: أنّه كان أخص الناس بالحسين عليه‌السلام وأكثرهم ملازمة «نافع بن هلال الجملي» [1]، وكان رجلاً حازماً بصيراً بالسياسة، قال:

(1) يجري على بعض الألسن ويذكر في بعض الكتب هلال بن نافع البجلي وهو غلط صرف وهو نافع بن هلال الجملي، كما هو مذكور في كتب التراجم والأنساب والرجال، والجملي ينسب إلى جمل بطن من مذحج، ذكره محمد بن مسلم بن قتيبة في كتاب المعارف، وما رأيت في كتب المقاتل هلال بن نافع بل نافع بن هلال بن نافع وهو مذكور في الناحية انتهى.

وذكره الشيخ محمد السماوي رحمه الله نافع بن هلال الجملي في إبصار العين، وكان نافع سيّداً شريفاً سريّاً شجاعاً وكان قارئاً كاتباً ومن حملة الحديث ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه‌السلام، وحضر معه حربه الثلاث في العراق، وخرج الى الحسين عليه‌السلام فلقيه في الطريق.

قال أبو مخنف: كان نافع قد كتب إسمه على أفواق نبله فجعل يوم العاشر من المحرم يرمي أعداء الله، فقتل إثني عشر منهم سوى من جرح حتى إذا فنيت نباله جرد سيفه وحمل عليهم وهو يقول:

أنا الهزبر الجملي أنا على دين علي

فوثبوا عليه وأطافوا به يتضاربون حتى كسروا عضديه ثم أخذوه أسيراً الى ابن سعد فأمر ابن سعد بقتله، فجرد الشمر سيفه وقتله رحمه الله، انتهى.

انظر: المعارف لابن قتيبة: 105 - 106، ورجال الشيخ: 80 / 2، وإبصار العين للسماوي: 86، ومقتل أبي مخنف: 134.

ولما كانت الليلة العاشرة من المحرم خرج الحسين عليه‌السلام في نصف الليل خارج الخيام حتى ابتعد، فتقلد نافع سيفه وخرج في أثره، فنظر الحسين عليه‌السلام الى ورائه فرآه، قال: أنافع هذا؟ قال: نعم سيّدي، قال عليه‌السلام: يا نافع ما أخرجك في هذا الليل؟ قال: سيّدي أزعجني خروجك الى معسكر هذا الطاغي الباغي، فقال: يا نافع خرجت اتفقّد هذا التلاع مخافة أن تكون مكاناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون، قال نافع: ثم رجع وهو قابض على يساري وهو يقول: والله وعد لا خلف فيه... ثم قال: يا نافع ألا تسلك ما بين هذين الجبلين وتنجو بنفسك؟ فوقع نافع على قدمي الإمام يقبّلهما وهو يقول: إذاً ثكلتني أُمّي.. سيدي إن سيفي بألف وفرسي بمثله فوالله الذي من عليَّ بهذا الموقف معك لا افارقك حتى يكلا عن فري وجري.

قال نافع: ثم فارقني ودخل خيمة أُخته الحوراء زينب، فوقفت بباب الخيمة ورجوت أن يسرع الحسين عليه‌السلام في خروجه، فاستقبلته زينب ووضعت له متّكأ وجلس يحدثها سرّاً، فما لبث إن اختنفت بعبرتها وصاحت: وا أخاه وا حسيناه.. أخي اشاهد مصرعك وابتلى برعاية هذه المذاعير في النسوة؟ يعزّ والله عليَّ مصرعك ومصرع هؤلاء الفتية الصفوة.

ثم قالت له: أخي هل استعملت أصحابك من نيّاتهم فإنّي أخاف أن يسلّموك عند الوثبة واصطكاك الأسنّة؟ فقال لها الحسين عليه‌السلام: أما والله يا زينب لقد لهزتهم وبلوتهم وليس فيهم إلّا الأسوش الاقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني كاستئناس الطفل بمحالب أُمّه.

فلما سمع نافع بكى وقال: اي والله. ثم إنّ نافع رجع الى خيمته وجعل

طريقه على خيمة حبيب بن مظاهر الأسدي فوجده جالساً وبيده سيفه مصلّت وهو يصلحه ويقول:

أيّها الصارم استعد جوابا لسؤالي إذا العجاج أثيرا

فدخل عليه نافع فسلّم، فرد حبيب السلام عليه، فقال له حبيب: أنافع هذا؟ قال: نعم، قال: يا نافع ما أخرجك في هذا الليل؟ قال نافع: فحكيت له القصة إلى أن بلغت إلى قول الحسين عليهالسلام لأُخته الحوراء زينب: يستأنسون بالمنية دوني كاستئناس الطفل بمحالب أُمّه.

فقال حبيب: اي والله لو لا انتظاره لهم لعاجلتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه بيدي، فقال نافع: يا حبيب إني قد فارقت الحسين عليهالسلام وهو عند اخته العقيلة زينب وهي في حال وجل ورعب وأظن إن النساء قد أفقن وشاركهن بالحسرة والزفرة فهل لك أن تجمع أصحابك وتواجههن بكلام يسكن قلوبهن ويذهب رعبهن؟ فقال: طوع إرادتك يا نافع.

ثم خرج حبيب ناحية ونافع الى جنبه ونادى:

يا أصحاب الحمية ويا ليوث الكريهة... فتطالعوا [1] من منازلهم كالليوث الضارية، يقدمهم أبوالفضل العباس عليهالسلام رام عمامتة من على رأسه، وهو يقول: ما تريد يا بن مظاهر؟ لمثل هذا ادّخرني والدي، فقال حبيب لبني هاشم: ارجعوا إلى مضاربكم لا سهرت عيونكم.

ثم إنّه خطب أصحابه وقال: أصحابي هذا نافع يخبرني بكيت وكيت وقد خلّف أُخت سيدكم وبقايا عيالاته وأهل بيته يتشاكين ويتباكين، أصحابي

---

(1) في بعض الروايااة: فتطالع الأنصار والهاشميون....

أخبروني عمّا أنتم عليه؟ فجردوا صوارمهم ورموا عمائمهم إلى الأرض وقالوا: يا حبيب والذي منّ علينا بهذا الموقف لئن زحف القوم إلينا لنحصدنّ رؤوسهم بأسيافنا ولنلحقنهم بأشياخهم أذلّاء صاغرين ولنحفظنّ وصية رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في أبنائه.

قال حبيب: إذاً هلمّوا معي... ثم قام حبيب يمشي وتبعه أصحابه حتى جاء ووقف بين أطناب الخيم ونادى: السلام عليكم يا أهلنا، السلام عليكم يا فخرنا، السلام عليكم يا سادتنا ويا معشر حرائر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، هذه صوارم فتيانكم آلو أن لا يغمدوها إلا في رقاب أعدائكم، وهذه أسنّة غلمانكم آلو أن لا يركزوها إلّا في صدور أعدائكم.

فخرجت إليهم [الحوراء] زينب وهي ملتحفة بملحفة اُمّها فاطمة الزهراء عليهاالسلام فبكت وبكت النسوة، فنادتهم امرأة من الأنصار: حاموا أيها الطيبون عن الطيبات حرائر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، قال: فاستقرّت عيالات الحسين تلك الليلة إلّا أنّه لم تنم لهم عين قط.

قال: وقام الحسين عليه‌السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دويّ كدوي النحل ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد.

سمة العبيد من الخشوع عليهم	لله أن ضمّتهم الأسحار
وإذا ترجّلت الضحى شهدت لهم	بيض القواضب أنّهم أحرار

بيّض الله وجوههم لقد بذلو الجد والجهد دون سيدهم حتى كان الرجل منهم يتلقى السيوف والسهام والنبال بصدره ونحره بل كانوا يتسابقون إلى القتال،

فهذا مسلم بن عوسجة نصر الحسين عليه‌السلام حيّاً وأوصى به ميتاً [1].

قال ابن سعد في طبقاته: مسلم بن عوسجة كان صحابياً ممن رأى النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم [2].

وذكر غيره قال: كان مسلم بن عوسجة فارساً شجاعاً له في المغازي مواقف مشهورة، وفي الفتوح الإسلامية مواطن مشهودة، وكان ممّن كاتب الحسين ووفى له، ولمّا دخل عبيدالله بن زياد الكوفة وسمع به مسلم بن عقيل خرج اليه لمحاربته فعقد لمسلم بن عوسجة على ربع مذحج وأسد، ولابي تمامة على ربع تميم وهمدان، ولعبيد الله بن عمر بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وللعباس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة، فانهدوا إليه حتى حبسوه في قصره ثم إنّه فرّق الناس بالتخذيل عنه، قال أبو جعفر: وبعد أن قبض مسلم بن عقيل اختفى مسلم بن عوسجة ولمّا بلغه أنّ الحسين عليه‌السلام قد نزل كربلاء فرّ بأهله إلى الحسين عليه‌السلام فوافاه بكربلاء وفداه بنفسه.

قال أهل السير وأرباب المقاتل: لمّا التحم القتال حملت ميمنة عمر بن سعد (لعنه الله) على ميسرة الحسين عليه‌السلام وفي ميمنة ابن سعد عمرو بن الحجاج الزبيدي وفي مسيرة الحسين عليه‌السلام زهير بن القين البجلي، وكانت حملتهم نحو الفرات فاضطربوا ساعة، وكان مسلم بن عوسجة في الميسرة، فقاتل قتالاً شديداً لم يسمع بمثله قط، فكان يحمل على القوم وسيفه مصلت بيمينه وهو يقول:

---

(1) ممّن ذكر في ناحية المقدسة، انظر بحار الأنوار: 101 / 269، وهو أول قتيل من أنصار الحسين عليه‌السلام، انظر تارخ الطبري: 5 / 369، وبحار الانوار: 45 / 69.

(2) طبقات ابن سعد.

إن تسألوا عنّي فإنّي ذو لبد | وإنّ بيتي في ذُرى بني أسد
فمن بغاني حائد عن الرّشد | وكافر بدين جبّار صمد

ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى عطف عليهم مسلم بن عبدالله الضبابي وعبدالرحمن بن خشكارة البجلي فاشتركا في قتله، وثارت لشدّة الجلاد غبرة عظيمة فلمّا انجلت الغبرة إذ هم بمسلم صريعاً، فمشى لمصرعه الحسين عليه‌السلام وكان به رمق الحياة فقال له الحسين: رحمك الله يا مسلم ثم تلى (فَمِنْهُم مّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدّلُوا تَبْدِيلاً) [(1)]

ثم دنا منه حبيب وقال له: عزّ عليَّ مصرعك يا أخي يا مسلم أبشر بالجنّة، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشرّك الله بالخير، فقال له حبيب: لو لم أعلم أني بالأثر لأحببت أن توصني بجميع ما أهمك، فقال له: أخي أُوصيك بهذا الغريب - وأشار بيده الى الحسين عليه‌السلام - فقال له حبيب: والله لأنعمنّك عيناً.

أوصى ابن عوسجة حبيباً قائلاً | فقاتل دونه حتى الحمام تذوقا
نصروه أحياء وعند مماتهم | يوصي بنصرته الشفيق شفيقاً

قال الراوي: فما كان بأسرع من أن فاضت نفسه فصاحت جاريته: واسيّداه وا ابن عوسجتاه، فتباشر أصحاب عمر بن سعد بذلك فقال لهم شبث بن ربعي: ثكلتكم أُمّهاتكم إنّما تقتلون أنفسكم بإيديكم وتذلّون أنفسكم لغيركم، أتفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة؟ أما والذي اسلمت له لرب لموقف له قد رأيته في المسلمين كريم لرأيته يوم «سلق آذربايجان» قتل ستة من المشركين قبل أن تلتئم

(1) سورة الأحزاب 33: 23.

خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون بمثله؟! [1]

قال الراوي: والتفتت جاريته إلى غلامه فقالت له: كفن مولاك مسلماً؛ فقال لها: أكفن مسلماً وسيدي ومولاي الحسين لا يكفنه أحد؟! لا كان ذلك أبداً [2].

وا صريعاً عالج الموت بلا	شدّ لحيين ولا مدّ ردا
غسّلوه بدم الطعن وما	كفنوه غير بوغاء الثرى [3]

(1) مقتل أبي مخنف: 136 - 138.
(2) إبصار العين للسماوي: 61.
(3) وزينب عليهاالسلام:

(نصاري)

عسه الويّاي كون الصار ويّاك	عسه بحشاي سهم الصاب بحشاك
عسه لعضاي خيل الداست اعضاك	يخويه او روحي الروحك فده الها
ولا واحد صديج البيه غيرة	ولا حاضر جريب امن العشيرة
يسوي الجثث ابن امي حفيره	چفنها الذاري او دمها غسها

(دكسن)

يا ناس ضيّعت البصيره	وحيّرني زماني اشلون حيره
ابن والدي ماله عشيره	ولا من گرابه البيه غيره

يسوون لبن امّي حفيره

(تخميس)

وأمين الله أدمى خدّه	وجميع الرسل تبكي فقده

وأبوه النوح أمسى ورده

لو رسول الله يحيى بعده	قعد اليوم عليه للعزا

المطلب الثامن والاربعون

في حالة الحسين عليه‌السلام ليلة العاشرة من المحرم

عن سكينة بنت الحسين: أنّه لما كانت الليلة العاشرة من المحرم - وكانت ليلة مقمرة - كنت جالسة في الفسطاط، وإذا أنا ببكاء ونحيب، فسكت خوفاً من أن يعلمن النسوة، فخرجت وأن أطأ أثوابي فأتيت إلى خيمة أبي الحسين فرأيته جالساً وأصحابه حوله، وهو يقول لهم:

«أصحابي أنتم جئتم معي لعلمكم بأنّي أذهب الى جماعة بايعوني قلباً ولساناً، والآن تجدونهم قد استحوذ عليهم الشيطان ونسوا ذكر الله، وقد لبّوا لقتلي وقتل من معي، فمن يكره نصرتنا فليذهب في هذه الليلة، ومن بقي ونصرنا بنفسه يكون معنا في الدرجات العالية من الجنان، ولقد أخبرني أبي عن جدّي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: أنّ ولدي الحسين يقتل بطفّ كربلاء، إلا ومن نصره فقد نصرني ونصر ولده القائم، ومن نصرنا بلسانه فإنّه في حزبنا يوم القيامة».

قالت سكينة: والله ما تمّ كلامه حتّى تفرق منه أصحابه من عشرة ومن عشرين حتى لم يبق معه إلّا ما ينقص عن الثمانين، ورأيت أبي وقد أطرق برأسه، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت ورفعت طرفي الى السماء وقلت:

«اللّهمّ إنّهم خذلونا فاخذلهم، ولا تجعل لهم في الأرض مساكناً، وسلّط عليهم الفقر ولا تنلهم شفاعة جدّنا».

ثم رجعت إلى الفسطاط وأنا أهمل دموعي، فنظرت إليّ عمّتي أُم كلثوم فقالت: مالك؟! فحكيت لها ما رأيت، فصاحت: وا جدّاه... وا محمّداه... وا أباه... وا عليّاه... وا حسناه... وا حسيناه... وا قلة ناصراه... وكيف الخلاص من الاعداء وليت الأعادي يقتلوننا بدلاً عن أخي الحسين عليه‌السلام.

قالت سكينة: فاجتمعن النسوة وبكين، فسمع أبي بكاءنا فخرج من الفسطاط وقال: ممَّ هذا البكاء؟ فقربت إليه عمتي وقالت له: أخي ردنا إلى حرم جدنا؟ فقال: يا أُختاه كيف لي بذلك وقد أحاط بنا الأعداء؟ فقالت: أخي هل ذكّرتهم محل جدك وأبيك وجدّتك وأخيك؟ فقال: بلى ذكرتهم فلم يذكروا، ووعظتهم فلم يتّعظوا، وليس لهم رأي سوى قتلي، ولابدّ أن تريني على التراب جديلاً، ولكن يا أختاه اوصيكنّ بالصبر والتقوى.

وروى ابن شهر آشوب: إنّه لمّا كان وقت السحر خفق الحسين عليه‌السلام خفقة واستيقظ وقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ قالوا: وما الذي رأيت يابن رسول الله؟ قال: رأيت كلاباً قد شدت عليَّ لتنهشني وفيها كلب أبرص ورأيته أشدّها عليّ، وأظنّ أنّ الذي يتولى قتلي رجل أبرص من هؤلاء القوم، ثم رأيت بعد ذلك جدّي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي: يا بني أنت شهيد آل محمد، وقد استبشر بك أهل السماوات فاليكن إفطارك عندي الليلة، وهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ من دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيت.

وفي الخرائج والجرائح للراوندي، روي عن زين العابدين عليه‌السلام أنه قال: لمّا كانت الليلة العاشرة من المحرم قام أبي الحسين في أصحابه خطيباً، فقال:

«يا أصحابي إنّ هؤلاء يريدونني دونكم، ولو قتلوني لم يصلوا إليكم، فالنجاة النجاة وأنتم في حلٍّ مني فإنّكم إن أصبحتم معي قتلتم كلّكم».

فقالوا: لا نخذلك ولا نختار العيش بعدك.

فقال عليه‌السلام: إنّكم تقتلون حتى لا يفلت منكم أحداً.

فقالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك.

ثم أنّه دعا لهم، وقال: ارفعوا رؤوسكم وانظروا؛ فجعلوا ينظرون الى منازلهم في الجنّة.

ويروى أنّه قال في آخر خطبته: «أصحابي.. بنو عمومتي.. أهل بيتي ألا ومن كانت في رحله امرأة فاليبعث بها إلى أهلها، فإنّ نسائي تسبى وأخاف على نسائكم السبي». فقام من بينهم حبيب بن مظاهر الأسدي وأقبل إلى خيمته فتبسّمت زوجته في وجهه، فقال لها: دعينا والتبسّم قومي والحقي ببني عمّك من بني أسد، فقالت: لم يابن مظاهر؟ أهل فعلت معك مكروهاً؟ قال: حاشا لله، ولكن أما سمعت غريب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم خطبنا في هذه الساعة؟ قالت: بلى، ولكن سمعت في آخر خطبته همهمة لا أعرفها؟ قال: خطبنا وقال: ألا ومن كانت في رحله امرأة فليبعث بها الى أهلها، فلمّا سمعت الحرة نطحت رأسها بعود الخيمة وقالت: ما أنصفتني يابن مظاهر أيسرّك أنّ زينب يسلب إزارها وأنا أتزيّن بإزاري؟! أم يسرّك أنّ سكينة يسلب قرطها وأنا أتزين بقرطي؟! لا كان ذلك أبداً، بل أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء. فلمّا سمع منها ذلك رجع الى الحسين عليه‌السلام فرآه جالساً ومعه أخوه العباس فسلّم عليهما وجلس، وقال: أبت الأسديّة أن تفارقكم.

أبت المروة أن تفارق أهلها وأبى العزيز أن يكون ذليلا

فقال الحسين عليه‌السلام: جزاكم الله خير الجزاء، ثم قام الحسين عليه‌السلام ومعه أخوه العباس وأقبل الى خيمة السجّاد - وكان حينئذ مريض - وعنده عمّته زينب تمرّضه، فمّا نظر إلى أبيه قد أقبل نادى: عمّتاه سنّديني إلى صدرك فإنّ أبن

رسول الله قد أقبل. فسنّدته إلى صدرها فجعل الحسين والعباس يسئلانه عن حاله وعن مرضه والسجّاد يحمد الله ويشكره ثم قال: أبه أمقاتل أنت هؤلاء القوم في مكاننا هذا؟ قال: نعم يا بني، فقال: أبه دعنا نرحل عن مكاننا هذا؟ فقال له العباس: يابن أخي أتحب أن ترحل من هذا المكان؟ قال: نعم يا عم، فقال له: أمهلنا إلى غداة غد نرحل بأجمعنا فيصير الأمر إليك فلمّا سمعت زينب أختنقت بعبرتها وقامت، فقال لها الحسين عليه‌السلام: إلى أين يا قرّة عيني؟ فقالت: أخي أنا ماضية إلى خيمتي أبكي بيني وبين ربّي.. أخي إنّ كلام العباس قطع نياط قلبي.

ثم إنّ الحسين عليه‌السلام قام وتوضّأ ودخل إلى الخيمة قد صنع له محرابا، ولم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً إلى الصباح، وأمّا أصحابه فإنّهم إغتسلوا ولبسوا أكفانهم وباتوا تلك الليلة ولهم دويّ كدويّ النحل، ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد ينتظرون الصباح.

ادركوا بالحسين أكبر عيد ... فغدوا في منى الطفوف أضاحي [1]

---

(1) وذلك بعد أن خطبهم ليلة العاشوراء وأراهم منازلهم من الجنّة لمّا عرف منهم الثبات وكانوا في حالة من الإستبشار بلقاء الله عزّوجلّ وحب الشهادة بين يدي الحسين عليه‌السلام، وكان لبنات الرسالة وخصوصاً زينب عليهاالسلام مع الحسين عليه‌السلام لقاء خاص.

زينب لفت يم حسين ... لاچن گابعه بالهم

تگلّة يا ضوه عيوني ... عليمن هالفزع ملتم

تعنّت ليه للخيمة ... او تفسّر والصخر ونتها

طبّت گعدت اگباله ... او عالخد تهل دمعتها

تگلة اعليك ضلع اُمّك ... المظلومه او مصيبتها

سولفلي يماي العين
لا تخفي عَلَي يحسين
عليمن هالفزع صوبين

واشوف ابكثر عجّ الخيل   وادي كربلاء غيّم

* * *

اويلي من سمعها حسين   سالت دمعة اعيونه

يگلها خاف اسولفلچ   اوّجهچ ينخطف لونه

چتلي او چتل أهل بيتي   يختي الچوم يردونة

او لابد ما تشوفينه
فوگ الثره امگطعينه
يزينب لا تنوحينه

عينچ عاليتامه النار   لو شبّت بالمخيم

* * *

تگله الكاتبك يحسين   من هالناس چا وينه

المطلب التاسع والأربعون

في تعبئة الحسين عليه‌السلام أصحابه للقتال يوم عاشوراء

روى السيد بن طاووس [1] قال: لمّا أصبح الحسين عليه‌السلام يوم عاشوراء عبّأ أصحابه وجعل زهير بن القين البجلي رحمه الله في الميمنة، وحبيب بن مظاهر في الميسرة، وأعطى الراية إلى أخيه العباس بن علي عليه‌السلام، وجلعوا البيوت في ظهورهم، وأمر الحسين بحطب وقصب كان من وراء البيوت أن يترك في الخندق الذي حفروه، وأن يضرم فيه النار مخافة أن تأتي القوم من ورائهم.

قال: وعبّأ عمر بن سعد لعنه الله اصحابه وجعل على الميمنة عمر بن الحجاج الزبيدي، وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن الضبابي، وعلى الخيل عروة بن قيس، وعلى الرجّالة شبث بن ربعي، وأعطى الراية دريداً مولاه [2].

وروى المفيد رحمه الله [3] قال: ولمّا صار يوم عاشوراء، ورأى الحسين كثرة الأعداء، رفع يديه الى السماء وقال: اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب، وأنت رجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من كرب يضعف فيه

---

(1) انظر الملهوف على قتلى الطفوف ص 158.
(2) مثير الأحزان لابن نما: 53.
(3) في ج 2 ص 96 من كتابه الإرشاد.

الفؤاد، وتقلّ عنه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته، فأنت وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كل رغبة.

قال علي بن الحسين عليه‌السلام: فجعل القوم يجولون حول الخيم فرأوا الخندق وقد اضرمت فيه النار.

قال الراوي: ونادى شمر بن ذي الجوشن لعنه الله بأعلى صوته: تعجّلت بالنار يا حسين قبل يوم القيامة! فقال الحسين عليه‌السلام: من هذا كأنه الشمر؟ فقيل له: نعم، فقال: يابن راعية المعزى، أنت أولى بها صليّاً.

قال: وأراد مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين عليه‌السلام، فقال له: سيدي دعني أرميه فإنّه فاسق، فقال له الحسين عليه‌السلام: إنّي أكره أن أبدئهم [1] بالقتال.

وقال محمّد بن أبي طالب: وأمر الحسين بإحضار جواده، فقرب إليه واستوى عليه، وتقدّم في نفر من أصحابه وبين يديه برير بن خضير الهمداني [2]، فقال له الحسين: يا برير كلّم القوم، فتقدّم برير وقال: يا قوم اتقوا الله فإنّ ثقل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذريّته وعترته وبناته وحرمه، وما الذي تريدون أن تصنعون بهم؟ فقالوا: نريد أن نمكن منهم الأمير زياد - لعنه الله - فيرى

(1) نفس المهموم: 239.

(2) من أقادم أصحاب مولانا الحسين عليه‌السلام، وصفه الشيخ السماوي في ص 70 من كتابه الجليل «أبصار العين في أنصار الحسين» بقوله «كان بُرير شيخاً ناسكاً قارئاً للقران من شيوخ القراء...»

ووصفه الشيخ عباس القمي في ص 266 من الجزء الأول من كتابه «سفينة البحار» بقوله: «كان من عباد الله الصالحين، وكان شيخاً جليلاً من أشراف الكوفة من همدان الذين قال فيهم أمير المؤمنين عليه‌السلام:

فلو كنتُ بوّاباً على باب جنّة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

رأيه فيهم. فقال لهم برير: أفلا تقبلون أن يرجعوا إلى مكان الذي أتوا منه؟ ويلكم يا أهل الكوفة أنسيتم كتبكم التي كتبتموها وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها؟ ويلكم دعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونهم حتى إذا أتوكم أسلمتموهم عن ماء الفرات، بئسما خلفتم نبيّكم في ذريّته، مالكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم.

فقال رجل منهم: يا هذا ما ندري ما تقول. فقال برير: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة، اللهم إني أبرء إليك من فعال هؤلاء القوم، اللهم إلق بئسهم بينهم حتّى يلقوك وأنت عليهم غضبان [1].

قال: فجعل القوم يرمونه بالسهام: فرجع برير الى وراءه [2]، وتقدّم الحسين حتى وقف بإزاء القوم، وجعل ينظر الى صفوفهم وكأنّهم السيل [3]، ونظر الى ابن سعد لعنه الله واقفاً وحوله صناديد أهل الكوفة، فقال: الحمدلله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور عن غرّته، والشقي من قتلته، أيّها الناس فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب من طمع فيها، رأراكم قد اجتمعتم على أمر قد اسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد صلىاللهعليهوآلهوسلم ثم أنكم زحفتم على ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم ولما تريدون وإنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء

---

(1) مقتل الحسين اللخوارزمي: 1 / 252.
(2) تظلّم الزهراء: 180.
(3) البحار: 45 / 5.

قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين [1].

فقال عمر بن سعد لعنه الله: كلّموه فإنه ابن أبيه ووالله لو وقف فيكم هذا يوماً كاملاً لما انقطع [2].

فتقدّم إليه شمر بن ذي الجوشن وقال: يا حسين مالذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم.

فقال عليه‌السلام: أقول أتقوا الله ربك ولا تقتلونني فإنّه لا يحلّ لكم قتلي، ولا انتهاك حرمتي، فإنّي ابن بنت نبيكم، وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم، ولعله قد بلغكم قول نبيكم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة [3].

فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن أنزل على حكم الأمير ابن زياد.

فقال الحسين عليه‌السلام: لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد [4].

رامت تسوق المصعب	الهدار مستاق الذلول
ويروح طوع يمينها	قود الجنيب أبو الشبول
خلط الشجاعة بالبرا	عة فالصليل عن الدليل
لفّ الرجال بمثلها	وثنى الخيلول على الخيول
لسانه ولسانه	صدقان من طعن وقيل

(1) مناقب ابن شهر آشوب: 4 / 100.

(2) نفس المهموم: 245.

(3) بحار الأنوار: 45 / 6.

(4) الإيقاد: 103.

المطلب الخمسون

في خطبة الحسين عليه‌السلام يوم عاشوراء

قال أهل السير: لمّا عبّأ الحسين عليه‌السلام أصحابه وعبّأ ابن سعد أصحابه لمحاربة الحسين عليه‌السلام، ورتّب مراتبم وأقام الرايات في مواضعها، خرج الحسين عليه‌السلام عند ذلك ممتطياً جواده حتّى أتى نحو القوم فاستنصتهم، فأبوا أن ينصتوا فصاح بهم: ويلكم، ما عليكم أن تنصتوا فتسمعوا قولي وإنّما أعدوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلّكم عاص لأمري غير مستمع لقولي، فقد ملئت بطونكم من الحرام، وطبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون، ألا تسمعون، فتلاوموا فيما بينهم وقالوا: انصتوا له [(1)]. فلمّا رآهم الحسين عليه‌السلام قد سكتوا، قال:

تباً لكم أيّتها الجماعة وترحا، أحين استصرختمونا والهين، فاصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً في إيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم البا لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم، فهلّا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى، وتداعيتم إليها كتهافت

(1) الإيقاد: 104.

الفراش، فسحقاً لكم يا عبيد الأُمّة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الأنام، ومحرّفي الكتاب، ومطفىء السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمّة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وأنتم على ابن حرب واشياعه تعتمدون، وإيّانا تخاذلون، أجل والله، غدر فيكم، وشجت عليه أُصولكم، ونازرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شجي للناظر، وأكلة للغاصب، ألا وإنّ الدّعي بن الدّعي قد ركز بين أثنتين؛ بين السلّة والذلّة، وهيهات منا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأُنوف حمية ونفوس أبيه من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وقد اعذرت، ألا قد أنذرت، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر، ثم أنشأ يقول:

فإن نهزم فهزّامون قدماً — وإن تهزم فغير مهزّمينا

وما إن طبّنا جبن ولكن — منايانا ودولة آخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا — سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال: أمّا والله لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتّى تدور بكم دوران الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليَّ أبي عن جدّي، فأجمعوا أمركم وشركائكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم أقضوا إليّ ولا تنظرون (إِنّي تَوَكّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبّي وَرَبّكُم مَا مِن دَابّةٍ إِلّا هُوَ آخِذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنّ رَبّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، اللّهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف، يسقيهم كأساً مصبرة، ولا يدع فيهم أحداً إلّا قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولآبائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنّهم

---

(1) إقتباس من الآية 56 من سورة هود.

غرونا وكذبونا وخذلونا، أنت ربّنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير [1].

ثم قال عليه‌السلام: أين عمر بن سعد لعنه الله؟ فجاء إليه فقال: يا عمر، أنت تقتلني وتزعم أنّه يوليك الدعي بن الدعي بلاد الري وجرجان؟! والله لا تتهنأ بذلك أبداً، عهد معهود، فاصنع ما أنت صانع، فأنت لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأنّي برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة يتراماه الصبيان، ويتخذونه غرضاً بينهم.

فاغتاض اللعين من كلام الحسين عليه‌السلام ثم صرف بوجهه عنه ونادى بأصحابه: ما تنتظرون، احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة [2]، ثم أخذ سهماً ووضعه في كبد القوس ورمى به نحو مخيّم الحسين، وقال: اشهدوا لي عند الأمير ابن زياد - لعنه الله - فإني أول من رمى الحسين [3]، ثم رمى العسكر كلّه.

قال الراوي: فما بقي من أصحاب الحسين أحد، إلّا وأصابه سهم أو سهمين، من تلك السهام [4] فقال الحسين عليه‌السلام لأصحابه، قوموا رحمكم الله الى الموت الذي لابدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم [5].

قال فحملوا أصحاب الحسين حملة واحدة، وجعلوا يقاتلون حتى اقتتلوا ساعة من النهار. قال الراوي: فقتل من أصحاب الحسين عليه‌السلام خمسين رجلاً. قال: ثم أمر أصحابه أن يحملوا على القوم واحداً بعد واحد، وكان الرجل منهم إذا أراد البراز يستأذن الحسين عليه‌السلام فيأذن له، ثم يقول: السلام عليك يا أبا عبدالله، فيقول الحسين: وعليك السلام، ثم يحمل على القوم حتى أن عابس بن شبيث

---

(1) الملهوف على قتلى الطفوف: 157.
(2) الإيقاد: 105.
(3) مثير الأحزان لابن نما: 56.
(4) تظلّم الزهراء: 158.
(5) نفس المهموم للشيخ عباس القمي: 250.

الشاكري [1] لشوقه واشتياقه للقتل، خرج من الخيام حاسراً [2] وانحدر نحو القوم، فقيل له: عابس أجننت؟ قال: نعم، إنّ حب الحسين عليه‌السلام أجنني.

يتهادون الى الحرب سكارى طرباً فيه وما هم بسكارى

(1) وصفه الشيخ المامقاني في ج 2 ص 112 من كتابه «تنقيح المقال» بقوله: «كان عابس من رجال الشيعة رئيساً شيخاً خطيباً ناسكاً متهجّداً...»

(2) مقتل الحسين للخوارزمي: 2 / 23.

المطلب الواحد والخمسون

في وحدة الحسين عليه‌السلام وخطبته يوم العاشر

لمّا كانت اليوم العاشر من المحرم وتقدّمت أنصار الحسين عليه‌السلام فقتلوا، ثمّ تقدمت إخوته وأولاده فقتلوا وبقي وحيداً فريداً، أقبل الى الخيمة ودعى أخته الحوراء زينب، فجاءت فقال لها: اختاه عَلَيَّ بفرس رسول الله المرتجز [1] وسيفه وعمامته، فجاءت بها إليه فتعمّم بعمامة رسول الله وتقلّد بسيف رسول الله، وركب فرس رسول الله، ثم انحدر نحو القوم ونادى بأعلى صوته: أنشدكم الله هل تعرفونني من أنا؟ قالوا: اللهم نعم، أنت ابن رسول الله حقّاً. قال أنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ أبي أبي عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام؟ قالوا: اللهم نعم. قال: انشدكم الله هل تعلمون أنّ أُمّي فاطمة بنت محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم؟ قالوا. اللهم نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الأُمّة أسلاماً؟ قالوا: اللهم نعم. قال: انشدكم الله هل تعلمون أنّ جعفر الطيار في الجنّة عمّي؟ قالوا: اللهم نعم. قال. انشدكم الله هل تعلمون هذا سيف رسول الله أنا متقلّده؟ قالوا: اللهم نعم. قال: انشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أنا لابسها؟ قالوا: اللهم نعم. قال: انشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب أول القوم إسلاماً

(1) الملهوف على قتل الطفوف: 158.

وأكثرهم علماً وأرجحهم حلماً وأنّه ولي كلّ مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: اللهم نعم. قال إذاً بم تستحلّون دمي وأبي الذائد عن الحوض يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء، ولواء الحمد بيده يوم القيامة؟

قالوا: قد علمنا ذلك كلّه ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً. فأخذ الحسين بطرف كريمته المباركة وهو يومئذ ابن سبع وخمسين سنة، قال: اشتدّ غضب الله على اليهود حين قالوا العزيز ابن الله، واشتدّ غضبه على النصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، واشتدّ غضبه على المجوس حين عبدو النار من دون الله، واشتدّ غضبه على قوم قتلوا نبيّهم، واشتدّ غضبه على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن بنت نبيهم [1].

قال الراوي: ولمّا رأى الحسين إصرارهم على قتله أخذ المصحف ونشره على يده ونادى: يا قوم بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدي رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم، يا قوم بم تستحلّون دمي؟ ألست أنا ابن بنت نبيّكم؟ أو لم يبلغكم قول جدّي فيّ وفي أخي الحسن، هذان ولداي سيّدا شباب أهل الجنّة، فإن لم تصدّقوني فاسئلوا جابر بن عبدالله الأنصاري، وزيد بن أرقم، وأبا سعيد الخدري، فوالله ما تعمّدت الكذب أبداً مذ علمت أنّ الله يمقت أهله، والله ليس في مشرق ومغرب ابن بنت نبيّ فيكم غيري.

فأجابه الشمر قائلاً: انزل على حكم ابن زياد. فقال الحسين عليهالسلام: لا والله ثمّ حمل عليهم بسيفه وهو يقول [2]:

أنا ابن علي الطهر من آل هاشم كفاني بهذا مفخراً حين أفخر

وجدّي رسول الله أفضل من مشى ونحن سراج الله في الأرض نزهر

---

(1) أمالي الشيخ الصدوق: 222 وما بعدها.
(2) كما في ج 45 ص 49 من بحار الأنوار للشيخ المجلسي.

فانكشفوا من بين يديه انكشاف المعزي إذا شدّ فيها الذئب، ثمّ انحدر نحو المشرعة وكان عليها أربعة آلاف، فكشفهم عن المشرعة واقتحم الفرس في الفرات ونزل في الماء. قال: فمدّ الحسين يده وغرف غرفة ليشرب وإذا بمنادي ينادي: يا حسين أتلتذ بالماء وقد هتكت حريمك؟ فرمى الماء من يده وخرج من الفرات [1] فحمل الى القوم فكشفهم على وجهه ونظر إلى الخيمة فإذا بها سالمة، فعلم إنّها مكيدة، وناداه رجل آخر: ألا ترى الفرات يجري في بطون الحيات والله لن تذوق منه قطرة حتّى تموت عطشا [2]، ثم حمل على القوم مرّة ثانية وهو يقول:

أنا الحسين بن علي آليت أن لا أنثني

فلم يزل يقاتل حتى قتل جمعاً كثيراً من الأعداء، ثمّ رجع إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم [3].

قال: واصيب بجراحات عديدة، جاء إلى مخيمه وصاح بالنساء، فخرجت إليه الحوراء زينب، فقال لها: أُخيه، عَلَيَّ بالمنديل لأشدّ به هذا الجرح، فجاءت إليه بمنديل لتشدّ له جرحه، وإذا ببدنه كله يشخب دماً، فقالت له: أخي، ايّ جرح اشدّه لك، الجرح الذي في رأسك؟ أم الجرح الذي في جبهتك؟ أم الجرح الذي في صدرك؟ فرفع الثوب عن خاصرته وقال لها: اخية هذا الجرح ضرّني، فصاحت وا أخاه وا حسيناه.

سهم أصابك يابن بنت محمد قلباً أصاب لفاطم وفؤادا

---

(1) البحار: 45 / 51.

(2) فقال الحسين عليه‌السلام، اللهم أمتُه عطشاً. قال الراوي: فكان ذلك اللعين يقول اسقوني ماء فيأتون إليه الماء فيشرب حتّى يخرج من فيه حتى هلك.

(3) نفس المهموم: 354.

بقية المجلس في حملات الحسين عليه‌السلام يوم عاشوراء

بأبي ابن فاطمة والسيف في يده إنّ ابن ميمون سرّاً يعبد الصنما

أو رأسه يتجلّى للهدى قمراً على الأسنّة يجلو نوره الظلما

قال أرباب المقاتل: ولمّا أراد الحسين عليه‌السلام أن يحمل على القوم حملته الأخيرة، جعل يودع عياله وأطفاله، فتصارخت العيال والأطفال ودرن حوله؛ فمنهنّ من تقبل رأسه، ومنهنّ من تقبل وجهه، ومنهنّ من تقبل يده ورجليه، وإذا بالمنادي ينادي من القوم: يا حسين، جبنت عن الحرب وجلست في خيمة النساء، فقام وركب الجواد وانحدر نحو القوم، فبينما هو يسير وإذا بصوت من خلفه: أبة لي إليك حاجة، التفت وإذا هي سكينة، فقال لها: بنيّة ما حاجتك؟ قالت: أبه حاجتي أن تنزل من على ظهر جوادك الى الأرض وأُريد أن أوَدِّعك وداع اليتامى. فنزل الحسين عليه‌السلام من على ظهر جواده وجلس على الأرض فجعلت سكينة تبكي، فقال الحسين عليه‌السلام:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ما دام منّي الروح في جثماني

فإذا قُتلت فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان

قال الراوي: وأقبلت إليه أخته الحوراء زينب، فقالت له أخي أكشف لي

---

(1) مناقب آل أبي طالب: 4 / 109.

عن صدرك وعن نحرك، فكشف لها الحسين عليه‌السلام صدره وعن نحره، شمّته في نحره وقبلته في صدره، ثمّ حوّلت وجهها نحو المدينة وصاحت: يا اُمّاه قد استرجعت الأمانة، فتعجّب الحسين عليه‌السلام من كلامها، فقال لها: اُخية، وما الأمانة؟ قالت: اعلم يابن والدي، لما دنت الوفاة من اُمّنا فاطمة، قرّبتني إليها وشمّتني في نحري وقبلتني في صدري وقالت لي: بنية زينب، هذه وديعة لي عندك، فإذا رأيت أخاك الحسين وحيداً فريداً، شمّيه في نحره وقبليه في صدره؛ أمّا نحره فإنّه موضع السيف، وأمّا صدره فإنّه موضع حوافر الخيول.

قال الراوي: والله لقد سمعنا منادياً ينادي بين السماء والأرض، وا والداه وا حسيناه، ثم ودّعهم وحمل على القوم فجعل يضرب فيهم بسيفه وهو يقول [1]:

الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

قال بعض الرواة: ما رأيت مكثوراً [2] قط قد قتل منه ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه عليه‌السلام، وإن كانت الرجال لتشدّ عليه ويشدّ عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ولقد كان يحمل عليهم وقد تكاملوا ثلاثين ألف، فينهزمون من بين يديه كالجراد المنتشر [3]، ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فكان كما قال المتنبي [4]:

واستعار الحديد لوناً وألقى لونه في ذوائب الأطفال

هذا والعطش قد أثر بعينه حتّى صار لا يبصر بهما، وأثر بلسانه حتّى صار

---

(1) كما في صفحة 170 من كتاب «الملهوف على قتلى الطفوف».
(2) المكثور: المغلوب.
(3) تاريخ الطبري: 4 / 345.
(4) في قصيدته التي يمدح بها عبدالرحمن بن المبارك الإنطاكي ومطلعها:
حيلةُ الهجر لي وهجرُ الوصالِ نكّساني في السُّقمِ نُكسَ الهلالِ

كالخشبة اليابسة، وأثر بأحشائه حتى صار الغبار يدخل في فيه وينزل الى جوفه ثمّ يخرج مثلما دخل، وأثر العطش في قواه وهو مع ذلك يضرب فيهم بسيفه، فصاح عمر بن سعد بأصحابه: الويل لكم يا حمقاء، أتدرون من تقاتلون، هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، فاحملوا عليه حملة رجل واحد [1]. ثم إنّهم افترقوا عليه أربعة فرق: ضرباً بالسيوف، طعناً بالرماح، رمياً بالسهام، رضخاً بالحجارة والخشبة، فبينما هو كذلك إذ أتاه حجر مشوم فرقع في جبهته، وسالت الدماء على كريمته المباركة [2]، أخذ ثوبه ليمسح الدم، بان صدره الشريف إلى الأعداء فرماه أبو الحتوف الجعفي لعنه الله بسهم محدّد مسموم له ثلاث شعب، فوق في لبّة قلبه [3]، فرفع رأسه إلى السماء وقال: الهي أنت تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الارض ابن نبيّ غيره [4]، وكلّما عالج وأراد أن ينتزعه من موضعه ما تمكّن، انحنى على قربوس سرج فرسه قائلاً: بسم الله وبالله وعلى ملّة جدّي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، فاستخرج السهم من قفاه وجرى الدم كالميزاب [5].

قال الراوي: وخرج ثلثا كبده مع السم، فخرّ صريعاً إلى الأرض، فجعل جواده يدور حوله ويأخذ عنانه بأسنانه ويضعه بيد الحسين عليه‌السلام مشيراً إليه بالقيام، فلمّا رأى الجواد أنّ الحسين لا قابلية له على النهوض، خضب ناصيته بدمه ورجع نحو خيمه كي يعلم النساء بقتله، وهو يصهل ويحمحم ويقول في صهيله:

(1) مناقب ابن شهر آشوب: 4 / 110.
(2) مقتل الحسين للخوارزمي: 2 / 34.
(3) تظلم الزهراء: 209.
(4) مثير الأحزان لابن نما: 73.
(5) الملهوف على قتلى الطفوف: 172.

الظليمة الظليمة الهضيمة الهضيمة من اُمّة قتلت ابن بنت نبيها [1]، فدرن الهاشميّات حوله وجعلن يتصارخن ويبكين وكأنّي بالحوراء زينب تخاطبه:

يا جواد الحسين أين الحسين | أين من كان لي عماداً ضلالا

قال أرباب المقاتل: ولما صرع الحسين عليه‌السلام سقط عن ظهر جواده إلى الأرض، وعمل له وسادة من التراب، فنام عليها ثلاث ساعات من النهار، ثمّ أنه عليه‌السلام أراد النهوض فلم يتمكن، احتبى بحمائل سيفه وجلس محتبيا.

قال الراوي: وخرج غلام صغير من المخيّم وهو عبدالله بن الحسن عليه‌السلام [2] وقرطاه يتذبذبان على خدّيه، فلحقته زينب بنت علي لتحبسه، فأبى وامتنع امتناعاً شديداً، فقال: لا والله، لا افارق عمّي الحسين حتّى إذا جاء الى مصرع عمّه الحسين عليه‌السلام وجلس في حجره فصاح به الغلام: ويلك أتضرب عمّي، ثم رفع يده ليمنع الضربة عن عمّه فضربه اللعين فاتّقاها الصبي بيده فأطنها الى الجلدة وإذا هي مطلقة، فنادى الغلام: يا عمّاه، فأخذه الحسين وضمه إليه وقال له: يابن أخي أصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين. قال: فرماه حرملة بن كاهل بسهم فوقع الغلام إلى جنب عمه الحسين قتيلاً [3].

قال الراوي: ورمق الحسين عليه‌السلام السماء بطرفه وجعل يقول:

تركت الخلق طرّاً في هواكا | وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطّعتني بالحب أرباً | لما مال الفؤاد الى سواكا

(1) مقتل الحسين للمحقق الثبت السيد عبدالرزاق المقرم رحمه الله: 283.
(2) حسب ما جاء في ج 2 ص 110 من كتاب الإرشاد للشيخ المفيد.
(3) بحار الأنوار: 45 / 54.

ثمّ أُغمي على الحسين عليه‌السلام، هذا والأعداء واقفون بإزائه يحجمون عن الإقدام [1]، ويختلفون في الكلام؛ فقائل يقول: إنّه عمل حيلة، والآخر يقول: ضعف ولا قابلية له على القيام، قال الشمر لعنه الله: فإن أردتم أن تعلموا ذلك فاهجموا على المخيّم؛ فإن كانت به قوّة فستنهض به غيرته للذبّ عن الحرم، فهجموا على المخيّم فتصارخت العيال وتهاتفت به؛ فصاح الحسين عليه‌السلام: «ويلكم! أنا الذي أُقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن ذمام» [2].

فصاح الشمر: دعوا النساء واقصدوا الرجل بنفسه، فلعمري لهو كفو كريم [3]؛ فتركوا النساء ورجعوا إليه، فجاء إليه مالك بن النسر، أوّل ما صنع اللعين شتم الحسين عليه‌السلام وضربه بالسيف على رأسه، وكان على رأس الحسين برنساً فأمتلأ البرنس دماً، وأخذ الحسين عليه‌السلام من دم رأسه وخضّب به وجهه، وقال: «هكذا ألقى الله وأنا مخضّب بدمى» [4]. ثمّ جاء إليه سنان بن أنس وطعنه بالرمح في خاصرته، وطعنه صالح بن وهب في ترقوته، وضربه زرعة بن شريك على حبل عاتقه، ورماه حرملة بن كاهل بسهم فأُغمي عليه [5].

قال: وصالح عمر بن سعد لعنه الله: مَنْ يأتيني برأس الحسين وله الجائزة؟

فانحدر إليه مالك بن النسر فأحسّ به الحسين فرمقه بطرفه، فرمى السيف من يده وولّى هارباً. فقال له شبث بن ربعي: أنا له، فقال ابن سعد لعنه الله: أنت له، فحمل سيفه وأقبل إلى الحسين عليه‌السلام فرمقه الحسين بطرفه، فرمى السيف من يده

______

(1) الأخبار الطوال للدينوري: 358.
(2) الملهوف علي قتلي الطفوف: 171.
(3) نفس المهموم: 355.
(4) مقتل العلوالم للشيخ عبدالله البحراني: 296.
(5) نفس المصدر: 299.

وولّى هارباً [1]. فنادى ابن سعد لعنه الله: أما فيكم مَنْ يذبح الحسين ويأتيني برأسه؟!

فغضب الشمر وأقبل إلى الحسين، وكان الحسين يُغمى عليه تارة ويفيق أُخرى، فجاء إليه اللعين وتربّع على صدره، أفاق الحسين عليه‌السلام من غشوته وفتح عينيه، وإذا بالشمر جاثٍ على صدره، فقال له الحسين عليه‌السلام: «يابن ذي الجوشن أتعرفني مَنْ أنا؟!». قال: نعم، أعرفك، جدّك المصطفى، أبوك المرتضى، أُمّك الزهراء، أخوك الحسن، أقتلك ولا أُبالي [2]. فقال له الحسين عليه‌السلام: «أجل، اسقني قطرة من الماء فقد تفتّت كبدي من الظماء». فقال اللعين: بل أسقيك كأس الحمام [3]. ثمّ وضع اللعين سيفه على رقبة الإمام، وأراد أن يحزّ نحره فلم يعمل السيف، فقيل له: ويلك هذا موضع شمّ رسول الله! اقلبه على وجهه، فقلب الحسين على وجهه.

وأقبل الشمر والهنديّ في يده ... فكان ما كان من إنفاذٍ مسطور

وكان كلّما قطع عرقاً صاح الحسين: « واجداه وا محمداه ».

قال الراوي أدركت الحوراء زينب أخاها وشمر يحزّ نحره، فجعلت

---

(1) نعم، لا مبالغة في هذا، فهؤلاء أرباب المقاتل يقولون ما نصّه: «وكلّما انتهي رجلٌ من الناس إليه - أي إلي الحسين عليه‌السلام - انصرف عنه» وقالوا أيضاً بعد كلام: «وقد تاواه الناس» كلّ ذلك خوفاً وفرقاً منه عليه‌السلام، يقول السيد حيدر الحلّي ولقد أحسن كلّ الإحسان:

عفيراً متي عافيته الكماة ... يختطف الرعبُ ألوانها

فما أجلت الحربُ عن مثله ... صريعاً يجبّن شجاعتها

(2) مقتل الحسين للخوارزمي: 2 / 37.

(3) أسرار الشهادة للدربندي: 426.

تمانعه وتوبّخه، وربما تتوسّل به، وتقسم عليه بجدّها رسول الله صلىاللهعليهوآله [1]، فقام إليها اللعين وضربها، فخرّت مغشيّاً عليها، فلمّا أفاقت من غشوتها رأت رأس أخيها الحسين عليهالسلام [2] على رأس رمح طويل، والمنادي ينادي بين السماء والأرض: قُتل الإمام ابن الإمام أخو الإمام أبو الأئمّة [3]، وكُسفت الشمس، وتزلزلت الأرض، وهبّت عجاجة سوداء مظلمة، وأخذت الناس الدهشة.

ولمّا قطع الشمر رأسه دفعه إلى خولي؛ ليوصله إلى ابن سعد، ثمّ أقبلوا على سلب الحسين؛ فأخذ قميصه إسحاق بن حوية، وأخذ سراويله بحر بن كعب، وأخذ عمامته الأخنس الحضرمي، وأخذ نعليه الأسود بن خالد، وأخذ خاتمة بجدل بن سليم الكلبي وقطع أصبعه مع الخاتم، وأخذ قطيفة كانت له من خزّ قيس بن الأشعث، وأخذ درعه البترآء عمر بن سعد، وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأزدي، وقيل: من بني دارم - وهؤلاء كلّهم انتقم الله منهم شرّ انتقام [4]، وصاح الشمر عَليَّ بالنار؛ لأحرق المخيّم، فهجموا على المخيّم وأشعلوا النار فيها؛ فخرجن الفاطميات ناشرات الشعور، لاطمات الخدود، مشقّقات الجيوب، ينادين: وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله، وجعل القوم ينتزعون الملاحف من على

---

(1) قال المغفور له الحاج هاشم الكعبي رحمهالله في إحدي قصائده العامرة:

وجاءت لشمرٍ زينبُ ابنةُ فاطم ... تعنّفه عن أمره وتُعذّلُ

تدافعهُ بالكف طوراً وتارةً ... إليه بطه جدّها تتوسّل

أيا شمرُ لا تعجل علي ابن محمّدٍ ... فذو ترةٍ في مثله ليس يَعجلُ

أيا شمر هذا حجّةُ الله في الورى ... أعد نظراً يا شمرُ إن كنت تعفل

فمرَّ يحزُّ النحر غير مراقب ... من الله لا يخشي ولا يتوجّلُ

(2) أسرار الشهادة: 429.

(3) الإيقاد: 135.

(4) انظر بحار الأنوار: 45 / 57 وما بعدها.

ظهور الفاطميات [1] وهنّ يلذن بعضهنّ ببعض، ومنادي القوم ينادي: احرقوا بيوت الظالمين. قال: وجئن النسوة إلى مصرع الحسين عليه‌السلام.

فواحدةٍ تحنو عليه تضمه وأُخرى عليه بالرداءِ تظلّلُ

وأُخرى بفيضِ النحرِ تصبغُ وجهها وأُخرى لما قد نالها ليس تعقل [2]

فائدة: وفي كتب بعض العلماء قال: إنّه لمّا خمدت النيران يوم عاشوراء افتقدت زينب الأطفال ففقدت طفلتين للحسين؛ فجعلت تدور في المعركة إلى أن وصلت إلى تلّ من الرمل، وجدت الطفلتين قد كشفتا عن صدريها، وقد حفرتا الأرض وجعلتا صدريها على الرمل الرطب من شدّة العطش، حركتهما وإذا بهما ميّتين. صاحت: يا أُمّ كلثوم! ويا فضّة! هلمن لنحملنّهما، فحملنهنّ إلى السجّاد وصحن صيحة واحدة، فاندهش العسكر. فسأل عمر بن سعد: ما الخبر؟ قالوا له: طفلتين ماتتا من العطش. فاجتمع رؤساء عسكره عنده وجعلوا يوبّخونه ويلومونه على منعه: ويلك! إن لم تسقِ الأطفال الماء يهلكوا عن آخرهم. فأمر السقائين أن يحملوا القرب، ويعرضوا عليهم الماء فأمر أربعمئة سقّاء فحملوا القرب، وجاؤوا بها إلى الأطفال والعيال [وهم] ينادون: هلمّوا واشربوا الماء. فلمّا رأوا الأطفال الماء وقد أُبيح لهم، تصارخوا وهرعوا في البيداء ينادون: نحن لا نشرب الماء وسيّدنا قُتل عطشانا. انتهى.

فائدة: ولقد رأوا ذلك اليوم شخصاً عليه طمار بيض يصرخ ويبكي، فقالوا له: أجُننت؟! قال: ما جُننت، ولكنّي أرى ما لا ترون، أرى رسول الله واقفاً

---

(1) انظر أمالي الشيخ الصدوق: 228.

(2) من قصيدةٍ عصماء لا زالت تُردّد من على صهوات المنابر للمغفور له الشيخ هاشم الكعبي رضوان الله عليه ومطلعها:

أما طلل يا سعدُ هذا فتسأل تزال فهذي الدار إن كنت تنزل

على مصرع الحسين عليه‌السلام واضعاً سبّابته في فيه، أخاف يدعو على هذه الأُمّة فتهلك وأهلك معها. فسُئل السجّاد عن هذا الشخص، قال: «ما أراه ألّا جبرئيل، ولو أذن له لصرخ صرخة جعل عاليها سافلها».

فائدة: قال الراوي: وانتهبوا رحل الحسين وإبله وأثقاله، وسلبوا النساء وأخرجوهنّ من الخيام مسلّبات حافيات، حاسرات باكيات نادبات، يلذن بعضهنّ ببعض، وهجموا على زين العابدين اجتذبوا النطع من تحته، وألقوه على وجهه؛ هذا يقول: اقتلوه، وذاك يقول: دعوه، والآخر يقول: لا تبقوا لأهل هذا البيت بقيّة، ثمّ تركوه على حاله.

فائدة: روى أبو مخنف قال: قال عبد الله بن العباس: حدّثني مَنْ شهد الواقعة: أنّ فرس الحسين جعل يحمحم، ويتخطّى القتلى في المعركة، قتيلاً بعد قتيل حتى وقف على جثّة الحسين، فجعل يمرّغ ناصيته بالدم، ويلطم الأرض بيده، ويصهل صهيلاً حتى ملأ البيداء، فتعجّب القوم من فعاله، فلمّا نظر عمر بن سعد لعنه الله إلى فرس الحسين قال: يا ويلكم أتوني به. وكان من جياد خيل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، فركبوا في طلبه، فلمّا أحسّ الجواد بالطلب جعل يلطم بيده ورجليه، ويُمانع عن نفسه حتى قتل خلقاً كثيراً، ونكّس فرساناً من خيولهم ولم يقدروا عليه، فصاح عمر بن سعد لعنه الله: دعوه حتى ننظر ما يصنع. فلمّا أمن الجواد من الطلب أتى إلى جُثّة الحسين وجعل يمرّغ ناصيته بدمه، ويبكى بكاء الثكلى، وثار يطلب الخيمة.

فلمّا سمعت زينب بنت علي عليه‌السلام صهيله أقبلت إلى سكينة وقالت لها: قد جاء أبوك بالماء، فخرجت سكينة فرحة بذكر أبيها فرأت الجواد عارياً، والسرج خالياً من راكبه، فهتكت خمارها، ونادت: وا أبتاه! وا حسيناه! وا قتيلاه! وا غربتاه! وا بعد سفراه! وا طول كربتاه! هذا الحسين بالعرى، مسلوب العمامة والردا، قد أخذ

منه الخاتم والحذا، بأبي مَنْ رأسه بأرض وجثّته بأُخرى، بأبي مَنْ رأسه إلى الشام يُهدى، بأبي مَنْ أصبحت حرمه مهتوكة بين الأعداء، بأبي مَنْ عسكره يوم الإثنين مضى، ثمّ بكت بكاءً شديداً، وأنشأت تقول:

ماتَ الفخارُ وماتَ الجودُ والكرمُ		واغبرّتِ الأرضُ والأفاقُ والحرمُ

وأغلقَ اللهُ أبوابَ السماءِ فما		ترقى لهم دعوةٌ تُجلى بها الغممُ

يا أُختُ قومي انظري هذا الجوادَ أتى		ينبئكِ أنّ ابن خيرَ الخلقِ محترمُ

ماتَ الحسينُ فيا لهفي لمصرعهِ		وصارَ يعلو ضياءَ الأُمّةِ الظلمُ

فائدة: قال أبو مخنف: ولمّا ارتفع صياح النساء، صاح ابن سعد: ويلكم اكبسوا عليهنّ الأخبية واضرموهنّ ناراً، فاحرقوها ومَنْ فيها. فقال رجل منهم: ويلك يابن سعد! أما كفاك قتل الحسين وأهل بيته وأنصاره عن إحراق أطفاله ونسائه؟! كأنّك تريد أن يخسف الله بنا الأرض؟! فتبادروا إلى نهب النساء الطاهرات.

قالت فاطمة بنت الحسين: كنت في ذلك الوقت واقفة في الخيمة، إذ دخل رجل أزرق العين فأخذ ما كان في الخيمة، ونظر إلى قرطين كانتا في أُذني فجعل يعالجهما وهو يبكي حتى نزعهما، فقلت له: تسلبني وأنت تبكي؟! فقال: أبكي لمصابكم أهل البيت. فقلت له: قطع الله يديك ورجليك، وأحرقك الله تعالى بنار الدنيا قبل الآخرة.

فائدة: قال أبو مخنف: ثمّ إنّ عمر بن سعد لعنه الله قال: مَنْ يبادر إلى جسد الحسين فيوطأه، فابتدر إليه عشرة فوارس فحطّموا صدره وظهره.

إنتهي الجزء الأول من كتاب ثمرات الأعواد

Contents

ثمرات الأعواد

يحتوي على عدة مجالس مرتبة من أحسن المصادر وكتب التاريخ
والمقاتل ما يحتاجه الذاكر من ليلة الحادية عشر
من المحرم حتى نهاية شهر صفر

لمؤلفه
علي بن الحسين الهاشمي النجفي الخطيب

ولقد بكيت على الحسين بناظر ادمت مآقـي جفنه عبراته
حتى سقيت بأدمعي شجر الأسى فـنما وطال وهذه ثمراته

الجزء الثاني

المطلب الأوّل

في مسير السبايا والرؤوس إلى الكوفة

أي يوم أدمى المدامع فيه — حادث رائع وخطب جليل
يوم عاشور الذي لا أعان الصّـ — حبُ فيه ولا أجار القبيل
يا ابنَ بنت النبي ضيّعت العهـ — د رجال والحافظون قليل
ما أطاعوا النبي فيكَ وقد ما — لت بأرواحهم إليك الذحول
يا جواداً أدمى الجواد من الطعـ — ـن وولى ونحره مبلول
يا حساماً فلّت مضاربه الها — م وقد فله الحسام الصقيل
أَتُراني ألذّ ماءً ولما — يُروَ من مهجة الإمام الغليل
أتراني أعير وجهي صوناً — وعلى وجهه تجول الخيول
قبّلته الرماح واتّصلَت فيـ — ـه المنايا وعانقته النُّصول
غسّلته دماؤه قلّبته — أرجل الخيل كفّنته الرمول
والسبايا على النجائب تستا — ق وقد نالت الجيوب الذيول
وتشاكين والشكاة بكاء — وتنادينَ والنداء عويل [1]

---

(1) من قصيدة عامرةٍ للشريف الرضي رحمه‌الله استهلها بقوله:

راحل أنت والليالي نزولُ ومُضرٌّ بك البقاءُ الطويلُ

إنّ أعظم الرزية وأجلّ المصيبة حلّت بآل الرسول وبنات الزهراء البتول بعد قتل الحسين عليه‌السلام وذويه وأنصاره ونهب رحله وحرق مضاربه هي تسيير عيالاته اسارى من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام كما ذكر المرحوم السيد حيدر بقصيدته النونية [1]:

وأجلّ يوم بعد يومك حلّ في ... الإسلام منه يشيب كلّ جنين

يوم سرت أسرى كما شاء العدى ... فيه الفواطم من بني يس

إتفق أرباب المقاتل على أنّ أهل الكوفة ساروا ببنات الرسالة وصبية الحسين عليه‌السلام من كربلاء يوم الحادي عشر من المحرم بعد الزوال، كما ذكر ذلك السيد بن طاووس في اللهوف [2] وغيره، أقام عمر ابن سعد بقية يومه - أي يوم عاشوراء - واليوم الثاني إلى زوال الشمس، ثم رحل بمن تخلف من عيال الحسين وحمل نساءه على أحلاس [3] أقتاب الجمال بغير غطاء ولا وطاء، ولمّا حملوا النساء اُسارى مرّوا بهن على الحسين عليه‌السلام وأصحابه وهم صرعى فصحن النسوة وصاحت الحوراء زينب: يا محمداه صلى عليك مليك السماء، هذا الحسين مزمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذرّيّتك مقتّلة تسفى عليها الصبا [4].

قال الراوي: فأبكت كلّ عدوّ وصديق [5].

---

(1) المثبتة في ديوانه المطبوع وإليك مطلعها:

إن ضاعَ وتركَ يابن حامي الدّينِ ... لا قال سيفك للمنايا كونِ

(2) انظر الملهوف على قتلى الطفوف: 189.
(3) الأحلاس مفردها حلس بكسر الحاء والحلس كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل.
(4) مقتل الحسين للخوارزمي: 2 / 39.
(5) تأريخ الطبري: 4 / 348.

وقيل: أرادت أن ترمي بنفسها من على ظهر الناقة ناداها السجاد: عمّه ارحمي حالي، ارحمي ضعف بدني، عمّه إذا رميت بنفسك من يركبك وأنا مقيّد؟ قالت: يابن أخي أريد أن أُودع أخي الحسين عليه‌السلام. فقال لها: عمّه ودعي أخاك وأنت على ظهر الناقة، فجعلت تنادي: أخي أودعتك الله السميع العليم، يابن أُم والله لو خيروني بين المقام عندك أو الرحيل عنك لاخترت المقام عندك ولو أن السباع تأكل لحمي، قال المرحوم السيد رضا:

همّت لتقضي من توديعه وطراً وقد أبى سوط شمر أن تودعه

ففارقته ولكن رأسه معها وغاب عنها ولكن قلبها معه

هذا وقد أمر ابن سعد بأن تحمل الرؤوس على رؤوس الرماح وتسير السبايا، فأقبلوا يجدون السير حتى وافوا القائم [1] فوضعوا هناك رأس الحسين عليه‌السلام وهو أول منزل انزل به الرأس الشريف، فباتوا ليلتهم حتى الصباح، وأدخلوا على ابن زياد، ولمّا أدخلوا السبايا الى الكوفة، كان ابن زياد قد أمر في ذلك اليوم أن لا يخرج أحد من أهل الكوفة بسلاحه، هذا وقد عين عشرة آلاف فارس وأمرهم أن يأخذوا السكك والطرقات خوفاً من السواد من أن تحركهم الحمية والغيرة على أهل البيت، إذا رأوهم بهذه الصفة اسارى؛ وأمر أن تجعل الرؤوس في أوساط المحامل فوضعت، فلمّا نظرت أم كلثوم إلى رأس أخيها الحسين بكت وأنشأت تقول:

---

(1) القائم هو اليوم مسجد الحنانة انزل فيه رأس الحسين عليه‌السلام وفيه يزار الحسين، وكان قبل هذا يقال له القائم ويسمّى بالعلم، وكان أمير المؤمنين عليه‌السلام يأتي الى هذا الموضع في الليالي المظلمة ويصلّي فيه، حتى روي عن المفضل ابن عمر، أنّه قال: جاز الصادق عليه‌السلام بالقائم المائل في طريق الغري فصلّى ركعتين، فقيل له: ما هذه الصلاة؟ قال: هذا موضع رأس جدي الحسين عليه‌السلام وضعوه هنا، وذلك لمّا توجهوا به من كربلا.

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم

بعترتي أهل بيتي بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم

قال: وأنشأت زينب بنت أمير المؤمنين عليهماالسلام أيضاً في ذلك اليوم مخاطبة أهل الكوفة:

قتلتم أخي صبراً فويل لاُمّكم ستجزون ناراً حرها يتوقد

سفكتم دماء حرّم الله سفكها وحرّمها القران ثم محمد

ألا فابشروا بالنار إنكم غداً لفي سقر حقاً جميعاً تخلدوا

وإني لأبكي في حياتي على أخي على خير من بعد النبي سيولد

بدمع غزير مستهل مكفكف على الخد مني دائماً ليس يحمد

وكذلك أنشأ السجاد في ذلك اليوم، وهو في حالة السقم مخاطباً أهل الكوفة:

يا اُمّة السوء لا سقياً لربعكم يا اُمّة لم تراع جدنا فينا

لو إننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا

تسيرونا على الأقتاب عارية كأننا لم نشيد فيكم دينا

نعم، سيروهم على أقتاب الإبل بغير غطاء ولا وطاء كما قال الشاعر:

اسارى بلا فاد ولا من ماجد يعنفها حاد ويشجى مركب [1]

---

(1) (فائدة) قال أرباب المقاتل: ولمّا قتل الحسين عليهالسلام أرسل عمر ابن سعد رأسه من يومه أي يوم عاشوراء - إلى ابن زياد مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي، وأمر عمر بن سعد برؤوس أصحاب الحسين عليهالسلام وأهل بيته

فقطّعت وكانت أثنين وسبعين رأساً، وسرّح بها مع شمر ابن ذي الجوشن وقيس من الأشعث، وعمرو بن الحجاج، وعروة بن قيس، ليقدموا بها على ابن زياد فحملوها على أطراف الرماح.

المطلب الثاني

يتضمّن خطبة العقيلة زينب وأُختها أُم كلثوم عليهماالسلام في الكوفة [1]

لمّا أدخلوا السبايا والرؤوس إلى الكوفة وخرج أهلها للنظر والتفرج عندئذ خطبت عقيلة بني هاشم ابنة علي عليهالسلام تلك الخطبة البليغة فأعجبتهم ببلاغتها وحيّرتهم بفصاحة منطقها، وذكرتهم أيّام أبيها سيد البلغاء حتى قال بشير بن خزيم الأسدي: نظرت الى زينب ابنة علي عليهالسلام يومئذ ولم أر خفرة [2] والله أنطق منها كأنّما تنطق وتفرغ من لسان علي بن أبي طالب عليهالسلام، وقد أومأت الى الناس أن اسكتوا، فارتدّت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت:

(أبدأ بحمد الله والصلاة والسلام على نبيّه محمّد، أمّا بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختر [3] ألا فلا رقأة العبرة، ولا هدأة الرنّة؛ إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتّخذون إيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا

---

(1) ذهب العلامة الكبير الشيخ المجلسي المتوفي سنة 1111 هـ مثبتا في كتابه (بحار الأنوار) في مجلد العاشر منه أنّها لزينب الكبير وأيّده جميع مؤلّفوا المقاتل، غير أنّ أبا الفضل أحمد ابن أبي طاهر المتوفي سنة 204 ذكر في كتابه (بلاغات النساء) أنّها لأختها أُم كلثوم عليهماالسلام.

(2) الخفر بفتحتين شدة الحياء، جارية خفرة، بكسر الخاء مختار الصحاح.

(3) الختر بفتح الخاء وسكون التاء وسكون الراء الغدر، يقال: خترة فهو ختّار.

الصلف [1] والشنف [2] وملق الإماء، وغمزة الأعداء، وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة، أو كقصّة * على ملحوده، ألا ساء ما قدمت أنفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون: اي والله فابكوا وإنّكم والله أحرياء بالبكاء، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد بؤتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها [3] بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة وسيّد شباب أهل الجنة، ومَنار محجّتكم، ومدرّة حجّتكم، ومفزع نازلتكم، فتعساً ونكساً، لقد خاب السعي، وخسرت الصفقة، وبؤتم [4] بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة (لّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السّماوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقّ الأَرْضُ وَتَخِرّ الْجِبَالُ هَدّاً) [5] أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ لقد جئتم بها شوهاء، وخرقاء، شوهاء كطلاع الأرض والسماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دما (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ) [6] فلا يستخفنّكم المهل فإنّه لا تحفزه المبادرة، ولا يخاف عليه فوت الثار، كلّا إنّ ربك لنا ولهم بالمرصاد)، ثم ولّت عنهم الناس حيارى وقد ردّوا أيديهم إلى افواههم، ورأيت شيخاً كبيراً من بني جعف وقد أخضلّت لحيته من دموع عينيه وهو يقول:

---

(1) زعم الخليل أنّ الصلف مجاوزة قدر الظرف والإدّعاء فوق ذلك تكبّراً فهو رجل صلف وبابه فرح.
(2) شنف له كفر ابغضه وتنكّره، ومنه الشانف المعرض.
(*) القصة: بالفتح الجص لغة حجازية.
(3) رحض يده وثوبه غسّله وبابه قطع.
(4) بؤتم أي رجعتم.
(5) سورة مريم: 89 - 90.
(6) سورة فصلت من الآية 16.

كهو لكم خير الكهول ونسلهم إذا عدّ نسل لا يبور ولا يخزى

قال السيد ابن طاووس [1]: وخطبت أم كلثوم بنت علي عليهماالسلام في ذلك اليوم من وارء كلتها رافعة صوتها بالبكاء، فقالت:

(يا أهل الكوفة سوئه لكم، مالكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتبّاً لكم وسحقا، ويلكم أتدرون أيّ دواه دهتكم؟ وأيّ وزر على ظهوركم حملتم، وأيّ دماء سفكتموها، وأيّ كريمة أصبتموها، وأيّ حبية سلبتموها، وأيّ أموال انتهبتموها، قتلتم خير الرجالات بعد النبي، ونزعت الرحمة من قلوبكم (ألا إن حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ وحزب الشيطان هم الخاسرون) [2]

أقول: نعم نزعت الرحمة من قلوبهم فلم يراعوا طفلة لبكائها، ولم يرقّوا على طفل لحنينه، بل كانوا يوجعونهم ضربا، كما قالت سكينة: وإذا دمعت من أحدنا عين قرعوا رأسها بالرمح.

فإن يبكي اليتيم أباه شجوناً مسحن سياطهم رأس اليتيم [3]

وقال آخر:

وإذا حن بالسبايا يتيم جاوبته أرامل ويتامى

---

(1) في ص 198 من كتابه الملهوف على قتلى الطفوف.
(2) سورة المجادلة / 19.
(3) من قصيدة للمغفور له السيد مهدي الأعرجي رحمه‌الله مطلعها:
سقت ربعاً بسلع فالغميم غوادي الدمع للغيث العميمِ

المطلب الثالث

في خطبة فاطمة بنت الحسين عليهماالسلام بالكوفة

في البحار يروي عن زيد بن موسى، قال: حدثني أبي عن جدّي عليهالسلام قال: خطبت فاطمة الصغرى بعد أن وردت من كربلاء فقالت:

(الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله الّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده رسوله وأنّ أولاده ذبحوا بشط الفرات، بغير ذحل ولا تراث، اللّهمّ إني أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، أو أن أقول خلاف ما أنزلت عليه، من أخذ العهود لوصيّة علي بن أبي طالب عليهالسلام المسلوب حقّه، المقتول من غير ذنب، كما قتل ولده بالأمس، في بيت من بيوت الله، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته، ولا عند مماته، حتى قبضته إليك محمود النقيبة، طيب العريكة، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيك اللهم لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته اللّهمّ للإسلام صغيراً، وحمدته مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك، حتى قبضته إليك زاهداً في الدنيا، غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً في سبيلك، رضيته فاخترته، وهديته الى صراط المستقيم.

أمّا بعد: يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، إنّا أهل البيت ابتلانا

الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه، وحكمته وحجّته على الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضّلنا بنبيه محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله، على كثير ممن خلق تفضيلا بيّناً، فكذّبتمونا وكفرتمونا، رأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأنّنا أولاد ترك وكابل، كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت، لحقد متقدم قرّت لذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراء على الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين، فلا تدعونّكم أنفسكم الى الجذل [1] بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة، في كتاب قبل أن نبرءها (إِنّ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [2] تبّاً لكم فانتظروا اللعنة والعذاب، فكأنّ قد حل بكم وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم [3] بعذاب، ويذيق بعضكم بئس بعض، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة، بما ظلمتمونا ألا لعنة الله على الظالمين، ويلكم أتدرون أيّة يد طاعتنا منكم؟ وأيّة نفس نزعت إلى قتالنا؟ أم بأيّة رجل مشيتم إلينا؟ تبغون محاربتنا، والله لقد قسمت قلوبكم وغلظت أكبادكم، وطبع على افئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم، وسوّل لكم الشيطان، وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة، فأنتم لا تهتدون، فتباً لكم يا أهل الكوفة، أيّ ترات لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قبلكم، وذحول له لديكم، بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه‌السلام جدّي وبنيه وعترته الطيبين الأخيار، فافتخر بذلك مفتخركم قائلا:

---

(1) الجذل الفرح.
(2) سورة الحديد: 22 - 23.
(3) يسحتكم أي يهلككم ويستأصلكم.

نحن قتلنا عليّاً وبني علي بسيوف هندية ورماح

وسبينا نساءه سبي ترك ونطحناهم فأيّ نطاح

بفيك أيّها القائل الكثكث والأثلب [1] افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم، وأذهب عنهم الرجس، فاكظم واقع كما أقعى [2] أبوك فإنّما لكلّ امرء ما اكتسب وما قدمت يداه، احسدتمونا ويلكم على ما فضلنا الله به.

فما ذنبنا إن جاش دهراً بحورنا وبحرك ساج ما يواري الدعامصا [3]

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب، وقالوا: حسبك يا ابنة الطيبين، فقد احرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا، فسكتت ويحق للقائل أن يقول:

بنات آكلة الأكباد في كلل والفاطميات تصلى في الهواجير

وللسيد حيدر الحلي رحمهالله:

من كلّ باكية تجاوب مثلها نوحاً بقلب الدين منه اوار

شهدت قفار البيد إنّ دموعها منها القفار غدون وهي بحار

---

(1) والكثكث والأثلب بالضم والكسر فيهما فتات الحجارة والتراب.
(2) الإقعاء جلوس الكلب على إسته.
(3) دعامص جمع دعموص وهي دويبة تغوص في الماء والبيت للاعشى.

المطلب الرابع

في خطبة السجاد زين العابدين عليه‌السلام بالكوفة

ذكر أرباب المقاتل: أنّ السجاد زين العابدين عليه‌السلام خطب خطبة بالكوفة، غير أنّهم اختلفوا متى خطبها؛ فبعضهم يرويها عند دخوله إلى الكوفة مع الأسارى، وهو في حالة الأسر يوم الثالث عشر من المحرم، وبعضهم ذكر: أنّها كانت بعد الأسر عند رجوعه من الشام إلى كربلاء ومنها توجه إلى المدينة فكان طريقه على الكوفة وخطب هذه الخطبة.

قال الطبرسي رحمه‌الله في كتابه الإحتجاج: ثم نزل علي بن الحسين وضرب فسطاطه وأنزل نساءه ودخل الفسطاط، قال: هذا حذيم بن بشير الأسدي، خرج زين العابدين الى الناس، وأومي إليهم ان اسكتوا فسكتوا، وهو قائم فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فصلّى عليه ثم قال:

«أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا اعرفه بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام، أنا ابن من انتهكت حرمته وسلبت نعمته [1]، وانتهب ماله، وسبي عياله، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من قتل صبراً، وكفى بذلك فخراً. أيها الناس أنشدكم الله هل

---

(1) وفي نسخة أخرى: وسلب نعيمه، والظاهر وسلبت عمّته.

تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه واعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه، فتبّاً لما قدمت لأنفسكم وسوأة لرأيكم بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي؟ فلستم من أُمّتي).

قال الراوي: فارتفعت الأصوات من كلّ ناحية ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون.

فقال عليهالسلام: (رحم الله امرءاً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي، في الله وفي رسوله وأهل بيته، فإنّ لنا في رسول الله أسوة حسنة).

فقالوا بأجعمهم: نحن كلّنا يابن رسول الله سامعون ومطيعون، حافظون لذمامك غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله فإنّا حرب لحربك وسلم لسلمك، لنأخذنّ وترك ووترنا ممن ظلمك ونبرأ منه.

فقال عليهالسلام: (هيهات هيهات أيّتها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل؟ كلّا وربّ الراقصات فإنّ الجرح لما يندمل، قتل أبي بالأمس وأهل بيته معه، ولم ينس ثكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي ووجده بين لهاتي [1] ومرارته بين حناجري، وحلقي وغصصه تجري في فراشة [2] صدري، ومسئلتي أن تكونوا لا لنا ولا علينا، ثم قال عليهالسلام:

لا غرو إن قتل الحسين فشيخة   قد كان خيراً من الحسين وأكرما

فلا تفرحوا يا قوم ما كان بالذي   اُصيب الحسين كان ذلك أعظما

قتيل بجنب النهر روحي فداؤه   جزاه الذي أرداه نار جهنّما

وفي البحار يروي مرسلاً عن مسلم الجصاص، قال: دعاني ابن زياد لعنه

___

(1) اللهاة اللحمة التي تكون في أقص الفم.
(2) الفراشة كل رقيق من العظم.

الله لإصلاح دار الأمارة بالكوفة، فبينا أنا أجصص الأبواب وإذا بالزعقات قد ارتفعت من جنباب الكوفة، فأقبل عليَّ خادم كان معنا، فقلت: مالي أرى الكوفة تضجّ؟ قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد، فقلت: من هذا الخارجي؟ فقال: الحسين بن علي، قال: فتركت الخادم حتى خرج، لطمت وجهي حتى خشيت على عينيّ أن تذهبا، وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر، وأتيت الى الكناس، فبينا أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس، وإذا بالمحامل نحو ثمانين شقة تحمل على أربعين جملا فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة الزهراء وإذا بعلي بن الحسين عليه‌السلام على بعير بغير وطاء وأوداجه تشخب دماً، وهو يبكي ويقول:

يا أُمّة السوء لا سقياً لربعكم | يا أُمّة لم تراع جدّنا فينا

لو أنّنا ورسول الله يجمعنا | يوم القيامة ما كنتم تقولونا

تسيّرونا على الأقتاب عارية | كأنّنا لم نشيّد فيكم دينا

تصفقون علينا كفّكم طرباً | وأنتم في فجاج الأرض تسبّونا

أليس جدّي رسول الله ويلكم | أهدى البرية من سبل المضلّينا

والذي عظم على بنات الرسالة وزاد أشجانها وهو إن نساء الأنصار اللاتي ترملن يوم كربلاء وجئ بهن مع عيال الحسين عليه‌السلام اسارى الى الكوفة تشفعوا فيهن ذوي رحمهن عند ابن زياد (لعنه الله) فأمر بتسريحهن وبقيت بنات رسول الله فوصفها الشاعر بقوله:

لا من بني عدنان يلحضها | ندب ولا من هاشم بطل

إلّا فتى نهبت حشاشته | كفّ المصاب وجسمه العلل

وقال الآخر:

ذاب فما في جسمه مفصل | إلّا وفيه ألم ثابت

رقّ له الشامت ممّا به | ما حال من رقّ له الشامت

المطلب الخامس

في دخول السبايا على ابن زياد لعنه الله بالكوفة

قال الشيخ المفيد رحمهالله [1]: لمّا وصل رأس الحسين عليهالسلام بالكوفة ووصل ابن سعد من غد يوم وصوله، ومعه بنات الحسين عليهالسلام وأهله، جلس ابن زياد للناس في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عاماً، وأمر بأحضار الرأس فوضع بين يديه، وجعل ينظر إليه ويتبسم، ودخلت زينب أخت الحسين عليهالسلام في جملتهم متنكرة عليها أرذل ثيابها.

وفي نفس المهموم عن الطبري والجزري: لبست زينب ابنة فاطمة عليهماالسلام أرذل ثيابها وتنكرت وحفّت بها إماؤها فقال: فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت ناحية ومعها النساء؟ وقيل: قال: من هذه المتنكّرة؟ فلم تجبه زينب عليهاالسلام، فأعادها ثانية وثالثة، فقالت له بعض إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله. فأقبل عليها ابن زياد لعنه الله وقال: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب اُحدوثتكم. فقالت زينب عليهاالسلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلىاللهعليهوآلهوسلم وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا يابن مرجانة.

وقال في اللهوف: فقال لها ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين

---

(1) في ج 2 ص 114 من كتابه الإرشاد.

وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أمّك يابن مرجانة.

قال الراوي: فغضب ابن زياد وهو بها ليضربها، فقال له عمرو بن حريث: إنّها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، ولا تذم على خطابها، فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك. فقالت عليهاالسلام: لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثثت اصلي، فإن كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت. فقال ابن زياد: هذه سجّاعة ولعمري لقد كان أبوها شاعراً سجاعاً. فقالت: يابن زياد: ما للمرأة والسجاعة، إن لي عن السجاعة لشغلا [1] وإني لأعجب ممن يشتفي بقتل أئمته وهو يعلم أنهم منتقمون منه في آخرتها.

وتكلّمت أم كلثوم بمثل هذا الكلام، وقالت: يابن زياد إن كان قد قرّت عينك بقتل الحسين عليه‌السلام فقد كانت عين رسول الله تقر برؤيته، وكان يقبله ويمصّ شفتيه ويحمله وأخاه على ظهره فاستعد غداً للجواب.

فقال السجاد لابن زياد: إلى كم تهتك عمّتي زينب بين من يعرفها ومن لم يعرفها؟! فقال ابن زياد: من هذا المتكلّم؟ فقال: أنا علي بن الحسين. فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟ فقال علي عليه‌السلام: قد كان لي أخ يقال له علي بن الحسين قتله الناس، فقال: بل الله قتله، فقال علي بن الحسين عليه‌السلام (اللّهُ يَتَوَفّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) [2]. فقال ابن زياد: لك جرأة على رد جوابي، يا غلمان خذوا هذا العليل واضربوا عنقه.

---

(1) انظر مقتل الحسين للخوارزمي: 2 / 42.
(2) سورة الزمر من الآية 42.

قال الراوي: فتعلّقت به عمّته زينب والتفتت الى ابن زياد (لعنه الله) وقالت: حسبك يابن زياد من دمائنا ما سفكت، أترك لنا هذا العليل. فإن أردت قتله فاقتلني قبله، فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة، ثم قال: عجباً للرحم، والله لأظنّها ودّت أني قتلتها معه، دعوه فإنّي أراه لما به. فقال السجاد لعمّته: اسكتي يا عمّة حتى أكلّمه، ثم أقبل عليه، وقال له: أبالقتل تهدّدني يابن زياد؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟!

قال الراوي: ثم أمر ابن زياد بعلي ابن الحسين عليه‌السلام فغل وحمل مع النسوة إلى دار كانت إلى جنب المسجد الأعظم. فقالت زينب بنت علي: لا تدخل علينا عربية إلّا أُم ولد أو مملوكة فإنّهنّ سبين كما سبينا.

قال: وأمر ابن زياد (لعنه الله) برأس الحسين عليه‌السلام فطيف به في سكك الكوفة كلها وقبائلها، قال زيد ابن أرقم [1]: مرّوا علي برأس الحسين عليه‌السلام وهو على الرمح وأنا في غرفة لي، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ هذه الآية (أَمْ حَسِبْتَ أَنّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرّقِيم كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً) [2] فوقف والله شعري، وناديت: يابن رسول الله، والله إنّ أمرك أعجب وأعجب. ولمّا فرغوا من التجوال به في السكك والطرقات، أمر ابن زياد أن ينصب على خشبة بالصيارفة، وهو أول رأس صلب في الاسلام على خشبة.

قال: فتنحنح الرأس وقرأ سورة الكهف الى قوله تعالى: (آمَنُوا بِرَبّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً) [3].

---

(1) زيد بن أرقم الأنصاري من أهل بيعة الرضوان.
(2) سورة الكهف 9.
(3) سورة الكهف من الآية 13.

وعن سلمة بن كهيل، قال: سمعت رأس الحسين عليه‌السلام وهو على الرمح يقرأ هذه الآية: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السّمِيعُ الْعَلِيمُ) [1].

وتارة يسمعونه يقرأ هذه الآية: (وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أَيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) [2].

وعن الحارث بن وكيدة، قال: كنت فيمن حمل رأس الحسين عليه‌السلام، فسمعته يقرأ سورة الكهف، فجعلت أشك في نفسي وأنا أسمع نغمة صوت أبي عبدالله عليه‌السلام: (يابن وكيدة أما علمت أنّا معاشر الأئمّة أحياء عند ربنا نرزق؟!) قال ابن وكيدة: فقلت في نفسي: أسرق رأسه الشريف، فناداني: (يابن وكيدة ليس لك الى ذلك سبيل، إنّ سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييرهم إياي (فذرهم فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ) [3].

ألم تعه يتلوا الكتاب ونوره	يشقّ ظلام الليل والليل مسدف
رأس ابن بنت محمّد ووصيه	للناظرين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمعٍ	لا منكر منهم ولا متفجّع
كحلت بمنظرك العيون عماية	واصمّ رزؤك كلّ اُذن تسمع

(1) سورة البقرة من الآية 137.
(2) سورة الشعراء من الآية 227.
(3) سورة غافر: 71.

المطلب السادس

في خطبة ابن زياد بالجامع وجواب عبدالله بن عفيف له

ومقتل عبدالله رحمه‌الله

قال أرباب المقاتل والسير: لمّا قتل الحسين عليه‌السلام أظهر ابن زياد الفرح والشماتة بقتله، وأمر مناديه أن ينادي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس في المسجد الأعظم وصعد هو على المنبر وقد لاح الفرح والسرور في وجهه المشوم، فخطب، وقال في خطبته: الحمدلله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب.

قال الراوي: فما زاد على هذا الكلام شيئاً حتى قام إليه عبدالله بن عفيف الأزدي، وكان من خيار الشيعة وزهادها، وكانت عينه اليسرى قد ذهبت يوم الجمل والاخرى يوم صفين، وكان يلازم مسجد الأعظم يصلّى فيه إلى الليل، فقال: يا ابن زياد الكذّاب وابن الكذّاب أنت وأبوك، ومن استعملك وأبوه، يا عدوّ الله اتقتلون أبناء النبيين، وتتكلّمون بهذا الكلام على منابر المسلمين؟!

قال الراوي: فغضب ابن زياد، وقال: من هذا المتكلم؟ فقال أنا المتكلم يا عدوّ الله، أتقتل الذريّة الطاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس وتزعم أنك على دين الإسلام؟! وا غوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن

اللعين على لسان رسول رب العالمين.

قال الراوي: فازداد غضب ابن زياد حتى انتفخت أوداجه، وقال: عَلَيَّ به، فتبادرت إليه الجلاوزة من كلّ ناحية ليأخذوه، فقام الأشراف من الأزد من بني عمّه فخلصوه من أيدي الجلاوزة واخرجوه من باب المسجد وانطلقوا به إلى منزله، فقال ابن زياد: اذهبوا إلى هذا الأعمى، أعمى الأزد أعمى الله قلبه كما أعمى عينية فأتوني به.

قال: فانطلقوا إليه فلما بلغ ذلك الأزد اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم.

قال: وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث وأمره بقتال القوم.

قال الراوي: ووصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبدالله بن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه فصاحت بنته: يا أبه لقد أتاك القوم من حيث تحذر، فقال: لا عليك، ناوليني سيفي، فناولته إيّاه فجعل يذب عن نفسه وهو يقول:

أنا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر عفيف شيخي وابن اُمّ عامر

كم دارع من جمعكم وحاسر وبطل قد جدّلته مغادر

قال: وجعلت ابنته تقول: يا أبه ليتني كنت رجلاً اخاصم بين يديك هؤلاء الفجرة، قاتلي العترة البررة.

قال: وجعل القوم يدورون عليه من كلّ جهه وهو يذب عن نفسه فلم يقدر عليه أحد، وكلّما جاؤوه من جهة صاحت ابنته يا أبه جاؤوك من جهة كذا، حتى تكاثروا عليه وأحاطوا به، فقالت ابنته: وا ذلّاه يحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به، فجعل يدير سيفه ويقول:

أقسم لو يفتح لي عن بصري ضاق عليكم موردي مصدري

قال الراوي: فما زالوا به حتى أخذوه، وادخل على ابن زياد، فلمّا رآه قال: الحمدلله الذي أخزاك، فقال له عبدالله بن عفيف: يا عدو الله وبماذا أخزاني الله، والله لو فرج لي عن بصري، ضاق عليكم موردي ومصدري، فقال ابن زياد: يا عدوّ الله ما تقول في عثمان بن عفان؟فقال: ياعبد بني علاج يابن مرجانة، - وشتمه - ماأنت وعثمان بن عفان؟ أساء أو أحسن وأصلح أو أفسد، والله تبارك وتعالى وليّ خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحق، ولكن سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه. فقال ابن زياد: والله لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت غصّة بعد غصّة. فقال: عبدالله بن عفيف: الحمدلله ربّ العالمين، أمّا إنّي قد كنت أسأل ربي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك اُمّك، وسألت الله أن يجعل ذلك على يد ألعن خلقه وأبغضهم إليه، فلمّا كفّ بصري يئست من الشهادة والآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها، وعرّفني الإجابة في قديم دعائي، فقال ابن زياد: اضربوا عنقه، فضربت عنقه وصلب في السبخة.

أقول: يا لها من سعادة، لئن لم يرزق الشهادة بين يدي سيّده الحسين فقد رزقها بعده وقتل على محبّة الحسين عليه‌السلام وأبيه، غير إنّ المصيبة على ابنته كانت تنتظر إليه بالدار وقد أحاطوا به يريدون أخذه كما نظرت سكينة أباها الحسين عليه‌السلام يوم عاشوراء وقد أحاط به القوم ضرباً بالسيوف، وطعناً بالرماح، رمياً بالسهام، ورضخاً بالحجارة، قال الشيبي:

فوجّهوا نحوه في الحرب أربعة السهم والسيف والخطّي والحجرا

المطلب السابع

في إرسال الرؤوس والسبايا الى الشام

قال المفيد رحمه‌الله [1]: بعث عبيدالله ابن زياد برأس الحسين عليه‌السلام فدير في سكك الكوفة وقبائلها، ولمّا فرغ القوم من الطوائف به في الكوفة، ردّوه إلى باب القصر فدفعه ابن زياد الى زجر بن القيس [2] ودفع إليه رؤوس أصحابه وسرّحه إلى يزيد ابن معاوية وأنفذ معه أبا بردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي ضبيان في جماعة من أهل الكوفة حتى وردوا بها على يزيد ابن معاوية بدمشق، ثم إن عبيدالله بن زياد بعد أنفاذه رأس الحسين عليه‌السلام أمر بنسائه وصبيانه فجهزوا وأمر بعلي بن الحسين عليه‌السلام فغلّ بغلّ إلى عنقه، ثمّ سرح في أثر الرؤوس مع محقر ابن ثعلبة العايد، وشمر بن ذي الجوشن، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس الشريف.

قال الراوي: ولمّا ساروا بالسبايا وقد أخذوا جانب الفرات حتى إذا وردوا الى المنزل وكان منزلاً خرباً فوجدوا هناك مكتوباً على الجدار:

أترجوا أُمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

فلا والله ليس لهم شفيع وهو في يوم القيامة في العذاب

(1) في ج 2 ص 117 في كتابه الإرشاد.
(2) ذكر بعضهم زحر بن قيس الحاء المهملة.

ففزعوا وارتاعوا ورحلوا من ذلك المنزل، وجعلوا يجدّون السير إلى أن وافوا ديراً في الطريق، وفيه راهب، فنزلوا ليقيلوا به فوجدوا أيضاً مكتوباً على جدرانه أترجوا أمّة قتلت حسيناً إلى آخره، فسألوا الراهب عمّن كتب هذا الشعر؟ فقال: هذا ههنا من قبل أن يبعث نبيّكم بخمسمائة عام، ففزعوا من ذلك ورحلوا على غير الجادة متنكّبين طريق العام خوفاً من قبائل العرب أن يخرجوا عليهم ويأخذوا الرأس منهم.

وكلّما مرّوا على حيّ من الأحياء طلبوا منهم العلوفة ويقولون معنا رأس خارجي، فلمّا وصلوا إلى تكريت [1] كتبوا الى عامليها بأن يستقبلهم، فلمّا وصل الكتاب إليه فأمر بالبوقات فضربت والأعلام فنشرت والمدينة فزيّنت، ودعى الناس من كلّ جانب ومكان من جميع القبائل، فخرجوا لاستقبالهم، وكان كل من سألهم يقولون: هذا رأس خارجي خرج علينا بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء، فقتله الأمير عبيدالله بن زياد (لعنه الله) وأنفذ برأسه معنا الى الشام. ثم رحلوا من تكريت وساروا على طريق البر حتى نزلوا بوادي النخلة، فلمّا كان الليل سمعوا بكاء نساء الجن على الحسين عليه‌السلام وهنّ يقلن:

نساء الجن يبكين شجيّات يسعدن بنوح للنساء الهاشميات

ويلطموا خدوداً كالدنانير نقيّات ويندبن حسيناً عظمت تلك الرزيّات

ثم رحلوا من وادي النخلة وساروا حتى وصلوا إلى لينا [2] وكانت عامرة بالناس فخرجت المخدرات والكهول والشباب ينظرون إلى رأس الحسين عليه‌السلام

---

(1) تكريت بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، قيل سميت بتكريت بنت وائل، فتحها المسلمون في أيام عمر ابن الخطاب سنة 16 هـ.

(2) لينا، قال ياقوت: أكبر قرية من كورة بين النهرين التي بين الموصل ونصيبين.

ويصلّون عليه وعلى جدّه وأبيه، ويلعنون من قتله ويقولون: يا قتلة أولاد الأنبياء اخرجوا من بلدنا، فخرجوا منها واجتازوها يجدون السير حتى وافوا عسقلان [1] وأمر أميرها فزينوها فرحاً وسروراً بقتل الحسين عليه‌السلام، ثم ساروا منها حتى وصلوا نصيبين [2] وكان الوالي عليها منصور بن الياس فزيّن البلدة، ونصبوا الرؤوس في الرحبة من الظهر الى العصر.

قال الراوي: وبات حاملي الرؤوس فيها تلك الليلة حتى الصباح ثم رحلوا منها إلى قنسرين [3] وكانت عامرة بأهلها ثم غادروها جادّين بالسير حتى وافوا كفر طاب [4] وكان حصناً صغيراً فلم يدخلوه لأنّ أهل الحصن منعوهم وسألوهم الماء فلم يسقوهم فرحلوا عنها وأتوا سيبور [5] ففعلوا كما فعل أهل كفر طاب وعمدوا إلى قنطرة كانت قرب بلدهم فهدموها لأن لا يدخلها قتلة الحسين عليه‌السلام.

قال الراوي: وشهروا السلاح عليهم فقال لهم خولي: إليكم عنّا، فحملوا عليه وعلى أصحابه وقاتلوهم قتالاً شديداً، فلمّا نظرت أُم كلثوم ذلك قالت: ما

(1) عسقلان مدينة حسنة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين يقال لها عروس الشام، ولها سوران، وهي ذات بساتين وثمار، بها مشهد رأس الحسين عليه‌السلام وهو مشهد عظيم وفيه ضريح الرأس والناس يتبركون به، بنيت في أيام عمر بن الخطاب وخربها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 583.
(2) نصيبين قرية من قرى حلب.
(3) قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب بالعواصم وكانت عامرة بأهلها إلى أن كانت سنة 351 تفرق عنها أهلها خوفاً من الروم. قال ياقوت: فليس بها اليوم إلا 8 خان ينزله القوافل، وعشار السلطان وفريضة صغيرة.
(4) كفر طاب بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة ليس لهم شرب إلّا ما يجمعونه من مياه الأمطار.
(5) سيبور موضع معروف.

اسم هذه المدينة؟ فقيل لها: سيبور، فقالت: أعذب الله شرابهم وأرخص أسعارهم ورفع أيدي الظلمة عنهم.

قال الراوي: فلو إن الدنيا كلها ظلماً وجوراً لما نالهم إلا قسط عدل، ثم ساروا الى أن وصلوا حماة [1] فغلق أهلها الأبواب في وجوههم وصعدوا على سورها، وقالوا: والله لا تدخلون بلدتنا ولو قتلنا عن آخرنا، فلما سمعوا ذلك ارتحلوا منها فوصلوا الى حمص [2] وكان الأمير خالد بن نشيط، فزين البلدة فرحاً وسروراً..

قال الراوي: ووقعت حادثة بين أهل حمص وبين حاملي الرؤوس، فجعل أهل حمص يرمونهم بالحجارة حتى قتل في ذلك اليوم ستة وعشرون فارساً، ثم أغلقوا الباب في وجوههم، فقال بعضهم: يا قوم أكفر بعد إيمان، فخرجوا وتحالفوا أن يقتلوا خولي بن يزيد ويأخذوا منه الرأس ليكون فخر لهم الى يوم القيامة، فبلغهم ذلك فرحلوا عنهم خائفين وأتوا بعلبك [3] فأظهر أهلها الفرح

---

(1) حماة بالفتح مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار وهي قديمة جاهلية ذكرها امرؤ القيس في شعره.

(2) حمص بلد مشهور قديم مسور وفي طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، يذكر ويؤنث، وبحمص من المزارات والمشاهد: مشهد علي بن أبي طالب عليه‌السلام فيه موضع إصبعه، وقبر سفينة مولى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم واسم سفينة مهران - ويقال بها قبر قنبر مولى علي بن أبي طالب عليه‌السلام، ويقال أن قنبر قتله الحجاج وقتل إبنه ميثماً التمار بالكوفة، (أما قبر ميثم فهو الآن مشيد يزار بالكوفة) وبحمص قبور لأولاد جعفر بن أبي طالب عليه‌السلام إلى غير ذلك من المشاهد.

(3) بعلبك مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة، وهو اسم مركب من بعل اسم صنم وبك أصله عنقه أي دقها، وتباك القوم أي ازدحموا، قيل بعلبك كانت مهر بلقيس وبها قصر سليمان بن داود عليه‌السلام وهو مبني على أساطين الرخام، وبها قبر إلياس النبي عليه‌السلام وبقلعتها مقام إبراهيم الخليل عليه‌السلام وبها قبر أسباط.

والسرور واستقبلوا حاملي الرؤوس بالماء والفقاع والسويق والسكر، وهم يغنّون ويصفقون له فرحين بقتل الحسين عليهالسلام، فلمّا نظر السجاد إلى ذلك أنشأ يقول:

هو الزمان فلا تفنى عجائبه | عن الكرام ولا تفنى مصائبه

فليت شعري إلى كم ذا تجاذبنا | صروفه وإلى كم ذا نجاذبه

يسيّرونا على الأقتاب عارية | وسائق العيس يحمي عنه غاربه

كأنّنا من اُسارى الروم بينهم | أو كلّما قاله المختار كاذبه

وقال الآخر:

فمن بلدة تسبى إلى شرّ بلدة | ومن ظالم تهدي إلى شرّ ظالم [1]

---

(1) وهو المرحوم السيد صالح بن السيد مهدي القزويني البغدادي طاب ثراه المتوفى سنة 1306 والبيت من قصيدة ممتعة مطلعها:

طريق المعالي في شدوق الأراقم | ونيل الأماني في بروق الصوارِم

المطلب الثامن

في وصول السبايا والرؤوس إلى دمشق الشام

قال أرباب المقاتل في الحوادث التي جرت في طريق الشام على السبايا منها أنهم لمّا وصلوا إلى جبل جوشن [1] بالسبي أسقطت زوجة الحسين عليهالسلام ولداً كانت قد سمته محسنا، فدفنوه هناك، ولمّا وصلوا إلى دمشق الشام وكان اليوم الأول من شهر صفر، ذكر البهائي في كتابه الكامل، قال: وأوقفوا أهل الشام الدفوف والطبول، فلمّا بلغ السبي جيرون [2] كان يزيد على سطح قصره فلاحت له الرؤوس والسبايا أنشأ قائلاً:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت تلك الشموس على ربى جيرون

نعب الغراب فقلت نح أو لا تنح فلقد قضيت من النبي ديون

---

(1) جوشن جبل مطل على حلب في غربها، وفي سفحه مقابر ومشاهد للشيعة. هكذا ذكر ياقوت في المعجم، قال: ومنه كان يحمل النحاس الأحمر وهو معدنه، ويقال إنّه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي رضياللهعنه ونساؤه وكانت زوجة الحسين حاملاً، فأسقطت هناك، فطلبت من الصناع خبزاً أو ماء فشتموها ومنعوها، فدعت عليهم فمن ذلك اليوم من عمل فيه لا يربح، وذكرت هذا الخبر في كتابي - الدعوات المستجابة - وفي قبلى الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ويسمى مشهد الدكة والسقط يسمى محسن بن الحسين رضياللهعنه.

(2) جيرون بناء عند باب دمشق من بناء سليمان بن داود عليهالسلام، وقيل: إن من بنى دمشق جيرون بن عاد بن أروم بن سام بن نوح، وبه سمي باب جيرون، وقال أبو عبيدة: جيرون عمود عليه صومعة، «معجم البلدان».

وفي البحار [1] قال السيد رحمه‌الله، فلمّا قربوا من دمشق الشام دنت اُم كلثوم من الشمر، فقالت له: لي إليك حاجة، فقال لها: ما حاجتك؟ فقالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل نظّاره، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل فقد خزينا من كثرة النظر إلينا، ونحن في هذه الحالة، فأمر اللعين في جواب سؤالها بالعكس أن تجعل الرؤوس على الرماح ما بين المحامل بغياً منه وكفراً، وسلك بهم بين النظّارة على تلك الصفقة، حتى أتى بهم باب دمشق فوقفوا على درج المسجد - الجامع - حيث يقام السبي.

قال سهل الساعدي [2]: دخلت الشام فرأيت الأسواق معطلة والدكاكين مقفّلة والناس في فرح وسرور، فقلت في نفسي: الأهل الشام عيد لا أعرفه؟ قال: فرأيت جماعة يتحدّثون، فقلت: مالي أرى الناس في فرح وسرور؟ فقالوا: كأنّك غريب؟ قلت: نعم، فقالوا: ما أعجبك أنّ السماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف بأهلها؟! قلت: ولم ذاك؟ قالوا: هذا رأس الحسين عليه‌السلام يهدى من العراق. فقلت: وا عجباه يهدى رأس الحسين والناس يفرحون، ثم قلت لهم: من أيّ باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب الساعات.

قال: فبينا أنا كذلك وإذا بالرايات يتلوا بعضها بعضها وإذا نحن بفارس يحمل سناناً عليه رأس من أشبه الناس وجها برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ومن خلفه النساء على الجمال بغير غطاء ووطاء، فدنوت من إحدى النساء، وقلت لها: يا جارية من أنت؟ فقالت: أنا سكينة ابنة الحسين عليه‌السلام. فقلت لها: ألك حاجة فأقضيها سيّدتي؟ أنا سهل الساعدي ممّن رأى جدّك رسول الله وسمع حديثه. قالت: يا سهل، قل لحامل هذا الرأس أن يقدّم الرؤوس أمامنا حتى يشغل الناس بالنظر إليها

---

(1) انظر ج 45 ص 172.

(2) سهل بن سعد الساعدي: كان من جملة الصحابة، من الحفاظ وكان آخر من مات بالمدينة من الصحابة رحمه‌الله.

قال: فدنوت من حامل الرأس فقلت له: هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ منّي أربعمائة دينار؟ قال: وما هي؟ قلت: تقدّم الرأس أمام المحامل ففعل ذلك، ودفعت إليه ما وعدته.

قال الراوي: وجاء شيخ إلى السجاد عليه‌السلام وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد منكم وأمكن أمير المؤمنين يزيد منكم، فقال علي بن الحسين عليه‌السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم، فقال عليه‌السلام: هل قرأت هذه الآية (قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، قال عليه‌السلام: فنحن ذوالقربى، فهل قرأت هذه الآية (إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً)؟ قال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال السجاد عليه‌السلام، نحن أهل البيت الذي خصصنا بآية التطهير، فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به، ثم قال: بالله إنكم هم؟ فقال علي بن الحسين عليه‌السلام: تالله أنا هم، فبكى الشيخ ورمى بعمامته ورفع رأسه الى السماء وقال: اللّهم إني أبرء إليك من عدوّ آل محمد من الجنّ والإنس. ثم قال: سيّدي هل لي من توبة؟ فقال علي السجاد عليه‌السلام: نعم إن تبت تاب الله عليك، وأنت معنا، قال: أنا تائب، ويروى أنه بلغ ذلك يزيد فأمر بقتله.

قال الراوي: وأنشأ السجاد عليه‌السلام يقول:

أُقاد ذليلاً في دمشق كأنّني ... من الزنج عبد غاب عنه نصير

وجدّي رسول الله في كل مشهد ... وشيخي أمير المؤمنين أمير

فياليتني أُمّي لم تلدني ولم أكن ... يراني يزيد في البلاد أسير

وقال الشاعر:

مالي أراك ودمع عينك جامد ... أوما سمعت بمحنة السجّاد

ويصيح وا ذُلّاه أين عشيرتي ... وسُراة قومي أين أهل ودادي

منهم خلت تلك الديار وبعدهم ... نعب الغراب بفرقتي وبعاد

المطلب التاسع

في دخول السبايا والسجّاد والرأس الشريف على يزيد

روى المجلسي رحمه‌الله [1] في البحار قال: وأُدخلوا السبايا على يزيد، وكان يزيد جالساً على السرير، وعلى رأسه تاج مكلّل بالدرر والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش، فلمّا دخل حامل الرأس أنشأ يقول:

أوقر ركابي فضّة أو ذهبا إنّي قتلت السيد المحجّبا

قتلت خير النّاس أُمّاً وأبا وخيرهم إذ ينسبون النسبا

وذكر المفيد [2]، وابن نما [3]، روي عن عبدالله بن ربيع الحميري، قال: أنا لعند يزيد بن معاوية بدمشق، إذ أقبل زجر بن قيس حتى دخل عليه، فقال له يزيد: ويلك ما وراءك وما عندك؟ قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستّين من شيعته فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا، أو ينزلوا على حكم الأمير عبيدالله، أو القتال فاختاروا القتال على الإستسلام، فغدونا عليهم مع شروق الشمس وأحطنا بهم من

---

(1) انظر ج 45 ص 128.
(2) في ج 2 ص 118 من إرشاده.
(3) في ص 98 من كتابه مثير الأحزان.

كلّ ناحية، حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر ويلوذون منا بالآكام والحفر لوذاًكما لاذ الحمام من الصقر، فوالله يا أمير المؤمنين، ما كان إلّا جزرة جزور أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مرمّلة، وخدودهم معفّرة، وتصهرهم الشمس وتسفي عليهم الرياح زوارهم الرخم والعقبان، فأطرق يزيد هنيئة، ثم رفع رأسه، وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أمّا أنّي لو كنت صاحبه لعفوت عنه.

وعن ربيعة بن عمرو الجرشي: قال: وكنت أنا عند يزيد إذ سمعت صوت مخفر يقول: هذا مخفر بن ثعلبة أتى باللئام الفجرة، فأجابه مجيب: ما ولدت أم مخفر شرّ وألأم منه.

قال السيد رحمه‌الله [1]: أدخل ثقل الحسين عليه‌السلام ونساءه ومن تخلّف من أهله على يزيد وهم مقرّنون بالحبال، فلمّا وقفوا بين يديه وهم على تلك الحالة، قال له علي بن الحسين عليه‌السلام: أنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ولو يرانا على هذه الحالة؟

قال: فأمر يزيد (لعنه الله) بالحبال فقطعت، ثم وضع رأس الحسين عليه‌السلام بين يديه وأجلس النساء خلفه لأن لا ينظرون إليه.

قالت فاطمة ابنة الحسين عليه‌السلام: وقام شامي أحمر، والتفت إلى يزيد وقال له: يا أمير هب لي هذه الجارية تكون خادمة لي، يعنيني بذلك، فأرعدت وظننت إن ذلك جايز لهم، فأخذت بثياب عمّتي زينب، وقلت لها: عمة أُوتمت على صغر سنّي واستخدم لأهل الشام؟! وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون، فقالت له عمّتي: ما كان ذلك لك ولا لأميرك. فقال يزيد: كذبت والله إن ذلك لي لو شئت أن أفعل

---

(1) ابن طاووس رحمه‌الله في ص 213 من كتابه الملهوف على قتلى الطفوف.

لفعلت. قالت: كلّا ما جعل الله لك ذلك إلّا أن تخرج عن ملتنا وتدين بغير ديننا، فاستطار يزيد غضباً، وقال: تستقبليني بهذا الكلام، إنّما خرج عن الدين أبوك وأخوك، قالت زينب عليهاالسلام: بدين الله ودين جدّي وأبي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً. قال: كذبت يا عدوة الله، قالت عليهاالسلام له: أنت أمير تشتم ظالما، وتقهر بسلطانك، فكأنّه استحى وسكت، فأعاد الشامي مقالته، هب لي هذه الجارية. فقال له يزيد: اعرب عن هذا وهب الله لك حتفاً قاضياً [1]، ثم إنّ يزيد جعل ينكث ثنايا الحسين عليهالسلام وهو يقول:

نفلق هاماً من رجال أعزّة　　　علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

(1) انظر تاريخ الطبري: 4 / 353.

المطلب العاشر

في خطبة العقيلة زينب عليهاالسلام في مجلس يزيد

لما جيء بالسبايا والرؤوس إلى يزيد (لعنه الله) جعل ينكث ثنايا الحسين عليه‌السلام بقضيب الخيزران[1]، وهو يتمثل بأبيات بن الزبعري، وزاد عليها قائلاً:

ليت أشياخي ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلوا فرحاً — ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لعبت هاشم بالملك فلا — خبر جاء ولا وحي نزل
قد قتلنا القرم من ساداتهم — وعدلنا ميل بدر فاعتدل
وأخذنا من علي ثارنا — وقتلنا الفارس الشهم البطل
لست من خندف إن لم أنتقم — من بني أحمد ما كان فعل

قال السيد رحمه‌الله [2] وغيره: فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليهماالسلام، وقالت: (الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله

---

(1) انظر تأريخ الطبري: 4 / 356، وتذكرة الخواص: 290، ومقتل الحسين للخوارزمي: 2 / 57، والفصول المهمة: 194.
(2) في ص 215 من كتابه الملهوف على قتلى الطفوف.

سبحانه حيث يقول: (ثُمّ كَانَ عَاقِبَةَ الّذِينَ أَسَاءُوا السّوءى أَن كَذّبُوا بِآيَاتِ اللّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ) [1] أظننت يا يزيد حيث اخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الإماء أنَّ بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة، وإنّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والامور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلا مهلا لا تطش جهلا، أنسيت قول الله تعالى (وَلاَ يَحْسَبَنّ الّذِينَ كَفَرُوا أَنّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [2] أمن العدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ وصحلت أصواتهنّ، تحدوا بهنّ الأعداء من بلد الى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والشريف والدني ليس معهنّ من رجالهنّ ولي، ولا من حماتهنّ حمي، وكيف تُرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان، ثم تقول غير متأثّم ولا مستعظم، داعياً بأشياخك: ليت أشياخي ببدر شهدوا، منحنياً على ثنايا أبي عبدالله الحسين سيّد شباب أهل الجنّة، تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد صلىاللهعليهوآلهوسلم ونجوم الأرض من آل عبدالمطلب، أتهتف بأشياخك زعمت أنّك تناديهم، فلتردنّ وشيكا موردهم ولتودّنّ أنّك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت، اللّهمّ خذ لنا بحقّنا، وانتقم ممّن ظلمنا، واحلل غضبك بمن

(1) سورة الروم 10.
(2) سورة آل عمران 178.

سفك دمائنا، وقتل حماتنا، فوالله يا يزيد ما فريت إلّا جلدك، ولا حززت إلّا لحمك، ولتردنّ على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بما تحمّلت من سفك دماء ذرّيته، وانتهكت من حرمته، في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلمّ شعثهم ويأخذ بحقهم (وَلاَ تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ) [1] وحسبك بالله حاكما وبمحمّد خصيما، وبجبريل ظهيراً، وسيعلم من سوّل لك ومكنّك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلا، وأيّكم شرّ مكاناً وأضعف جندا يزيد، ولئن جرت عَلَيَّ الدواهي مخاطبتك، إنّي لأستصغر قدرك، واستعظم تقريعك واستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرّى، ألا فالعجب كل العجب، لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلّب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي، تنتابها العواسل، وتعفرّها أُمّهات الفراعل، ولأن اتّخذتنا مغنماً، ولتجدنّ وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، وما ربّك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعوّل، فكد كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك فوالله لا تمحوا ذكرنا ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها وهل رأيك إلّا فند، وأيامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي منادي ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمدلله الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله تعالى أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل).

(1) سورة آل عمران 169.

فقال يزيد في جوابها [1]:

يا صيحة تحمد من صوائح ... ما أهون النوح على النوائح

قال الشاعر:

وأعظم ما يُشجي الغيور دخولها ... إلى مجلس ما بارح اللهو والخمرا

يقارضها فيه يزيد مسبّة ... ويصرف عنها وجهه معرضا كبرا [2]

---

(1) كما في ج 2 ص 66 من كتاب مقتل الحسين للخوارزمي.

(2) من قصيدة عامرة للشاعر المحلّق الشيخ محمد كمونة المتوفى سنة 1282 هـ استهلها بقوله:

عرا فاستمرّ الخطب واستوعب الدّهرا ... مصابٌ أهاج الكَرب واستأصل الصّبرا

المطلب الحادي عشر

في خطبة علي بن الحسين في مجلس يزيد

ذكر صاحب كتاب بحر المصائب: إنّ يزيد بن معاوية دعا بخطيب وكان فصيح اللسان قليل المعرفة بربّه، فقال له: أجمع الناس بالجامع واصعد المنبر فسب علياً وأولاده، ففعل ما أمر به وزاد وأكثر في مدح يزيد، فلمّا سمعه زين العابدين عليه‌السلام، قام قائماً على قدميه، وقال: (أيّها الخطيب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوّء مقعدك من النار)، ثم التفت إلى يزيد (لعنه الله) وقال: (أتأذن لي حتى أصعد هذه الأعواد وأتكلم في كلمات لله فيهنّ رضاً ولهؤلاء الجلساء فيهنّ أجر وثواب؟).

قال: فأبى يزيد عليه، فقال له الناس: يا أمير المؤمنين أئذن له فليصعد المنبر، فلعلّنا نسمع منه شيئاً، فقال: إذا إنّه صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقيل له: يا أمير وما قدر ما يحسن هذا العليل؟ فقال: إنه من أهل بيت قد زُقّوا العلم زقّاً.

قال: ولم يزالوا به حتى أذن له، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلّى عليه، ثم قال: (أيّها الناس أحذركم الدنيا فإنّها دار زوال، وهي أفنت القرون الماضية، وهم كانوا أكثر منكم أموالاً وأطول أعماراً، وقد أكل التراب لحومهم، وغيّر

أحوالهم، أفتطمعون بعدهم بالبقاء، هيهات هيهات، لابد باللحوق والملتقى، فتذكّروا ما مضى من أعماركم، وما بقي، وأفعلوا فيه ما سوف يلتقى عليكم بالأعمال الصالحة قبل انقضاء الأجل، وفروغ الأمل، فعن قريب تؤخذون من القصور إلى القبور، وبأفعالكم تحاسبون، فكم والله من فاجر قد استكملت عليه الحسرات، وكم من عزيز قد وقع في مسالك الهلكات، حيث لا ينفع الندم، ولا يغاث من الظلم (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا) [1].

ثم قال: أيها الناس أُعطينا ستّاً وفُضّلنا بسبع: اعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفُضِّلنا بأنّ منا النبي المختار، ومنّا الصديق ومنّا الطيار، ومنّا أسد الله وأسد رسوله، ومنّا سبطا هذه الأُمّة، ومنّا مهديّها.

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس أنا بن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبّى، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا من بلغ به جبريل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء مثنى مثنى، أنا ابن من أوحى إليه الجليل وما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى.

أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا أله إلّا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر

---

(1) الكهف من الآية 49.

الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبييّن، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وتاج البكائين، وزين العابدين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل طه وياسين، رسول ربّ العالمين، أنا ابن المؤيد بجبريل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين، والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأول من استجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولي أمر الله، وعيبة علمة، سمح سخي بهي، بهلول زكي، أبطحي، رضي، مقدام همام، صابر صوّام، مهذّب قوّام، قاطع الأصلاب ومفرّق الأحزاب، أربطهم عنانا، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم بالحروب إذا ازدلفت الأسنّة، واقتربت الأعنّة طحن الرحا، ويذورهم فيها ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وكبش العراق، مكّي، مدني، خيفي، عقبي، بدري، أحدي، مهاجري، من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، أبو السبطين الحسن والحسين، ذاك جدّي علي بن أبي طالب عليهالسلام.

ثم قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلما، أنا ابن محزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه على سنان يهدى، أنا ابن من حرمه من العراق الى الشام تسبى).

فلم يزل يقول أنا أنا حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام فلمّا قال الله اكبر، قال علي عليهالسلام: لا شيء

أكبر من الله، فلمّا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلّا الله، قال علي عليهالسلام: شهد بذلك لحمي وعظمي ودمي، فلمّا قال المؤذن: أشهد أنّ محمداً رسول الله، التفت السجاد عليهالسلام من فوق المنبر إلى يزيد، وقال: يايزيد، محمد صلىاللهعليهوآلهوسلم هذا جدّي أم جدّك؟ فإن زعمت أنه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدّي فلم قتلت عترته وسبيت نساءه؟! ثم التفت الى المجلس، وقال: معاشر الناس هل فيكم من جدّه رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم؟ فَعَلَتِ الأصوات بالبكاء والنحيب.

وعلى يزيد ضحّى بمجلسه قد أوقفتها المعشر السفل

لا من بني عدنان يلحضها ندب ولا من هاشم بطل

إلّا فتى نهبت حشاشته كفّ المصاب وجسمه العلل

المطلب الثاني عشر

في ذكر بعض ما جرى في مجلس يزيد لعنه الله

ذكر السيّد بن طاووس رحمه‌الله قال: يروى أنّه كان في مجلس يزيد بن معاوية حبر من أحبار اليهود، فقال: من هذا الغلام؟ فقال له يزيد؟ هو علي بن الحسين، قال: ممّن علي بن الحسين؟ قال: ابن علي ابن أبي طالب، قال: فمنّ أمه؟ قال: اُمّه فاطمة بنت محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فقال الحبر: يا سبحان الله فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه؟! بئسما خلّفتم نبيكم في ذريته، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لظننت إنّا كنّا نعبده من دون ربّنا، وأنتم بالأمس فارقتم نبيكم ووثبتم اليوم على ابنه فقتلتموه، سوءة لكم من اُمّة.

قال: فأمر يزيد به فوجئ في حلقه ثلاثاً، فقام الحبر وهو يقول: إن شئتم فاضربوني واقتلوني فإنّي أجد في التوراة أنّ من قتل ذرية نبي لا يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات يصليه الله نار جهنّم.

وروي عن زين العابدين قال: لمّا أتى برأس الحسين الى يزيد بن معاوية كان يتّخذ مجالس الشراب ويأتي برأس الحسين عليه‌السلام ويضعه بين يديه ويشرب عليه، فحضر في مجلسه ذات يوم رسول ملك الروم وكان من أشراف الروم وعظمائهم، فقال: يا أمير هذا رأس من؟ فقال يزيد: مالك ولهذا الرأس؟ فقال: إنّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء رأيته، فأحببت أن اخبره بقصّة هذا

الرأس وصاحبه حتى يشاركك في الفرح والسرور. فقال يزيد: هذا رأس الحسين ابن علي بن أبي طالب، فقال الرومي: ومن أُمّه؟ فقال: فاطمة بنت رسول الله. فقال الرومي: اُفّ لك ولدينك، لي دين أحسن من دينك، إنّ أبي من أحفاد داود وبيني وبينه آباء كثيرة والنصارى يعظمونني ويأخذون التراب من تحت قدمي تبركاً بي حيث أنّي من أحفاد داود، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله، ما بينه وبين نبيكم إلّا واحدة، فأيّ دين دينكم؟!

ثم قال ليزيد: هل سمعت حديث كنيسة الحافر؟ فقال له: قل حتى أسمع، فقال: بين عمان والصين بحر مسيرة سنة، ليس فيه عمران إلّا بلدة واحدة في وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً في ثمانين، وما على وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت وأشجارها العود والعنبر، وهي بلدة في أيدي النصارى، لا ملك لأحد من الملوك سواهم، وفي تلك البلدة كنايس كثيرة أعظمها كنيسة الحافر، فيها حقّة من الذهب معلّقة، فيها حافر يقولون إنّ هذا حافر حمار كان يركبه عيسى، وقد زيّنوا الموضع حول الحقّة بالذهب والديباج يقصدها في كل عام عالم من النصارى ويطوفون حولها ويقبّلوها ويطلبون حوائجهم من الله فيها، هذا شأنهم ودأبهم وتقديرهم لحافر حمار يزعمون أنّه حافر حمار كان يركبهم عيسى نبيّهم، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، فلا بارك الله تعالى فيكم ولا في دينكم.

فقال يزيد: اُقتلوا هذا النصراني لئلا يفضحني في بلاده، فلمّا أحس النصراني بذلك قال له: تريد أن تقتلني؟ قال: نعم، قال: اعلم إني رأيت البارحة نبيكم في المنام يقول لي: يا نصراني أنت من أهل الجنّة، فتعجبت من كلامه، وأنا الآن أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، ثم وثب الى رأس الحسين عليهالسلام فضمه إلى صدره، وجعل يقبله ويبكي، حتى قتل رضوان الله عليه.

وذكر المجلسي قال: ثم أقبل يزيد على أهل مجلسه وقال: إنّ هذا يعني (الحسين) كان يفخر ويقول: أبي خير من أب يزيد، وجدّي خير من جدّه، وأنا خير منه، فهذا الذي قتله، فأمّا قوله بأنّ أبي خير من أب يزيد، فلقد حاجّ أبي أباه فقضى الله لأبي على أبيه، أمّا قوله لأنّ أُمّي خير من أُم يزيد فلعمري لقد صدق إنّ فاطمة بنت رسول الله خير من أُمّي، أما قوله جدّي خير من جدّه فليس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول بأنّه خير من محمّد، وأمّا قوله بأنّه خير مني فلعلّه لم يقرأ هذه الآية (قل اللهم مالك المكلك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) [1] ثم جعل ينكث ثنايا الحسين عليه‌السلام بالخيزرانة ويفرّق بين شفتيه [*].

وإنّ ثغراً رسول الله يلثمه ... بالخيزران يزيد الرجس يقرعه

ولثغره يعلو القضيب وطالما ... شغفاً به كان النبي مقبّلا

(1) آل عمران 26.

(*) (فائدة) عن الفضل بن شاذان قال: سمعت الرضا عليه‌السلام يقول «لمّا حمل رأس الحسين الى الشام، أمر يزيد بن معاوية فوضع في طشت ونصبت عليه المائدة، فأقبل هو وأصحابه يأكلون ويشربون الفقاع، فلمّا فرغوا أمر بالرأس فوضع تحت سرير وبسط عليه رقعة الشطرنج وجلس يلعب بالشطرنج، ويذكر الحسين وأباه وجدّه صلوات الله عليهم ويستهزئ بذكرهم، فمتى قمر صاحبه تناول الفقاع وشرب منه ثلاثاً وصب فضلته ممّا يلي الطشت من الأرض - الفقاع - الشراب يتّخذ من الشعير سمّي به لما يعلوه من الزبد.

المطلب الثالث عشر

في ما جرى على السبايا في مجلس يزيد

ذكر صاحب نفس المهموم [1] عن المناقب وغيره: روي أنّ يزيد بن معاوية أقبل على عقيلة الهاشميين زينب بنت علي عليهماالسلام وسألها أن تتكلّم، فأشارت العقيلة إلى علي بن الحسين عليه‌السلام وقالت: هو سيّدنا وخطيب القوم، فأنشأ السجاد عليه‌السلام يقول:

لا تطمعوا إن تهينونا فنكرمكم وإن نكف الأذى منكم وتؤذونا

الله يعلم إنّا لا نحبكم ولا نلومكم إن لم تحبّونا

فقال يزيد: صدقت يا غلام، ولكن أراد أبوك وجدّك أن يكونا أميرين، والحمد لله الذي قتلهما وسفك دماءهما. فقال السجاد عليه‌السلام: يا يزيد لم تزل النبوة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدّي علي بن أبي طالب عليه‌السلام في يوم بدر وأُحد والأحزاب، في يده راية رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وأبوك وجدّك في أيديهما رايات الكفّار. فقال اللعين: أبوك قطع رحمي وجهل حقّي، ونازعني

---

(1) في ص 442، ونفس المهموم هذا كتابٌ جليل وهو من مؤلفات المحقق الثبت المغفور له الشيخ عباس القمي رحمه‌الله.

سلطاني ففعل الله به ما رأيت، ثم تلا هذه الآية (وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) [1]. فقال علي بن الحسين: كلّا ما هذه فينا نزلت، أنما نزلت فينا (مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاّ فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنّ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [2] فنحن الذين لا نأس على ما فاتنا ولا نفرح بما آتانا منها.

فغضب يزيد، وجعل يلعب بلحيته وشاور جلساءه في أمره، فأشاوا عليه بقتله، فابتدر أبو جعفر الباقر عليه‌السلام بالكلام وله من العمر ثلاث سنين فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ليزيد:

(يا يزيد، أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار جلساء فرعون عليه، حيث شاورهم في أمر موسى وهارون فإنّهم قالوا: (أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلّ سَحّارٍ عَلِيمٍ) [3] وقد أشار هؤلاء عليك بقتلنا ولهذا سبب). فقال يزيد: وما السبب؟ فقال عليه‌السلام: (إنّ هؤلاء كانوا لرشدة، وهؤلاء لغير رشدة، ولا يقتل الأنبياء وأولادهم إلّا أولاد الأدعياء). فأمسك يزيد مطرقاً ومتعجّباً من كلام أبي جعفر عليه‌السلام كما أعجب الحاضرون لنباهته لصغر سنّه.

وذكر المجلسي في البحار، أنّه لمّا حمل علي بن الحسين عليه‌السلام الى يزيد (لعنه الله) وهمّ يزيد بضرب عنقه، فأوقفه بين يديه، وهو يكلّمه ويستنطقه بكلام ليوجب به قتله، وعلي عليه‌السلام يجيبه حيث ما يكلّمه، وكانت في يد السجاد عليه‌السلام سبحة صغيرة يديرها بأصابعه وهو يتلكم، فقال له يزيد (لعنه الله) أنا أُكلمك وأَت

---

(1) سورة الشورى 30.
(2) سورة الحديد 23.
(3) سورة الشعراء 37.

تجيبني وفي يدك سبحة تلهو بها فكيف يجوز لك ذلك؟ فقال عليه‌السلام: حدثني أبي عن جدّي أنه كان إذا صلّى الغداة انتفل لا يكلّم أحداً حتى يأخذ سبحة بيديه، فيقول: اللّهم إنّي اصبحت اُسبّحك وأحمدك واُهلّلك واُكبّرك واُمجّدك بعدد ما اُدير به سبحتي، ويأخذ السبحة في يده ويديرها وهو يتكلّم بما يريد من غير أن يتكلم بالتسبيح، وذكر أن ذلك محتسب له وهو حرز له، إلى أن يأوي الى فراشه، فإذا آوى إلى فراشه قال مثل ذلك القول، ووضع السبحة تحت رأسه فهي محسوبة له من الوقت الى الوقت، وأنا أفعل اقتداء بجدّي. فقال يزيد مرّة بعد اخرى: لست اُكلّم أحداً منكم إلّا ويجيبني بما يفوز به.

قال الراوي: وعفا عنه، ووصله وأمر بإطلاقه.

وفي رواية اُخرى: إنّ يزيد لمّا عزم على قتل عليّ بن الحسين عليه‌السلام قام رجل شامي وقال: يا أمير ائذن لي حتى أضرب عنقه، فلمّا سمعت زينب قوله القت بنفسها عليه وقالت: يا يزيد حسبك من دمائنا، وقال له السجاد عليه‌السلام: يا يزيد، إذا كنت قد عزمت على قتلي فابعث من يردّ هذه النسوة الى المدينة.

قال الراوي فرّق يزيد وعفا عنه، وقال الشاعر:

رقّ له الشامت ممّا به   ما حال من رقّ له الشامت

المطلب الرابع عشر

في ما جرى للسبايا بالخربة في الشام

قال السيد في اللهوف [1]: أمر يزيد بن معاوية بهم - أي سبايا الحسين عليه‌السلام - إلى منزل لا يكنّهم من الحر ولا يقيهم من برد، فأقاموا به حتى تقشّرت وجوههم، وكانوا مدة إقامتهم في البلد المشار إليه - أي الشام - ينوحون على الحسين عليه‌السلام.

قال الصدوق في أماليه [2]: ثمّ إنّ يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه‌السلام فحبسن مع علي بن الحسين عليه‌السلام في محبس لا يكنّهم من حرّ ولا قرّ، حتى تقشّرت وجوههم.

وقال ابن نما في مقتله: وأُسكّن في مساكن لا يقين من حرّ ولا برد، حتى تقشّرت الجلود وسال الصديد بعد كنّ الخدور، وظلّ الستور، والجزع مقيم والحزن لهنّ نديم.

وفي تلك الخربة ماتت رقية بنت الحسين عليه‌السلام، ذكرها صاحب نفس المهموم، عن الكامل البهائي والسيّد في الإيقاد، في زيادة ونقصان يروون أنّه كانت للحسين بنت صغيرة لها من العمر أربع سنين، فانتبهت ليلة من منامها وقالت:

---

(1) انظر ص 219.

(2) انظر ص 231 من أماليه رحمه‌الله.

أين أبي الحسين؟ فإنّي رأيته في المنام، فلمّ سمعن النسوة ذلك جعلن يبكين وبكى معهنّ سائر الأطفال، وارتفع العويل والصراخ، فانتبه يزيد من نومه، وقال: ما الخبر؟ فحقّقوا عن هذا الصراخ وأخبروه أنّ بنتاً للحسين رأت أباها في منامها فانتبهت وهي تطلبه، فأمرهم أن يذهبوا برأس أبيها إليها، فلمّا أتوا بالرأس الشريف وجعلوه في حجرها قالت: ما هذا؟ فقيل لها: رأس أبيك الحسين، ففزعت الطفلة وصاحت: وا أبتاه من ذا خضّبك بدمائك، يا أبتاه من الذي قطع وريديك، يا أبتاه من الذي ايتمني على صغر سنّي، يا أبتاه من لليتيمة حتى تكبر، يا أبتاه من للنساء الحاسرات والأرامل المسبيّات، يا أبتاه ليتني لك الفداء، يا أبتاه ليتني قبل هذا اليوم عميا.

قال الراوي: ثم وضعت فمها على فم أبيها وجعلت تئنّ حتى غشي عليها وسكن أنينها، فحرّكوها فإذا بها ميتة، فارتفعت الأصوات وعلا الصراخ من السبايا حتى الصباح، وأخبر يزيد بوفاة الطفلة، فأمر بغسلها وكفنها ودفنها [1].

قال الراوي: ومكثوا في تلك الخربة أيّاماً، وربما كان السجاد يخرج خاج الخربة، حتى قال المنهال بن عمر، كنت أتمشي في أسواق دمشق، وإذا أنا بعلي ابن الحسين عليه‌السلام يمشي ويتوكّأ على عصى في يده ورجلاه كأنّهما قصبتان، والصفرة قد غلبت عليه، قال: فخنقتني العبرة لمّا رأيته بتلك الحال، فقلت له: سيدي كيف أصبحت يابن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم؟ قال: (يا منهال وكيف يصبح من كان أسيراً ليزيد بن معاوية، يا منهال أصبحت العرب تفتخر على العجم بأنّ محمداً

(1) إن لهذه الطفلة وهي رقية بنت الحسين عليه‌السلام مشهد معروف بدمشق الشام وضريح مشهد يزار، ويتبرك به المسلمون، في عاصمة الأُمويّن، وكلّ من يزورها تهيمن عليه الأحزان وتأخذ الكئابة منه مأخذها فيخشع قلبه وتجري دموعه على ضريحها المنوّر.

منها، وأصبحت قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمداً منها، وإنّا عترة محمّد أصبحنا مقتولين مذبوحين مأسورين مشرّدين شاسعين عن الأمصار، كأنّنا أولاد ترك أو كابل، هذا صاحبنا أهل البيت)، ثم قال: (يا منهال إنّ الحبس الذي نحن فيه ليس له سفق والشمس تصهرنا فأفر سويعة لضعف بدني وأرجع إلى عمّاتي وأخواتي خشية على النساء).

قال المنهال: فبينا أخاطبه ويخاطبني وإذا أنا بإمرأة قد خرجت من الحبس وهي تناديه فتركني ورجع إليها، فحققت عنها فقيل لي هي عمّته زينب، وهي تقول له: إلى أين تمضي يا قرّة عيني.

يعظّمون له أعواد منبره   وتحت ارجلهم أولاده وضعوا

بأي حكم بنوه يتبعونكم   وفخركم أنّكم صحب له تبع

المطلب الخامس عشر

في إظهار ندم يزيد وإنكاره على ابن مرجانة

لم ينجح يزيد بن معاوية بما دبّره في بادئ الأمر عند دخول السبايا إلى دمشق الشام، وما موّه به على أهلها وما أشاعه من البهتان والكذب الصريح بأنّ هؤلاء السبايا خوارج، خرجوا عليه فقتل رجالهم وسبي ذراريهم واتضح للناس خداعه ومكره وذهب عمله سدى لما ظهرت من الكرامات للرأس الشريف، وتلاوته للآيات، وكلام السجاد مع الشامي الذي قال له: الحمد لله الذي فضحكم فأجابه السجاد على رؤوس الأشهاد: الحمد لله الذي أكرمنا نبيّه محمد صلىاللهعليهوآلهوسلم، وسؤاله: هل قرأت هذه الآية (إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً) فعلم كلّ من سمع أنّ هؤلاء آل رسول الله، والقضايا التي صدرت في مجلسه من خطبة الحوراء زينب عليهاالسلام وخطبة السجاد عليهالسلام، وكلام أبي جعفر الباقر عليهالسلام، وكلام السجاد عليهالسلام مع المنهال بن عمر، الى غير ذلك من القضايا المذكورة، في كتب التاريخ والسير، فما مضى على تمويه يزيد على أهل الشام إلّا أيّام حتى تحقق لأهل الشام أجمع أنّ هؤلاء ذرية رسول الله وقد قتل يزيد رجالهم وسبي نساءهم وأسر أطفالهم، فخاف بن ميسون آنئذ عاقبة أمره، وخشي على تحطيم عرشه، فقلب عند ذاك ظهر المجن وراح يظهر للناس أنّ الذي قتل الحسين عليهالسلام هو ابن مرجانة،. وهو بريئ من عمله الذي عجله بالحسين وأهل

بيته، وأراد أن يدفع عنه هذا الأمر فأفرغ للسبايا داراً من دوره، وأمر أن تنقل إليها بعد أن حبسهم في تلك الخربة، وكان الذي دعاه إلى ذلك، أنّ زوجته هند لمّا علمت بأنّ هؤلاء آل بيت رسول الله، دخلت عليه وهي تولول قد شقَّت جيبها حاسرة الرأس، فلمّا رآها على هذا الحال قام إليها وألقى عليها رداءه، وقال لها: إعولي يا هند وابكي على ابن بنت رسول الله وصريخة قريش، فقد عجّل عليه ابن زياد فقتله قتله الله، ثم قال لها: ادخلي الحرم. قالت: والله لا أدخل حتى أدخل بنات رسول الله معي. فأمر يزيد بهنّ إلى منزله وأنزلهنّ في دار من دوره، فلمّا دخلن الهاشميات استقبلتهنّ نساءآل أبي سفيان، وقبلن أيديهن وأرجلهنّ وهنّ ينحن ويبكين وألقين ما عليهنّ من الثياب والحلل.

قال الراوي: وأقمنّ المأتم ثلاثة أيّام، وقيل أقمن المأتم سبعة أيّام وما كان يزيد يجلس على مائدة إلّا ويحضر السجاد عليهالسلام معه.

وذكر السيد في اللهوف: إنّ يزيد قال لعلي بن الحسين يوماً: اذكر لي حاجتك. فقال السجاد عليهالسلام: اُريد منك أوّلاً أن تريني وجه أبي الحسين فأتزوّد منه، والثانية أن ترد علينا ما أُخذ منّا، والثالثة إن كنت عازماً علي قتلي فوجّه مع هذه النسوة من يردهنّ إلى حرم جدّهنّ. فقال اللعين: أمّا وجه أبيك فلن تراه أبداً، وأمّا قتلك فقد عفوت عنك، وأمّا النساء فلا يردهنّ غيرك إلى المدينة، وأمّا ما أُخذ منكم يوم الطف فأنا اُعوضكم عنه اضعافه. فقال السجاد عليهالسلام، أمّا مالك فلا نريده، وهو موفّر عليك وإنّما طلبت ما اخذ منّا لأنّ فيه مغزل جدتي فاطمة بنت محمّد صلىاللهعليهوآلهوسلم ومقنعتها وقلادتها وقميسها.

قال الراوي: فأمر برّد ذلك كلّه.

وقال أرباب المقاتل: وأشار عليه مروان بن الحكم بإرجاعهم إلى المدينة، فأمر يزيد بن معاوية بالمحامل أن تحضر، فأُحضرت وبعث على السجاد زين

العابدين عليه‌السلام وبعد أن جلس السجاد تكلّم معه يزيد وقال: لعن الله ابن مرجانة حيث قتل أباك، أما والله لو كنت صاحبه ما سألني خصلة إلّا أعطيتها إيّاه ولدفعت عنه الحتف بكلّ ما قدرت عليه ولو بهلاك بعض ولدي، ولكنّ الله قضى ما رأيت تكاتبني من المدينة وارفع إليّ حوائجك.

قال: وأمر بإحضار كسوة له ولأهله فاحضرت، ثم أمر بالأنطاع ففرشت وصبت عليها الأموال، وقال: يا ام كلثوم خذوا هذه الأموال عوض ما أصابكم. فقالت أُم كلثوم: يا يزيد ما أقلّ حياءك وأصلف وجهك، تقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم مالاً، والله لا كان هذا أبدا.

أقول: والله لو أن الجبال تكون ذهباً ما كانت تساوي أنملة من أنامل عبدالله الرضيع الذي ذبح على صدر أبيه الحسين يوم عاشوراء.

هبوا أنّكم قاتلتم فقتلتم فما ذنب أطفال تقاسي نبالها

رجالهم صرعى وأسرى نساؤهم وأطفالهم في السبي تشكو حبالها

المطلب السادس عشر

في رجوع السبايا من الشام ووصولهم الى كربلاء

اختلفت العلماء في ذكرهم لسبايا الحسين عليه‌السلام؛ فبعضهم يقول: مكثوا بالشام [1] وعادوا إلى كربلاء، ومنهم من قال: رجعوا بسنتهم، والخبر الثاني أقرب للوضع، حيث إنّ مروان بن الحكم أشار على يزيد عليه اللعنة، أن يرجعهم إلى المدينة وأخذ يهيّئ لهم يزيد كلّما يحتاجون في طريقهم من المحامل والخيم

---

(1) ذكر السيد ابن طاووس رحمه‌الله في الإقبال، قال: وجدت في المصباح - مصباح المجتهد للطوسي رحمه‌الله: إنّ حرم الحسين وصلوا كربلاء مع مولانا علي بن الحسين عليه‌السلام يوم العشرين من صفر وفي غير المصباح: إنّهم وصلوا كربلاء أيضاً في عودتهم من الشام يوم العشرين من صفر، وكلاهما مستبعد لأنّ عبيدالله بن زياد (لعنه الله) كتب إلى يزيد يعرفه ما جرى ويستأذنه في حملهم، ولم يحملهم حتى عاد الجواب إليه، وهذا يحتاج الى نحو عشرين يوماً، وأكثرمنها، ولأنّه لمّا حملهم إلى الشام روي أنّهم لمّا أقاموا فيها شهراً في موضع لا يكنّهم من حر ولا من برد وصورة الحال تقتضي أنهم تأخّروا أكثر من أربعين يوماً من قتل الحسين عليه‌السلام إلى أن وصلوا العراق أو المدينة، وأمّا جوازهم في عودتهم على كربلاء فيمكن ذلك، ولكنه ما يكون وصولهم إليها يوم العشرين من صفر لأنّهم اجتمعوا على ما روي مع جابر بن عبدالله الأنصاري، فإن كان جابر قد وصل زائراً من غير الحجاز فيحتاج وصول الخبر إليه ومجيئه أكثر من أربعين يوماً، وعلى أن يكون جابر وصل من غير الحجاز من الكوفة أو غيرها

والطعام والقرب والأواني، ووجّه معهم النعمان بن بشير الصحابي [1] ومعه ثلاثون رجلاً وأمره أن يكون بأمر السجاد زين العابدين عليه‌السلام في حلّهم وترحالهم، فخرجوا من دمشق الشام، فكان النعمان بن بشير يسايرهم بحيث يرونهم ويراهم، وإذا نزلوا نزل ناحية عنهم هو وأصحابه، وصاروا لهم كهيئه الحرس، وكان بين حين وآخر يأتي وحده إلى السجاد ويسأله عمّا يحتاجونه ويلطف به، حتى إذا وصلوا إلى مفرق طريقين أحدهما ينتهي إلى المدينة والأخر إلى العراق، قالوا للدليل: مر بنا على كربلاء، فامتثل الدليل أمرهم، فوصلوا إلى كربلاء في العشرين من شهر صفر، فوجدوا بها جابر بن عبدالله الأنصاري [2] قد ورد كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه‌السلام.

قال الأعمش بن عطية الكوفي: خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاري زائراً قبر الحسين عليه‌السلام، فلمّا ورد كربلاء دنا من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم خرج وقد ائتزو بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرّة فيها سعد [3] فنثرها على بدنه، ثم مشى إلى القبر الشريف حافياً، وكان لايخطو خطوة إلّا ذكر الله تعالى فيها، حتى إذا دنا من القبر الشريف، قال: ألمسنية يا ابن عطية. قال: فألمسته القبر، فخرّ على القبر

---

(1) النعمان بن بشير الأنصاري الخزري يكنى أبا عبدالله وهو مشهور، له ولأبيه صحبة. قال الواقدي: كان أول مولود في الاسلام من الأنصار، بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً، وعن أبي الزبير، قال: كان النعمان بن بشير أكبر منّي بستة أشهر، استعمله معاوية على الكوفة فبقى حتى دخلها مسلم بن عقيل، ودخلها أيضاً عيبدالله بن زياد، قتل النعمان سنة خمس وستين.

(2) جابر بن عبدالله الأنصاري شهد النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وحضر جل غزواته، وكف بصره في آخر عمره، توفي في المدينة سنة أربع وسبعين ويقال سنة سبع وسبعين، عاش أربع وتسعين سنة.

(3) السعد: طيب معروف بين الناس، ومنه الحديث: اتخذوا السعد لأسنانكم فإنه يطيب الفم. (مجمع البحرين)

مغشياً عليه، فرششت عليه الماء، فلمّا أفاق صاح: يا حسين يا حسين حتى قالها ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه.

ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثباجك [1]، وفرّق بين رأسك وبدنك، أشهد أنّك ابن سيّد النبيين، وابن سيد الوصيين، وابن حليف التقى وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، وكيف لا تكون هكذا وقد غذّتك كفّ سيد المرسلين وربيت في حجور المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حيّاً وطبت ميّتاً، غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيّبة لفراقك، ولا شاكة في حياتك، فعليك سلام الله ورضوانه، أشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم أجال ببصره نحو القبور - قبور الشهداء - وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلّت بفناء قبر الحسين عليهالسلام وأناخت برحله، أشهد أنّكم اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر وجاهدتم الملحدين وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال ابن عطية: فقلت لجابر: فكيف تقول ذلك ونحن لم نهبط وادياً ولم نعل جبلاً ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأُوتمت أولادهم، وأرملت أزواجهم؟ فقال لي: يابن عطية سمعت حبيبي رسول الله يقول: من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً بالحق إنّ نيتي ونية أصحابي على مضى عليه الحسين وأصحابه،

---

(1) الثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر. (المنجد)

حذو النعل بالنعل، ثم قال: خذوني نحو أبيات كوفان.

قال ابن عطية: فلمّا صرنا في بعض الطريق فقال لي: يابن عطية هل اُوصيك وما أظن أنني بعد هذا السفر ملاقيك، أحبّ محبّ آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم على ما اُحبّهم وأبغض مبغض آل محمّد على ما أبغضهم، وإن كان صوّاماً قوّاماً، وارفق بمحبّ آل محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فإنّه إن تزلّ قدم بكثر ذنوبهم، ثبتت أخرى بمحبتهم، فأنّ محبّهم يعود إلى الجنة ومبغضهم يعود إلى النار.

ويروى في بعض المقاتل، قال ابن عطية: بينا نحن بالكلام وإذا بسواد قد أقبل علينا ومن ناحية الشام، فقلت: يا جابر إني أرى سواداً عظيماً مقبلاً علينا من ناحية الشام، فالتفت جابر إلى غلامه، وقال له: انطلق وانظر ما هذا السواد، فإن كانوا من أصحاب عبيدالله بن زياد ارجع إلينا حتى نلتجأ إلى مكان، وأن كان هذا سيّدي ومولاي زين العابدين أنت حرّ لوجه الله. فانطلق الغلام بأسرع من أن رجع إلينا وهو يلطم وجهه وينادي: قم يا جابر واستقبل حرم الله وحرم رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، فهذا سيدي ومولاي علي بن الحسين عليه‌السلام قد أقبل بعمّاته وأخواته ليجدّدوا العهد بزيارة الحسين عليه‌السلام. فقام جابر ومن معه واستقبلوهم بصراخ وعويل، يكاد الصخر أن يتصدّع منه، ولمّا دنى من الإمام انكب على قدميه يقبّلهما وهو يقول: سيّدي عظّم الله لك الأجر بمصاب أبيك الحسين، وعظّم الله لك الأجر بعمومتك واخوتك. فقال الامام عليه‌السلام: أنت جابر؟ قال: نعم سيّدي أنا جابر، فقال عليه‌السلام: يا جابر ههنا ذبحت أطفال أبي.

هنا رأيت أبي في التراب منعفرا　　　وصحبه حوله صرعى على الترب

المطلب السابع عشر

في ترجمة جابر بن عبدالله الأنصاري

كان جابر بن عبدالله الأنصاري [1] من جلة الصحابة جليل القدر، عظيم الشأن، انقطع إلى أهل البيت عليهم‌السلام، شهد مع النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ثمانية عشر غزوة، وشهد مع علي صفين، وكان من المكثرين الحديث والحافظ للسنن.

قال شيخاً في المستدرك: جابر الأنصاري، هو من السابقين الأولين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين، حامل سلام رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى باقر علوم الأولين والآخرين.

قال أرباب التاريخ: خرج رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم غازياً وجابر بن عبدالله معه على ناقة له وقد تخلّفت ناقته لأنّها كانت عجفاء، فالتفت النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم الى خلفه فلم ير

---

(1) هو أبو عبدالله، جابر بن عبدالله الأنصاري، مفتي المدينة في زمانه، كان آخر من شهد ببيعة العقبة في السبعين من الأنصار، وحمل عن النبي علماً كثيراً نافعاً، وله منسك صغير في الحج، وأراد شهود ببدر وشهود احد، فكان أبوه يخلفه على أخواته، ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان. وعنه قال: استغفر لي رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ليلة البعير خمساً وعشرين مرة، وقليل: إنّه شهد بدراً، وكان يميح الماء، عمّر أربعاً وتسعين سنة، وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين رحمه‌الله - الذهبي - تذكرة الحفاظ.

جابراً، فسأل أصحابه، فقيل له: يا رسول الله إنّ ناقته عجفاء، فرجع رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إليه وهمز الناقة برجله فجعلت تهفّ هفيفاً خفيفاً، حتى سبقت ناقة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقال له النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: يا جابر بكم اشتريت هذه الناقة؟ فقال: بأبي وأُمّي يا رسول الله اشتريتها بأربعمائة دينار، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: إذا رجعنا من غزوتنا بعها عليَّ، فقال هي لك يا رسول الله، ثم سأله هل عليك ديون؟ قال: بلى يارسول الله عَليَّ دين كثير، فقال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: هل عندك شيء تفي به؟ قال: بلى عندي تميرات اقسمها على غرمائي، والذي يبقي له من الدين أستمهلهم إلى السنة الأُخرى. فقال له النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: إذا حضرت وقت ايفائك لهم احضرني على التمر، ولمّا رجع النبي من غزوته إلى المدينة، أقبل جابر بناقته فعقلها بباب المسجد، وصاح: يا رسول الله هذه الناقة قد جئتك بها. فقام صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ودفع له أربعمائة دينار، وقال له: يا جابر الدنانير لك والناقة لك. ولمّا صار أوان التمر أحضر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فأخذ النبي الميزان بيده وجعل يزن التمر ويقسمه على غرماء جابر، حتى وفى عنه جميع ديونه، وزاد من التمر ببركة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

وروي أنّه دخل جابر يوماً على النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فسلّم عليه، فردّ النبي عليه‌السلام، فقال: يا رسول الله أخبرني عن منزلة سلمان الفارسي، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: سلمان منّا أهل البيت. ثم قال: يا رسول الله أخبرني عن منزلة عمّار، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: عمّار منّا أهل البيت. فقال يا رسول الله أخبرني عن منزلة المقداد، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: المقداد منّا أهل البيت. فقال: أخبرني عن منزلة أبي ذر، فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: أبو ذر منّا أهل البيت. ثم انصرف جابر، فصاح النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، يا جابر أقبل إليَّ، فأقبل إليه فقال له النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: سألتني عن هؤلاء الأربعة ولم تسألني عن نفسك؟! فأطرق برأسه إلى

الأرض حياء من النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، فقال له: أخبرني عن نفسي يا رسول الله، فقال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: أنت منّا أهل البيت، فلهذا انقطع جابر إلى أهل البيت وحضر مع علي صفين، وكان من خواص أصحابه، وكان يحدّث عن فضلائه ومناقبه.

حتى روي عن أبي الزبير المكي قال: سألت جابر بن عبدالله فقلت: أخبرني أي رجل كان علي بن أبي طالب عليه‌السلام؟ قال: فرفع حاجبه عن عينيه، وقد كان سقط على عينيه، قال: فقال: ذاك خير البشر، أما والله إنا كنّا لنعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ببغضهم إيّاه.

وكان يقعد في مسجد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وهو معتم بعمامة سوداء وكان ينادي: يا باقر العلم يا باقر العلم، وكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، وكان يقول: لا والله لا أهجر، ولكنّي سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول: إنّك ستدرك رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً فذاك الذي دعاني إلى ما أقول، فبينا جابر يتردّد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ رأى في ذلك الطريق كتاب [1] وفيه محمّد بن علي بن الحسين عليه‌السلام، فلمّا نظر إليه قال: يا غلام أقبل، فأقبل، ثم قال: أدبر فأدبر، فقال: شمائل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم والذي نفس جابر بيده، يا غلام ما اسمك؟ فقال: اسمي محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فأقبل إليه يقبّل رأسه، وقال: بأبي أنت وأمي رسول الله جدّك يقرئك السلام. قال: فرجع محمد بن علي إلى أبيه وهو ذعر، فأخبره الخبر، فقال له: يا بني قد فعلها جابر؟ قال: نعم. قال: يا بني ألزم بيتك، فكان جابر يأتيه طرفيّ النهار، وكان أهل المدينة يقولون: وا عجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفيّ النهار.

(1) لعله مكان معلم الأولاد.

وكان جابر يحب الحسين عليه‌السلام ويحمله على كتفيه وكان النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إذا حمل الحسين عليه‌السلام وجاء جابر ورآه الحسين عليه‌السلام يرمي بنفسه عليه، وكان يقال له: حبيب الحسين، وهو من جملة من دخل إلى الحسين عليه‌السلام يومئذ بمكة، وذلك لمّا أراد الخرج منها الى العراق، وقال له فيما قال: سيدي إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، فقال: (يا عم يا جابر إنّ تكليفي من الله غير تكليفي أخي الحسن عليه‌السلام، ولو كان أخي الحسن عند أربعين رجلاً لمّا صالح معاوية، وها أنا ذا معي ما ينوف على الأربعين غير الذي يلحقونني).

قال الراوي: فجعل جابر يبكي ويقول: سيّدي بحقّ جدّك ألا ما عدلت عن الوجه، لما رأى تصميم الحسين عليه‌السلام على الخروج إلى العراق ودّعه ودموعه تجري، ولمّا خرج الحسين عليه‌السلام من مكّة خرج جابر إلى البصرة، وجعل كل يوم يخرج خارج البصرة ويسأل القادمين من الكوفة عن الحسين عليه‌السلام، حتى استخبر بقتل الحسين عليه‌السلام فجعل يلطم وجهه ويبكي، ونام ليلته فرأى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في المنام وهو أشعث مغبر مكشوف الرأس، فقال: مالي أراك يا رسول الله أشعث؟ فقال: يا جابر الآن رجعت من دفن ولدي الحسين عليه‌السلام، ثم تجهّز جابر للمسير إلى كربلاء، فجاء ومعه الأعمش بن عطية وغلامه حتى وافى كربلاء يوم التاسع عشر من شهر صفر وبات عند قبر الحسين عليه‌السلام ليلته، حتى أصبح الصباح أقبل زين العابدين عليه‌السلام بعمّاته وأخواته من الشام، ولمّا لاح للهاشميات قبر الحسين عليه‌السلام وقبور الشهداء ألقين بأنفسهن على القبور ولسان حال الحوراء زينب عليهاالسلام يقول:

يا نازلين بكربلا هل عندكم ... خبر بقتلانا وما أعلامها

ما حال جثة ميت في أرضكم ... بقيت ثلاثا لا يزار مقامها

بالله هل رفعت جانزته وهل ... صلى صلاة الميّتين أمامها

قال أرباب المقاتل: وانكبت فاطمة بنت الحسين عليهاالسلام على قبر أبيها حاضنه له وهي تبكي حتى غشي عليها، وجاءت سكينة ووقعت على قبر أبيها، وهكذا درن الهاشميات على قبر الحسين عليه‌السلام لاطمات الخدود، صارخات معولات، واجتمعن إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا الى ذلك أيّاماً.

قم وجدد الحزن في العشرين من صفر ففيه ردت الرؤوس الآل للحفر [1]

---

(1) (فائدة) كان جابر بن عبدالله الأنصاري ممن شهد العقبة وعمي في آخر عمره، ومات بالمدينة سنة 78 هـ وقليل ثمان وتسعين، وقد أدرك من امامه الباقر عليه‌السلام ثلاث سنين بالمدينة، وكان أخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وكان من السبعين الذين بايعوا النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في عقبه منى. وعن الفضل بن شاذان أنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه‌السلام بعد النبي، وهو ممن مدحه الصادق عليه‌السلام. وعن فضيل بن عثمان عن الزبير قال: رأيت جابراً يتوكّأ وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم، وهو يقول: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر، يا معاشر الأنصار أدبوا أولادكم في حب علي عليه‌السلام ومن أبى فالينظر في شأن أمه.

المطلب الثامن عشر

في موضع دفن الرأس الشريف

اختلف أرباب التاريخ في موضع دفن رأس الحسين عليه‌السلام كاختلافهم في موضع دفن الزهراء سيدة النساء صلوات الله عليها، وقبر عبدالله الرضيع ابن الحسين عليهماالسلام، الذي رماه حرملة بن كاهل بسهم يوم عاشوراء وذبحه من الوريد الى الوريد، نعم إنّ للمؤرخين أقوال كثيرة في موضع دفن الرأس حيث ذكر كلّ منهم ما وقف عليه، واستند إمّا على السماع أو على رواية رواها من غيره، أو نقلها من مصدر من المصادر.

ذكر المؤيد صاحب حماة في تاريخه، وعمر بن الوردي في تاريخه: قيل إنّ رأس الحسين عليه‌السلام جهز إلى المدينة ودفن عند أُمّه، وكذلك ذكر السمهودي في (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) عن محمد بن سعيد: أنّ يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين عليه‌السلام إلى عمر بن العاص، وكان عامله على المدينة، فكفنه ودفنه بالبقيع عند قبر أُمّه فاطمة بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم [1]، فهؤلاء المؤرخين ذهبوا على أنّ الرأس الشريف حمل إلى المدينة ودفن بالبقيع أو عند قبر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

---

(1) وكذلك ابن سعد ذكر هذه الرواية في طبقاته الكبرى ورواية البخاري في تاريخه.

وممن قال أنه دفن بعسقلان [1] مجبر الدين الحنبلي في - الأنس الجليل - قال: وبها أي بعسقلان مشهد عظيم بناه بعض الفاطميين من خلفاء مصر على مكان زعموا أنّ فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام.

وممن قام بدمشق ياسين بن المصطفى الفرضي قال في (النبذة اللطيفة في المزارات الشريفة) في المزارات المشهورة للصحابة بدمشق ونواحيها، والمشهور منهم بتربة باب الفراديس المسمّاة بمرج أبي الدحداح الآن سمّي مسجد الرأس داخل باب الفراديس في أصل جدار المحراب لهذا المسجد رأس الملك الكامل.

وأما الذين يذكرون انه مدفون بمصر منهم الصبان في أسعاف الراغبين قال: واختلفوا في رأس الحسين عليه‌السلام بعد مسيره إلى الشام أين صار وفي أيّ موضع استقر؟ فذهبت طائفة إلى أنّ يزيد أمر أن يطاف برأسه الشريف في البلاد فطيف به حتى انتهى إلى عسقلان فدفنه أميرها بها، فلمّا غلب الإفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ووضعه في كيس حرير أخضراً على كرسي من خشب الأبنوس وفرش تحته المسك والطيب وبنى عليه المشهد الحسيني المعروف بالقاهرة.

وذكر شيخ عبدالوهاب الشعراني في طبقات الأولياء عند ذكره الحسين عليه‌السلام: دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلايع بن زريك بثلاثين ألف دينار ونقله إلى مصر وبنى عليه المشهد الحسيني، وخرج هو وعسكره حفاة

(1) عسقلان مدينة على ساحل البحر من أعمال فلسطين كان يقال لها عروس الشام لحسنها وهي ذات بساتين وثمار، بها مشهد رأس الحسين عليه‌السلام وهو مشهد عظيم وفيه ضريح الرأس والناس يتبركون به وبنيت عسقلان في أيام عمر بن الخطاب.

إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف، ثم وضعه طلايع في كيس من حرير أخضر على كرسي آبنوس وفرشوا تحته المسك والعنبر والطيب قدر وزنه مراراً [1].

وممّن ذكر أنّه مدفون بالرقة عبدالله بن عمر الوراق في كتاب (المقتل)، قال: ولمّا خضر الرأس بين يدي يزيد بن معاوية قال: لأبعثنه إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان، وكانوا بالرقة، فبعثه إليهم فدنوه في بعض دورهم، ثم اُدخلت تلك الدار في المسجد الجامع، قال: وهو إلى جانت سدره هناك، وقيل: إنّ الفاطميين نقلوه من باب الفراديس إلى عسقلان ثم نقلوه إلى القاهرة.

ومنهم من قال: أنه دفن بالثوية حيث الآن يسمى بمسجد (الحنانة) شرقي النجف عن يسار الذاهب إلى الكوفة وبالقرب من قبر العبد الصالح كميل بن زياد النخعي، وقال الآخرون: إنّه دفن عند أبيه أمير المؤمنين عليه‌السلام وتوجد الآن غرفة في الرواق الحيدري، مما يلي الرأس الشريف من جهة الغرب وهي مزركشة، وقد كتب على جدرانها بعض اللوائح بخط جميل.

يا أبا عبدالله الحسين عليه‌السلام، هذه الأقوال كلّها لم تكن عليها عمل الطائفة، بل الذي عليه العمل وهو القول الفصل إنّ السجاد زين العابدين عليه‌السلام جاء به إلى كربلاء ودفنه مع الجسد الشريف.

---

(1) وممن قال أن الرأس الشريف بالمشهد الذي بالقاهرة نقل إليها من عسقلان، علي بن أبي بكر المشهور بالسائح الهروي المتوفى سنة 611، قال في الإشارات إلى أماكن الزيارات عند كلامه على عسقلان: وبها مشهد الحسين عليه‌السلام، وكان رأسه بها فلمّا أخذته الفرنج نقله المسلمون إلى مدينة القاهرة سنة 549.

وحكى ابن أبي دنيا، قال: وجد رأس الحسين عليه‌السلام في خزانة يزيد بدمشق فكفّنوه ودفنوه بباب الفراديس وكذا ذكره البلاذري في تاريخه، قال: هو بدمشق.

ذكر صاحب كتاب حبيب السير: أنّ يزيد بن معاوية سلم رؤوس الشهداء إلى علي بن الحسين عليه‌السلام فألحقها بالأبدان الطاهرة يوم العشرين من صفر.

وقال السبط ابن الجوزي بعد تعدد الأقوال قال: وأشهرها أنه رد إلى كربلاء مع السبايا إلى الجسد الشريف فدفن معه.

لا تطلبوا قبر الحسين بأرض شرق أو بغرب

ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي

المطلب التاسع عشر

في رجوع السبايا الى المدينة

قال ابن الأثير والبياسي والطبري في روايته عن أبي مخنف: أنّه لمّا أراد يزيد أن يسيّرهم إلى المدينة أمر النعمان بن بشير أن يجهّزهم بما يصلحهم ويسير معهم رجلاً أميناً من أهل الشام، وأن يبعث معه خيلاً وأعوانا.

وقال المفيد: ندب النعمان بن بشير، وقال له: تجهز لتخرج بهؤلاء النسوة الى المدينة، وأنفذ معهم في جملة النعمان بن بشير رسولاً تقدّم إليه أن يسير بهم في الليل ويكونوا أمامه، حيث لا يفوته طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرّق أصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث إن أراد إنسان من جماعتهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم.

قالوا جميعاً: ودعا يزيد، زين العابدين عليهالسلام ليودّعه، وقال له: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أنّي صاحب أبيك ما سألني خصلة أبداً إلّا أعطيته إياها، ولدفعت الحتف عنه بكلّ ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، يا بني كاتبني من المدينة، وإنّه إلي كلّ حاجة تكون لك، وتقدّم بكسوته وكسوة أهله وأوصى بهم هذا الرسول، فخرج بهم الرسول.

قال المفيد: وسار بهم في جملة النعمان فكان يسايرهم ليلاً فيكونون أمامه بحيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم هو وأصحابه وكانوا حولهم كهيئة

الحرس، وكان يسألهم حاجتهم ويلطف بهم، كما وصّاه يزيد حتى دخلوا المدينة، ولمّا وصلوا قالت فاطمة بنت علي (أي ام كلثوم) لاختها زينب: لقد أحسن هذا الرجل إلينا، فهل لك أن نصله بشيء، فقالت: والله ما معنا نصله به إلّا حليّنا، فأخرجتا سوارين ودملجين لهما، فبعثتا به إليه واعتذرتا فرد الجميع، وقال: لو كانت صنعت للدنيا لكان هذا يرضيني ولكن والله ما فعلته إلّا لله، ولقرابتكم من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

وقال بشر بن حذلم: ولمّا قربنا من المدينة، نزل علي بن الحسين عليه‌السلام فحطّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه، وقال: يا بشر رحم الله أباك فلقد كان شاعراً، فهل أنت تحسن الشعر؟ فقلت: بلى يا سيّدي، وإنّي لشاعر، فقال عليه‌السلام: قم الآن وادخل المدينة وانعى الحسين عليه‌السلام ولو ببيتين من الشعر.

قال بشر: فقمت وركبت فرسي وجئت حتى دخلت المدينة، فلمّا بلغت مسجد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرج ... والرأس منه على القناة يدور

قال: فضجّ الناس بالبكاء والنحيب، ثم قلت: هذا علي بن الحسين عليه‌السلام مع عماته واخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أُعرّفكم مكانه.

قال بشر: فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلّا وبرزن من خدورهنّ ضاربات الصدور، ناشرات الشعور، وهن يدعين بالويل والثبور، قال: فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم.

قال بشر: وسمعت في طريقي جارية تنوح وتنشد:

نعى سيّدي ناع نعاه فأوجعا ... وأمرضني ناع نعاه فأفجعا

اعينيّ جودا بالدموع واسكبا	وجودا بقان مثل دمعكما معا
على من دهى عرش الجليل فزعزعا	وأصبح أنف الدين والمجد أجدعا
على ابن نبي الله وابن وصيه	وإن كان عنّا شاحط الدار اشسعا

ثم قالت: أيها الناعي جددت حزناً بأبي عبدالله، وخدشت منّا قروحاً لما تندمل، فمن أنت يرحمك الله؟ فقلت: أنا بشر بن حذلم، وجهني مولاي علي بن الحسين عليه‌السلام وهو نازل موضع كذا وكذا مع العيال والأطفال.

قال: فتركوني الناس ومضوا يهرعون حتى إذا وصلت قريباً من الموضع والناس قد أخذوا الطريق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس، حتى قربت من الفسطاط، وكان علي بن الحسين عليه‌السلام داخل الفسطاط، ثم خرج وبيده منديل يمسح به دموعه وخلفه خادم معه يحمل الكرسي، ثم وضعه له بين الناس وهو لم يتمالك من العبرة، وارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب، وقام الناس يعزونه من كل ناحية، فضجّت تلك البقعة ضجّة واحدة، ثم أومأ بيده إلى الناس أن اسكتوا، فسكنت فورتهم، فقال:

«الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، ونحمده على عظائم الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة الكاظمة الفادحة الجائحة، أيها القوم إنّ الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبدالله الحسين عليه‌السلام وعترته وسبي نساءه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عال السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية، أيها الناس فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله؟ أم أي فؤاد لا يحزن من أجله؟ أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضلّ عن أنهما لها؟ فلقد بكت السبع الشداد بقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض

بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقربون، وأهل السماوات أجمعون، أيها الناس أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أيّ فؤاد لا يحنّ عليه؟ أم أيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثملت في الإسلام؟ أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين مذودين، شاسعين الأوطان، كأنّنا أولاد ترك وكابل، من غير جرم أجرمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ولا سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إنّ هذا إلا اختلاق، والله لو أنّ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظّها وأفظعها وأمّرها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا، وما بلغ بنا فإنّه عزيز ذوانتقام».

قال: فعلت الأصوات بالبكاء والعويل.

وروى في المنتخب [1]: إن ام كلثوم عليهاالسلام حين توجهت الى المدينة جعلت تبكي وتقول:

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا

خرجنا منك بالأهلين جمعاً رجعنا لا رجال لا وبنينا

(1) انظر ج 2 ص 499.

المطلب العشرون

في ملاقاة السجاد عليه‌السلام مع عمّه محمّد

ذكر صاحب الدمعة الساكبة قال: لمّا دخل بشر بن حذلم الى المدينة وأخبر الناس بقتل الحسين عليه‌السلام وضج الناس بالبكاء والنحيب، وكان محمّد بن الحنفية مريضاً، ولم يكن له علم بذلك الخبر الشنيع، فسمع اصواتاً عالية ورجّة عظيمة، فلم يقدر أحد أن يخبره لخوفهم عليه من الموت لأنّه قد أنحله المرض، فألح عليهم بالسؤال. فتقدم إليه أحد غلمانه، وقال: جعلت فداك يابن أمير المؤمنين، إنّ أخاك الحسين عليه‌السلام قد أتى من الكوفة وقد غدر أهل الكوفة بابن عمّك مسلم بن عقيل، فرجع عنهم وأتى بأهله وأصحابه، فقال له لم لا يدخل علي أخي؟ قال: ينتظر قدومك إليه.

قال: فنهض فوقع وجعل تارة يقوم وتارة يسقط، وهو يقول: لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، فكأنّ حس قلبه بالشر، فقال: إنّ فيها والله مصائب آل يعقوب، ثم قال: أين أخي؟ أين ثمرة فؤادي؟ أين الحسين؟ ولم يعلم بقتله، فقالوا: يا مولانا أخوك بالموضع الفلاني. قال: قدّمو لي جوادي، فقدّم له الجواد، واركبوه على جواده وحوله خدّامه، حتى إذا خرج خارج المدينة فلم ير إلّا أعلاماً سودا، فقال: ما هذه الأعلام السود، والله قتل بنو اُمية الحسين، فصاح صيحة عظيمة، وخرّ عن جواده إلى الأرض مغشياً عليه، فركض الخادم إلى زين

العابدين عليه‌السلام وقال له: يا مولاي أدرك عمّك قبل أن تفارق روحه الدنيا، فخرج وبيده منديل يمسح بها دموعه الى أن أتى إلى عمّه فأخذ رأسه ووضعه في حجره، فلمّا أفاق قال: يابن أخي أين أخي؟ أين قرّة عيني؟ أين نور بصري؟ أين أبوك؟ أين خليفة أبي؟ أين أخي الحسين؟ فقال علي عليه‌السلام: أتيتك يتيماً ليس معي إلّا نساء حاسرات في الذيول عاثرات، ناعيات نادبات، وللمحامي فاقدات، يا عمّاه لو تنظر إلى أخيك يستغيث فلا يغاث، ويستجير فلا يجار، قتل وهو عطشان والماء يشربه كلّ حيوان. فصرخ محمّد بن الحنفية حتى عشي عليه مرّة ثانية ولمّا أفاق من غشيته قال: يابن أخي قص علي ما أصابكم.

قال الراوي: فكان السجاد يقص على عمّه ودموعه تجري وهو يمسحها بمنديل كان في يده، فقال محمد بن الحنفيه: يعزّ عليَّ يا أبا عبدالله، يا أخي كيف طلبت ناصراً فلم تنصر، ومعيناً فلم تعن، ثم نهض ودخل داره ولم يخرج إلّا بعد ثلاثة أيام، ولما كان اليوم الرابع خرج للناس وهو شاك في سلاحه وقد اشتمل ببردة واستوى على جواده وقصد ناحية الجبل، فلم يظهر للناس إلا عند خروج المختار [1].

قال الراوي: وسمعت أُم لقمان بنت عقيل صراخ للنساء، وخرجت ومعها أترابها أُم هاني، وأسماء بنت علي عليه‌السلام وجعلن يندبن الحسين عليه‌السلام.

قال الراوي: وكان دخولهم المدينة يوم الجمعة والخطيب يخطب الناس، فذكروا الحسين عليه‌السلام وما جرى عليه، فتجددت الأحزان، واشتملت المصائب وصار كيوم مات فيه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

---

(1) الظاهر أنه اعتزل الناس حداداً على أبي عبدالله الحسين عليه‌السلام.

قال الراوي: وأقبلت أُم كلثوم إلى مسجد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وهي باكية العين، حزينة القلب، فقالت: السلام عليك يا جدّاه، إني ناعية إليك ولدك الحسين عليه‌السلام، وجعلت تمرغ خديها على المنبر والناس يعزونها.

وفي البحار وغيره، أمّا فخر المخدرات زينب عليهاالسلام فإنها لمّا دخلت المدينة ووقع طرفها على قبر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم صرخت وبكت وأخذت بعضادتي باب المسجد ونادت: يا جدّاه إنّي ناعية إليك أخي الحسين عليه‌السلام وهي مع ذلك لا تجف لها عبرة ولا تفتر من البكاء والنحيب.

قال: وأقبلت أُم كلثوم الى قبر أُمها فاطمة الزهراء، ورمت بنفسها على القبر وهي تقول: يا أُمّاه أُعزّيك بولدك الحسين عليه‌السلام فقد قتلوه عطشانا:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلا وقد مات عطشانا بشط فرات

إذاً للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الفلوات [1]

قال أرباب المقاتل: ولبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حر ولا برد، وما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت ولا رؤي في دار هاشمي دخان خمس حجج، كل ذلك حزناً على أبي عبدالله الحسين عليه‌السلام، وكانت رباب زوجة أبي عبدالله الحسين عليه‌السلام تبكي الليل والنهار على أبي عبدالله، وأمرت بسقف البيت فاقتلعوه، وكانت تجلس في حرارة الشمس وتنوح على الحسين عليه‌السلام، وقد خطبها يزيد بن معاوية والأشراف من قريش، فقالت: لا والله ما

(1) البيتان من القصيدة التائية الشهيرة وهي للشاعر العملاق دعبل بن علي الخزاعي المتوفى سنة 246 هـ ومطلعها كما في ديوانه:

تجاوبن بالأرنان والزفرات نوائح عجم اللفظ والنطقات

كنت لأتخذ حماً آخر بعد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم [1] وكانت ترثي الحسين عليه‌السلام بأشجى رثاء فمن قولها:

إن الذي كان نوراً يُستضاء به	بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة	عنّا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به	وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن	يغني ويأوى إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً لصهركم	حتى اُوسد بين الرمل والطين

وأمّا اُم البنين اُم العباس فإنّها كانت ترثي الحسين عليه‌السلام وترثي أولادها وتندبهم بأشجى ندبة، وكانت تخرج إلى البقيع كلّ يوم فيجتمع الناس لسماع رثائها وفيهم مروان بن الحكم فيبكون لشجي الندبة، فمن قولها:

لا تدعوّني ويك اُمّ البنين	تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي ادعى بهم	واليوم اصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربي	قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم	فكلّهم أمسى صريعاً طعين
يا ليت شعري أكما أخبروا	بأنّ عباساً قطيع اليمين

ومن رثاها في ولدها العباس عليه‌السلام عليه‌السلام:

يا من رأى العباس كر	على جماهير النقد [2]

(1) قيل: إن الرباب عاشت سنة بعد الحسين عليه‌السلام ثم ماتت كمداً ولم تستظل بسقف أبداً.

(2) النقد - بالتحريك - قسم من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه.

ووراءه أبناء حيدر كلّ ليث ذي لبد [1]

اُنبئت أنّ ابني اُصيب برأسه مقطوع يد

ويلي على شبلي أما ل برأسه ضرب العمد

لو كان سيفك في يد يك لما دنا منه أحد

بلى والله يا اُمّ البنين، إن ولدك العباس:

قطعوا يديه وهامه فضخوه في عمد الحديد فخر خير طعين [2]

---

(1) اللّبد - بفتحتين - الصوف المتلبد أو الشعر الكثير.

(2) من قصيدة عصماء في رثاء مولانا أبي الفضل العباس عليه‌السلام للمغفور له الشيخ حسن قفطان المتوفى سنة 1269 هـ ومطلعها:

هيهات أن يجفو السُهاد عيوني أو أنّ داعية الأسى تجفوني

المطلب الحادي والعشرون

في واقعة الحرّة [1]

قال ابن جرير الطبري في تاريخه [2] وابن الأثير في الكامل: أنّه لمّا قتل الحسين عليه‌السلام وثار نجدة بن عامر الحنفي باليمامة، وثار ابن الزبير بالحجاز، وفي سنة احدى وستين عزل يزيد بن معاوية عمر بن سعد عن أمرة الحجاز، وبعث الوليد بن عتبة، ثم في سنة اثنتين وستين عزل الوليد بن عتبة، وولّى عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وهو حدث غر، فبعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة، فلمّا قدموا على يزيد أكرمهم ولمّا رجعوا إلى المدينة قاموا فأظهروا عيب يزيد وشحّه، وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الخراب وهم اللصوص. وكان أحد أُولئك النفر الوفد عبدالله بن حنظلة الأنصاري رحمه‌الله وكان شريفاً فاضلاً عابداً وكانوا يدعونه ابن غسيل الملائكة، وكانت عنده ثمانية بنين، فقال: قد جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلّا بنيّ هؤلاء لجاهدته لهم، وقد اعطاني وما قبلت عطاءه إلّا لأتقوّى به.

(1) في القاموس - الحرّة - موضع بظاهر المدينة، وبها كانت واقعة الحر أيّام يزيد بن معاوية.
(2) انظر ج 4 ص 367.

قال: فخلع الناس يزيد بن معاوية، وولّوا عليهم عبدالله بن حنظلة الغسيل، ودخلت سنة ثلاث وستّين، فأخرج أهل المدينة عثمان بن محمّد بن أبي سفيان، ومن المدينة من بني أُمية ومواليهم وهم أكثر من ألف رجل، فلمّا سمع يزيد بن معاوية خرج بعد العتمة ومعه شمعتان شمعة عن يمينه وشمعة عن يساره، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، يا أهل الشام فإنّه كتب إليّ عثمان بن محمد أنّ أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة، ووالله لإن تقع الخضراء على الغبراء أحبّ إليّ من هذا الخبر، ثم نزل، وكان معاوية قد أوصاه، وقال له: إنّ دهمك أمر عليك بأعور بني مرّة فاستشره - يعني مسلم بن عقبة المرّي - فأرسل على مسلم بن عقبة المرّي، وقال له إنّي مرسلك إلى أهل المدينة.

قال أرباب التاريخ: وجهز له ثلاثين ألفا، وقال له: سر إليهم [1].

قال: وقبل أن يخرج من الشام مرض مسلم بن عقبة، فدخل عليه يزيد يعوده، وقال له: قد كنت وجهتك لهذا البعث، وكان أمير المؤمنين - يعني معاوية - أوصاني بك وأراك مدفناً وليس فيك سفر. فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله إليّ، انما أنا امرؤ وليس بي بأس، ثم أمر فحمل على سرير وسار بالجيش حتى وافوا المدينة، ومرّوا بمكان أرادوا النزول به، فقال مسلم: ما اسم هذا المكان؟ فقيل له: البتراء. فقال: لا تنزلوا به، ثم ساروا به حتى نزلوا الحرّة وأحدق الجيش بالمدينة، فوجدوا أهل المدينة قد خندقوا وأجلسوا الرجال على أفواه الخنادق.

---

(1) قال ابن كثير في البداية والنهاية: وقد أخطأ يزيد في أمر مسلم بن عقبة بأباحته المدينة ثلاثة أيام خطأ كبيراً، فإنه وقع في هذه الأيام الثلاثة من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف ممّا لا يعلمه إلّا الله عزّوجلّ، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه ودوام أيّام فعوقب بنقيض قصده، فقصمه الله قاصم الجبابرة وأخذه أخذ عزيز مقتدر.

قال الراوي: وجاء مروان بن الحكم وكلّم رجلاً من بني حارثة، وقال له: افتح لنا طريقاً فإن فعلت ذلك أكتب إلى يزيد بن معاوية وأضمن لك شطر ما كان يبذل لأهل المدينة بالعطاء، ففتح له طرقاً، واقتحمت خيل أهل الشام، فجاء الخبر إلى عبدالله بن حنظلة، فأقبل ومعه أهل المدينة فاقتتلوا ساعة حتى لحق الجيش وانهزم أهل المدينة بعد جلاد عظيم، فلمّا رأى عبدالله بن حنظلة، ذلك أخذ يقدم بنيه واحداً بعد واحد، حتى قتلوا بين يديه، وكان عليه يومئذ درعان طرحهما، وجعل يقاتل وهو حاسر، حتى قتل، فلمّا قتل عبدالله بن حنظلة صار أهل المدينة كالأغنام بلا راع، وجعل مسلم يقول لأصحابه: من جاء برأس رجل فله كذا وكذا، وجعله يغري قوماً لا دين لهم، فقتلوا وظهروا على أكثر المدينة، وجالت خيولهم فيها، وجعلوا يقتلون وينهبون.

قال الراوي: فما تركوا شيئاً ما نهبوه حتى الحمام والدجاج، وكانوا يدخلون في البيت ويقتلون الرجال ويهتكون النساء.

قال أبو معشر: ودخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء نساء الأنصار، ومعها صبي فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً، فقال: والله لتخرجين إليّ شيئاً أو لأقتلنّك وصبيّك هذا، فقالت له: ويحك بايعت رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم يوم بيعة الشجرة على أن لا أزني ولا أسرق ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان افتريه، فما أتيت شيئاً فاتّق الله فيّ وفي ولدي، ثم قال لابنها: يا بني والله لو كان عندي شيء لافتديتك به. قال: فأخذ الشامي برجلي الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها وضرب به الحائط، فانتثر دماغه في الأرض. قال: ولم يخرج من البيت حتى اسودّ وجهه.

وقال ابن أبي الحديد، لمّا قدم جيش الحرة إلى المدينة وعلى الجيش مسلم بن عقبة المرّي، أباح المدينة ثلاثاً واستعرض أهلها بالسيف جزراً، كما

يجزر القصّاب الغنم حتى ساخت الأقدام بالدم، وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرّية أهل بدر، وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين على أنه عبد قنّ لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية.

قال ابن أبي الحديد: هكذا كانت صورة المبايعة يوم الحرّة إلّا علي بن الحسين بن علي عليه‌السلام، فإنّه اعظمه وأجلسه معه على سريره وكان ذلك بوصية من يزيد بن معاوية.

وذكر أبو المؤيد أبو الفداء في تاريخه قال: وأباح مسلم مدينة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ثلاثة أيام يقتلون فيها الناس ويأخذون ما بها من الأموال ويفسقون بالنساء.

وعن الزهري: أنّ قتلى الحرّة كانوا سبعمائة من وجوه الناس من قريش والمهاجرين والأنصار، وعشرة آلاف من وجوه الموالي [1].

هذه أفعال يزيد وأتباعه بالأُمّة، وكان قد حكم ثلاث سنين، ففي السنة الأولى قتل الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنّة وريحانة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وفي السنة الثانية أباح المدينة وقتل فيها أولاد المهاجرين والأنصار، وأكثر فيها السفك والهتك، وفي السنة الثالثة رمى الكعبة بالمنجنيق حتى أحرق أستار الكعبة. [2]

---

(1) كانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستّين من الهجرة.

(2) (فائدة): كان جابر بن عبدالله الأنصاري يومئذ قد ذهب بصره، فجعل ينادي في أزقّة المدينة: بعس من أخاف الله ورسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم. فقال له رجل: ومن أخاف الله ورسوله؟ قال: سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول: من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي، فحمل رجل عليه بالسيف فترامى عليه مروان فأجاره أن يدخله منزله ويغلق عليه بابه.

(فائدة): وهجموا على أبي سعيد الخدري داره، وكان الذي هجم عليه نفر من أهل الشام. فقالوا له: أيها الشيخ من أنت؟ قال: أنا أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم. فقالوا: ما زلنا نسمع عنك قبحظك أخذت في تركك قتالنا، وكفّك عنا، ولزوم بيتك، ولكن أخرج =

لم أدر أين رجال المسلمين مضوا | وكيف صار يزيد بينهم ملكا
العاصر الخمر من لؤم بعنصره | ومن خساسة طبع يعصر الودكا [1]

* * *

أيمسي يزيد رافلا في حريره | ويمسي حسيناً عارياً في حرورها
معرى بالهجيرة لا يواري | مخلّاً عن قريب أو حبيب

= إلينا ما عندك، قال: والله ما عندي شيء من المال. قال الراوي: فنتفوا لحيته وضربوه ضربات، ثم أخذوا كلّما وجدوه في بيته حتى النوم حتى زوج حمام كان له.

(فائدة): وقال شاعر المدينة مخاطباً بني أمية وهو محمّد ابن أسلم:

فإن تقتلونا يوم حرّة وأقم | فنحن على الإسلام أوّل من قتل
ونحن تركناكم ببدر أذلّة | وإبنا بأسياف لنا منكم تفل

(1) للشاعر الماهر السيد جعفر الحلي رحمه‌الله المتوفى 1315 هـ والبيتان من قصيدبه المشهورة التي استهلها بقوله:

الله أي دم في كربلاء سُفِكا | لم يجرِ في الأرض حتّى أوقف الفلكا

المطلب الثاني والعشرون

في مكاتبة ابن عباس ويزيد لعنه الله

ذكر السبط بن الجوزي في كتابه التذكرة [1]، قال: لمّا وصل خبر قتل الحسين عليه‌السلام إلى مكة، وبلغ عبدالله بن الزبير، خطب بمكة وقال: أمّا بعد، ألا إنّ أهل العراق قوم غدر وفجر، ألا وإنّ أهل الكوفة شرارهم، أنّهم دعوا الحسين ليولّوه عليهم وليقيم أُمورهم، وينصرهم على عدوّهم ويعيد معالم الإسلام، فلمّا قدم عليهم ثاروا عليه فقتلوه، وقالوا له: إن لم تضع يدك في يد الفاجر الملعون ابن زياد فيرى فيك رأيه قتلناك ومن معك، فاختار الوفاة الكريمة على الحياة الذميمة، فرحم الله حسينا، وأخزى قاتليه ولعن من أمر بذلك ورضي به، أفبعد ما جرى على أبي عبدالله يطمئن أحد إلى هؤلاء، أو يقبل عهود الفجر والغدر، أما والله لقد كان عليه‌السلام صوّاماً بالنهار، وقواماً بالليل، وأولى بنبيّهم من الفاجر بن الفاجر، والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء، ولابكاء من خشية الله الحدآء، ولا بالصيام شرب الخمور، ولا بقيام الليل الزمور، ولا بمجالس الذكر الركض في طلب الصيد واللعب بالقرود، قتلوه فسوف يلقون غيّاً، ألا لعنة الله على الظالمين.

قال أرباب التاريخ: ودعا ابن الزبير بعد قتل الحسين عليه‌السلام عبيدالله بن عباس

(1) انظر ص 267.

ليبايعه، فامتنع ابن عباس أشدّ الامتناع، فبلغ امتناعه يزيد بن معاوية، فكتب إليه كتاباً يشكره فيه على امتناعه من البيعة لابن الزبير، ويقول فيه: أمّا بعد فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته والدخول في طاعته لتكون له على الباطل ظهيراً، وفي المآثم شريكا، وإنّك اعتصمت ببيعتنا وفاءاً منك لنا، وطاعة لله لما عرّفك من حقّنا، فجزاك الله عن ذي رحم ما يجزي الواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم، وإن أنس شيئاً من الأشياء فلست بناس برّك وتعجيل صلتك بالذي أنت له أهل من القرابة من الرسول، فانظر من طلع عليك من الآفاق ممّن سحرهم ابن الزبير بلسانه، وزخارف قوله فأعلمهم برأيك فإنّهم منك أسمع ولك أطوع، من المحلّ للحرم المارق.

ولما ورد على ابن عباس كتاب يزيد، كتب إليه: أمّا بعد، فقد جاءني كتابك، تذكر دعاء ابن الزبير إيّاي إلى بيعته، والدخول في طاعته، فإن يكن ذلك كذلك فإنّي والله لا أرجوا بذلك برّك ولا حمدك، ولكن الله بالذي أنوي به عليم، وزعمت أنّك غير ناس برّي وتعجيل صلتي، فاحبس أيها الإنسان برّك وتعجيل صلتك، فإنّني حابس عنك ودّي، فلعمري ما تؤتينا مالنا قبلك من حقّنا إلّا اليسير، وإنّك لتحبس عنا منه العرض الطويل، وسألت أن أحثّ الناس إليك، وأن آخذ لهم من ابن الزبير، فلا ولاء ولا سرور، ولا حباء، إنّك تسئلني نصرتك وتحثّني على ودّك وقد قتلت حسيناً عليهالسلام وفتيان عبدالمطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام، وغادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد، مرمّلين بالدماء مسلوبين بالعراء، لا مكفّنين ولا موسّدين، تسفي عليهم الرياح وتنتابهم عرج الضباع، حتى أتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم، واروهم بالتراب، وجلست مجلسك الذي جلست، فإن أنس من الأشياء فلست بناس طردك حسيناً عن حرم رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم إلى حرم الله، وتسييرك إليه الرجال لتقتله في الحرم، فما زلت بذلك وعلى ذلك حتى

أشخصته من مكة إلى العراق، فخرج خائفاً يترقب، فزلزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله وأهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ونحن أُولئك لا آباؤك الأجلاف الجفاة الطغاة الكفرة الفجرة أكباد الإبل والحمير، أعداء الله ورسوله الذين قاتلوا رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم في كلّ موطن، ثم إنّه بعد ما نزل بالعراق طلب إليكم الموادعة وسئلكم الرجعة فاغتنمتم قلّة أنصاره، واستيصار أهل بيته، وتعاونتم عليه كأنّكم قتلتم أهل بيت من الترك والديلم، فلا شيء أعجب عندي من طلبتك ودّي، وقد قتلت ولد أبي وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثاري فإنشاء الله لا يبطل لديك دمي، ولا تسبقني بثاري، وإن سبقتني في الدنيا فقبل ذلك قد قُتل النبيون وآل النبيين، فيطلب الله بدمائهم فكفى بالله للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقما، فلا يعجبك إن ظفرت بنا اليوم فلنظفرنّ بك يوماً، وذكرت وفائي وما عرّفتني من حقّك فإن يك ذلك كذلك، فقد والله بايعتك ومَن قبلك وإنّك لتعلم أنّي وولد أبي أحق بهذا الأمر منك، ولكنّكم معشر قريش كابرتمونا عن حقّنا، وولّيتم الأمر دوننا فبعداً لمن تحرّى ظلمنا واستغوى السفهاء علينا، كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، ألا وإنّ من أعجب الأعاجيب وما عسى أن أعجب حملك بنات عبدالمطلب وأطفالا صغاراً من ولده إليك بالشام، كالسبي المجلوبين، ترى الناس أنّك قهرتنا وأنت تمنّ علينا، وفي ظنّك أنّك أخذت بثار أهلك الكفرة الفجرة يوم بدر، وأظهرت الأنتقام الذي كنت تخفيه والأضغان التي تكمنها في قلبك، كمون النار في الزناد، وجعلت أنت وأبوك دم عثمان وسيلة إلى ظهارها، فالويل لك من ديّان يوم الدين، ولعمري والله فلا كنت تصبح آمناً من جراحة يدي، إنّي لأرجو أن يعظّم الله جرحك من لساني ونقضي وإبرامي وبغيّك ولكثكث، وأنت المفنّد المثبور، ولك الأثلب، وأنت المذموم، والله ما أنا بآيس من بعد قتلك ولد رسول الله أن يأخذك الله أخذاً أليما ويخرجك من الدنيا مذموماً

مدحورا، فعش لا أباً لك ما استطعت، فقد والله ازددت عند الله أضعافاً واقترفت مأثماً والسلام على من اتبع الهدى.

يقول ابن عباس في كتابه هذا: يا يزيد، وإن أنس من الأشياء فلست بناس طردك حسيناً عن حرم رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم إلى قوله: ومن أعجب الأعاجيب وما عسى أن أعجب حملك بنات عبدالمطلب وأطفالاً صغاراً من ولده إليك، بلى والله لقد حملوهنّ على أعجاف الإبل اسارى بلا محام ولا كفيل.

حملت على الأكوار بعد خدورها   الله ماذا تحمل الأكوار [1]

---

(1) من قصيدة عامرة لأمير شعراء الرثاء السيد حيدر الحلي رحمهالله مطلعها:

لا تحذرن فما يقيك حذارُ   إن كان حتفك ساقَهُ المِقدارُ

المطلب الثالث والعشرون

في ثورة العراقيين على ابن زياد لعنه الله

قال ابن قتيبة [1]: كان ابن زياد أول من ضم إليه الكوفة والبصرة، وكان أبوه زياد كذلك قبله، ولما هلك يزيد بن معاوية وأظهر ابن الزبير أمره وخلع أهل البصرة طاعة بني أمية وبايعوا ابن الزبير، خرج عبيد الله بن زياد إلى المسجد، وقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إن الذي كنا نقاتل على طاعته قد مات، واختلف أمر الناس وتشتّت كلمتهم وانشقّت عصاهم، فإن أمّرتموني عليكم حبّبت فيكم وقاتلت عدوّكم وحكمت بينكم وأنصفت مظلومكم، وأخذت على يد ظالمكم، حتى يجتمع الناس على خليفة.

فقام يزيد بن الحارث، بن رويم اليشكري، وقال: الحمد لله الذي أراحنا من بني أمية وأُخرى من ابن سمية، لا والله ولا كرامة. قال: فأمر عبيدالله فلبّب ثم انطلق به إلى السجن، فقام بكر بن وائل فحال بينه وبين ذلك، ثم خرج الثانية عبيدالله بن زياد الى المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبّوه وقام قوم فدنوا منه فنزل، واجتمع الناس في المسجد فقالوا: نؤمّر رجلاً حتى تجتمع الناس على خليفة، وكان الذين قاموا بأمره هذا الحي الذي من كندة فبينما

(1) في ج 2 ص 19 من كتابه الأمامة السياسة.

هم على ذلك إذ أقبل النساء يبكين وينعين الحسين عليهالسلام وأقبلت همدان حتى ملؤا المسجد فأطافوا بالمنبر متقلّدين بالسيوف، وأجمع رأي أهل الكوفة والبصرة على عامر بن مسعود بن أُمية، فأمروه عليهم حتى يجتمع الناس، وكتبوا إلى عبدالله بن الزبير يبايعونه بالخلافة، فوجّه لهم عاملاً مكث عندهم سنة كاملة، فبلغ أهل البصرة ما صنع أهل الكوفة فاجتمعوا وأخرجوا الرايات، فلم يبق أحد إلّا وخرج وذلك لسوء آثار عيبدالله ابن زياد فيهم، يطلبون قتله، فلمّا رأى عبيدالله ابن زياد ذلك لم يدر كيف يصنع وخاف تميما وبكر بن وائل أن يستجير بهم، ولم يأمن غدرهم، فأرسل إلى الحارث بن قيس الجهمي من الأزد، فدخل عليه الحارث، فقال له يا حارث قد أكرمتم زياداً وحفظتم منه ما كنتم أهله، وقد استجرت بكم فأنشكم الله فيَّ، فقال الحارث: أخاف أن لا تقدر على الخروج إلينا لما أرى من سوء رأي العامة فيك مع سوء آثارك من الأزد.

قال: فتهيّأ عبيدالله ولبس لباس امرأة في خمرتها وعقيصتها أردفه الحارث خلفه فخرج به على الناس، فقالوا: يا حارث ما هذه؟ قال: تنحّوا رحمكم الله هذه امرأة من أهلي كانت زائرة لأهل ابن زياد أتيت أذهب بها، فقال عبيدالله للحارث: أين نحن؟ قال: في بني سليم، فقال: سلمنا الله، قال: ثم سار قليلاً ثم قال: أين نحن؟ قال: في بني ناجية من الأزد، وجاء به إلى دار مسعود بن عمرو الأزدي، فقال له: يا أبا قيس، قد جئتك بعبيدالله مستجيراً، قال: ولم جئتني بالعبد؟ قال: اشهد الله لقد اختارك على غيرك، فلمّا رآهم عبيدالله يتراضون ويتناشدون، قال قد بلغني الجهد والجوع، فقال مسعود: يا غلام أنت البقال، فآتنا من خبزة وتمره.

قال الراوي: فجاء به الغلام فوضع وأكل، وإنّما أراد ابن زياد أن يتحرّم بطعامه، ثم قال: ادخل فدخل ومنارات الناس يومئذ من القصب وكان منزل مسعود يومئذ قاصية، قال: فكأن عبيدالله خاف على نفسه، فقال: يا غلام اصعد

إلى السطح بحزمة من قصب فاشعل أعلاه ناراً، ففعل ذلك في جوف الليل، فأقبلت الأزد على الخيل، وعلى أرجلها، حتى شحنوا السكك وملئوها، فقال: ما لسيّدنا؟ قال: شيء حدث في الدار، قال: فعرف عبيدالله عزته وما هو عليه، هذا والله العز والشرف، فأقام عنده أياماً وعنده امرأتان من الأزد وامرأة من عند عبد قيس، فكانت العبدية تقول: أخرجوا العبد، وكانت الأزدية تقول: استجار بك على بغضه إيّاك وجفوته لك، وتحدّث الناس أنّه لجأ ابن زياد إلى مسعود بن عمرو، فاجتمعت القبائل في المسجد وتكلّموا في أمر مسعود، وأنّه أجار ابن زياد، فلمّا سمع مسعود، قال: ما ظنّي إلّا خارجاً إلى البصرة معتذراً إليهم من أمر عبيدالله، ثم قال: وكيف آمن عليه وهو في منزله، ولكنّي أبلغه أمنه ثم أمضي وأعتذر اليهم، وكان قد أجار ابن زياد أربعين ليلة، وخرج ابن زياد من عنده متجهاً إلى الشام على طريق السماوة، متخفياً فكان لا يمر على ماء ولا على اناس قط.

قال الراوي: وأقبل مسعود على برذون له وحوله عدة من الأزد عليهم السيوف، وقد عصب رأسه بسير أحمر - وكانت العرب تصنعه إذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب رأسه بالسير ليعلموا أنه معتذر ـ. قال: فأقل مسعود حتى انتهى إلى باب المسجد ومعه أصحابه، وكان لم يستطع النزول لكبره، ودخل المسجد بدابته، فبصرت به القبائل فظنوا أنه عبيدالله فأقبلوا نحوه وجال الناس عليه جولة فضربوه بأسيافهم حتى مات ووقعت الوقعة بين قبيلته الأزد وبين مضر، فهذا مسعود كان سبب قتله، أن أجار ابن زياد الفاسق، وإن كان قتلهم له خطأ ولا يلام هو على ذلك، إذ أن العرب هذا دينهم وهذه سجيّتهم، يجيرون من استجار بهم إلّا اللعين ابن زياد خرم هذه القاعدة، استجار مسلم ابن عقيل بالكوفة فلم يحفظ جواره، لا هو ولا أهل الكوفة بل قاتلوه وقتلوه ورموه من أعلى القصر إلى الأرض.

لو كان في الكوفة غير مسلم ... من مسلم ما قطعوه إربا

المطلب الرابع والعشرون

في ذكر التوابين

قال ابن جرير الطبري [1]، وابن الأثير، وابن كثير في البداية والنهاية: لمّا قتل الحسين عليهالسلام رأى الشيعة بالكوفة أنّهم أخطأوا خطأ كبيراً، وارتكبوا ذنباً عظيماً بعدائهم الحسين عليهالسلام وتركهم نصرته، وأن لا كفّارة في ذلك إلّا الاستماتة دون ثاره، وسموا أنفسهم التوابين لتوبتهم من عظيم ذنبهم، فكانوا أول ما ابتدأوا به أمرهم سنة إحدى وستين جمع آلة الحرب والإستعداد، ودعاء الناس في السرّ إلى الطلب بدم الحسين عليهالسلام، ولم يزالوا على ذلك إلى أن هلك يزيد بن معاوية لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل سنة أربع وستّين، وكان بين قتل الحسين عليهالسلام وهلاك يزيد ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام، وأمير العراق يومئذ عبيدالله بن زياد، وهو بالبصرة، وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومي.

وكان من عيون الشيعة فيها سليمان بن صرد الخزاعي [2] والمسيب بن نجبة

---

(1) في ج 4 ص 426 من كتابه تأريخ الأمم والملوك.

(2) كان سليمان بن صرد الخزاعي صحابياً كبيراً جليلاً عابداً روى عن النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم أحاديث في الصحيحين وغيرهما، وشهد مع علي عليهالسلام صفين، وكان أحد من يجتمع الشيعة في داره لبيعة الحسين عليهالسلام وكتب إليه في من كتب للقدوم إلى العراق.

الفزاري، وعبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي، ورفاعة بن شداد البجلي، وعبدالله بن وال تميمي، فاجتمع هؤلاء في دار سليمان بن صرد الخزاعي ومعهم أُناس كثير، فبدأ سليمان بالكلام، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أمّا بعد فقد ابتلينا بطول العمر والتعرّض للفتن، وقد قال علي عليه‌السلام: العمر الذي أعذر الله فيه ابن آدم ستّون سنة، وليس فينا إلّا من بلغها، وكنّا مغرمين بتذكية أنفسنا ومدح شيعتنا، حتى أبلى الله خيارنا فوجدنا كذّابين في نصرة ابن بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، ولا عذر دون أن تقتلوا قاتليه، فعسى ربنا أن يعفوا عنّا.

فقام رفاعة بن شداد وقال: قد هداك الله إلى صواب القول، ودعوت إلى رشد الأمور جهاد الفاسقين، وإلى التوبة من الذنب، فمسموع منك مستجاب لك مقبول منك، ثم التفت إلى الحاضرين وقال: فإن رأيتم وليّنا هذا شيخ الشيعة وصاحب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم سليمان بن صرد. فقال المسيب: أصبتم ووفّقتم، وأنا أرى الذي رأيتم، فاستعدّوا للحرب، فقاموا وبايعوا سليمان بن صرد.

قال الراوي: وكتب سليمان كتاباً إلى من كان بالمدائن من الشيعة من أهل الكوفة، وبعثه مع عبدالله بن مالك الطائي، الى سعد بن حذيفة بن اليمان، يدعوهم إلى أخذ الثار، فلمّا وقفوا على الكتاب قالوا: رأينا مثل رأيهم، فكتب سعد بن حذيفة الجواب بذلك، وكتب سليمان أيضاً إلى المثنى بن محزمة العبدي كتاباً، فكتب المثنى الجواب، أمّا بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته إخونك فحمدوا رأيك واستجابوا لك، فنحن موافوك للأجل الذي ضربت والسلام عليك، وكتب في أسفل كتابه:

تبصر كأنّي قد أتيتك معلما   على أبلغ الهادي أجش هزيم

طويل القرا نهداً أشق مقلص ملحّ على قاري اللجام رؤم

بكل فتى لا يملأ الدرع نحره محثّ لنار الحرب غير سؤم

أخي ثقة يتغي الإله بسعيه ضروب بنعل السيف غير أثيم

وكتب أيضاً كتاباً إلى البصرة.

قال الراوي: وقوي أمرهم واشتدّت شوكتهم، وصادف أن دخل المختار إلى الكوفة في تلك الأيام راجعاً من مكة، فجعل الناس يقولون: هذا المختار ما قدم إلّا لأمر، ونرجوا به الفرج، ثم إنّه جعل يبعث إلى وجوه الشيعة ويدعوهم لنفسه، فقالوا له: أنت أهل لذلك غير الناس قد بايعوا سليمان بن صرد الخزاعي، فهو شيخ الشيعة اليوم فلا تعجل في أمرك، فسكت المختار وأقام ينتظر ما يكون من أمر سليمان والشيعة حينئذ يريدون أمرهم خوفاً من عبدالملك بن مروان وعبدالله بن الزبير، وكان خوف الشيعة من أهل الكوفة أكثر، لأنّ أكثرهم قتلة الحسين عليه‌السلام.

وصار المختار يخذل الناس عن سليمان ويدعوهم إلى نفسه حتى بايعه جماعة، وكان عبدالله بن الزبير قد جعل من قبله عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمّد بن طلحة، فقال لهما عمر بن سعد وشبث بن ربعي: إنّ المختار أشدّ عليكما، لأنّ سليمان إنّما خرج يقاتل عدوّكما، والمختار إنّما يريد أن يثبت عليكما، فسيروا إليه وأوثقوه بالحديد وخلّدوه في السجن، فما شعر المختار إلّا وقد أحاطوه بداره واستخرجوه، فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة لعبدالله بن يزيد: أوثقه كتافاً ومشّه حافياً، فقال له: لم أفعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حرباً، إنّما أخذناه على الظنّ، فأتى ببلغة له دهماء فركبها وادخلوه السجن.

قال: وخرج سليمان بن صرد ليرحل، فرأى عسكره، فاستقبله فبعث إلى حكيم بن منقذ الكندي، والوليد بن حصين الكناني، في جماعة وأمرهما بالنداء في الكوفة وفي الجامع الكبير: يا لثارات الحسين عليه‌السلام، فخرج جمع كثير إلى سليمان، وكان معه ستة عشر ألف مثبتة أسماؤهم في ديوانه، فلم يحضر منهم سوى أربعة آلاف، فخرج بهم وسار لمحاربة عبيدالله بن زياد (لعنه الله)، فقال له عبدالله بن سعد: إنّ قتلة الحسين كلّهم بالكوفة، منهم عمر بن سعد ورؤوس الأرباع والأشراف والقبائل، وليس بالشام سوى عبيدالله بن زياد، فلم يعبأ برأيه دون أن سار بالرجال عشية الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الثاني، فباتوا ليلتهم بدير الأعور، ثم ساروا فنزلوا على أقساس مالك على شاطئ الفرات وأصبحوا عند قبر الحسين عليه‌السلام، فأقاموا يوماً وليلة يصلّون، ويستغفرون، وينوحون، ويضجّون ضجّة واحدة بالبكاء والعويل، فلم ير يوماً أكثر بكاء، وازدحموا عند الوداع على قبره كازدحام الناس على الحجر الأسود، وقام وهب ابن زمعة الجعفي باكياً على القبر وأنشد أبيات عبدالله بن الحر الجعفي حيث يقول:

يبيت النشاوي من أمية نوماً — وبالطف قتلى لا ينام حميمها

وأضحت قناة الدين في كف ظالم — وإذا أعوج منها جانب لا يقيمها

فأقسمت لا تنفكّ نفسي حزينة — وعيني تبكي لا يجفّ سجومها

حياتي أو تلقى أمية خزية — يذلّ بها حتى الممات قرومها

أقول: فليت هؤلاء الصفوة حضروا إمامهم يوم عاشوراء وقد أحاطت به أعداؤه وهم سبعون ألف، وهو وحيد فريد بلا ناصر ولا معين، قال الشاعر:

يرى قومه صرعى وينظر نسوة تجلببن جلباب البكاء والمآتم

وقال الآخر:

وأضحى يدير السبط عينيه لا يرى سوى جثث منهم على الترب ركد [1]

---

(1) (فائدة): قال ابن جرير الطبري: لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه الى قبر الحسين عليه‌السلام نادوا صيحة واحدة: يا رب إنّا قد خذلنا ابن بنت نبيّنا فاغفر لنا ما مضى، وتب علينا إنّك أنت التوّاب الرحيم، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء والصدّيقين، وإنّا نشهدك يا رب أنّا على مثل ما قتلوه عليه فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين.

(فائدة): كان دخول المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكوفة في النصف من شهر رمضان، وقدم عبدالله بن يزيد الأنصاري أميراً على الكوفة من قبل ابن الزبير لثمان بقين من شهر رمضان، وقدم ابراهيم بن محمّد بن طلحة ومعه على خراج الكوفة فأخذ المختار يبكي الحسين عليه‌السلام ويذكر مصابه فأحبّه الناس وصار يدعوهم الى قتال قتلة الحسين عليه‌السلام ويقول: جئتكم من عند المهدي محمّد بن الحنفية، فرجع إليه طائفة من الشيعة ثم حبسه عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة.

المطلب الخامس والعشرون

في تتمة قضية التوّابين

لمّا خرج سليمان بن صرد الخزاعي من الكوفة بالرجال والعدّة قاصدين الشام، كان مع الناس عبدالله بن عوف الأحمر على فرس كميت يتأكّل تأكّلا وهو يقول:

خرجن يلمعن بنا إرسالا عوابسا وتحمل الأبطالا

نريد أن نلقى بها الإقبالا الفاسقين الغدر الضلّال

وقد رفضنا الأهل والأموالا والخفرات البيض والحجالا

نرجوا به التحفة والنوالا لنرضي المهيمن المفضالا

قال: فساروا حتى أتو هيت ثم خرجوا منها حتى أتوا قرقيسيا، وبلغهم أنّ أهل الشام في عدد كثير، فساروا سيراً مغذا حتى وردوا عين الوردة عن يوم وليلة، ثم قام سليمان بن صرد فوعظهم وذكّرهم دار الآخرة، وقال: إن قتلت فأميركم المسيب بن نجبة، فإن أُصيب فالأمير عبدالله بن سعد بن نفيل، فإن اصيب فأخوه خالد بن سعد، فإن قتل فالأمير عبدالله بن وال، فإن قتل فأميركم رفاعة بن شدّاد، ثم بعث سليمان المسيب بن نجبة في اربعة آلاف فارس وأمره أن يشن عليهم الغارة.
قال حميد بن مسلم: كنت معهم فسرنا يومنا كلّه وليلتنا حتى إذا كان السحر

نزلنا وهومنا، ثم ركبنا وصلّينا الصبح ففرّق العسكر، وبقي معه مائة فارس، فلقي اعرابيا فقال له: كم بيننا وبين القوم؟ قال: ميل [1] وهذا عسكر شراحبيل بن ذي الكلاع من قبل عبيدالله بن زياد في أربعة آلاف، ومن ورائهم الحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف، ومن ورائهم الصلب بن ناجية الغلابي وأربعة آلاف وجمهور العسكر مع عبيدالله بن زياد بالرقة.

قال: فساروا حتى أشرفوا على عسكر الشام، فقال المسيب لأصحابه: كرّوا عليهم، فحمل عليهم عسكر العراق فانهزموا وقتل منهم خلق كثير وغنموا منهم غنيمة عظيمة.

قال: وأمرهم المسيب بالعودة فرجعوا إلى سليمان ووصل الخبر إلى عبيدالله بن زياد فسرّح إليهم الحصين بن نمير وأتبعه بالعساكر حتى نزل في عشرين ألف، وعسكر العراق يومئذ ثلاثة آلاف ومائة لا غير، ثم تهيّأت العساكر للحرب، فكان على ميمنة أهل الشام عبدالله بن الضحاك بن قيس الفهري، وعلى ميسرتهم مخارق بن ربيعة الغنوي، وعلى الجناح شراحبيل بن ذي الكلاع الحميري، وفي القلب الحصين بن نمير السكوني، ثم جعل أهل العراق على ميمنتهم المسيب بن نجبة الفزاري، وعلى ميسرتهم عبدالله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعلى الجناح رفاعة بن شداد البجلي، وعلى القلب الأمير سليمان بن صرد الخزاعي، ووقف العسكر فنادى أهل الشام: ادخلوا في طاعة عبدالملك بن مروان، ونادى أهل العراق: سلموا لنا عبيدالله بن زياد، وأن يخرج الناس من طاعة عبدالملك وآل الزبير، ويسلم الأمر الى أهل بيت نبيّنا، فأبى الفريقان وحمل بعضهم الى بعض وجعل سليمان بن صرد يحرضهم على القتال، ويبشّرهم

(1) الميل أربعة آلاف ذراع وكل ثلاثة أميال فرسخ.

بكرامة الله، ثم كسر جفن سيفه وتقدم نحو أهل الشام وهو يقول:

إليك ربي تبت من ذنوبي وقد علاني في الورى مشيبي

فارحم عبيدا غرما تكذيب واغفر ذنوبي سيّدي وحوبي

قال حميد بن مسلم: حملت ميمنتنا على ميسرتهم، وحملت ميسرتنا على ميمنتهم، وحمل سليمان في القلب فهزمناهم، وظفرنا بهم، وحجز الليل بيننا وبينهم، ثم قاتلناهم في الغد وبعده حتى مضت ثلاثة أيّام، ثم أمر الحصين بن نمير أهل الشام برمي النبل، فأتت السهام كالشرار المتطاير، فقتل سليمان بن صرد، ثم أخذ الراية المسيب بن نجبة، فجعل يقاتل ويقول:

قد علمت ميّالة الذوائب واضحة الخدّين والترائب

إنّي غداة الروع والتغالب أشجع من ذي لبدة مواثب

قطّاع أقران مخوف الجوانب

* * *

فلم يزل يقاتل حتى تكاثروا عليه فقتلوه، ثم أخذ الراية عبدالله بن سعد بن نفيل، فحمل على القوم وهو يقول:

ارحم الهي عبدالله التوّابا ولا تؤاخذه فقد أنابا

وفارق الأهلين والأحبابا يرجو بلك الفوز والثوابا

فلم يزل يقاتل حتى قتل، ثم تقدم أخوه خالد بن سعيد بالراية، وحرّض أصحابه على القتال، وقاتل حتى قتل، وتقدم عبدالله بن وال، فأخذ الراية وقاتل حتى قطعت يده اليسرى، ثم استند إلى أصحابه ويده تشخب دماً، ثم كرّ عليهم وهو يقول:

نفسي فداكم اذكروا الميثاقا وصابروهم واحذرو النفاقا

لا كوفة نبغي ولا عراقا لا بل نريد الموت والعناقا

قاتل حتى قتل، فبينا هم كذلك إذ جائتهم النجدة مع المثنى بن مخرمة العبدي من البصرة، ومن المدائن مع كثير بن عمرو الحنفي، فاشتدت قلوب أهل العراق بهم، واجتمعوا وكبّروا وأشتد القال حتى بان في أهل العراق الضعف والقلّة وتحدّثوا في ترك القتال، فبعضهم وافق وبعضهم قال: إن وليّنا ركبنا السيف فلا نمشي فرسخاً حتى لا يبقى منّا واحد، وإنّما نقاتل حتى يأتي الليل ونمضي، ثم تقدم عبدالله بن عوف إلى الراية فرفعها واقتتلوا أشد قتال فقتل جماعة من أهل العراق، وجاء أدهم بن محرز الباهلي في نحو عشرة آلاف مدداً من ابن زياد، فاقتتلوا يوم الجمعة إلى ارتفاع الضحى، ثم إنّ أهل الشام كثروا أصحاب سليمان وتعطّفوا عليهم من كل جانب، وانفلت الجموع وافترق الناس، وبان الإنكسار بأهل العراق فتراجعوا حتى وصلوا قرقيسا في جانب البر، وجاء سعد بن حذيفة إلى هيت، فلقيه الأعراب فأخبروه بما لقي الناس، ثم عاد أهل المدائن وأهل الكوفة إلى بلادهم، وقد أدّوا ما عليهم، فمن استشهد منهم سعد في الدارين ومن لم يقتل منهم فقد أدّى ما عليه [1] لكنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه أصحاب أبي عبدالله الحسين عليه‌السلام يوم عاشوراء فإنّهم جاهدوا دونه حتى جزروا على الأرض فوقف عليهم الحسين عليه‌السلام وجعل يناديهم بأسمائهم ولسان حاله يقول:

أحبّاي لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ما على الموت معتب

---

(1) قتل سليمان بن صرد ومن قتل معه من التوابين بعين الوردة في ربيع الآخر سنة خمس وستّين.

(فائدة): قال السبط ابن الجوزي في التذكرة: كان سليمان بن صرد له شرف في قومه، ولمّا قبض رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم تحوّل فنزل الكوفة وشهد مع علي عليه‌السلام الجمل وصفين، وكان في الذين كتبوا الى الحسين عليه‌السلام أن يقدم إلى الكوفة غير أنّه لم يقاتل معه حيث سجنه ابن زياد وكان سن سليمان بن صرد يوم قتل ثلاثاً وتسعين سنة.

المطلب السادس والعشرون

في تتمة ذكر التوّابين

ذكر الطبري [1] عن عبدالرحمن بن غزية قال: لمّا انتهينا إلى قبر الحسين عليهالسلام بكى الناس بأجمعهم وسمعت جلّ الناس يتمنون أنّهم كانوا أُصيبوا معه، فقال سليمان: اللّهمّ ارحم حسيناً الشهيد بن الشهيد، المهدي بن المهدي، الصدّيق بن الصدّيق، اللّهمّ إنّا نشهدك أنّا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم، وأولياء محبّيهم.

قال: فأقاموا عنده يوم وليلة، يصلّون عليه ويبكون ويتضرعون، فما انفكّ الناس من يومهم ذلك يترحّمون عليه وعلى أصحابه حتى صلّو الغداة عنده قبره وزاده ذلك حنقاً، ثم ركبوا فأمر سليمان الناس بالمسير فجعل الرجل لا يمضي حتى يأتي قبر الحسين عليهالسلام فيعول عليه ويترحم عليه، ويستغفر له.

قال الراوي: فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود.

قال: ووقف سليمان عند قبره فكلّما دعا قوم وترحموا عليه قال لهم المسيب بن نجبة وسليمان بن صرد: الحقوا بإخوانكم رحمكم الله، فما زال

---

(1) انظر ج 4 ص 456.

كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من أصحابه، فأحاط سليمان بالقبر، فقال سليمان: الحمدلله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين عليه‌السلام، اللّهمَّ إن حرمتناها معه، فلا تحرمناها فيه بعده.

قال: ثم إنّ سليمان سار من موضع قبر الحسين عليه‌السلام وسرنا معه فأخذنا على الجصاصة ثم على الأنبار، ثم على الصدود، ثم على القيارة وجاؤوا يجدّون السير حتى وافوا هيت، وجاءهم كتاب من عبدالله بن يزيد من الكوفة يحذّرهم المسير، ويدعوهم إلى اتباع ابن الزبير، فكتب إليه سليمان:

بسم الله الرحمن الرحيم

للأمير عبدالله بن يزيد من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين؛ سلام عليكم

أمّا بعد... فقد قرأنا كتابك وفهمنا ما نويت، فنعم والله الوالي ونعم الأمير، ونعم أخو العشيرة أنت، والله من نأمنه بالغيب ونستنصحه في المشورة، ونحمده على كلّ حال إنّا سمعنا الله عزوجل يقول في كتبه: (إِنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنّ لَهُمُ الْجَنّةَ) إلى قوله: (وَبَشّرِ الْمُؤْمِنِينَ) [1] إنّ القوم قد استبشروا ببيعتهم التي بايعوا، أنّهم قد تابوا من عظيم جرمهم إلى الله وتوكّلوا عليه، ورضوا بما قضى الله، (رَبّنَا عَلَيْكَ تَوَكّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [2] والسلام عليك.

فلمّا أتاه هذا الكتاب قال: استمات القوم أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم، وأيم الله ليقتلنّ كراماً مسلمين، لا والذي هو ربهم، لا يقتلهم عدوّهم حتى تشتدّ شوكتهم وتكثر القتلى فيما بينهم.

---

(1) سورة التوبة: 111.
(2) سورة الممتحنة: 4.

قال عبد الرحمن بن غزية: وخرجنا من هيت وانتهينا إلى قرقيسا، فلمّا دنونا منها وقف سليمان بن صرد فعبأنا تعبئة حسنة حتى مررنا بجانب قرقيسيا فنزلنا قريباً منها وبها زفر بن الحارث الكلابي قد تحصّن بها من القوم، ولم يخرج إليهم فبعث سليمان المسيب بن نجبة، فقال: أئت ابن عمّك هذا، فقل له: فليخرج إلينا سوقا فأنّا لسنا إيّاه نريد، إنّما صمدنا لهؤلاء المحلّين فخرج المسيب ابن نجبة حتى انتهى إلى باب قرقيسيا، فقال: افتحوا الباب ممّن تحصنون! فقالوا: من أنت؟ قال: أنا المسيب بن نجبة، فأتى الهذيل بن زفر إياه، فقال: هذا رجل حسن الهيأة يستأذن عليك وسألناه من هو، فقال: المسيب بن نجبة، قال: وأنا إذ ذلك لا علم لي بالناس ولا أعلم أي الناس هو، فقال لي أبي: أما تدري أي بني من هذا؟ هذا فارس مضر الحمراء كلّها، وإذا عدّ من أشرافها عشرة كان أحدهم، وهو بعد رجل ناسك له دين، إئذن له.

قال: فأذن له ودخل فأجلسه أبي إلى جانبه وسأله ولا طفه في المسألة، فقال المسيب بن نجبة: ممّن تحصن، إنّا والله ما إيّاكم نريد، وما اعترينا إلي شيء إلّا أن تعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحلّين، فاخرج لنا سوقاً فإنّا لا نقيم بساحتكم إلّا يوماً أو بعض يوم، فقال له زفر بن الحارث: إنا لم نغلق هذه الأبواب إلّا لنعلم أيّانا اعتريتم أم غيرنا، إنّا والله ما بنا عجز من الناس ما لم تدهمنا حيلة، وما نحبّ أنّا بلينا بقتالكم، وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة حسنة جميلة، ثم دعى ابنه فأمره أن يصنع لهم سوقاً، وأمر المسيب بألف درهم وفرس، فقال له المسيب: أمّا المال فلا حاجة لي فيه، والله ما له خرجنا ولا إيّاه طلبنا، وأمّا الفرس فإني أقبله لعليّ أحتاج إليه إن ظلع فرسي أو غمز تحتي، فخرج به حتى أتى أصحابه، وأخرجت لهم السوق فتسوّقوا.

وبعث زفر بن الحارث إلى المسيب بن نجبة بعد اخراج السوق والأعلاف

والطعام الكثير بعشرين جزوراً، وبعث إلى سليمان بن صرد مثل ذلك، وقد كان زفر أمر ابنه أن يسأل عن وجوه أهل العسكر، فسمّي له عبدالله بن سعد بن نفيل وعبدالله بن وال، ورفاعة بن شداد، وسمّي له امراء الأرباع، فبعث إلى هؤلاء الرؤوس الثلاثة بعشر جزائر، وعلف كثير وطعام، وأخرج للعسكر عيراً عظيمة وشعيراً كثيراً، فقال غلمان زفر: هذه عير فاجتزروا منها ما أحببتم، وهذا شعير فاحتملوا منه ما أردتم، وهذا دقيق فتزودوا منه ما أطقتم، فظلّ القوم يومهم ذلك مخصبين، لن يحتاجوا إلى شراء شيء من هذه الأسواق التي وضعت، وقد كفّوا اللحم والدقيق والشعير إلّا أن يشتري الرجل ثوباً أو سوطاً.

ثم ارتحلوا من الغد وبعث إليهم زفر أني خارج إليكم مشيعكم، فأتاهم وقد خرجوا على تعبئة حسنة فسايرهم، فقال زفر لسلمان: إنّه قد بعث خمسة امراء، قد فصلوا من الرقة، فيهم الحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن ذي الكلاع، وأدهم بن محرز الباهلي، وأبو مالك بن أدهم، وربيعة بن المخارق الغنوي، وجبلة بن عبدالله الخثعمي، وقد جاءكم في مثل الشوك والشجر أتاكم عدد كثير وحدّ حديد، وأيم الله لقلّ ما رأيت رجلاً أحسن هيأة ولا عدّة ولا أخلق لكلّ خير من رجال أراهم معك، ولكنّه قد بلغني أنّه قد أقبلت إليكم عدّة لا تحصى، فقال ابن صرد: على الله توكّلنا وعليه يتوكّل المتوكلون.

ثم قال له زفر: فهل لكم في أمر أعرضه عليكم لعل الله أن يجعل لنا ولكم فيه خيراً، إن شئتم فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها، فكان أمرنا واحد وأيدينا واحدة، وإن شئتم نزلتم على باب مدينتنا وأخرجنا معسكرنا إلى جانبكم فإذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعا، فقال سليمان لزفر: قد أرادنا أهل مصرنا على ما أردتنا عليه، وذركوا مثل الذي ذكرت، وكتبوا إلينا به بعد ما فصلنا، فلم يوفقنا ذلك فلسنا فاعلين. فقال زفر: فانظروا ما أُشير به عليكم فاقبلوه وخذوا به فإنّي للقوم عدوّ وأحبّ أن يجعل الله عليهم الدائرة وأنا لكم وادّ، أحبّ أن يحوطكم الله

بالعافية، إن القوم قد فصلوا من الرقة فبادروهم إلى عين الوردة، فاجعلوا المدينة في ظهوركم، ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم، وما بين مدينتنا ومدينتكم، فأنتم له آمنون، والله لو أنّ خيولي كرجالي لأمددتكم أطووا المنازل الساعة إلى عين الوردة، فإنّ القوم يسيرون سير العساكر، وأنتم على خيول، والله لقلّ ما رأيت جماعة خيل قط أكرم منها تأهّبوا لها من يومكم هذا، فإنّي أرجوا أن تستبقوهم إليها، وإن بدرتموهم إلى عين الوردة، فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم فإنّهم أكثر منكم، فلا آمن أن يحيطوا بكم فإنّه ليس لكم مثل عددهم، فإن استهدفتم لهم لم يلبثوا أن يصرعوكم ولا تصفّوا لهم حين تقاتلوهم، فإنّي لا أرى معكم رجاله، ولا أراكم كلكم إلّا فرساناً، والقوم لاقوكم بالرجال والفرسان، فالفرسان تحمي رجالها، والرجال تحمي فرسانها، وأنتم ليس لكم رجال تحمى فرسانكم، فالقوهم في الكتائب والمقانب، ثم بثوّها ما بين ميمنتهم وميسرتهم، واجعلوا مع كل كتيبة كتيبة إلى جانبها فإن حمل على إحدى الكتيبتين ترجّلت الأخرى فنفست عنها الخيل والرجال، ومتى ما شاءت كتيبة ارتفعت، ومتى ما شاءت كتيبة انحطّت، ولو كنتم في صفّ واحد فزحفت إليكم الرجال فدفعتم عن الصفّ انتقض وكانت الهزيمة، ثم وقف فودّعهم، وسأل الله أن يصحبهم وينصرهم، فأثنى الناس عليه ودعوا له. فقال له سليمان بن صرد: نعم المنزول به أنت، أكرمت النزول وأحسنت الضيافة ونصحت في المشورة.

وهذه سجايا العرب وأهل الشرف إذ حلّ بهم ضيف ونزل بساحتهم أجاروه وأكرموه ونصحوا له - لعن الله أهل الكوفة فلقد نزل بساحتهم سيّد شباب أهل الجنة وحلّ بين ظهرانيهم فبدل أن يحسنوا له حلؤه هو وأطفاله عن ماء الفرات وأخذوا عليه الشرائع وتركوا أطفاله يتضاغون من العطش حتى قتلوه عطشاناً...

فعزّ أن تتلظّى بينهم عطشا والماء يصدر عنه الوحش ريّانا

المطلب السابع والعشرون

في تتمة قضية التوّابين

لما ارتحل سليمان بن صرد بأصحابه من قرقيسيا، أقبلوا يجدّون السير وجعلوا كلّ مرحلتين مرحلة.

قال الراوي: فمررنا بالمدن حتى بلغنا ساعا، ثم إنّ سليمان بن صرد عبّأ الكتائب وأقبل حتى انتهى إلى عين الوردة، فنزل في غربّيها، وسبق القوم إليها فعسكر، وأقام بها خمساً لا يبرح، واستراحوا واطمأنّوا وأراحوا خيولهم.

قال: وأقبل أهل الشام في عساكرهم، حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة، فلمّا سمع ذلك سليمان قام خطيباً في أصحابه، وقال: أمّا بعد، فقد أتاكم الله بعدوّكم الذي دأبتم في المسير إليه، آناء الليل والنهار تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح، ولقاء الله معذورين، فقد جاءكم بل جئتموهم أنتم في دارهم وحيزهم، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم، واصبروا إنّ الله مع الصابرين، ولا يوّلينهم امرؤ دبره إلّا متحرفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة لا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم إلّا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه أو يكون من قتلة إخواننا بالطف رحمة الله عليهم، فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه‌السلام في أهل هذه الدعوة، ثم بعث المسيب بن نجبة في أربعمائة فارس، وقال له: سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم، فشنّ فيهم الغارة فإذا رأيت ما تحبه، وإلّا انصرفت إليَّ في أصحابك، وإيّاك أن تنزل أو تدع

أحداً من أصحابك أن ينزل.

فسار المسيّب بن نجبة بالعسكر حتى إذا جن عليهم الليل باتوا ثم ساروا وإذا هم برجل، قالوا له: من أين أنت؟ قال: من تغلب. فقال المسيب: غلبنا ورب الكعبة، ثم سأله كم بيننا وبين أدنا هؤلاء القوم منّا، قال: أدنا عسكر من عساكرهم منكم ابن ذي الكلاع على رأس ميل، فتركنا الرجل وأقبلنا نحوهم مسرعين، فوالله ما شعروا حتى أشرفنا عليهم وهم غارون، فحملنا في جانب عسكرهم فوالله ما قاتلوا كثيراً حتى انهزموا، فأصبنا منهم رجالاً وجرحنا فيهم، فأكثرنا الجراح وأصبنا لهم دواباً وخرجوا من عسكرهم وخلّوه لنا، فأخذنا منه ما خفّ علينا، فصاح المسيب فينا الرجعة، إنّكم قد نصرتم وغنمتم وسلّمتم، فانصرفوا فانصرفنا حتى أتينا سليمان.

وبلغ ذلك ابن زياد فسرّح إلينا الحصين بن نمير مسرعاً، حتى نزل في اثني عشر ألفا، فخرجنا إليهم يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادي الأولى، فجعل سليمان بن صرد عبدالله بن سعد بن نفيل على ميمنته، وعلى ميسرته المسيب بن نجبة، ووقف هو في القلب وجاء الحصين بن نمير وقد عبّأ لنا جنده، فجعل على ميمنته جبلة بن عبدالله، وعلى ميسرته ربيعة بن مخارق الغنوي، ثم زحفوا إلينا، فلمّا دنوا دعونا الجماعة إلى عبدالملك بن مروان إلى الدخول في طاعته، ودعوناهم الى أن يدعوا لنا عبيدالله بن زياد فنقتله ببعض من قتل من إخواننا، وأن يخلعوا عبدالملك بن مروان، وإلى أن يخرج من بلادنا من آل ابن الزبير، ثم نرد هذا الأمر إلى أهل بيت نبيّنا الذين آتانا الله من قبله بالنعمة من قبلهم بالنعمة والكرامة، فأبى القوم وأبينا، فحملت ميمنتنا على ميسرتهم وهزمتهم، وحملت ميسرتنا على ميمنتهم، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فهزمناهم حتى اضطررناهم إلى عسكرهم، فما زال الظفر لنا عليهم، حتى حجز الليل بيننا وبينهم، ثم انصرفنا عنهم وقد احجزناهم في عسكرهم.

فلمّا كان الغد صبّحهم ابن ذي الكلاع في ثمانية آلاف أمدّهم عبيدالله بن زياد، وبعث إليه ليشتمه ويقع فيه ويقول: إنّما عملت عمل الأغمار وتضيّع عسكرك ومسالحك، سر إلى الحصين بن نمير حتى توافيه وهو على الناس، فجاءه فغدوا علينا وغاديناهم، فقاتلناهم قتالاً لم ير الشيب والمرد مثله قط، يومنا كلّه لا يحجز بيننا وبين القتال إلّا الصلاة، حتى أمسينا فتحاجزنا، وقد والله أكثروا فينا الجراح وأفشيناها فيهم، ولمّا كان اليوم الثالث وهو يوم الجمعة قاتلناهم أشدّ قتال، حتى ارتفع الضحى؟، ثم إنّ أهل الشام كثرونا وتعطفوا علينا من كلّ جانب، ورأى سليمان بن صرد ما لقي أصحابه، فنزل ونادى: عباد الله من أراد البكور إلى ربّه والتوبة من ذنبه والوفاء لعهده فإليّ، ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير فكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه وانزوت خيولهم حتى اختلطت مع الرجال، فقاتلوهم حتى نزلت الرجال تشتدّ مصلته بالسيوف، وقد كسروا الجفون، فحمل الفرسان على الخيل ولا يثبتون، فقاتلوهم وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة، وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح، فلمّا رأى الحصين بن نمير صبر القوم وبأسهم بعث الرجال ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال فقتل سليمان بن صرد، وأخذ الراية المسيب بن نجبة، وقال لسليمان بن صرد: رحمك الله يا أخي فقد صدقت ووفيت بما عليك وبقي ما علينا.

أقول: ما أشبه كلامه هذا بكلام حبيب بن مظاهر يوم عاشوراء حين وقف على مصرع مسلم بن عوسجة الأسدي، وقال له فيما قال: أبشر يا مسلم بالجنّة، فقال مسلم: بشرّك الله بخير. فقال له حبيب: يا أخي يا مسلم لو لم أعلم أنّي بالأثر لأحببت أن توصي إليّ بجميع ما أهمك، قال له: أُوصيك بهذا الغريب - وأشار بيده إلى الحسين عليه‌السلام - قاتل دونه حتى تقتل.

أوصى ابن عوسجة حبيباً قال قا تل دونه الحمام تذوقا

نصروه أحياءاً وعند مماتهم يوصي بنصرته الشفيق شفيقا

المطلب الثامن والعشرون

في واقعة التوّابين

لمّا تقابل الفريقان جيش سليمان بن صرد الخزاعي ومن معه من التوابين، وجيش عبدالملك بن مروان بعين الوردة [1]، وتجالدوا ثلاثة أيام، وقتل شيخ الشيعة سليمان بن صرد رحمهالله أخذ الراية مسيب بن نجبة، فشد على القوم فقاتل ساعة، ثم رجع، ثم شد بها، فقاتل ثم رجع، ففعل ذلك مراراً يشدّ ثم يرجع، حتى قتل رحمهالله.

قال الراوي: والله ما رأيت أشجع منه إنساناً قط ولا من العصابة التي كان فيهم، ولقد رأيته يوم عين الوردة، يقاتل قتالاً شديداً، ما ظننت أنّ رجلاً واحداً أن يبلي مثل ما أبلى، ولا ينكأ في عدوّة مثل ما نكأ، لقد قتل رجالاً شذاذا.

قال: وسمعته يقول قبل أً يقتل وهو يقاتلهم:

قد علمت ميّالة الذوائب واضحة الخدّين والترائب

إنّي غداة الروع التغالب أشجع من ذي لبد مواثب

قطّاع أقران مخوف الجوانب

قال الراوي: ولمّا قتل المسيب بن نجبة، أخذ الراية عبدالله بن سعد بن

---

(1) عين الوردة

نفيل، ثم قال: رحم الله أخوي، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً، وأقبل بما كان معه من أزد، فحفّوا برايته.

قال: وحمل علينا ربيعة بن المخارق، حملة منكرة فاقتتلنا قتالاً شديداً، ثم إنّه اختلف هو وعبدالله بن سعد بن نفيل بضربتين، فلم يصنع سيفهما شيئاً، واعتنق كلّ منهما صاحبه فوقعا على الأرض، ثم قاما فاضطربا وحمل أبن أخي ربيعة بن الخارق على عبدالله بن سعد، فطعنه في ثغره ونحره فقتله، وحمل وقال خالد بن سعد بن نفيل: أروني قاتل أخي، فأريناه ابن أخي ربيعة بن المخارق، فحمل عليه فقنّعه بالسيف.

قال: ثم شدّ أهل الشام على أهل الكوفة وتعطفوا عليهم من كل جانب حتى بلغوا هم مكانهم وتولّى قتال أهل الكوفة حينذاك أدهم بن محرز الباهلي، وقتل بعدها عبدالله بن وال، وكان من فقهاء أهل العراق، الذين كانوا يكثرون الصلاة والصيام ويفتون الناس، وقتل بعده عبدالله بن حازم، وقع الى جنبه، وأخذ أهل الشام يتنادون أنّ الله قد أهلكهم، فاقدموا عليهم فافرغوا منهم قبل الليل، فأخذوا يقدمون عليهم فيقدمون على شوكة شديدة ويقاتلون فرساناً شجعاناً، ليس فيهم سقط رجل وليسوا لهم بمضجرين، فيتمكّنوا منهم فقاتلوهم حتى العشاء قتالاً شديداً.

قال الراوي: وخرج عبدالله بن عزيز الكندي ومعه ابنه محمّد غلام صغير، فقال: يا أهل الشام هل فيكم أحد من كندة؟ فخرج إليه منهم رجال فقالوا: نعم نحن هؤلاء، فقال لهم: دونكك أخيكم فابعثوا به الى قومكم بالكوفة، فأنا عبدالله بن عزيز الكندي، فقالوا له: أنت ابن عمّنا فإنك آمن. فقال لهم: والله لا أرغب عن مصارع اخواني الذين كانوا للبلاد نوراً وللأرض أوتاداً، وبمثلهم كان الله يذكر، فأخذ ابنه يبكي في أثر أبيه فقال: يا بني لو أنّ شيئاً آثر عندي من طاعة ربّي إذاً

لكنت أنت، وناشده قومه الشاميّون لمّا رأوا من جزع ابنه وبكائه في أثره وأروا الشاميون له ولابنه رقّة شديدة حتى جزعوا وبكوا، ثم اعتزل الجانب الذي خرج إليه منهم قومه فشدّ على صفّهم عند المساء فقاتل حتى قتل، ولمّا أمسى الناس ورجع أهل الشام إلى معسكرهم نظر رفاعة إلى كل رجل قد عقر به والى كل جريح لا يعين على نفسه فدفعه إلى قومه، ثم سار بالناس ليلته كلّها حتى أصبح بالتنينير فعبر الخابور وقطع المعابر ثم مضى لا يمرّ بمعبر إلّا قطعه وأصبح الحصين بن نمير، فبعث عيناً له فوجدهم قد ذهبوا فلم يبعث في آثاره أحد، وساروا حتى مروا بقرقيسيا من جانب البر، فبعث إليهم زفر من الطعام والعلف مثل ما كان بعث إليهم في المرّة الأولى، وأرسل إليهم الأطباء، وقال: أقيموا عندنا ما أحببتم فإنّ لكم الكرامة والمواساة، فأقاموا ثلاثاً، ثم زوّد كلّ امرىء منهم ما أحبّ من الطعام والعلف.

قال: وجاء سعد بن حذيفة بن اليمان حتى انتهى إلى هيت، فاستقبله الأعراب وأخبروه بما لقي الناس، فانصرف فتلقى المثنى بن مخرمة العبدي بصندوداء فأخبره، فأقاموا حتى جاءهم الخبر أنّ رفاعة قد أظلّكم، فخرجوا حين دنا من القرية فاستقبلوه فسلّم الناس بعضهم على بعض، وبكش بعضهم إلى بعض، وتناعوا إخوانهم فأقاموا بها يوماً وليلة، وانصرف أهل المدائن إلى المدائن، وأهل البصرة إلى البصرة، وأقبل أهل الكوفة إلى الكوفة، ولمّا ورد البشير على عبدالملك بن مروان ببشارة الفتح، قال: فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد.. فإنّ الله قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد، ألا وإنّ السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريف، ألا وقد قتل الله من رؤوسهم رأسين عظيمين ضالّين مضلّين، عبدالله ابن سعد أخا الأزد، وعبدالله بن وال أخا بكر بن وائل، فلم يبق بعد هؤلاء أحد عند

دفاع ولا امتناع، فكأنّه الشماتة والفرح والسرور بقتل التوّابين كما أظهر الفرح والسرور سلفه يزيد بن معاوية لمّا جاءه البشير بقتل الحسين عليه‌السلام، وبقدوم السبايا إلى الشام، ولمّا قربوا بالسبايا من الشام صعد يزيد على سطح قصره ونظر إلى الرؤوس على أطراف الرماح، وقد صعدوا بها على جبل جيرون فأنشأ يقول:

لمّا بدت تلك الرؤوس وأشرقت — تلك الشموس على ربا جيروني

نعب الغراب فقلت نح أو لا تنح — فلقد قضيت من النبي ديوني

نعم لقد تقاضى ابن ميسون ديونه من النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بقتل ريحانته لأن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أكره أسلافه على دين الإسلام وأجبرهم على تركعب الغراب فقلت نح او لا تنح فلقد قضيت من النبي ديوني نعم لقد تقاضى ابن ميسون ديونه من النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بقتل ريحانته لأن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أكره أسلافه على دين الإسلام وأجبرهم على ترك عبادة الأصنام، والإقرار بالوحدانية لله، فاعتنق جده وأباه دين الإسلام كرهاً منهم، فهذا دينه من رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم تقاضاه بقتل أولاده وسبي بناته من بلد إلى بلد، وقد نسى ابن الخنا أيادي رسول الله على أسلافه يوم فتح مكة وما مَنّ به على آل أبي سفيان فكان جزاء رسول الله أن ساق عيالاته كالإماء وأوقفهنّ في مجلسه وهنّ مربقات بالحبال!

بنات آكلة الأكباد في كلل — والفاطميات تصلى في الهواجير

المطلب التاسع والعشرون

في قضية المختار بن أبي عبيدة الثقفي **رحمه‌الله**

كان نزول مسلم بن عقيل في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي وتذاكر الناس أمر المختار، وألقى ابن زياد القبض على المختار، ولمّا دخل عليه رفع القضيب واعترض وجه المختار فخبط به عينه فشترها، وقال: أولى لك أم والله لو لا شهادة عمرو بن حريث لك لضربت عنقك، وانطلقوا به الى السجن، فانطلقوا به الى السجن، ولم يزل محبوساً حتى قتل الحسين عليه‌السلام، ثم ان المختار بعث الى زائدة بن قدامة فسأله أن يسير الى عبدالله بن عمر بالمدينة، فيسأله أن يكتب له إلى يزيد بن معاوية، فكتب الى يزيد بن معاوية بتخلية سبيله، فركب زائدة إلى عبدالله بن عمر، فقدم عليه فبلّغه رسالة المختار وعلمت صفية أُخت المختار بحبس أخيها، وهي تحت عبدالله بن عمر، فبكت وجزعت، فلمّا رأى ذلك عبدالله بن عمر كتب مع زائدة إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد... فإنّ عبيدالله بن زياد حبس المختار وهو صهري، وأنا أُحبّ أن يعافى ويصلح حاله، فإن رأيت رحمنا الله وإيّاك أن تكتب إلى ابن زياد فتأمره بتخلتيه فعلت والسلام عليك.

قال: فلمّا قرأه ضحك، ثم قال: يشفع أبو عبدالرحمن وأهل لذلك هو، فكتب إلى ابن زياد: أمّا بعد... فخل سبيل المختار بن أبي عبيدة حين تنظر في كتابي، والسلام عليك. فأقبل به زائدة حتى دفعه إلى ابن زياد، فدعا ابن زياد

المختار فأخرجه، ثم قال له: قد أجلتك ثلاثاً، فإن أدركتك بالكوفة بعدها فقد برئت منك الذمة، فخرج إلى رحله، وقال ابن زياد: والله لقد اجترأ عَلَيَّ زائدة حين يرحل إلى أمير المؤمنين حتى يأتيني بالكتاب في تخلية رجل قد كان من شأني أن اطيل حبسه على ما به، فمرّ به عمرو بن نافع أبو عثمان، كاتب لأبن زياد وهو يطلبه، وقال له: النجاء بنفسك واذكرها يداً لي عندك.

قال: فخرج زائدة فتوارى يومه ذلك، ثم إنّه خرج في اناس من قومه حتى أتى القعقاع بن شور الذهلي، ومسلم بن عمرو الباهلي، فأخذ له الأمان، وخرج المختار من الكوفة وتوجه إلى الحجاز.

حدّث ابن العرق وهو مولى لثقيف قال: أقبلت من الحجاز حتى إذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة، استقبلت المختار خارجاً يريد الحجاز فرحّبت به وعطفت عليه، ولمّا رأيت شتر عينه استرجعت له، وقلت له: بعد ما توجّعت له ما بال عينك صرف الله عنك السوء؟ فقال: خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت الى ما ترى، فقلت له: ماله شلّت أنامله؟ فقال الختار: قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأباجله [1] وأعضاءه إرباً إرباً. قال: فعجبت لمقالته، فقلت له: ما علمك بذلك رحمك الله؟ فقال لي: ما أقول لك فاحفظه عنّي حتى ترى مصداقه. قال: ثم طفق يسئلني عن عبدالله بن الزبير وأنا أخبره، فقال: يابن العرق إنّ الفتنة قد أرعدت وأبرقت، وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها، فإذا رأيت ذلك وسمعت به، بمكان قد ظهرت فيه فقيل إنّ المختار في عصائبه من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيّد المسلمين وابن سيّدها الحسين بن علي عليه‌السلام فوربّك لأقتلنّ بقتله عدّة القتلى على دم يحيى بن زكريا عليه‌السلام. قال:

(1) أباجل مفردها أبجل، والأبجل عرق غليظ في الرجل أو في اليد.

فقلت له: سبحان الله وهذه اعجوبة مع الأُحدوثة الأُولى، فقال: هو ما أقول لك، فاحفظه عنّي حتى ترى مصداقه، ثم حرك راحلته فمضى، ومضيت معه ساعة أدعوا الله له بالسلامة وحسن الصحابة، ثم ودّعته وانصرفت عنه.

ولمّا قدم المختار مكة جاء الى عبدالله بن الزبير فسلم عليه فرد عليهالسلام ورحّب به وأوسع له، وقال: حدّثني عن الناس بالكوفة يا أبا إسحاق. قال: هم لسطانهم في العلانية أولياء، وفي السرّ أعداء. وبقي المختار على هذا ونحوه بمكة المكرمة حتى إذا جاء جيش يزيد بن معاوية بقيادة الحصين بن نمير السكوني، وحاصر ابن الزبير ووقع القتال بين الفرقين، فكان المختار يحارب جيش يزيد دفاعاً عن البيت، ثم التفت في ذلك اليوم، ونادى: يا أهل الإسلام إليّ إليّ أنا ابن أبي عبيدة بن مسعود، وأنا ابن الكرار لا الفرار، وأنا ابن المقدمين غير المحجمين، إليّ إليّ يا أهل الحفاظ وحماة الأوتار، فحمى الناس يومئذ وأبلى وقاتل قتالاً حسناً، ثم أقام مع ابن الزبير في ذلك الحصار حتى كان يوم أُحرق البيت [1] فقاتل المختار يومئذ في عصابة معه نحو من ثلاثمائة أحسن قتال قاتله أحد من الناس، إن كان ليقاتل حتى يتبلّد ثم يجلس ويحيط به أصحابه فإذا استراح نهض فقاتل، فما كان يتوجّه نحو طائفة من أهل الشام إلّا ضاربهم حتى يكشفهم، فما كان في ذلك اليوم رجلاً أحسن بلاءاً من المختار، ولمّا انقضى الحصار بعد هلاك يزيد ورجع أهل الشام، أقام مع ابن الزبير خسمة أشهر، وخرج بعدها إلى الطائف، ثم رجع الى مكة.

وكان أهل الكوفة قد اصطلحوا على عامر بن مسعود يصلي بهم حتى يجتمع الناس على إمام يرضونه، وصار يطلب البيعة لابن الزبير، فخرج المختار

---

(1) احرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الأول سنة 64 هـ.

آنئذ من مكة متوجها إلى الكوفة لقيه رجل من همدان، فقال له: حدّثني الناس بالكوفة، قال: عمّ كغنم ضل راعيها، فقال: أنا المختار أنا أحسن رعايتها وأبلغ نهايتها. فقال له الهمداني: اتّق الله واعلم أنك ميت مبعوث ومجزي بعملك إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر، ثم افترقا وأقبل المختار حتى انتهى إلى بحر الحيرة [1] فنزل واغتسل فيه وكان يوم الجمعة وأدهن دهناً يسيراً، ولبس ثيابه وأعتمّ وتقلّد سيفه، ثم ركب راحلته فمرّ بمسجد السكون، وجبانة كندة، وصار لا يمرّ بمجلس إلّا سلّم على أهله، وهو يقول: ابشروا بالنصر والفلج أتاكم ما تحبّون، ومرّ ببني ذهل وبني حجر وبني كندة، ومرّ ببني هند، وجهينة، ثم جاء إلى باب الفيل، فأناخ راحلته ودخل المسجد، واستشرف له الناس، وقالوا: هذا المختار، قد قدم المختار الى جنب سارية من سواري المسجد فصلّى عندها، حتى اقيمت الصلاة فصلى مع الناس، ثم ركد إلى ساريه أُخرى، فصلّى ما بين الجمعة العصر، ثم خرج من المسجد، ومرّ على حلقة همدان، وعليه ثياب السفر: فقال: ابشروا فإنّي قد قدمت عليكم بما يسرّكم، ومضى حتى نزل داره.

فكانت الشيعة تختلف إليه وجعل يسألهم عن الناس بالكوفة فأخبروه باجتماع الناس على سليمان بن صرد الخزاعي رئيس التوابين، وقد كان مسجوناً معه في سجن ابن زياد، لأنّ ابن زياد لمّا قتل مسلما أخذ يسجن جماعة من أهل الكوفة من جملتهم سليمان هذا، والمختار، ولمّا قتل الحسين عليه‌السلام وجيء برأسه إلى ابن زياد فأخفاه تحت السرير، وأمر بإخراج المختار من السجن فاخرج إليه وهو مكبل بالحديد، فجعل يستهزئ عليه فقال له المختار: يابن زياد أتستهزئ عليَّ وقد قرب فرجي. وقال: من أين يأتيك الفرج يا مختار؟ قال: بلغني أن سيّدي

(1) هو بحر النجف، وكان بحراً متلاطم الأمواج، جف وإلى اليوم على اسمه - أرض البحر ـ.

ومولاي الحسين قادماً إلى العراق وسيكون خلاصي على يده، فقال له ابن زياد: خاب ظنّك إنّا قد قتلنا الحسين. فقال الختار: صه ومن يقدر على قتل سيّدي ومولاي، فعند ذلك أخرج إليه رأس الحسين عليهالسلام، فلمّا رآه المختار جعل يلطم على وجهه وهو ينادي: وا حسيناه.

أحين ترجّيناك تستأصل العدى يفاجئنا الناعي بقتلك يهتف

المطلب الثلاثون

في تتمة قضية المختار

لمّا دخل المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكوفة اجتمع عليه بعض الشيعة، وكان آنئذ يجتمع الناس عند سليمان بن صرد الخزاعي وهو شيخ الشيعة، وكان يتهيأ للخروج على بني اميّة، ولمّا خرج سليمان بالشيعة من الكوفة بقي المختار بها وقد اشتدت شوكته، وقوي أمره، فاجتمع جماعة من وجوه أهل الكوفة، وهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، وشبث بن ربعي، ويزيد بن الحارث بن رويم، وصاروا إلى عبدالله بن يزيد الحظمي، وإبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبيدالله [1] فتكلموا فيما بينهم على أنّ المختار أشدّ عليكم من سليمان بن صرد، إنّ سليمان إنّما خرج يقاتل عدوكم ويذللهم لكم، وقد خرج عن بلادكم، وإن المختار إنما يريد أن يثب عليكم في مصركم، فسيروا إليه فأوفقوه بالحديد وخلّدوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس، فخرجوا إليه في الناس، فما يشعر بشيء حتى أحاطوا به وبداره فاستخرجوه، فلمّا رأى جماعتهم، قال: ما بالكم فوالله بعد ما ظفرت أكفّكم.

قال الراوي: واُوتي المختار ببغلة دهماء يركبها، فقال إبراهيم لعبدالله بن

(1) كانا من قبل ابن الزبير بالكوفة أرسلهما إليها قبل عبدالله بن مطيع.

يزيد: ألا تشدّ عليه القيود؟ فقال: كفى له بالحبس قيداً.

حدّث يحيى بن عيسى قال: دخلت عليه مع حميد بن مسلم الأزدي، ونزوره ونتعاهده، فرأيته مقيّداً، قال: فسمعته يقول: أما وربّ البحار والنخيل والأشجار المهامة والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلنّ كلّ جبّار بكلّ لدن خطار، ومهند بتار في جموع من الأنصار، ليس بميل أغمار، ولا بعزل أشار، حتى إذا أقمت عمود الدين ورأيت شعب صدع المسلمين، وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بثار النبيين لم يكبر عَلَيَّ زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا أتى.

قال: فكان إذا أتيناه وهو في السجن ردّد علينا هذا القول حتى خرج منه، ولمّا قدم التوابين إلى الكوفة بعد واقعتهم كتب إليهم المختار، أمّا بعد؛... فإنّ الله أعظم لكم الأجر وحطّ عنكم الوزر بمقارعة القاسطين وجهاد المحلّين، إنّكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة إلّا رفع الله لكم بها درجة، وكتب لكم بها حسنة، إلى ما لا يحصيه إلّا من التضعيف، فابشروا فإنّي لو قد خرجت إليكم قد جرّدت فيما بين المشرق والمغرب في عدوّكم السيف بإذن الله، فجعلتهم بإذن الله ركاماً وقتلهم فذا وتوأما، فرحّب الله بما قارب منكم واهتدى ولا يبعد الله إلّا من عصى وأبى، والسلام يا أهل الهدى.

فجائهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو من بني ليث، من عبدالقيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة، فأتى بالكتاب رفاعة بن شداد، والمثنى بن مخربة العبدي، وسعد بن خذيفة بن اليمان، ويزيد بن أنس، وأخمر بن شميط الأحمسي، وعبدالله بن شداد البجلي، وعبدالله بن كامل فقرأه عليهم الكتاب، فبعثوا إليه ابن الكامل، فقالوا: قل له قد قرأنا الكتاب ونحن حيث يسرّك، فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا، فأتاه فدخل عليه السجن فأخبره بما اُرسل

به فسرّ باجتماع الشيعة له، وقال لهم: لا تريدوا هذا فإنّي أخرج في أيّامي هذا.

وكان المختار قد بعث الى عبدالله بن عمر بن الخطاب وكتب إليه: أمّا بعد فإنّي قد حبست مظلوماً وظنّ بي الولاة ظنوناً كاذبة، فاكتب فيَّ يرحمك الله إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً عسى الله ان يخلّصني من أيديهما بلطفك وبركتك وبمنّك والسلام عليك. فكتب إليهما عبدالله بن عمر، أمّا بعد:... فقد علمتما الذي بيني وبين المختار بن أبي عبيدة من الصهر، والذي بيني وبينكما من الود، فأقسمت عليكما بحق ما بيني وبينكما، لما خليتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا، والسلام عليكما ورحمة الله.

فلمّا أتى عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمّد بن طلحة كتاب عبدالله بن عمر، دعوا للمختار بكفلاء يضمنونه بنفسه، فأتاه أُناس من أصحابه كثير، فقال يزيد بن رويم لعبدالله بن يزيد: ما تصنع بضمان هؤلاء كلّهم ضمنه عشرة منهم أشرافاً معروفين ودع سائرهم، ففعل ذلك، فلمّا ضمنوه دعا به عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمّد بن طلحة، فحلّفاه بالذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لا يبغيهما غائلة، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان، فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة ومماليكه كلهم ذكرهم وانثاهم أحرار فحلف لهما بذلك، ثم خرج فجاء في داره [1] واختلفت إليه الشيعة واجتمعت

---

(1) عن حميد بن مسلم، قال: سمعت المختار بعد ذلك يقول: قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أنّي أفي لهم بأيمانهم هذه، أمّا حلفي لهم بالله فأنّه ينبغي لي إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير، وأُكفّر يميني وخروجي عليهم خير من كفي عنهم وأُكفّر يميني، أما هدي ألف بدنه فهو أهون علي من بصفة وما ثمن ألف بدنة فيهولني، وأمّا عتق مماليكي، فوالله لوددت أنّه قد استتب لي أمري ثم لم أملك مملوكاً أبداً.

عليه، واتفق رأيها على الرضى به، وكان الذي يبايع الناس وهو في السجن خمسة نفر: السائب بن مالك الأشعري، ويزيد بن أنس، وأحمر بن شميط، ورفاعة بن شداد الفتياني، وعبدالله بن شداد الجشمي، ولم يزل أمره يقوى ويشتد، حتى عزل ابن الزبير عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة وبعث عبدالله بن مطيع إلى الكوفة عاملاً عليها، هذا والمختار تكثر أصحابه، فجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع وقال له: إنّ السائب بن مالك من رؤساء أصحاب المختار، ولست آمن المختار، فابعث إليه فليأتك فإذا جاءك فاحبسه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس، فإن عيوني قد أتتني وأخبرتني أنّ أمره قد استجمع له، وكأنه قد وثب بالمصر.

فبعث إليه ابن مطيع رجلان، فدخلا عليه، فقالا: أجب الأمير، فدعا بثيابه وأمر بإسراج دابته، فلمّا رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ هذه الآية (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [1] ففهمها المختار، فجلس ثم ألقى ثيابه عنه ثم قال: ألقوا عَلَيَّ القطيفة ما أراني إلّا وقد وعكت، إنّي لأجد قفقفة شديدة، ثمّ تمثل بقول الشاعر:

إذا ما معشر تركوا نداهم ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا

والتفت إلى الرجلين، وقال: ارجعا إلى ابن مطيع واعلماه حالي التي أنا عليها.

ولما عزم المختار على النهوض بالكوفة قال الطبري: بعث الى أصحابه وأخذ بجمعهم في الدور حوله وأراد أن يثب بالكوفة في المحرم، فجاء رجل إلى أصحابه من شبام وكان عظيم الشرف يقال له عبدالرحمن بن شريح، فلقي جماعة

---

(1) سورة الأنفال: 30.

من أصحابه وفيهم قدامة بن مالك الجشمي، فاجتمعوا في منزل أحدهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد... فإنّ المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندري أرسله ألينا ابن الحنيفة أم لا، فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلخبره بما قدم علينا به، وبما دعانا إليه، فإن رخص لنا في أتباعه أتبعناه وإن نهانا عنه اجتنبناه، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آخر عندنا من سلامة ديننا، فقالوا له: أرشدك الله فقد أصبت ووفّقت، اخرج بنا إذا شئت، فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيّامهم، فخرجوا ولحقوا بابن الحنفية ووكان إمامهم عبدالرحمن بن شريح، فلمّا قدموا عليه سألهم عن حال الناس، فأخبروه عن حالهم وما هم عليه، ثم قالوا له: إنّ لنا إليك حاجة. قال: فسّر هي أم علانية؟ قال: قلنا: لا بل سرّ. قال: فرويداً إذاً، فمكث قليلاً ثم تنحّى جانباً فدعانا فقمنا إليه فبدأ عبدالرحمن بن شريح وتكلّم فحمدالله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد... فإنّكم أهل بيت أخصّكم الله بالفضيلة وشرفكم بالنبوة، وعظّم حقّكم على هذه الأمّة، فلا يجهل حقكم إلّا مغبون الرأي مخسوس النصيب، قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه عظمت مصيبة ما خصّكم بها فقد عمّ بها المسلمون، وقد قدم علينا المختار ابن أبي عبيدة يزعم لنا أنّه قد جاءنا من تلقائكم، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلىاللهعليهوآلهوسلم والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء فبايعناه على ذلك، ثم إنّا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعنا إليه وندبنا له فإن أمرتنا باتّباعه إتّبعناه، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه.

قال: ثم تكلّمنا واحداً واحداً بنحو ما تكلّم به صاحبنا وهو يسمع حتى إذا فرغنا حمدالله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم ثم قال: فأمّا ما ذكرتم ممّا خصّنا الله به من فضل، فإنّ الله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم، فلله الحمد، وأمّا ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين، فإنّ ذلك كان في الذكر الحكيم، وهي ملحمة كتبت عليه وكرامة اهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين

وكان أمر الله مفعولاً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأمّا ما ذكرتم من دعاء من دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت أن الله أنتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فخرجنا من عنده ونحن نقول: قد أذن لنا قد قال: لوددت أن الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه، ولو كره لقال: لا تفعلوا.

قال: فجئنا إلى الكوفة، فقال لهم المختار: وهم على رواحلهم: ما بالكم فتنتم وارتبتم؟ قالوا: أمرنا بنصرتك، فقال: الله أكبر، أنا أبو إسحاق، إجمعوا لي الشيعة، فجمع منهم من كان منه قريباً، فقال: يا معشر الشيعة إنّ نفراً منكم أحبّو أن يعلموا مصداق ما جئت به، فرحلوا إلى امام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى حاشا النبي المجتبى فسألوا عمّا قدمت به عليكم، فنبّأهم أنّي قاتل المحلين وأطلّب بدماء أهل نبيّكم المصطفى.

بلى والله أخذ المختار بثأر الحسين عليه‌السلام وأهل بيته وشفى صدور الشيعة من قتلة الحسين عليه‌السلام ولكن والله لو قتل أهل الكوفة والشام أجمع ما كان يساوي قطع خنصر سيّد شباب أهل الجنّة الذي حزه بجدل الكلبي بقطعة السيف!!

لهفي على تلك الأنامل قطّعت ولو أنّها اتّصلت لكانت أبحرا

المطلب الحادي والثلاثون

في تتمة قضية المختار

لمّا أظهر المختار دعوته بالكوفة، صار يطلب بثار الحسين عليهالسلام، أجابه جماعة من أشراف أهل الكوفة ولبّوا نداءه.

قال الطبري: عن عمر بن شعبي، قال: كنت أنا وأبي أول من أجاب المختار، واجتمع إليه من عيون جماعته، وقالوا: لو دعوت إبراهيم بن مالك الأشتر رحمهالله علينا لكان خير لك ولنا، ولرجونا القوة على عدونا، ولا يضرّنا خلاف من خالفنا فإنّه فتى شريف وابن رجل شريف، بعيد الصيت، وله عشيرة ذات عز وعدد. فقال لهم المختار: فألقوه وادعوه، واعلموا الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين عليهالسلام وأهل بيته.

قال الشعبي: فخرجوا إليه، وأنا فيهم وأبي، فتكلم يزيد بن أنس فقال: إنّا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك وندعوك إليه، فإن قبلته كان خيراً، لك وإن تركته فقد أدّينا إليك فيه النصيحة، ونحن نحبّ أن يكون عندك مستوراً فقال لهم إبراهيم بن الأشتر: وإنّ مثلي لا تخاف غائلته، ولا سعايته ولا التقرب إلى سلطانه باغتياب الناس، أنّما اولئك الصغار الأخطار الدقائق همما. فقال له: إنّما ندعوك إلى أمر قد اجتمع عليه رأي الملأ من الشيعة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلىاللهعليهوآلهوسلم والطلب بدماء أهل البيت، وقتال المحلّين والدفع عن الضعفاء.

قال الراوي: وأقبل القوم كلّهم عليه يدعونه الى أمرهم ويرغّبونه فيه، فقال لهم إبراهيم بن الأشتر: فإنّي قد أجبتكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين عليهالسلام وأهل بيته على أن تولّوني الأمر. فقالوا له: أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك من سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي، وهو الرسول المأمور بالقتال، وقد أمرنا بالطاعة، فسكت عنهم ابن الأشتر، ولم يجبهم.

قال: فانصرفنا من عنده إلى المختار فأخبرناه بما رد علينا، قال: فغبر ثلاثاً ثم إنّ المختار دعا بضعة عشرة رجلاً من وجوه أصحابه، قال الشعبي: وأنا فيهم وأبي، قال: فسار بنا ومضى أمامنا يقدّ بنا بيوت الكوفة قدّاً لا ندري إلى أين يريد، حتى وقف بباب دار إبراهيم بن الأشتر، فاستأذنا عليه فأذن لنا، وألقيت لنا الوسائد، فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه، وطلب منه أن ينهض معه ويشدّ عضده بهذه الدعوة، فأجابه إبراهيم إلى ذلك.

قال أبو مخنف: حدّثني يحيى بن عيسى بن الأزدي، قال: كان حميد ابن مسلم الأسدي صديقاً لإبراهيم بن الأشتر، وكان يختلف إليه ويذهب به معه، وكان إبراهيم يروح في كلّ عشية عند المساء فيأتي المختار ويمكث عنده حتى تصوب النجوم، ثم ينصرف فمكثوا بذلك يديرون امورهم، حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربعة عشر من ربيع الأول سنة ست وستّين، ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم، هذا وقد هال أمر المختار والي الكوفة وهو عبدالله بن مطيع، فنظم الشرطة المسلحة على مفارق الطرق والسكك وفي الجبانين، وقد خرج إبراهيم ليلة من الليالي ومن حوله عشيرته وهم مدججون بالسلاح متقلدين السيوف قاصدين دار المختار، وكان إبراهيم فتى حدثاً شجاعاً.

قال الراوي: فأخذ إبراهيم على طريق باب الفيل، وإذا بياس بن مضارب ومعه الخيل والرجال قد أخذوا أفواه السكك، فصاح بإبراهيم: من هؤلاء؟ فقال إبراهيم: أنا إبراهيم بن مالك الأشتر، فقال له إياس، ما هذا الجمع معك وما

تريدون؟ والله إنّ أمرك لمريب، وقد بلغني إنّك تمرّ كلّ عشية ههنا وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه. فقال إبراهيم: لا أبا لغيرك خلّ سبيلنا. فقال: كلا والله لا أفعل وكان مع إياس رجل من همدان يقال له أبو قطن وكان صديقاً لابن الأشتر، فقال له ابن الأشتر: يا أبا قطن أدن منّي، وكان مع أبي قطن رمح طويل، فدنا منه أبو قطن ومعه الرمح، وهو لا يرى إلّا ابن الأشتر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلّي سبيله، فجاء إبراهيم فتناول الرمح من يده وقال: إنّ رمحك هذا لطويل، ثم حمل به على ابن مضارب فطعنه في ثغرة نحره فصرعه وقال لرجل من قومه: انزل فاحتزّ رأسه، فنزل إليه واحتزّ رأسه وتفرق أصحابه ورجعوا الى ابن مطيع، فبعث ابن مطيع ابنه راشد ابن إياس مكانه أبيه على الشرطة.

وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء، فدخل عليه فقاله له إبراهيم: إنّا اتّعدنا للخروج للقابلة ليلة الخميس، وقد حدث أمر لابدّ من الخروج الليلة، قال المختار: وما هو؟ قال: عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه فقتلته وهذا رأسه مع أصحابي على الباب. فقال المختار: بشرّك الله بخير، فهذا طير صالح، وهذا أوّل الفتح إن شاء الله. ثم قال المختار: قم يا سعد بن منقذ واشعل في الهرادي النيران، ثم ارفعها للمسلمين، وقم أنت يا عبدالله بن شدّاد فناد: يا منصور أمت، وقم أنت يا سفيان بن ليل وأنت يا قدامة بن مالك فناد: يا لثارت الحسين عليه‌السلام، ثم قال المختار: عَلَيَّ بدرعي وسلاحي فأتى به وأخذ يلبس سلاحه وهو يقول:

قد علمت بيضاء حسناء الطلل واضحة الخدّين عجزاء الكفل

إني غداة الروع مقدام بطل

ثم إنّ إبراهيم قال للمختار: إنّ هؤلاء الرؤوس الذين وضعهم ابن مطيع في الجبانين يمنعون أخواننا أن يأتوننا ويضيّقون عليهم، فلو إنّي خرجت بمن معي إلى قومي ودعوتهم فيأتيني كلّ من بايعك منهم وندفعهم عن مواطنهم. فقال له

المختار: نعم أخرج وإيّاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله ولا تقاتل أحداً وأنت لا تستطيع أن لا تقاتل، واحفظ ما أوصيتك به إلّا أن يبدأك أحد بقتال.

قال الراوي: فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة التي أقبل فيها حتى أتى قومه، واجتمع إليه جلّ من بايعه وأجابه ثم إنّه سار بهم في سكك الكوفة طويلاً من الليل، وهو في ذلك يتجنّب السكك التي فيها الأمراء حتى انتهى إلى مسجد السكون، فلقيته خيل وليس لهم قائد، فحملوا عليهم وحمل أبراهيم وأصحابه عليهم فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة، وكانت شرطة ابن مطيع تعتدّ وتجتمع حتى انتهى ابراهيم جبانة أثير، وقف فيها طويلاً، ونادى أصحابه بشعارهم فجاءته الشرطة بالخيل والرجال وفي مقدّمتهم سويد بن عبدالرحمن المنقري، فلمّا رأى ذلك ابن الأشتر، قال لأصحابه: يا شرطة الله انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفسّاق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله فنزلوا ثم شدّ عليهم إبراهيم فضربهم حتى أخرجهم إلى الصحراء وولّوا منهزمين يركب بعضهم بعضا، وهم يتلاومون فقال قائل منهم: إنّ هذا الأمر يراد، ما يلقون لنا جماعة إلّا هزموهم، فلم يزل يهزمهم حتى أدخلهم الكناسة، وقال أصحاب إبراهيم لإبراهيم: أتبعه وغنم ما قد دخلهم من الرعب فقد علم الله إلى الله من ندعوا وما نطلب وإلى من يدعون وما يطلبون، فقال إبراهيم: لا أفعل ذلك.

نعم إنّ إبراهيم لمّا حارب بالكوفة قتلة الحسين عليه‌السلام كان لا يتبع مدبراً ولا يأمر بالنهب، ولكن أهل الكوفة نهبوا يوم عاشوراء جميع ما كان في رحل الحسين عليه‌السلام وخيامه حتى الملاحف الأزر من على رؤوس الفاطميات!!

هذي تصيح أبي وتهتف ذي أخي … وتعجّ تلك بأكرم الأجداد [1]

---

(1) من قصيدة للشيخ أحمد النحوي المتوفى سنة 1183 هـ ومطلعها:

بأبي أبِّي الضيم لا يُعطي العدى … حذر المنيّة منه فضل قيادِ

المطلب الثاني والثلاثون

في محاربة المختار لأهل الكوفة

لمّا نهض المختار بالكوفة وشد أزره بإبراهيم بن الأشتر، فكان أوّل ما صنعه المختار أن قاتل رؤساء الشرطة الذين كانوا قد وظفهم عبدالله بن مطيع، وجعلهم على أفواه السكك، والطرقات والجبانين، ولمّا بان الضعف والعجز من أصحاب عبدالله بن مطيع أقبل شبث بن ربعي إلى عبدالله بن مطيع، وقال: ابعث إلى امراء الجنابين فمرهم فليأتوك، واجمع إليك جميع الناس ثم انهض إلى هؤلاء القوم (يعني المختار وأصحابه) وابعث إليهم من تثق به فليكفك قتالهم، فأنّ أمر القوم قد قوى، وقد خرج المختار وظاهر واجتمع له أمره، فلمّا بلغ ذلك المختار من مشورة شبث بن ربعي على ابن مطيع، خرج في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دير هند، ممّا يلي بستان زائدة في السبخة، ونادى مناديه بالكوفة: يا منصور أمت، يا لثارات الحسين عليه‌السلام، ثم نادى المنادي: يا أيها الحي المهتدون، ألا إنّ أمير آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند، وبعثني إليكم داعياً ومبشّراً فاخرجوا إليه رحمكم الله.

قال الراوي: فخرجوا من الدور يتداعون يا لثارات الحسين عليه‌السلام وأقبلوا إلى المختار حتى نزلوا معه في عسكره، فتوافى إلى المختار في تلك الليلة ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا قد بايعوه، فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر،

فأصبح وقد فرغ من تعبئته.
قال حميد بن مسلم: فلمّا أصبح استقدم فصلّى بنا الغداة بغلس، ثم قرأ والنازعات، وعبس وتولّى، قال: فما سمعنا اماماً أمّ قوماً أفصح لهجة منه، قال: وبعث ابن مطيع إلى أهل الجبانين يأمرهم أن ينظموا إلى أهل المسجد، وقال لراشد بن إياس بن مضارب ناد في الناس، فليأتوا المسجد فنادى المنادي: ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة فتوافى الناس فلمّا اجتمعوا بعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو ثلاثة آلاف إلى المختار، وبعث راشد بن إياس في أربعة ألاف من الشرطة.
قال أبو سعد الصقيل: ولمّا فرغ المختار من صلاة الغداة وانصرف سمعنا أصواتاً مرتفعة فيما بين بني سليم وسكة البريد، فقال المختار: من يعلم لنا هؤلاء ما هم؟ فقلت له: أنا أصلحك الله. فقال المختار: أما لا فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنّك نظّار، ثم تأتيني بخبرهم، قال: ففعلت فلمّا دنوت منهم إذا مؤذنّهم يقيم، فجئت حتى دنوت منهم، فإذا شبث بن ربعي معه خيل عظيمة وعلى خيله شيبان بن حريث الضبي، وهو في الرجّالة معه منهم كثرة، فلمّا أقام مؤذنّهم تقدّم فصلّى بأصحابه فقرأ أذا زلزلت الأرض زالزاها، فقلت في نفسي: أما والله إني لأرجو أن يزلزل الله بكم، وقرأ والعاديات ضبحاً، فقال له ناس من أصحابه: لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيئاً، فقال شبث: ترون الديلم قد نزلت بساحتكم وأنتم تقولون لو قرأت سورة البقرة وآل عمران.
قال: وكانوا ثلاثة آلاف، قال: فأقبلت سريعاً حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر شبث وأصحابه وأتاه معي ساعة أتيته سعر بن أبي سعر الحنفي يركض من مراد، وكان ممّن بايع المختار، فلم يقدر على الخروج معه ليلة مخافة من الحرس.
قال: فسرح المختار إبراهيم بن الأشتر، قبل راشد بن إياس في تسعمائة،

ويقال: ستمائة فارس وراجل فمضى إبراهيم إلى راشد فلقيه في مراد ومعه أربعة آلاف، فقال إبراهيم لأصحابه، لا يهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لرب رجل خير من عشر، ولرب فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين، ثم قال: يا خزيمة بن نصر سر إليهم في الخيل، ونزل وهو يمشي في الرجال ورأيته مع مزاحم ابن الطفيل، فأخذ إبراهيم يقول له: ازدلف برايتك امض بها قدماً قدماً، قال: واقتتل الناس، فاشتد قتالهم وبصر خزيمة بن نصر العبسي براشد بن إياس فحمل عليه فطعنه وقتله، ثم نادى، قتلت راشداً وربّ الكعبة.

قال: وانهزم أصحاب راشد، وأقبل إبراهيم بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار، وبعث النعمان بن أبي الجعد يبشّر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد، فلمّا أن جاءهم البشير بذلك كبّروا واشتدّت أنفسهم، ودخل أصحاب بن مطيع الفشل، وسرّح بن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسي في جيش كثيف نحو من ألفين، واعترض ابراهيم بن الأشتر فريق الحمراء ليردّه عن من في السبخة من أصحاب بن مطيع ومشى ابراهيم نحوه في الرجال.

قال الراوي: ما أطعنّا برمح ولا اضطربنا بسيف حتى انهزموا، رجع ابراهيم نحو المختار وإذا بشبث بن ربعي ويزيد بن أنس وأصحابه قد أحاطوا بالمختار، فلمّا أن رأوا إبراهيم جعلوا ينكصون روائهم رويداً رويداً حتى انهزموا وتراجعوا إلى ابن مطيع، وفي ذلك الحين استخبر ابن مطيع بقتل راشد بن أياس فأسقط في يده..

ثم إنّ المختار جمع أصحابه وانهدّ نحو المسجد والقصر، وكان هناك جند كثير، فحاربهم بمن معهم، وشتّت شملهم حتى دخل السوق هو وأصحابه وحصروا ابن مطيع في القصر ثلاثة أيام، وكان معه الأشراف من رؤوس العسكر

إلّا عمرو بن حريث، فإنّه أتى داره ولم يلزم نفسه الحصار ثم خرج حتى نزل البر، ثم جاء المختار ونزل جانب السوق وولّى حصار القصر ابراهيم بن الأشتر، ويزيد ابن أنس، وأحمر بن شميط، فكان ابن الأشتر مما يلي المسجد وباب القصر ويزيد بن أنس مما يلي بني حذيفة، وسكة دار الروميين وأحمر بن شميط ممّا يلي دار عمارة ودار أبي موسى، فلمّا اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلّم الأشراف، وقام إليهم شبث فقال له: أصلح الله الأمير انظر لنفسك ولمن معك فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم. قال ابن مطيع: أشيروا عليّ برأيكم. فقال له شبث: الرأي أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أماناً ولنا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك.

قال الراوي: ولمّا أن جنّ الليل خرج من القصر من نحو درب الروميين حتى أتى دار أبي موسى، وخلّى القصر وفتح أصحابه الباب فقالوا له: يا ابن الأشتر آمنون نحن؟ قال: أنتم آمنون، قال: وخرج من القصر عند ذلك وهو قصر الإمارة هذا هو القصر الذي أصعدوا مسلم بن عقيل على سطحه ورموه من أعلى السطح إلى الأرض، هذا هو القصر الذي أدخول فيه بنات الرسالة على ابن مرجانة والسجاد مغلل ومقيّد، فلمّا رآه ابن زياد (لعنه الله) قال: من هذا العليل؟ فقيل له: هذا علي بن الحسين. قال: أليس قد قتل الله عليّاً... الخ.

المطلب الثالث والثلاثون

في بيعة أهل الكوفة للمختار

ذكر الطبري في تاريخه [1]، قال: بعد أن فتح الله على المختار وانهزم عبدالله ابن مطيع أمير الكوفة، وقد أخلى قصر الإمارة - جاء المختار حتى دخل القصر وبات به وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر، فخرج المختار وصعد المنبر فحمدالله وأثنى عليه، ثم قال: الحمدلله الذي وعد وليّه النصر وعدوّه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر وعداً مفعولاً وقضاء مقضياً، وقد خاب من افترى. أيها الناس إنّه رفعت لنا راية ومدّت لنا غاية، فقيل لنا في الراية أن ارفعوها ولا تضعوها وفي الغاية أن اجروا إليها ولا تعدوها، فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي، فكم من ناع وناعية لقتلي في الواعية، وبعداً لمن طغى وأدبر وعصى وكذّب وتولّى، ألا فادخوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً والأرض فجاجاً سبلا، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب عليهالسلام وآل علي أهدى منها، ثم نزل فدخل القصر ودخلنا عليه.

ودخل عليه أشراف الناس فبسط يده وابتدره الناس فبايعوه، وجعل يقول: تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلّين

---

(1) انظر ج 4 ص 487.

والدفع عن الضعفاء، وقتال من قاتلنا، وسلّم من سالمنا، والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا نستقيلكم، فإذا قال الرجل نعم بايعه.

قال موسى بن عامر العدوي: فكأنّي والله انظر الى المنذر بن حسان بن ضرار، إذ أتاه حتى سلّم عليه بالإمرة ثم بايعه، وانصرف عنه، فلمّا خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثوري في عصابة من الشيعة، واقفاً عند المصطبة، فلما رأوه ومعه ابنه حيان بن المنذر، قال رجل من سفائهم: هذا والله من رؤوس الجبارين فشدّوا عليه وعلى ابنه فقتلوهما، فصاح بهم سعيد بن منقذ لا تعجّلوا حتى ننظر ما رأي أميركم فيه.

قال: وبلغ المختار بذلك فكرهه، حتى رؤي ذلك وجهه، وأقبل المختار يمنّي الناس ويستجر مودّتكم ومودة الأشراف، ويحسن السيرة جهده قال: وجاء ابن كامل فقال للمختار: أعلمت أنّ ابن مطيع في دار أبي موسى، فلم يجبه بشيء، فأعاده عليه ثلاثاً فلم يجبه، فظن ابن كامل أنّ ذلك لا يوافقه وكان المختار قبل هذا صديقاً لابن مطيع، فلمّا أمسى بعث الى ابن مطيع بماءة ألف درهم، وبعث إليه تجهّز هذه الليلة وأخرج، فإنّي قد شعرت بمكانك وقد ظننت أنّه لم يمنعك من الخروج إلّا أنّه ليس في يديك ما يقويك على الخروج، فأخذها ومضى إلى البصرة وأصاب المختار تسعة آلاف ألف في بيت المال بالكوفة، فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حاصر ابن مطيع في القصر وهو ثلاثة ألف وثمانمائة رجل كل رجل خمسمائة درهم، وأعطى ستّة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة أيام حتى دخل القصر مائتين مائتين واستقبل الناس بخير ومناهم العدل وحسن السيرة، وأدنى منه الأشراف فكانوا جلساءه وحداثه، واستعمل على شرطته عبدالله بن كامل الشاكري، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة مولى عرينة، فقام ذات يوم على رأسه فرأى الأشراف يحدثونه

ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم، فقال لأبي عمرة بعض أصحابه من الموالي: أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا، فدعاه المختار، وقال له: ما يقول لك اولئك الذين رأيتهم يكلّمونك؟ فقال له وأسرّ إليه: شقّ عليهم أصلحك الله صرفك وجهك عنهم إلى العرب، فقال له قل لهم لا يشقّنّ ذلك عليكم، فأنتم منّي وأنا منكم، ثم سكت طويلاً ثم قرأ (إنا من المجرمين منتقمون) فسمعها الموالي منه، فقال بعضهم لبعض: ابشروا كأنّكم والله به قد قتلهم.

قال الراوي: لمّا ظهر المختار واستمكن، ونفى ابن مطيع، وبعث عمّاله إلى الآفاق [1] جعل يجلس للناس غدوة وعشية يمضي بين الخصمين، ثم قال: والله إنّ لي فيما إزاول وأحاول لشغلاً عن قضاء بين الناس، قال: فأجلس للناس شريحاً [2] وقضى بين الناس، ثم إنّه خافهم فتمارض وسمعهم يقولون: إنّه

(1) ذكر الطبري في تاريخه قال: أول رجل عقد له المختار راية عبدالله بن الحارث أخو الأشتر عقد له على أرمينية، وبعث محمد بن عمير بن عطارد على آذربيجان، وبعث عبدالله بن سعيد بن قيس على الموصل، وبعث اسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جوخي، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصري وهو حليف لثقيف على بهقباذ الأعلى، وبعث محمد بن كعب بن قرطة على بهقباذ الأوسط، وبعث حبيب بن منقذ الثوري على بهقباذ الأسفل، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان، وكان مع سعد بن حذيفة ألفا فارس بحلوان، قال: ورزقه ألف درهم في كل شهر وأمره بقتال الأكراد وبإقامة الطرق، وكتب إلى عماله في الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كورهم الى سعيد بن حذيفة بحلوان.

(2) شريح القاضي أبو أمية بن الحرث بن المشجع، كان من كبار التابعين، وأدرك الجاهلية، واستقضاه عمر بن الخطاب على الكوفة، فأقام قاضياً خمس وسبعين، ولم يتعطل فيها إلّا ثلاث سنين، امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير، استعفى الحجاج بن يوسف من القضاه فأعفاه، ولم يقض بين اثنين حتى مات، ولم يكن على وجهه طاقة شعر، وسخط عليه أمير المؤمنين عليه‌السلام مرّة فطرده من الكوفة، ولم يعزله عن القضاء وأمره أن يقيم ببانقيا، =

عثماني، وإنه ممن شهد على حجر بن عدي، وإنه لم يبلغ عن هاني بن عروة ما أرسله به، وقد كان علي بن أبي طالب عليهالسلام قد عزله عن القضاء، فلما أن سمع بذلك ورآهم يذمونه ويسندون إليه مثل هذا القول، تمارض وجعل المختار مكانه عبدالله بن عتبة بن مسعود [1].

= وكانت قرية من الكوفة أكثر سكانها اليهود، وبالجملة فالأخبار في خباثة رأي هذا الرجل وسوء عاقبته كثيرة، توفي سنة سبع وثمانين من الهجرة وهو ابن مائة سنة وقيل سنة ست وسبعين وهو بن مائة وعشرين سنة (روضات الجنات).

(1) (فائدة): نظم عبدالله بن همام قصيدة وجاء بها إلى المختار بعد أن استتب الأمر بالكوفة يصف بها ثورة المختار، ومن تبعه من القبائل، فأنشدها بمجلس المختار منها:

وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى ... ويلهيه عن رود الشباب شموع

دعا يا لثارات الحسين وأقبلت ... كتائب من همدان بعد هزيع

ومن مذحج جاء الرئيس بن مالك ... يقود جموعاً عبيت بجموع

ومن أسد وافى يزيد لنصره ... بكل فتى حامي الذمار منيع

وجاء نعيم خير شيبان كلها ... بأمر لدى الهيجاء أحد جميع

وما ابن شيمط إذ يحرض قومه ... هناك بمخذول ولا بمضيع

ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن ... وكل أخو اخباته وخشوع

وسار أبو النعمان لله سعيه ... الى ابن أياس مصحراً لووقع

بخيل عليها بوم هيجا دروعها ... وأخرى حسوراً غير ذات دروع

فكرّ عليهم كرة ثقفتهم ... وشدّ بأولاها على ابن مطيع

فولّى بضرب يشدخ الهام وقعه ... وطعن غداة السكتين وجيع

فحوصر في دار الإمارة بائياً ... بذّل وارغام له وخضوع

فمن وزير ابن الوصي عليهم ... وكان لهم في الناس خير شفيع

وآب الهدى حقاً إلى مستقره   بخير إياب آبه ورجوع

إلى الهاشمي المهتدى المهتدى به   فنحن له من سامع ومطيع

ولهذه القصيدة ذكر في تاريخ الطبري وما جرى بعد إلقائها اختلاف القول والثورة، راجعها في محلها للطبري: 7 / 111.

نعم كلّ ما تكلم أهل الكوفة في شريح القاضي فهو صحيح، وكأنّ فاتهم انه كان يجالس ابن زياد في قصر الإمارة وهو الذي ردّ مذحج عن ابن زياد، وكذب عليهم حين حبس عنده هاني بن عروة وهو أيضاً من جملة من أفتى بقتل الحسين عليه‌السلام ورضي بما فعله يزيد وابن مرجانة وأهل الكوفة بسيّد شباب أهل الجنّة، ولم ينكر عليهم لا بيده ولا بلسانه، قتلوا الحسين عليه السلام وأجروا الخيل على صدره وظهره، وقطعوا رأسه وحملوه على رأس رمح، فما أنكر الخبيث على أهل الكوفة فعلهم، وكذلك لمّا سبوا بنات الرسالة، وادخلوهنّ الكوفة مربّقات بالحبال ما أنكر ذلك، ورأى ابن مرجانة ينكث ثغر الحسين عليه‌السلام بعود الخيزران ما أنكر ذلك، قال الشاعر:

كحلت بمنظرك العيون عماية — وأصمّ رزئك كلّ اُذن تسمع

رأس ابن بنت محمّد ووصيّه — للناظرين على قناة يرفع

والمسلمون بمنظر وبمسمع — لا منكر منهم ولا متفجع [1]

---

(1) الأبيات للشاعر الكبير دعبل بن علي الخزاعي رحمه‌الله.

المطلب الرابع والثلاثون

في ثورة أهل الكوفة على المختار

لمّا جاء ابن زياد إلى حرب التوّابين، ووقعت واقعة وجرى ما جرى على التوابين، مكث ابن زياد في بادية الموصل، وفي ذلك الحين هلك مروان بن الحكم في مستهل شهر رمضان سنة خمس وستّين، وولّى بعده ابنه عبدالملك، فأقر ابن زياد على ما كان أبوه ولّاه، أقبل إلى الموصل وكان بها عبدالرحمن بن سعيد فكتب إلى المختار يخبره بدخول ابن زياد أرض الموصل، فندب المختار يزيد بن أنس الأسدي في ثلاثة آلاف اختارهم يزيد، وأمر المختار عبدالرحمن ابن سعيد أن خل بين يزيد وبين البلاد، فسار يزيد إلى المدائن، ثم إلى أرض الموصل، فنزل بها وبلغ خبره ابن زياد، فجز سريتين أحداهما مع ربيعة بن مخارق ثلاثة آلاف، والاخرى مع عبدالله بن حملة ثلاثة آلاف، فسبق ربيعة بن مخارق الى يزيد بن أنس فالتقيا في أرض الموصل، مما يلي الكوفة فتواقفا ويزيد ابن أنس مريض، ثم اقتتلوا هم والشاميون يوم عرفة سنة ست وستّين عند اضاءة الصبح، ففرّ الشاميون قتل أميرهم ربيعة، واحتاز جيش المختار ما في معسكرهم ورجع فرارهم، فلقوا الأمير الآخر عبدالله بن حملة فأخبروه فرجع بها وسار نحو يزيد بن أنس، فانتهى إليهم عشاءاً فبات الناس متحاجزين.

ولمّا أصبحوا يوم الأضحى من سنة ست وستّين اقتتلوا قتالاً شديداً، ثم

نزلوا فصلّوا الظهر، ثم عادوا إلى القتال، فهزم جيش المختار جيش الشام أيضاً وقتلوا أميرهم عبدالله بن حملة، واحتووا على ما في معسكرهم، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير، فجاؤا بهم إلى يزيد بن أنس وهو بآخر رمق، فأمر بقتلهم فضربت أعناقهم، ومات يزيد بن أنس من يومه ذلك آخر النهار، وكان قد استخلف ورقاء بن عامر، فدفنه ورقاء وسقط في أيدي أصحابه وجعلوا يتسلّلون راجعين إلى الكوفة، واتّفق رأي الأمراء على الرجوع إلى الكوفة، فأرجف أهل الكوفة بالمختار، وقالوا: قتل يزيد بن أنس في المعركة وانهزم جيشه وعمّا قليل يقوم ابن زياد فيستأصلنا، وتمالؤوا على المختار وقتاله، وإخراجه من بين أظهرهم، وقالوا: هو كذّاب وانتظروا حتى خرج إبراهيم بن الأشتر فإنّه قد عيّنه المختار وأمره على سبعة آلاف للقاء عبيدالله بن زياد.

فلمّا خرج إبراهيم بن الأشتر اجتمع أشراف أهل الكوفة ممّن كان في جيش قاتلي الحسين عليه‌السلام وغيرهم في دار شبث بن ربعي [1] وكان شيخهم وكان

---

(1) شبث بن ربعي على ماروواه ابن حجر العسقلاني في الإصابة روى الحديث عن أبيه مالكاً وإن مالك رواه عن أمير المؤمنين عليه‌السلام، وذكر اليافعي في مرآة الجنان، قال سيّد نخع وفارسها وقد ناضل الأمويين بجهده حتى فتل في الواقعة بدير الجاثليق، من طسوج مسكن قريب من - أرانا - على نهر دجّيل في غربي بغداد، وقتل فيها مصعب بن الزبير وكانت سنة اثنتين وسبعين للهجرة، ولقد أحسن العلامة الشيخ محمد على الأردوبادي حيث يقول مادحاً لإبراهيم بن الأشتر رحمه‌الله:

في نجدة ثقفية يسطوا بها — في الروع من نخع هزبر ضاري

الندب إبراهيم من رضخت له — الصيد الأُباة بملتقى الآصار

من زانه شرف الهوى من سؤدد — وعلى يفوح لها إريح نجار

حشوا الدروع أخي حجي لم يحكه — هضب الرواسي الشم في المقدار

إن يحكه فالليث في حملاته — والغيث في تسكابه المدرار

جاهلياً إسلامياً وأجمعوا رأيهم على قتال المختار، ثم وثبوا فركبت كل قبيلة مع أميرها في ناحية من نواحي الكوفة، وقصدوا قصر الإمارة.

وبعث المختار قاصدا مجدّاً إلى إبراهيم بن الأشتر ليرجع إليه سريعاً، وأرسل المختار إلى اولئك يقول لهم: ماذا تنقموا مني، فإنّي اجيبكم إلى جميع ما تطلبون، وإنّما يريد أن يثبّطهم عن المناهضة، وقال: إن كنتم لا تصدقونني في أمر محمّد بن الحنفية فابعثوا من جهتكم وابعث من جهتي، ولم يزل يطاولهم حتى قدم ابراهيم بن الأشتر بعد ثلاث، فاقتسم هو وابراهيم الناس فريقتين تكفّل المختار بأهل اليمين وتكفّل إبراهيم ابن الأشتر بمضر، وعليهم شبث بن ربعي، واقتتل الناس من نواحي الكوفة قتالاً عظيماً، وكثرت القتلى بين الفريقين، وقتل جماعة من الأشراف منهم عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الكندي وسبعمائة وثمانين رجل من قومه، وقتل من مضر بضعة عشر رجلاً في ذلك اليوم وكانت

او يحوه فقلوب آل محمّد المصطفين السادة الأبرار

ما إن يحضّ عند اللقا في غمرة إلّا وأرسب من سطا بغمار

أويمم الجلي بعزم ثاقب إلّا ورد شواضها بأوار

المرتدي حلل المديح مطارفا والممتطي ذللا بكلّ فخار

وعليه كلّ الفضل قصر كلّما كلّ الثنا قصر على المختار

وابن عبدالبر في الإستيعاب وابن الأثير في أسد الغابة واللفظ لابن حجر قال: شبث بفتح أوّله والموحدة، ثم مثله ابن ربع التميمي اليربوعي، أبو عبدالقدوس، له أدراك النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ورواية عن حذيفة وعن علي عليه‌السلام، وقال الدار قطني: يقال إنّه كان مؤذّن سجّاع لمّا ادّعت النبوّة، ثم راجع الإسلام. وقال ابن الكلبي: كان من أصحاب علي عليه‌السلام في صفين، ثم صار مع الخوارج، ثم تاب، ثم كان فيمن قاتل الحسين بن علي عليه‌السلام. وقال الغجلي: كان أول من أعان على قتل علي بن أبي طالب، وبئس الرجل هو. وقال معمر عن أبيه عن أنس، قال: قال شبث: أنا اول من حرر الحرورية، وكان فيمن كتب إلى الحسين عليه‌السلام أمّا بعد: فقد أخضر الجناب وأينعت الثمار إلى آخره.

النصرة للمختار، وأسر خمسمائة فعرضوا عليه، فقال انظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين عليه‌السلام فاقتلوه فقتل منهم مائتان وأربعون رجلا وقتل أصحابه مهم من كان يؤذيهم ويسيء إليهم بغير أمره، ثم أطلق من بقي منهم.

أقول: هذا أول يوم أخذ المختار فيه بثار الحسين عليه‌السلام من أهل الغدر والكفر، وبعدها أخذ يقتل كل من حضر طف كربلاء ويهدم داره. قال أرباب التاريخ: فتتبعهم حتى أكثر فيهم القتل، ولكنّنا ننتظر في الحقيقة اليوم الذي ينادي فيه المنادي: ظهر إمامكم فاتّبعوه يظهر عليه‌السلام ويأخذ بثارات أهل بيته.

متى ينجلي ليل النوى عن صبيحة نرى الشمس فيها طالعتنا من الغرب

المطلب الخامس والثلاثون

في ما فعله المختار بقتلة الحسين **عليه‌السلام**

ذكر أرباب التاريخ أنّ المختار بن أبي عبيدة الثقفي، لمّا ثار عليه أهل الكوفة وحاربهم ونصره الله عليهم وقتل منهم من قتل، وأطلق من أطلق منهم، فنادى آنئذ مناديه: من أغلق بابه فهو آمن إلّا من شرك في دماء آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، وتتبع المختار قتلة الحسين عليه‌السلام، فكانوا يؤتون حتى يوقفوا بين يديه فيأمر بقتلهم أنواعا من القتلات بما يناسب ما فعلوا، ومنهم من أحرقه بالنار، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات، ومنهم من رمى بالنبال حتى مات.

قال الراوي: وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي ممّن شهد قتل الحسين عليه‌السلام، فركب راحلته وهرب فلا يدري أين ذهب، وقيل: أدركه أصحاب المختار فذبحوه، لعنه الله.

قال: وهرب شمر بن ذي الجوشن، فبعث المختار في أثره غلاماً يقال له زريب، كما روى ابن كثير: قال الطبري: فقلته شمر وسار، وكتب إلى مصعب بن الزبير وهو بالبصرة يتذرع بقدومه عليه، وكان كل من فر من هذه الوقعة (وقعة الكوفة) يهرب إلى مصعب بالبصرة، وبعث شمر الكتاب مع علج آخر، وطلب

منه أن يذهب إلى سيّده، وكان أبو عمرة وهو صاحب المختار أرسله إلى قرية يقال لها الكلتانية، ليكون مسلحة بينه وبين أهل البصرة، فقصده أبو عمرة ودلّه العلج على مكانه في قرية بإزاء قريته، فلمّا كان الليل كابسه أبو عمرة وأصحابه فأعجلهم أن يلبسوا أسلحتهم، وطاعنهم شمر برمحه عريان وكان أبرص ثم دخل خيمته، واستخرج منها سيفاً، فناضل به حتى قتله أبو عمرة وألقى شلوه الى الكلاب، عليه اللعنة.

وبعث المختار إلى خولي بن يزيد الأصبحي الذي رام أن يحزّ رأس الحسين عليه‌السلام فأرعد فخرجت إليهم امرأته فسألوا عنه، فقالت: لا أدري أين هو، وأشارت بيدها إلى المكان الذي هو فيه مختب وهو بيت الخلاء، وكانت تبغضه من الليلة التي قدم بها إليها ومعه رأس الحسين عليه‌السلام واسمها (العيوف بنت مالك الحضرمي)، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة [1] فحملوه الى المختار، فأمر بقتله قريباً من داره وأن يحرق بعد ذلك فقتلوه بجانب أهله، ثم دعا المختار بنار فحرقه، ولم يبرح المختار حتى عاد رماداً، لعنه الله، ثم انصرف إلى محلّه.

قالوا: ودلّ المختار على عبيدالله بن أسيد الجهني ومالك بن النسر [2] وحمل مالك المحاربي بالقادسية فأحضرهم فأمر بقطع يدي مالك بن النسر ورجليه وتركه يضطرب حتى مات، وقتل الآخرين.

قال الراوي: ثم أحضر زياد بن مالك الضبعي، وعمران بن خالد القشيري،

---

(1) القوصرة وعاء يكون من سعف النخيل للتمر.

(2) مالك بن النسر هو الذي ضرب الحسين عليه‌السلام بسيفه وكان على رأس الحسين عليه‌السلام برنساً فامتلأ البرنس دماً، فقال له الحسين عليه‌السلام لا أكلت بيمينك ولا شربت بها.

وعبدالرحمن بن أبي خشكارة البجلي، وعبدالله بن قيس الخولاني، وكانوا قد نهبوا الورس [1] الذي كان في خيم الحسين عليه‌السلام، فقتلهم، عليهم لعائن الله.

واحضر عبدالله وعبدالرحمن ابني طلحة وعبدالله بن وهيب الهمداني ابن عم الأعشى فقتلهم.

وأحضر عثمان بن خالد الجهني، وأبا أسماء بشر بن شميط القابضي، وكانا مشتركين في قتل عبدالرحمن بن عقيل وسلبه، فقتلهما وحرقهما بالنار، عليهما لعنة الله.

وأمر بإحضار حكيم بن الطفيل الطائي السنبسي وكان هذا اللعين رمى الحسين عليه‌السلام بسهم وكان يقول: تعلّق سهمي بسرباله وما ضرّه، وأصاب سلب العباس بن علي عليه‌السلام، قال الراوي: فاستغاث أهله بعدي بن حاتم، فازدحم عليه الشيعة وقتلوه قبل أن يصل الى المختار خوفاً من شفاعة عدي، فرموه بالس بن علي عليه‌السلام، قال الراوي: فاستغاث أهله بعدي بن حاتم، فازدحم عليه الشيعة وقتلوه قبل أن يصل إلى المختار خوفاً من شفاعة عدي، فرموه بالسهام حتى صار كالقنفذ فهلك عليه اللعنة.

وبعث المختار على مرّة بن منقذ العبديى، قاتل علي بن الحسين الأكبر عليه‌السلام فأحاطوا بداره فدافع عن نفسه فضرب على يده اليسرى ونجى منهم لمّا هرب، ثم لحق بمصعب بن الزبير وقد شلت يده.

وأرسل المختار على زيد بن ورقاء الذي قتل عبدالله بن مسلم بن عقيل عليه‌السلام، فلمّا أحاط الطلب بداره خرج يقاتلهم ودافع بالسيف عن نفسه فرموه بالنبل والحجارة حتى سقط وأحرقوه حيّاً، عليه لعنة الله.

وأرسل المختار خلف محمد بن الأشعث وكان في قرية إلى جنب

---

(1) الورس شيء أحمر يشبه سحيق الزعفران.

القادسية، فأرسل عليه المختار مائة رجل وأحاطوا بقصره، فخرج منه محمّد بحيث ما رآه أحد ولحق بمصعب بن الزبير، فعمد المختار إلى داره بالكوفة فهدمها.

وطلب عمرو بن صبيح الصيداني وكان يقول: إني طعنت برمحي يوم عاشوراء وجرحت وما قتلت منهم أحداً، فأحضر عند المختار وأمر به فطعن بالرماح حتى هلك، عليه اللعنة.

وتطلب سنان بن أنس الذي كان يدّعي قتل الحسين عليه‌السلام فوجدوه قد هرب الى البصرة.

وطلب آخرين من المتهمين بقتل الحسين عليه‌السلام فوجدهم قد هربوا إلى البصرة ولحقوا بمصعب بن الزبير، فامر المختار بهدم دورهم وهكذا صنع بكلّ من هرب من هؤلاء إلى البصرة والجزيرة فهدّمت داره حتى روي أنّه قتل ثمانية عشر ألفاً ممّن شرك في قتل الحسين عليه‌السلام.

وأمّا ما كان من أمر حرملة بن كاهل عليه اللعنة قاتل عبدالله الرضيع، حدّث المنهال بن عمر قال: دخلت على زين العابدين سيدي ومولاي اودّعه وأنا اُريد الأنصراف من مكة، فقال: يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل؟ فقلت: تركته حيّاً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً وقال: اللّهمّ أذقه حرّ الحديد، اللّهمّ أذقه حرّ النار. قال المنهال: ولمّا قدمت الكوفة والمختار بها، فركبت إليه فلقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال لم تشركنا في ولايتنا هذه؟ قال: فعرّفته أنّي كنت بمكة، فمشى حتى أتى الكناس ووقف كأنّه ينتظر شيئاً فلم ألبث أن جاء قوم وهم ينادون: البشرى أيها الأمير، فقد أخذ حرملة. قال: فجيء به، فقال له المختار: لعنك الله، الحمد لله الذي أمكنني منك، ثم صاح الجزار الجزار، فأُتي بجزار فأمر بقطع يديه

ورجليه، ثم قال: النار النار، فاتي بنار وقصب فأحرق، قال: فقلت: سبحان الله فالتفت إليّ المختار وقال: التسبيح حسن لم سبّحت؟ قال: فأخبرته بدخولي على زين العابدين ودعا، فنزل من دابته وصلى ركعتين وأطال السجود، ثم رفع رأسه وهو يقول: الحمدلله الذي استجاب دعاء سيدي على يدي، فقال: إنّ علي بن الحسين دعا بدعوات فأجابها الله على يدي ثم تدعوني إلى الطعام، هذا يوم صوم شكراً لله تعالى، فقلت له: أحسن الله توفيقك.

وليس يشفي غليلنا من هذا الرجس بعد ما رمى رضيع الحسين عليهالسلام بسهم وذبحه من الوريد إلى الوريد.

هبوا أنّكم قاتلتم فقتلتم	فما ذنب أطفال تقاسي نبالها
ومذ رأته اُمّه أنشأت	تدعو بصوت يصدع الجلمدا
تقول عبدالله ما ذنبه	منفطماً آب بسهم الردى
لم يمنحوه الورد بل صيّروا	فيض وريديه له موردا

المطلب السادس والثلاثون

في مقتل عمر بن سعد عليه اللعنة

ذكر المؤرخون أنّ المختار ابن أبي عبيدة الثقفي لمّا أمكنه الله عزّ وجلّ من أهل الكوفة وأخذ بثار الحسين عليه‌السلام فقتل قاتليه والمتألبين عليه، فكان يقتل كلّ من حضر الطف وما نجا منه إلّا الذي هرب إلى البادية أو إلى البصرة ولاذ بابن الزبير، حتى ذكروا أنّ أسماء بن خارجة الفزاري كان ممّن سعى في قتل مسلم بن عقيل، فقال المختار: أما ورب الضياء والظلماء لتنزلنّ نار من السماء دهماء حمراء سخماء تحرق دار أسماء، فبلغ كلامه أسماء بن خارجة فقال: سجع أبو إسحاق، وليس ههنا مقام بعد هذا، وخرج من داره هارباً الى البادية، فبلغ المختار ذلك فهدم داره ودور بني عمه.

ويروى أنّه كان الشمر بن ذي الجوشن قد أخذ من الإبل التي كانت في رحل الحسين عليه‌السلام فنحرها وقسم لحمها على قوم من أهل الكوفة فأمر المختار فأحصوا كلّ دار دخلها من ذلك اللحم فقتل أهلها وهدمها، ولم يزل يتتبع قتلة الحسين عليه‌السلام حتى قتل خلقاً كثيراً وهدم الدور، وأنزلهم من المعاقل والحصون إلى المفاوز والصحون، حتى قتلت العبيد مواليها، وكان يسعى بمولاه فيقتله المختار.

قال الراوي: فلمّا خلا خاطره وانجلى ناضره اهتمّ بعمر بن سعد وابنه حفص، حدّث عمرو بن الهيثم قال: كنت جالساً عن يمين المختار والهيثم بن

الأسود عن يساره، فقال: والله لأقتلنّ رجلاً عظيم القدمين، غاير العينين، مشرف الحاجبين، يهمز الأرض برجليه، يرضى قتله أهل السماء والأرض، فسمع الهيثم قوله ووقع في نفسه أنّه اراد عمر بن سعد، فبعث ولده العريان فعرّفه قول المختار، وكان عبدالله بن جعدة بن هبيرة أعز الناس على المختار وقد أخذ لعمر أماناً من المختار حيث اختفى فيه وصورة الأمان هكذا: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمان المختار بن أبي عبيدة الثقفي لعمر بن سعد بن أبي وقاص، إنك آمن بآمان الله على نفسك وأهلك ومالك وولدك لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت منزلك إلّا أن تحدث حدثاً، فمن لقى عمراً من شرطة الله وشيعة آل محمد فلا يعترّضها له بسبيل خير والسلام ثم شهد فيه جماعة.

قال الباقر عليه‌السلام: إنّما قصد المختار أن يحدث حدثاً هو أن يدخل بيت الخلاء ويحدث.

فظهر عمر إلى المختار فكان يدينه ويكرمه ويجلسه معه على سريره، ولمّا تكلّم المختار بتلك الكلمات - الآنفة الذكر - علم اللعين أن قول المختار كناية عنه، فعزم على الخروج من الكوفة فأحضر رجلاً من بني تيم اللات اسمه مالك وكان شجاعاً وأعطاه أربعمائة دينار، وقال: هذه معك لحوائجنا وخرجا، فلمّا كان عند حمام عمر أو نهر عبدالرحمن وقف وقال: أتدري لم خرجت؟ قال: لا، قال: خفت المختار، فقال: ابن دومة - يعني اُم المختار - أضيق إستاً من أن يقتلك، وإن هربت هدم دارك وانتهب عيالك، وخرب ضياعك وأنت اعزّ العرب.

قال الراوي: فاغترّ عمر بن سعد بكلامه فرجعا على راحلتيهما ودخلا الكوفة مع الغداة، هذا قول المرزباني، وقال غيره: إنّ المختار علم بخروجه من الكوفة فقال: وفينا وغدر وفي عنقه سلسلة لو جهد أن ينطلق ما استطاع، فنام عمر على الناقة فرجعت به إلى الكوفة، وهو لا يدري حتى ردته إلى منزله، قال:

وأرسل عمر بن سعد ابنه حفص إلى المختار فقال له المختار: أين أبوك؟ قال: في المنزل، كان لا يجتمعان عند المختار خوفاً من فتكه، وإذا حضر أحدهما عند المختار غاب الآخر، فالتفت حفص إلى المختار وقال له: أبي يقول تفي لنا بالأمان. فقال: اجلس، فجلس عنده حفص، وطلب المختار أبا عمرة، وهو كيسان التمار، وأسرّه أن يمضي إلى عمر بن سعد ويقتله، وقال له: إذا دخلت عليه وسمعته يقول: يا غلام عليّ بطيلساني فاعلم أنه يريد السيف، فبادره واقتله، فمضى أبو عمرة، وما لبث أن جاء ومعه رأس عمر بن سعد، فقال حفص: إنّا لله وأنّا إليه راجعون، فقال له: أتعرف هذا الرأس؟ قال: نعم ولا خير في العيش بعده، فقال: لا تعيش بعده، ثم أمر بقتله فقتل واحتزّوا رأسه وجاءوا به إلى المختار فوضعه إلى جنب رأس أبيه عمر بن سعد، ثم قال المختار: رأس عمر برأس الحسين ورأس حفص برأس علي بن الحسين، لا والله لأقتلن سبعين ألفاً، كما قتل يحيى بن زكريا، ثم التفت إلى من حضر وقال: لو قتلت ثلاثة أرباع أهل الأرض لما وفوا بأنملة من أنامل الحسين عليه‌السلام.

قال أرباب السير: وجيء إليه بالعشرة الذين داسوا صدر الحسين عليه‌السلام وفي مقدمتهم الأخنس عليه اللعنة، فقالوا له: يا أمير هؤلاء رضوا جسد الحسين عليه‌السلام، فصاح: اطرحوهم على الأرض واضربوا السكك الحديدية في ايديهم وفي أرجلهم، ففعلوا ذلك ثم أمروا جماعة من شرطته وركبوا خيولهم وجعلوا يدوسونهم بأرجلها حتى هلكوا جميعاً وقطعت أشلائهم [1].

---

(1) (فائدة) روى المرزباني عن جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام أنّه قال: ما اكتحلت هاشمية ولا اختصبت ولا أدهنت ولا رؤي في دار هاشمي دخان حتى قتل عبيدالله بن زياد.=

أقول: هل يشفي قلوبنا هذا، لا والله بعد أن رضوا جسد أبي عبدالله بحوافر خيولهم، قال الأخنس: والله لقد جدّدنا نعالات خيولنا ورضضنا صدر الحسين وظهره:

يا عقّر الله تلك الخيول إذ جعلت   أعضاءه لعواديها مضاميراً

= (فائدة): عن يحيى ابن أبي راشد قال: قالت فاطمة بنت علي عليهماالسلام: ما تحنّت امرأة منّا ولا أجالت في عينيها مروداً ولا امتشطت حتى بعث المختار إلينا برأس عبيدالله بن زياد لعنه الله.

(فائدة): كانت مدة ولاية المختار ثمانية عشر شهراً أولها أربع عشر ليلة خلت من ربيع الأول، سنة ست وستّين، وآخرها النصف من شهر رمضان من سنة سبع وستّين.

المطلب السابع والثلاثون

في مقتل عبيدالله بن زياد عليه اللعنة

قال أرباب التاريخ والسير: بعث المختار بن أبي عبيدة الثقفي إبراهيم بن الأشتر للكوفة لقتال عبيدالله بن زياد لعنه الله وأخرج معه فرسان أصحابه وأهل البصائر والتجربة، منهم، وشخص إبراهيم بن الأشتر لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستّين، واستهلّت سنة سبع وستين وهو سائر لقصد بن زياد، وكان ابن زياد قد سار في معسكر عظيم من الشام، فبلغ الموصل وملكها، فالتقيا بمكان يقال له الخازر [1] بينه وبين الموصل خمس فراسخ، فبات ابن الأشتر ساهراً، فلمّا كان الفجر نهض فصلّى بأصحابه وعبّئ جيشه، وصار يحثّهم ويذكر لهم فعل ابن زياد بالحسين عليهالسلام وأهل بيته، ثم زحف بجيشه وهو ماش في الرجالة حتى أشرف من فوق تل على جيش ابن زياد، فإذا هم لم يتحرّك منه أحد، فلمّا رأوهم نهضوا إلى خيلهم وسلاحهم مدهوشين، فركب إبراهيم بن الأشتر وجعل يقف على رايات القبائل فيحرضهم على القتال.

وأقبل ابن زياد في جيش كثيف وعلى ميمنته الحصين بن نمير وعلى

(1) قال البكري في معجم ما استعجم: خازر بفتح الزاي نهر الموصل عليه التقى إبراهيم بن مالك الأشتر من قبل المختار وعبيدالله بن زياد فقتله إبراهيم.

الميسرة عمير بن الحباب السلمي، وعلى خيل بن زياد شرجيل بن ذي الكلاع، وابن زياد في الرجّالة فما كان إلّا أن تواقف الفريقان حتى حمل الحصين بن نمير بالميمنة على ميسرة أهل الكوفة فهزمها وقتل أميرها علي بن مالك، فأخذ رايته بعده ولده محمد بن علي فقتل أيضاً، واستمرَّ - الميسرة ذاهبة فجعل ابن الاشتر يناديهم: إليّ إليّ يا شرطة الله، أنا ابن الأشتر، وكشف عن رأسه ليعرفوه، فاجتمعوا إليه ثم حملت ميمنة الكوفة على ميسرة أهل الشام فثبتوا لهم وقاتلوا بالرماح ثم بالسيوف وبالعمد ثم حمل إبراهيم بن الأشتر وحمل أصحابه حملة رجل واحد فانهزم بين يديه أصحاب ابن زياد، وهو يقتلهم كما يقتل الحملان وأتبعهم بنفسه ومن معه من الشجعان وثبت عبيدالله بن زياد في موقفه حتى اجتاز به ابن الأشتر فقتله وهو لا يعرفه.

ولمّا انهزم جيش ابن زياد عليه اللعنة قال أبراهيم ابن الأشتر لأصحابه: التمسوا في القتلى رجلاً ضربته بالسيف فنفحتني منه ريح المسك، شرقت يداه وغربت رجلاه، وهو واقف عند راية منفردة على شاطئ نهر خازر، فالتمسوه فإذا هو عبيدالله بن زياد وقد ضربه ابراهيم ابن الأشتر فقطّعه نصفين، فاحتزّوا رأسه وبعثوه إلى المختار بن أبي عبيدة إلى الكوفة، وبعث معه رؤوس قواده مع البشارة بالنصر والظفر بأهل الشام، وأحرقت جثّته وقتل من الرؤوس أيضاً شرجيل بن ذي الكلاع والحصين بن نمير، عليهم لعائن الله.

وقال المختار رحمهالله فوطئ وجه ابن زياد بنعله، ثم رمى بها إلى غلامه، وقال اغسلها فإنّي وضعتها على وجه نجس كافر.

قال الراوي: وتبع أصحاب بن الأشتر المنهزمين من أهل الشام، فكان من غرق منهم في نهر الخازر أكثر ممّن قتل، وقالت الشعراء في ذلك اليوم تهجّوا ابن زياد وتذكّر الواقعة فمن قال شعراً سراقة البارقي يمدح ابن الأشتر:

أتاكم غلام من عرانين مذحج جريء على الأعداء غير نكول

فيا ابن زياد بوء بأعظم هالك وذق حد ماضي الشفرتين صقيل

جزى الله خيراً شرطة الله إنّهم شفوا من عبيدالله أمس غليلي

وقال عمر بن الحباب يذم جيش ابن زياد:

ما كان جيش يجمع الخمر والزنا محلّاً إذا لاقى العدوّ لينصرا

وقال ابن مفرغ حين قتل ابن زياد لعنه الله:

إنّ المنايا إذا ما زرن طاغية هتكن أستار حجاب وأبواب

أقول بعداً وسحقاً عند مصرعه لابن الخبيثة ابن الكودن [1] الكابي

لا أنت زوحمت عن ملك فتمنعه ولا مننت إلى قوم بأسباب

قال أرباب التاريخ وأهل السير: منهم ابن سعد في الطبقات، قال: لما وصل رأس ابن زياد إلى المختار بالكوفة فجعله المختار في جونة [2] ثم بعث به إلى محمد بن الحنفية وعلي بن الحسين عليه‌السلام وسائر بني هاشم، فلما رأى عليّ بن الحسين عليه‌السلام رأس عبيدالله بن زياد ترحّم على الحسين عليه‌السلام وقال: أُتي عبيدالله بن زياد برأس الحسين عليه‌السلام وهو يتغذّى، وأتينا برأس عبيدالله ونحن نتغذّى [3].

---

(1) الكودن الفرس الهجين.

(2) الجونة مغشاة أدماً، والأدم - الجلد ـ.

(3) (فائدة): عبيدالله بن زياد ولد سنة تسع وثلاثين، وأُمّه كانت مرجانة مجوسية وأبوه زياد ابن أبيه، ويقال له زياد بن أبي سفيان، لأنّ معاوية أدناه إليه وقال له: أنت أخي وشهد من شهد بمحضر من معاوية أنهم رأوا أبا سفيان اجتمع بسميّة، وكان والياً على العراقين البصرة والكوفة، وكانت به جرأة وإقدام ومبادرة شأن ابن الزنا قتل الحسين عليه‌السلام وهو ابن ثمان وعشرين سنة، قال ابن قتيبة في المعارف في ترجمة زياد بن أبي سفيان أنه ابنه عبيدالله كان أرقط (يعني: فيه سواد وبياض يعني آثاراً في وجهه) أرقط جميلاً وكان زياد زوّج أُمّه مرجانة =

وروى الكشّي قال: لمّا أتى برأس عبيدالله بن زياد ورأس عمر بن سعد إلى السجاد خر ساجداً وقال: الحمدلله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً.

نعم أدخلوا الرأسين على السجاد وهو يتغذّى، وقال هذه المقالة، ولكن لمّا أدخلوا رأس الحسين على ابن زياد، كانت معه الاُسارى، والسجاد آنذاك مقيّد بالحديد، ومن خلفه عمّاته وأخواته مربّقات بالحبال وهنّ كما قال السيّد جعفر الحلي رحمه‌الله:

تمسّك باليسرى حشا قلبها وتعقد باليمنى مكان الخمار

ولهانة تهتف في قومها من شيبة الحمد وعليا نزار [1]

= من شيرويه الأسواري، ودفع إليها عبيدالله، ونشأ بالأساورة، وكانت فيه لكنة، ولى لمعاوية خراسان، ثم ولّى العراقين بعد أبيه ثمان سنين خمسة منها على البصرة فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي، ثم سار الى الشام فكان مع مروان بن الحكم، فلمّا ظفر مروان ردّه على العراق فلمّا قرب من الكوفة وجّه إليه المختار إبراهيم الأشتر فالتقوا بقرب الزاب، فقتل عبيدالله ولا عقب له، قال البياسي:

أقول وذاك من جزع اُوجد أزال الله ملك بني زياد

وأبعدهم بما غدروا وخانوا كما بعدت ثمود وقوم عاد

(1) (فائدة): روى عن الشعبي قال: لم يقتل قط من أهل الشام بعد صفين مثل هذه الوقعة.

(فائدة) اتفق أرباب التاريخ على أنّ هذه الوقعة التي وقعت بالخازر وأسفرت عن قتل ابن زياد كانت يوم العاشر من المحرم.

(فائدة) عن أبي طفيل عامر بن واثلة الكناني قال: وضعت الرؤوس عند السدة بالكوفة وعليها ثوب أبيض فكشفنا عنها الثوب فرأينا حيّة تغلغل في رأس عبيدالله بن زياد، ونصبت الرؤوس في الرحبة قال عامر: ورأيت الحية تدخل في منافذ رأسه وهو مصلوب مراراً.

المطلب الثامن والثلاثون

في تنزيه المختار **عليه‌السلام**

لفّق أشياع بني اُميّة وأرباب التاريخ الأقلام المأجورة وأهل الجهل والعصبية أخباراً كثيرة في ذمّ المختار بن أبي عبيدة الثقفي رحمه‌الله، وافترى عليه من افترى منهم، ودسّوا فيه أخباراً كاذبة وقضايا مختلفة هو منها بريء وكلّما لفّقوه واختلقوه هو إزاء نضاله وبلائه دون عقيدته والأخذ بثار سيّد الشهداء ومقاومته للحكومة الأموية لا أكثر، وكلّما ذكروه في ذمه عار من الحقيقة فما ذكروه:

أنه ادّعى النبوة وأنه يأتي إليه جبرئيل وحاشاه من هذا الإفتراء بل كان يدّعي بإمامة السجاد زين العابدين ويدعو الناس أيضاً الى امامة السجاد، فلو كان يدعي الوحي لما كان يدعو الناس أولا إذلى إمامة محمد بن الحنفية، ثم لما ظهر له الحق وانجلى عنه غسق الريب صار يدعوا الى إمامة السجاد، وهو الذي أرسل للسجاد عليه‌السلام مالاً كثيراً وأرسل أيضاً حورية اُم زيد بن علي بن الحسين عليهما‌السلام.

ومنها: أنهم ذكروا أنه أرسل إلى السجاد عليه‌السلام بمائة ألف درهم، وكره السجاد أن يقبلها منه، يجوز أنّ الإمام عليه‌السلام لمّا ورد عليه المال من المختار ولم يقبله كان خوفه من السلطة الجائرة من حكومة عبدالملك بن مروان، فاتّقى الإمام في ذلك.

ومنها: قالوا: إنّ الإمام علي بن الحسين عليه‌السلام لعنه وهذا صريح على الإمام غير معقول في مذهبنا هذا وكيف يلعن الإمام شخصاً مسلماً موحّداً يقول بنبوّة

محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ويعترف بالبعث والنشر، وقد جاءت الرواية عن أبي سدير عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام: لا تسبوا المختار، فإنّه قتل قتلتنا وطلب بثارنا، وزوّج أراملنا، وقسّم المال فينا على العسرة، وروي مثله عن عبدالله بن شريك، قال: دخلنا على أبي جعفر عليه‌السلام يوم النحر، وهو متّكئ، وقد أرسل الى الحلّاق فقعدت بين يديه إذ دخل شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثم قال: أنا أبو محمّد الحكم ابن المختار بن أبي عبيدة، وكان متباعداً عن أبي جعفر، فمدّ يده إلى حتى كاد يقعده في حجره بعد منع يده، ثم قال: أصلحك الله إنّ الناس قد أكثروا في أبي، وقالوا والقول والله قولك، قال: وأي شيء يقولون؟ قال: يقولون كذاب ولا تأمرني بشيء إلا قبلته. فقال عليه‌السلام: سبحان الله، (أخبرني أبي والله أن مهر امي كان مما بعث به المختار، أو لم يبن دورنا، وقتل قاتلنا، وطلب بدمائنا، رحم الله أباك رحم الله أباك، ما ترك لنا حقّاً عند أحد إلّا طلبه، قتل قتلتنا وطلب بدمائنا).

فهذه الروايات كلّها واردة في حقه والرحمة عليه، معناه رضى الأئمّة عليه، ورضى الأئمّة رضى الله تعالى، أضف إلى ذلك ما رواه الأصبغ بن نباتة، قال: رأيت المختار على فخذ أمير المؤمنين عليه‌السلام وهو يمسح على رأسه ويقول: «يا كيس يا كيس [1]» ونحن نعتقد بأنّ أمير المؤمنين عليه‌السلام يعلم مآل المختار وعاقبة

(1) ذهب بعض الناس إلى تسمية المختار بكيسان، حيث إنّ أمير المؤمنين عليه‌السلام قال له: يا كيس، هذا قول وقيل: هذه النسبة التي لحقت بالمختار من صاحب شرطته، حيث كان اسمه كيسان، سمّي باسم كيسان، مولى علي بن أبي طالب المكنى بإبي عمرة، وهو الذي كان يدله على قتلة الحسين عليه‌السلام وكان صاحب سرّه الغالب على أمره، وكان لا يبلغه شيء عن رجل من أعداء الحسين عليه‌السلام في دار أو موضع إلّا قصده وهدهم داره بأسرها، وقتل كلّ من فيها من ذي روح، وكان أهل الكوفة يضربون به المثل، فإذا افتقد منهم أحد قالوا: دخل بيته أبو عمرة، يعنون بذلك كيسان صاحب المختار بن أبي عبيدة الثقفي رحمه‌الله.

أمره، فلو كان ذلك كما ذكروا لما أجلسه أمير المؤمنين عليه‌السلام في حجره ومسح على رأسه، ولما قال هذه المقالة وتلطّف معه، وعلي أمير المؤمنين عليه‌السلام لا يخفي عليه أمر المختار، ودعاء ابن الحنفية له أيضاً يوضح لنا حبّه له، وحبّ محمّد له من حبّ الأئمة عليهم‌السلام، وذلك لمّا أرسل الرؤوس الى السجاد عليه‌السلام ونظر إليها محمد بن الحنفية خر ساجداً ودعى للمختار وقال: جزاه الله خير الجزاء فقد أدرك ثارنا ووجب حقّه على كلّ من ولده عبدالمطّلب بن هاشم.

نعم شفى قلوب أهل البيت بأخذه الثار من أعدائهم وشفى غليله من أعدائهم وكان يأخذ بثارهم ويقتل أعدائهم فكان يقتلهم وهو يبكي كل ذلك حزناً على أبي عبدالله الحسين عليه‌السلام.

المطلب التاسع والثلاثون

في فضل الكوفة والأخبار الواردة فيها

قال أمير المؤمنين عليه‌السلام من خطبة له: (كأنّي يا كوفة تمدّين مدّ الأديم العكاظي [1] وتركبين بالزلازل، وتعركين بالنوازل، وإنّي اعلم أنّه ما أراد بك جبار سوءاً إلّا ابتلاه الله بشاغل، أو رماه بقاتل).

قال ابن أبي الحديد: قد جاء في فضل الكوفة عن أهل البيت عليهم‌السلام شيء كثير نحو قوله عليه‌السلام: (نعمت المدرّة).

وقوله عليه‌السلام: (إنّه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفاً وجوههم على صورة القمر).

وقوله عليه‌السلام: (هذه مدينتنا ومحلتنا ومقر شيعتنا).

وقول الصادق عليه‌السلام: (اللّهمّ أرم من رماها وعاد من عاداها).

وقوله: (تربة تحبّنا ونحبّها).

وأمّا ما همّ به الملوك وأرباب السلطان والجبابرة فيها من السوء ودفاع الله

(1) الأديم هو الجلد الذي يعمل جيّداً ويجلب إلى سوق عكاظ ويباع هناك، وسوق عكاظ: من قديم الأزمان كان يقام سوق بمكة في أيام الموسم مثل ما كان يقام بالبصرة سوق المربد وبالقطيف اليوم سوق الأربعاء وفي البحرين سوق الخميس.

عنها فكثير، قال المنصور للإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه‌السلام: إنّي هممت أن أبعث إلى الكوفة من ينقض منازلها ويجمر نخلها ويستصفي أموالها ويقتل أهل الريبة منها فأشر عَلَيَّ، فقال: (يا أمير المؤمنين إنّ المرء ليقتدي بسلفه ولك أسلاف ثلاثة، سليمان اعطى فشكر، وأيّوب ابتلى فصبر، ويوسف قهر فغفر، فاقتد بأيهم شئت) فصمت قليلاً ثم قال قد غفرت.

ويروى: أنّ زياد بن أبيه لمّا حصبه أهل الكوفة وهو يخطب على المنبر قطع أيدي ثمانين منهم وهمّ أن يخرب دورهم ويجمر نخيلهم ثم جمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة ليعرض عليهم البراءة من علي بن أبي طالب عليه‌السلام وعلم أنهم سيمتنعون فيحتج بذلك على استأصالهم وإخراب بلدهم، فقال عبدالرحمن بن السائب الأنصاري: فإنّي مع نفر من قومي والناس يومئذ في أمر عظيم إذ هومت تهويمة، فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق، له عنق مثل عنق البعير، أهدر أهدل فقلت: من أنت؟ فقال: أنا النقاد ذوالرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر، قال: فاستيقظت فزعاً فقلت لأصحابي: هل رأيتم مثل ما رأيت؟ قالوا: لا، فأخبرتهم، قال: ثم خرج علينا خارج من القصر فقالوا، انصرفوا فإنّ الأمير يقول لكم إنّي عنكم اليوم مشغول وإذا بالطاعون قد ضربه فكان يقول: إنّي أجد في النصف من جسدي حر النار حتى هلك، فقال عبدالرحمن بن السائب:

ما كان منتهياً عمّا أراد بنا حتى تناوله النقّاد ذو الرقبه

فأثبت الشقّ منه ضربة عظمت كما تناول ظلما حاجب الرحبه [1]

هذا من الجبابرة الذين ابتلاهم الله بشاغل، ومن الجبابرة هذا الحجاج بن

---

(1) يريد بصاحب الرحبة أمير المؤمنين عليه‌السلام على ما ذكره شيخنا العلامة الشيخ عبدالواحد المظفري أيده الله في كتابه الأمالي المنتخبة.

يوسف الثقفي، فإنّه تولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك.

ومنهم عمر بن هبيرة وابنه يوسف رميا بالبرص.

ومنهم خالد القسري ضرب وحبس حتى مات جوعاً.

وممّن رمي بقاتل عبيدالله بن زياد ومصعب بن الزبير ويزيد بن المهلّب.

فالكوفة أفاضت الأخبار في فضلها وأنّ البلاء مدفوع عنها، وفي البحار عن الرضا عن آبائه عليهمالسلام قال: (ذكر علي عليهالسلام الكوفة فقال: يدفع البلاء عنها كما يدفع عن أخبية النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم). وعن إبن نباتة قال: بينا نحن ذات يوم حول أميرالمؤمنين عليهالسلام في مسجد الكوفة إذ قال: (يا أهل الكوفة لقد حباكم الله عزّوجلّ بما لم يحب به أحد، ففضل ملّاكم وهو بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس ومصلّى إبراهيم الخليل ومصلى أخي الخضر ومصلّاي، وإن مسجدكم هذا أحد المساجد الأربعة التي اختارها الله عزّوجلّ لأهلها، وكأنّي به يوم القيامة في ثوبين أبيض شبيه بالمحرم، يشفع لأهله ولمن صلّى فيه فلا ترد شفاعته، ولا تذهب الأيام حتى ينصب الحجر الأسود فيه [1] وليأتينّ زمان يكون مصلّى المهدي من ولدي ومصلّى كلّ مؤمن ولا يبقى مؤمن إلّا كان به أو حنّ قلبه إليه، فلا تهجروه وتقربوا إلى الله عزّوجلّ بالصلاة فيه

---

(1) وهذه من مغيّباته عليهالسلام أشار إلى القرامطة ورئيسهم أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطي بعد أن أظهروا أمرهم بالبحرين سنة مائتين وثمانية وخمسين هجرية، ودخلوا مكة يوم الإثنين لسبع خلون من ذي الحجة سنة ثلاثمائة وسبعة عشر، في سبعمائة رجل فخرج إليهم والي مكة في جماعة من الأشراف فقتلهم القرامطة جميعاً ودخوا المسجد بخيلوهم وسلاحهم ووضعوا السيف في الطائفين والمصلّين والمحرمين إلى أن قتلوا في المسجد وشعاب مكة زهاء ثلاثين ألف إنسان، ركض ابو طاهر بفرسه في المسجد وسيفه مشهور بيده وأمر بالقتلى ورموهم في بئر زمزم وبقية الآبار وأقام بمكة أحد عشر يوماً ينهب ويقتل ثم اقتلع الحجر وأخذه معه وجاء به إلى الكوفة كما أخبر أمير المؤمنين عليهالسلام من قبل.

وارغبوا إليه في قضاء حوائجكم، فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبوا على الثلج).

وقال المؤلف سامحه الله في فضل مسجد الكوفة:

كوفان ما أسما وأعلى مسجداً — بك من أتاه مؤمّلاً لا يحرم

لله من بيت تعالى رفعة — فله على سمك الضراح تقدّم

بيت أتاه آدم من غابرا — لازمان حيث بفضله هو أعلم

بيت له روح الأمين وأحمد — وجميع رسل الله قد ما يممّوا

وأتاه شيخ المرسلين مصلياً — فيه وكل للإله يعظم

ولكم به كان الامام المرتضى — يقضي بحكم الله لما يحكم

فكأنه فلك لرفعت شأنه — وكأنما هذي المحارب أنجم

وكأن جل الأنبياء برحبه — قاموا الى فرض الصلاة وأحرموا

وعلي في محرابه متقدم — إن الإمام الى الصلاة يقدّم

وروي بحذف الأسناد عن اُسامة عن أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام قال: سمعته يقول: (الكوفة روضة من رياض الجنة فيها قبر آدم ونوح وإبراهيم وقبور ثلاثمائة وسبعين نبياً وستّمائة وصي، وقبر سيدالأوصياء علي أمير المؤمنين عليه‌السلام).

وجاء إليه رجل قال له: سيّدي إنّي قد ضربت على كلّ شيء لي ذهباً وفضّة وبعت ضياعي فقلت: أنزل مكة. فقال عليه‌السلام: (لا تفعل فإنّ أهل مكة يكفرون بالله جهرة). قال: أنزل بالمدينة؟ قال: (هم شرّ منهم). قال: فأين أنزل؟ قال: (عليك بالعراق الكوفة فإنّ البركة منها على إثني عشر ميلاً هكذا وهكذا، والى جنبها قبر ما أتاه مكروب قطّ إلّا وكشف الله كربه ولا ملهوف إلّا وفرج الله عنه وهو قبر أمير المؤمنين عليه‌السلام).

وقال: (حرمت النار على قدم تغبّرت في زيارة جدي أمير المؤمنين عليهالسلام)،

بلى والله قبره حمى لجواره، قال الشاعر:

بقبرك لذنا والقبور كثيرة   ولكن من يحمي الجوار قليل

وقال الآخر:

إذا مت فادفنّي مجاور حيدر   أبي شبّر ومولى الورى وشبير

فعار على حامي الحمى وهو بالحمى   إذا ظلّ في البيدا عقال بعير

ولست أخاف النار عند جواره   ولا أختشي من منكر ونكير

نعم، هو حامي الجار يحمي جواره، ولذا سكينة قالت لحميد بن مسلم، إنّ لنا قبراً في بالنجف واريد الرواح إلى جدّي أمير المؤمنين عليهالسلام فأشكوا إليه ما جرى علينا من أهل الكوفة.

المطلب الأربعون

في ما فعله السفّاح ببني أُمية

ذكر أرباب التاريخ وأهل السير: أنّه لمّا انهار كيان الدولة الأُموية وانهدم عرش جورهم على يد أبي مسلم الخراساني والمسوّدة، تربّع على كرسي الخلافة ابو السفاح [1]، خافته الملوك والتجأت إليه الأُمم، وتشتت بنو أمية شرقاً وغرباً خوفاً من سطوته والفتك بهم.

قال أرباب التاريخ: ولمّا استتب له الأمر كتب إليه جماعة من الأمويين يطلبون منه الأمان ويسألونه التعطف والإحسان، وأنّه لا يؤاخذهم بما كان، وأن يجعلهم أهل بطانته، فأجابهم: أنه غير غني عنهم، وإنّه يحتاج الى خدمتهم، وضمن لهم الأموال والعطايا والأقطاع، واجتمع إليه الكبير والصغير من آل أبي سفيان واعقاب يزيد وآل زياد، فقربهم إليه، وجعل منهم أمراء وحجّاب وندماء ووكلاء حتى اختلفت فيه الأقوال، فمن قائل يقول: إنه عمل هذا سياسة منه،

---

(1) هو أبو العباس السفاح عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، ولد في مستهلّ رجب سنة أربع ومائة، وبويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشر ليلة خلت من ربيع الآخر، سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر، وأُمّه ريطة بنت عبيدالله بن عبدالله بن عبدالمدان، توفي بالأنبار لثلاث عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وصلى عليه عمّه عيسى بن علي.

ومنهم من يقول: كيف صار يقرب أعداءه وقتلة آبائه.

قال أبو الحسن: فبينما السفاح ذات يوم جالس وحوله بنو أُمية عليهم الدروع المطرزة والعمائم الملوّنة، وقد تقلدوا بالسيوف المذهبة المحلّاة بالأحجار الكريمة إذ دخل عليه بعض حجابه وهو مذعور، فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ على الباب رجل ذميم المنظر عظيم المخبر شاحب اللون رثّ الأطمار يريد الدخول عليك، فقلت له: امض واغسل بدنك وثيابك وتطيّب حتى أستأذن لك منه، فتدخّل عليه فنظر إلى شزراً، وقال: إني آليت أن لا أنزع ثوباً ولا أستعمل طيباً ولا ألذّ بعيش حتى أصل إلى أمير المؤمنين وها هو على الباب منتظر ردّ الجواب. قال: ولمّا سمع السفاح ذلك، قال: صاحبنا وعبدنا سديف [1] وربّ الكعبة أذنا له فليدخل.

قال الراوي: ولمّا دخل سديف وسلم على السفاح وأنشأ يقول:

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وباس

---

(1) سديف كان عبداً لبني هاشم، وكان فصيح اللسان، قوي الجنان، وكان يخرج في موسم الحج الى بيت الله الحرام، ويصعد على ذروة من الأرض ينادي: أيها الناس، فيجتمع إليه الناس، ويبسط لسانه بمدح بني هاشم ويهجو بني أُمية ويصغر ملكهم ويحرّض الناس عليهم، ليخلعوا الخلافة منهم ويجعلوها في بني هاشم الذي جعلها الله فيهم، وهم آل بيت محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حتى أنّه جاء في موسم الحج وصعد زمزم وصاح برفيع صوته: يا أهل الأرض، ويا أهل الأبطح والصفا وباب مكة والكعبة العليا، فدونكم فاسمعوا، والله على ما أقول وكيل، فتكلّم في بني امية ما استطاع، فقام إليه جماعة من بني أمية، وضربوه ضرباً موجعا حتى غشي عليه حتى ظنوا انّه مات، قال الراوي: فجاءت امرأة فسقته شراباً بعد أن أفاق، وجعلت تمرضه حتى برئ وخرج من مكّة الى الشعاب ورؤوس الجبال مثله في بحار الأنوار جلد العاشر منه.

قال أرباب السير: ويقال أنّ سديف لمّا دخل على السفاح وأنشأ يقول شعراً:

لا يغرنك ما ترى من رجال — إنّ بين الضلوع داءاً دويّا

فضع السيف وارفع الصوت حتى — لا ترى فوق ظهرها أمويّا

فقال له السفاح: يا سديف أهلاً بطلعتك ومرحباً برؤيتك، قدمت خير مقدم، وغنمت خير مغنم، فلك الإكرام والإنعام، وأمّا أنت ماله من الأعداء فالصفح أجمل، فإن أكرم الناس من عفا إذا قدر، وصفح إذا ظفر، ثم نادى: يا غلام عليَّ بتخت من الثياب وكيس من الورق [1] فأتاه بذلك، فقال الصفاح: يا سديف خذ هذه الثياب وغير ثيابك، واصلح بهذه الدنانير حالك، وعد إلينا في غد انشاءالله، فلك عندنا ما تحب وترضى.

قال الراوي: فعند ذلك خرج سديف من عند السفاح وأخذ بنو أُمية يحدّث بعضهم فالتفت إليهم السفاح، وقال لهم: يا بني امية لا يكبرن عليكم ما سمعتم من هذا العبد، وليس له رأي سديد ولا ينبغي أن نأخذ بأقواله، وإنّما قال لهم هذا ليرفع ما وقع في نفوسهم من الهلع والجزع.

قال الراوي: ولمّا كان غداة غد بكر إليه بنو أُمية على عادتهم فدخلوا وسلّموا عليه فردّ عليهمالسلام، وقرّب مراتبهم ورفع مجالسهم ففرحوا لذلك فرحاً شديداً وأخذ يحدّثهم ويلاطفهم، فبينا هو كذلك إذ دخل عليهم سديف، وقد غيّر ثيابه، فسلم على السفاح، فأشار السفاح إليه بيده وقال: نعم صباحك وبان فلاحك وظهر نجاحك، كشف الله بك رواكد الهموم وفداك أبي لأنّك آخذ بالثار وكاشف عن قومك وخيمة العار، وحاشاك أن تكون من الغافلين عن ثار قبيلتك فأغضب لعشيرتك يابن الرؤساء من هاشم، والسراة من بني عبد مناف.

______

(1) الورق الدراهم المضروبة جمعها أوراق ووراق.

قال الراوي: فلمّا سمع السفاح كلامه أطرق برأسه إلى الأرض، ثم رفع رأسه وقال له: يا سديف أحلم الناس من صفح عمّن ثلمه، وصان عرضه عمّن ظلمه، فلك عندنا افضل الكرامة والجزاء، فانصرف يا سديف، ولا تعد الى مثلها أبداً، فخرج سديف من عنده، والتفت السفاح إلى بني اُمية، وقال لهم: إنّي اعلم أنّ كلام هذا العبد قد أرجفكم، وقد أثر في قلوبكم، فلا تعبئوا بكلامه فإنّي لكم كما تحبّون وفوق ما تأملون، وسأزيد لكم العطاء وأقرب لكم الجزاء، وأقدّمكم على غيركم، فخرجوا من عنده وقد سكن ما بهم واجتمعوا للمشورة فيما بينهم، قال قائل منهم: هلمّوا بنا حتى ندخل على السفاح ونسأله ان يسلّم إلينا هذا العبد فنقتله، وامتنع الآخرون من هذا القول.

ولمّا أن أمسى المساء أرسل السفاح خلف سديف فأحضره عنده، فلمّا دخل عليه سديف قال له: ويلك يا سديف إنّك لعجول في أمرك، مفش لسرّك، ألا تستعمل الكتمان. فقال سديف: الكتمان قد قتلني، والتحمّل قد أمرضني، والنظر الى هؤلاء الظلمة قد أسقمني، ولكن يخفى عليك أمري وما حل بي وبأهلك وعشيرتك من قتل الرجال وذبح الأطفال وهتك النسوان حمل حريم رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم على الأقتاب بغير غطاء ولا وطاء يطاف بهم البلدان، فأيّ عين ترقا مدامعها وأيّ قلب لا ينفجع عليهم، فاستوف لهم الدماء، واضرب بحسامك العدا، وخذ بالثار من الظلمة لأئمّة الهدى ومصابيح الدجى وسادة الأحرار، ثم أنشأ يقول:

رجالكم قتلوا من غير ذي سبب　　　　واهلكم هتكوا جهراً على البدن

بلى والله لقد قتلوا أبناء رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم وأحفاده وأسروا كرائمه على عجف النياق بلا غطاء ولا وطاء.

رجالهم صرعى وأسر نساؤهم　　　　وأطفالهم في السبي تشكوا حبالها

المطلب الحادي والأربعون

في بقية قضية السفاح وما فعله ببني أمية

ذكر المؤرخون وأهل السير: أنّ السفاح لمّا أراد أن يطهّر الأرض من الأرجاس ويقضي على بني أُمية ويستأصل شأفتهم، دعا سديفاً ليلة من الليالي وقال له: يا سديف، قد بلغ الكتاب أجله، وقرب ما كنت تؤمله، نم ليلتك قرير العين، وآتني غداة غداً اعطيك أملك وأبلغك رجاءك.

قال الراوي: فبات سديف تلك الليلة يدعو ربه ويسأله إتمام ما وعده به السفاح، قال: وأصبح السفاح وكان ذلك اليوم يوم النيروز، أمر مناديه فنادى: أن أمير المؤمنين أباالعباس السفاح قد بسط الإنطاع وصبّ عليه خزائنه، وقال: اليوم يوم عطاء وجزاء وجوائز ومواهب وضربت الطبول ونشرت الرايات، وقد زيّن قصر الخليفة ونصب كرسي الخلافة في وسطه وأمر السفاح بالإنطلاع فبسطت بين يديه وصبّ عليها الدنانير والدراهم والأسورة ومناطق الذهب والفضة، ثم دعا بأربعمائة من غلمانه من أشدّهم وأشجعهم وأعطاهم السيوف المذهّبة وقال لهم: كونوا في الأخبيئة والمخادع واسلبوا عليكم الستور وكونوا على استعداد من أمركم، فإذا رأيتموني ضربت بقلنسوتي الأرض فاخرجوا من المخادع وضعوا السيوف في رقاب الحاضرين وكلّ من ترونه ولو كان من بني عمّي.

قال الراوي: ولما تعالى النهار وجلس السفاح على سرير الخلافة، أقبلت

إليه الناس في الزينة والبهجة الحسنة للسلام عليه والعطاء، وأقبل بنو أُمية يرفلون بالحلل السندسية يجرّون أرديتهم زرافات ووحدانا حتى تكاملوا سبعين ألفاً من أمية وآل أبي معيط ومن يمت بهم وحاشيتهم، قال: فعند ذلك صعد السفاح إلى أعلى محل في قصره وهو متقلد بسيفه، والتفت إلى بني أُمية وقال: هذا اليوم الذي كنت أعدكم فيه للجزاء والعطاء، فبمن يكون البداء بالعطاء للأمويين أم للهاشميين؟ فقال كلّهم: يا خليفة رسول الله إنّ بني هاشم هم سادات العرب، فلا يتقدّم عليهم أحد ولن يقدّم العبد على سيده.

قال: فصاح السفاح بعبد له كان عن يمينه وكان فصيح اللسان: نادي ببني هاشم واحداً بعد واحد حتى نجزل لهم العطاء ونحسن لهم الجوائز، فنادى الغلام برفيع صوته: أين عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم هلمّ إلينا واقبض عطاءك، فقام سديف قال: وأين عبيدة بن الحارث؟ قال: وما فعل به؟ قال: قتله شيخ من هؤلاء يقال له عتبة بن ربيعة. فقال السفاح: يا غلام اضرب على اسمه وإتنا بغيره.

فنادى الغلام: أين أسد الله وأسد رسوله الحمزة بن عبدالمطلّب بن هاشم ابن عبد مناف، هلم علينا واقبض عطاءك. فقال سديف: وأين حمزة؟ قال: وما فعل به؟ قال: قتلته امرأة من هؤلاء القوم يقال لها هند بنت عتبة في احد وأقبلت بعد القتل ومثلث به فشقت جوفه وأخذت كبده لتأكلها فحوله الله حجراً في فمها فسمّيت آكلة الأكباد، ثم قطعت أصابعه وجعلتها قلادة في عنقها وجدعت أنفه وقطعت مذاكيره. فقال السفاح: يا غلام اضرب على اسمه، وائتنا بغيره.

فنادى الغلام: أين أوّل الناس إسلاماً وأفضل الوصيين ويعسوب الدين وأمير المؤمنين أين علي بن أبي طالب هلمّ إلينا واقبض عطاءك. فقال سديف: يا مولاي وأين علي بن أبي طالب، لقد قتله المرادي عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله

وزيّن معاوية بن أبي سفيان الشام فرحاً لقتله. فقال السفاح: يا غلام اضرب على اسمه وأتنا بغيره.
فنادى الغلام: أين ابن بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وسيّد شباب أهل الجنّة الحسن ابن علي هلمّ إلينا واقبض عطاءك. وقال: يا مولاي وأين الحسن بن علي؟ قال السفاح: وما فعل به؟ قال: قتلته جعدة بنت الأشعث بسمّ دسّه معاوية إليه من الشام، فقال: يا غلام اضرب على اسمه وأتنا بغيره.
فنادى الغلام: أين مسلم بن عقيل بن أبي طالب هلمّ إلينا واقبض عطاءك. فقال سديف: يا مولاي وأين مسلم بن عقيل؟ قال: وما فعل به؟ قال: قتله هؤلاء القوم فأخذه عبيدالله بن زياد لعنه الله فقتله ورمي بجسده من اعلى القصر إلى الأرض وربطوا الحبال في رجليه وجعلوا يسحبونه بالأسواق. فقال السفاح: يا غلام اضرب على اسمه واتنا بغيره.
فنادى الغلام: أين ابن بنت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وسيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن علي بن أبي طالب، هلمّ إلينا واقبض عطاءك، فبكى سديف وصرخ: وا حسينا ونادى: يا مولاي وأين الحسين؟ فقال السفاح: وما فعل بولد رسول الله؟ قال: قتله أمير هؤلاء الذين هم جالسون حولك وهم على كرسي الذهب والفضّة، قتله بأرض كربلاء عطشاناً وأخذوا رأسه على رمح طويل من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام إلى يزيد بن معاوية. فقال السفاح: يا غلام اضرب على اسمه واتنا بغيره.
فنادى الغلام: وأين العباس بن علي هلمّ إلينا واقبض عطاءك. فقال سديف: يا أمير المؤمنين وأين العباس بن علي. قال: وما فعل به؟ قال: قتله هؤلاء في كربلاء بعد أن قطعوا يمينه وشماله وضربوا رأسه بعمود من حديد. فقال السفاح: يا غلام اضرب على اسمه واتنا بغيره.

فقال الغلام: أين زيد بن علي بن الحسين هلمّ إلينا واقبض عطاءك. فقال سديف: وأين زيد بن علي بن الحسين؟ فقال السفاح: وما فعل به؟ قال: قتله هشام بن عبدالملك وصلبه في كناسة الكوفة وبقي مصلوباً أربع سنين حتى عشعشت الفاختة في جوفه، ثم أنزلوه بعد ذلك وأحرقوه وسحقوا عظامه المحترقة وذروها في الهواء، ثم قتلوا ولده من بعده. فقال السفاح: يا غلام اضرب على اسمه وأتنا بغيره.

فنادى الغلام: أين إبراهيم بن علي بن عبدالله بن العباس هلمّ إلينا واقبض عطاءك، فسكت سديف، فقال السفاح: ويلك يا سديف سكَتَّ عن الجواب؟ قال: يا أمير المؤمنين إني استحي أن اخبرك بما فعل هؤلاء القوم بأخيك. فقال السفاح: سألتك بالله اما أخبرتني ما فعل بأخي. فقال: يا أمير المؤمنين قبضه رجل من هؤلاء القوم يقال له مروان، وأدخل رأسه في جراب بقرة وركّب في أسفله كور الحدادين وأمر النافخ ينفخ والجلاد يجلد حتى ضربه عشرة آلاف سوط في ثلاثة أيام، فبكى وصاح صيحة واحدة وأخذ قلنسوته فضرب به الأرض ونادى: يا لثارات بني عبدالمطلب يا لثارات الحسين عليه‌السلام.

فخرج الغلمان من الأخبية والمخادع بأيديهم السيوف وجعلوا يضربون رقابهم، فكان بنو أمية كلّما انحازوا إلى جانب تلقتهم الغلمان من ذلك الجانب بضرب السيوف، فما كانت إلا ساعة حتى أتوا على آخرهم، وقد كان خدّامهم وعبيدهم حول القصر يحفضون لهم خيولهم وينتظرون خروجهم، وإذا هم يرون الدماء تسيل من كلّ ميزاب كأنّها السيل، فركب كلّ منهم جواد مولاه وهرب على وجهه.

قال الراوي: وأمر عند ذلك السفاح بالأشلاء فجمعت مثل المسبطة وفرشت فوقهم الأنطاع وجلس عليها السفاح وسديف وجماعة من بني هاشم،

ووجوه العباسيين، ثم أمر السفاح بالموائد فصبّت وقدموا الطعام، فأكل السفاح وقومه وسديف معهم.

قال: والتفت السفاح إلى سديف وقال له: يا سديف هل برد غليلك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أكلت أكلة أطيب من هذا اليوم ثم أنشأ سديف قائلاً:

الا مبلغ ساداة هاشم معشري وجمع قريش والقبائل من فهري

وسادات مخزوم وأبناء غالب قريباً من النور المغيب في القبر

ومن كان منهم في المدينة ثاوياً وسكّان بيت الله والركن والحجر

ومن كان منهم في الغريين ثاوياً وذلك علي صاحب النهي والأمر

ومن سكن الطف المعظم قدره حسين الرضي المدفون بالبلد القفر

بأنّ سديفاً قد شفى الله قلبه بسمر رماح ثم مرهفه بتر

وأنّ أبا العباس ثار لثارهم فلم يبق موتوراً يطالب بالوتر [1]

وإنّ فعل أبوالعباس ما فعل ببني اُمية وقتل ما قتل منهم لم يبلغ معشار ما فعلوا بنو اُمية بأهل البيت فإنّهم:

أبادوهم قتلاً وسمّاً ومثلة كأنّ رسول الله ليس لهم أب

كأنّ رسول الله من حكم شرعه على آله أن يقتلوا أو يصلّبوا

---

(1) (فائدة): يروى مرسلاً أنّ السفاح قد فتك ببني أمية مرتين، ففي المرّة الاُولى كان على ما ذكرنا من قضيّة سديف، فبهذه الكيفية قتلهم، وأمّا المرّة الثانية فإنّه بنى لهم قصراً وجعل أُسس ذلك القصر من الملح، حتى إذا اكمل القصر دعاهم إليه فلما اجتمعوا فيه سلط عليهم الماء فأخذ جميع جهاته إلى أن ذاب الملح وانهدم عليهم القصر فهلكوا عن آخرهم.

المطلب الثاني والأربعون

في مقتل زيد بن علي بن الحسين **عليه‌السلام**

قال أبو الفرج الأصبهاني [1]: اشترى المختار بن أبي عبيدة الثقفي جارية بثلاثين ألف دينار، فقال لها: ادبري فأدبرت، ثم قال لها: اقبلي فأقبلت، فقال لها: والله ما أرى أحد احق بها من علي بن الحسين زين العابدين عليه‌السلام، فأرسها إليه وهي أُمّ زيد المصلوب.

وعن الصادق عليه‌السلام قال: (قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يوماً للحسين: يخرج من يخرج من صلبك فتى يقال له زيد يتخطّا هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس ثم يدخلون الجنّة بغير حساب).

وقال علي بن الحسين عليه‌السلام لرجل من محبّيه: (بينا أنا ذات ليلة أُصلّي إذ ذهب بي النوم فرأيت نفسي كأنّي في الجنّة وكأن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قد زوجوني جارية من الحور العين، فواقعتها ثم اغتسلت عند سدرة المنتهى وإذا بهاتف يهتف بي: ليهنّك بزيد ليهنّك بزيد، قال: ثم استيقضت من منامي فقمت وصلّيت صلاة الفجر، فلمّا فرغت وإذا بالباب تطرق، ففتحتها، وإذا برجل ومعه جارية وهي متجلبة بجلبابها، فسلّم عَلَيَّ وقال لي: أنا رسول

---

(1) في ص 124 من كتابه مقاتل الطالبيين.

المختار إليك وهو يقرؤك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية عندنا فاشتريتها وأحببت أن أهديها لكم، ثم أمرت الجارية فدخلت إلى الحرم وجلست مع نسائنا وانصرف ذلك الرجل، فأقبل عليها الإمام وقال لها: ما اسمك؟ قالت: حوراء، فعقد عليها وتزوجها فأولدها زيداً).

وقال بن قولويه: روى بعض أصحابنا قال: كنت عند علي بن الحسين عليه‌السلام فكان إذا صلّى الفجر لم يتكلّم حتى تطلع الشمس، فجاءه ذات يوم مولود، فبشّروه به بعد صلاة الفجر، قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: ما اُسمّي هذا المولود؟ قال الراوي: فقال كلّ منهم سمّه كذا وكذا، فقال علي بن الحسين عليه‌السلام: عَلَيَّ بالمصحف، فأتوا به إليه فقبّله ووضعه في حجره ثم فتحه فنظر إلى اوّل السطر من الصفحة اليمنى، وإذا قوله تعالى: (وَفَضّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرَاً عَظِيماً) [1] ثم طبقه وفتحه فنظر فيه فإذا في أوّل الصفحة قوله (إِنّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنّ لَهُمُ الْجَنّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [2]، فقال عليه‌السلام، (هو والله زيد فسمّي زيداً) [3].

وقال خالد مولى الزبير: دخلت يوماً على علي بن الحسين عليه‌السلام فدعا بولده زيد فجاء إليه وكان يومئذ صبياً، فأقبل إليه يمشي فكبا لوجهه، فقام علي بن الحسين عليه‌السلام وأخذه ووضعه في حجره وجعل يمسح وجهه وهو يقول: (اُعيذك بالله يابني أن تكون زيداً المصلوب بالكناسة، فمن نظر إلى عورته متعمّداً صلى الله وجهه النار).

---

(1) سورة النساء من الآية 95.

(2) سورة التوبة 111.

(3) ولد زيد بن علي بن الحسين عليه‌السلام بالمدينة بعد طلوع الفجر سنة ست وستّين أو سبع وستّين من الهجرة، المجدي لأبي الحسن العمري النسّابة.

قال الراوي: ودخل زيد يوماً على هشام بن عبدالمطلب، فقال له هشام: أنت المؤهل نفسك للخلافة؟ وما أنت وذاك؟ وإنّما أنت ابن أمة، فقال زيد: إنّي لأعلم أحداً أحبّه الله مثل إسماعيل بن إبراهيم وهو ابن أمة، وما تنكر من ابن امة وجدّه رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم وأبوه أمير المؤمنين.
ويروي في مروج الذهب أن قال له: إنّ الامّهات لا يقعدون بالرجال عن الغايات وقد كانت أُم اسماعيل أمة لام إسحاق فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيّاً وجعل للعرب أباً فأخرج من صلبه خير البشر محمّد صلىاللهعليهوآلهوسلم، فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وأبن علي عليهمالسلام وقام وهو يقول:

شرّده الخوف فأزرى به ... كذاك من يكره حرّ الجلاد

منخرق السربال يشكو الوجي ... تنكبه أطراف سمر حداد

قد كان في الموت له راحة ... والموت حتم في رقاب العباد

أن يحدث الله له دولة ... يترك آثار العدا كالرماد

ثم خرج من عنده وهو يقول: لم يكره قوم قط حرّ السيف إلا ذلّوا، فلما وصل إلى الكوفة اجتمع عليه أهلها فلم يزالوا به حتى بايعه مائة ألف سيف، فلمّا قام بالحرب ونادى بشعار رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم: يا منصور أمتك، نقضوا بيعته، فلمّا رأى ذلك قال: أين الذين بايعوني؟ فعلوها حسينية ثم أنشأ يقول:

أذلّ الحياة وعزّ الممات ... وكلّاً أراه طعاماً وبيلا

فإن كان لابدّ من واحد ... فسيري إلى الموت سيراً جميلا

قال: واشتبك الحرب فأُصيب زيد بسهم في جانب جبهته اليسرى، فنزل إلى دماغه فأقبل إليه ورده يحيى فانكبّ عليه، وقال له: ابشر فإنّك ترد على رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهمالسلام، قال: قال: أجل أي بني وما تصنع من بعدي؟ قال: اقاتلهم. فقال زيد: افعل يا بني فإنّك على الحق وهم على الباطل، ثم إنّ يحيى نزع السهم من جبهة أبيه وخرج الدم كالميزاب، ثم خرجت

روحه، فحملوه الى بستان فيه نهر ماء فقطعوا الماء الذي يجري فيه، وحفروا له حفيرة في وسط النهر فدفنوه وأجروا الماء عليه، وكان معهم سندي فذهب إلى يوسف بن عمرو الثقفي وأخبره، فجاء اللعين وأخرجه من قبره وصلبه في الكناسة بالكوفة، فمكث اربع سنين مصلوباً، حتى عشعشت الفاختة في جوفه، ونسج العنكبوت في جوفه على عورته.

ولمّا هلك هشام، كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف ابن عمرو، أما بعد: إذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى عجل أهل الكوفة فاحرقه وأنسفه في اليم نسفاً [1]، فأنزله اللعين وأحرقه وذراه في الهواء.

قال حمزة بن عمران: دخلت على أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من الكوفة، فبكى بكاءً شديداً وجرت دموعه على لحيته حتى ابتلّت، فقلت له: ما يبكيك يابن رسول الله؟ قال: (ذكرت عمّي زيداً).

قلت: وما الذي أصاب جبهته، قال المرحوم الخطيب الشيخ يعقوب النجفي رحمه‌الله:

يبكي الإمام لزيد حين يذكره وإنّ زيداً بسهم واحداً ضربا

فكيف حال عليّ بن الحسين وقد رأى أباه لنبل القوم قد نصبا

وكان الصادق عليه‌السلام كلما ذكر السهم يبكي.

أقول: ما يصنع حين يذكر السهم الذي وقع في قلب جدّه الحسين عليه‌السلام يوم عاشوراء وكلّما عالج أراد أن ينتزعه من موضعه ما تمكّن، انحنى على قربوس سرج فرسه وقائلاً: «بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله» فاستخرج السهم من قفاه وسال الدم كالميزاب، خرّ صريعاً إلى الأرض:

سهم أصابك يابن بنت محمّد قلباً أصاب لفاطم وفؤادا

(1) انظر مقاتل الطالبيين: 139.

المطلب الثالث والأربعون

في بقية قضية زيد بن علي بن الحسين عليه‌السلام

ذكر صاحب المقاتل: أنّه لمّا قتل زيد بن علي بن الحسين عليه‌السلام ودفنه ابنه يحيى في النهر، وأجرى عليه الماء، استخرجه يوسف بن عمرو بعد الدفن وقطع رأسه وبعث برأسه وبرؤوس أصحابه إلى هاشم بن عبدالملك مع زهير بن سليم، ودفع هشام لمن أتاه بالرأس عشرة دراهم ونصبه على باب دمشق.

ويروى أنه ألقى الرأس أمامه فأقبل الديك ينقر رأسه فقال بعض من حضر من الشاميين:

اطردوا الديك عن ذوابة زيد   فلقد كان لا يطاه الدجاج

قال الراوي: وبعث هشام بالرأس من الشام إلى مدينة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فنصب عند قبر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يوماً وليلة، وكان العامل على المدينة محمد بن إبراهيم بن هشام المخزومي، فتكلم معه ناس من أهل المدينة أن ينزله، فأبى إلا ذلك، فضجت المدينة بالبكاء من دور بني هاشم، وكان كيوم الحسين عليه‌السلام، ونظر إلى الرأس كثير بن المطلّب السهمي فبكى وقال: نظّر الله وجهك أبا الحسين، وقتل قاتليك، وكان كثير يميل الى بني هاشم لأن أُمّ أبيه المطلّب أروى بنت عبدالمطلّب ابن هاشم بن عبد مناف، فقال له الوالي: بلغني عنك كذا وكذا؟ قال: هو كما بلغك، فحبسه، وكتب إلى هشام بن عبدالملك يخبره، فقال كثير وهو في الحبس:

إنّ امرءاً كانت مساويه	حبّ النبي لغير ذي ذنب
وكذا بني حسن والدهم	من طاب في الأرحام والصلب
ويرون ذنباً إن أحبّكم	بل حبّكم كفّارة الذنب

وحدّث عيسى بن سوادة قال: كنت بالمدينة لمّا جيء برأس زيد ونصب في مؤخّر المسجد على رأس رمح، وأمر الوالي فنودي في المدينة برأت الذمّة من رجل بلغ الحلم لم يحضر المسجد، فحضر الناس الغرباء وغيرهم ولبثوا سبعة أيام كلّ يوم يخرج الوالي فيقوم الخطباء من الرؤساء فيلعنون علياً والحسين وزيداً وأشياعهم، فإذا فرغوا قام القبائل عربيّهم وأعجميّهم، وكان بني عثمان أول من قام الى ذلك، حتى إذا صلى الظهر وانصرف وعاد بالغد مثلها سبعة أيام، وقام رجل من قريش يقال له: محمد بن صفوان الجمحي فأمره الوالي بالجلوس، ثم عاد من غير أن يدّعي فقال له الوالي: اقعد، فقال: إن هذا مقام يقدر عليه أحد، فإذن له الوالي بالكلام، فأخذ في خطبته فلعن علياً وأهل بيته والحسين وزيداً ومن يحبهم، فبينا هو كذلك إذ وضع يده على رأسه ووقع على الأرض، فظننّا أنّ خطبته انتقضت فتبينّاه وإذا به يصيح من رأسه، ولم يزل كذلك حتى ذهب بصره.

قال الراوي: ثم سير الرأس الشريف إلى مصر، فنصب بالجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه في مسجد محرس، قال الكندي: قدموا بالرأس الى مصر سنة اثنتين وعشرين ومائة يوم الأحد لعشر خلون من جمادي الآخرة، واجتمع عليه الناس في المسجد، ودفن في مصر وهو مشهد صحيح لأنه طيف به بمصر ثم نصب على المنبر بالجامع سنة أثنتين وعشرين ومائة.

ويحدّث ابن عبد الظاهر أنّ الأفضل أمير الجيوش لمّا بلغته حكاية رأس زيد بن علي عليهالسلام أمر بكشف المسجد، وكان وسط الأكوام ولم يبق من معالمه إلّا محرابه، فوجد هذا العضو الشريف.

وذكر خطيب مصر أبوالفتوح ناصر الزيدي وكان من جملة من حضر الكشف أنّه رأى في جبهة زيد أثراً في سعة الدرهم، قال: فضمخ وعطر وحمل الى داره حتى عمر هذا المشهد.

قال صاحب العدل الشاهد: يزار مشهد زيد بمصر يوم الأحد من كل اسبوع يقصده عامة الناس ليلاً ونهاراً، وله مولد في كل عام يحضره الناس والظاهر أنّما يزار في كل أحد لأنّه كان الكشف عليه يوم الأحد تاسع عشر من ربيع الأول سنة خمس وعشرين وخمسمائة، وكان زيد عليه‌السلام من أُباة الضيم [1]، قال الكواز رحمه‌الله:

وزيد قد كان الإباء سجيّة	لآبائه الغرّ الكرام الأطايب

(1) (فائدة) قال الراوي: وبينا زيد يقاتل أصحاب يوسف بن عمرة إذ انفصل رجل من كلب على فرس له رائع، وصار من قرب من زيد فشتم الزهراء فاطمة، فغضب يزيد، وبكى حتى ابتلّت لحيته، والتفت الى من معه، وقال: أما أحد يغضب لفاطمة؟ أما أحد يغضب لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم؟ أما أحد يغضب لله؟ قال سعيد بن خيثم: أتيت إلى مولى لي كان معه مشمل (المشمل كمنبر سيف قصير يتغطى به تحت الثوب) فأخذته منه وتستّرت خلف النظارة والناس يومئذ فرقتين مقاتلة ونظارة ثم صرت وراء الكلبي وقد تحوّل من فرسه وركب بغلة فضربته في عنقه فرقع راسه بين يدي البغلة وشدّ أصحابه عَلَيَّ وكادوا يرهقوني، فلمّا رأى أصحابنا ذلك كبّروا وحملوا عليهم واستنقذوني، فركبت البغلة وأتيت زيداً فقبّل بين عيني، وقال: أدركت والله ثارنا، ادركت والله شرف الدنيا والآخرة وذخرهما، ثم أعطاني البغلة.

(فائدة): قال أرباب التاريخ: ولمّا جنّ الليل من ليلة الجمعة الثالثة من صفر سنة مائة وإحدى وعشرين، رمى زيد بسهم غرب أصاب جبهته ووصل إلى الدماغ، وكان الرامي له مملوك ليوسف بن عمرو اسمه راشد ويقال من أصحابه اسمه داود بن كيسان!

(فائدة): ولمّا أُصيب زيد عليه‌السلام بالسهم فجاء أصحابه إليه وأدخلوه بيت حرّان كريمة مولى بعض العرب في سكّة البريد في دور أرحب وشاكر وجاؤا إليه بطبيب يقال له شقير، وفي مقاتل الطالبيين اسمه سفيان، فقال له الطبيب: إن نزعته من رأسك مت، فقال: الموت أهون عَلَيَّ ممّا أنا فيه، فأخذ الكلبتين فانتزعه، وفي ذلك الحين مات رضوان الله عليه.

كأنّ عليه ألقى الشبح الذي | تشكّل فيه شبه عيسى لصالب
فقل للذي أخفى عن العين قبره | متى خفيت شمس الضحى بالغياهب
ولو لم تنمَّ القوم فيه إلى العدى | عليه لنمَّت عليه واضحات المناقب
كأنّ السما والأرض فيه تنافسا | فنال الفضا عفواً سنى الرغائب
عجبت وما إحدى العجائب فاجئت | بمقتل زيد بل جميع العجائب

وقال أحمد بك شوقي أمير الشعراء من مقصورة له:

وثار لثارات زيد بن علي | ابن الحسين بن الوصي المرتضى
يطلب بالحجة حقّ بيته | والحقّ لا يطلب إلّا بالقنا
فتى بلا رأي ولا تجربة | جرى عليه من هشام وما جرى
اتخذ الكوفة درعاً وقناً | والأعزل الأكشف من فيها احتمى
من تكفه الكوفة يعلم أنّها | لا نصر عند أهلها ولا غنى
سائل علياً فهو ذو علم بها | واستخبر الحسين تعلم النبا
فمات مقتولاً وطال صلبه | وأحرقت جثّته بعد البلا

* * *

أبادوهم قتلاً وسمّاً ومثله | كأنّ رسول الله ليس لهم أب
كأنّ رسول الله من حكم شرعه | على آله أن يقتلوا أو يصلبوا

* * *

فما بين مسموم ومشرد وبين قتيل بالدماء مخلّق

فالقتيل الذي صار دماؤه خلوقا له بل غسلاً له هو سيد شباب أهل الجنة أبو عبدالله الحسين عليهالسلام، قال الشريف الرضي رحمهالله:

غسلته دماؤه قلّبته أرجل الخيل كفنته الرمول

المطلب الرابع والأربعون

في واقعة الزاب بين الأُمويين والعباسيين

لمّا نزل مروان بن محمّد الحمار [1] بالزاب جرّد من رجاله من اختاره من أهل الشام والجزيرة وغيرهما مائة ألف فارس على مائة ألف قارح، وقال: إنّها عدّة ولا تنفع العدّة إذا انقضت المدّة، ولمّا أقبل عبدالله بن علي بن العباس يوم الزاب بالمسوّدة من قبل السفاح وفي أوّلهم البنود السود تحملها رجال على جمال البخت، وقد جعل لها عوض القتاد خشب الصفصاف والغرب، فقال مروان: أما ترون رماحهم كأنّها النخل غلظ؟ أو ما ترون أعلامهم فوق هذه الإبل كأنّها قطع الغمام السود؟

فبينا مروان ينظرها ويعجب إذ طارت قطعة من الغربان السود فوقعت على عسكر عبدالله، واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود، فقال لمن يقرب منه، أما ترون السواد قد اتّصل بالسواد حتى صار الكلّ كالسحب المتكاثفة؟ ثم التفت إلى رجل يقرب منه وقال له: ويلك ألا تخبرني من صاحب جيشهم؟ قال:

---

(1) آخر خلفاء بني أمية ولُقِّبَ بالحمار لأنّ العرب - وحسب ما جاء في ص 255 من كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي - تُسمّي كلّ مائة سنة حماراً ولمّا قارب مُلك بني أُميّة مائة سنة لقّبوا مروان هذا بالحمار لذلك.

هو عبدالله بن علي، فقال مروان: من ولد العباس هو؟ قال: نعم، قال مروان: وددت أنّ علي بن أبي طالب مكانه في هذا اليوم.

فقال: يا أمير المؤمنين أتقول هذا في علي بن أبي طالب عليهالسلام وشجاعته التي ملأ الدنيا ذكرها؟ قال: نعم إنّ علياً مع شجاعته صاحب دين، وإنّ الدين غير الملك، وإنّا نروي عن قديمنا أن لا شيء لعلي ولولده في هذا الأمر - يعني الخلافة - ثم أرسل الى عبدالله سراً يقول له: يابن العم إنّ هذا الأمر صائر إليك، فاتق الله واحفظني في دمي وحرمي، فأرسل إليه عبدالله أنّ لنا الحق عليك في دمك، وأنّ لك الحق علينا في حرمك، ثمّ حرّك عبدالله أصحابه للقتال ونادى مروان في أهل الشام وأمر عبدالله أصحابه أن ينزلوا، ونادى: الأرض الأرض، فنزل الناس ورمت الرماة وأشرعت الرماح وجثوا على الركب.

فقال مروان لقضاعة: انزلوا، قال: ما ننزل حتى تنزل كندة، فقال لكندة: انزلوا، فقالوا: لا ننزل حتى تنزل سكاسك، فقال للسكاسك: انزلوا، فقال: لا ننزل حتى تنزل بنو سليم، فقال لبني سليم: انزلوا، فقالوا لا ننزل حتى تنزل بني عامر، فقال لعامر: انزلوا، فقالوا: لا ننزل حتى تنزل بني تميم، فقال لتميم: انزلوا، فقالوا: لا ننزل حتى تنزل بنو أسد، فقال لبني أسد: انزلوا، فقالوا لا ننزل حتى تنزل هوازن، فقال لهوازن: انزلوا، فقالوا: لا ننزل حتى تنزل غطفان، فقال لغطفان: انزلوا وقاتلوا، فقالوا: لا ننزل حتى تنزل الأزد، فقال للأزد: انزلوا: فقالوا لا ننزل حتى تنزل ربيعة، فقال لربيعة: انزلوا، فقالوا لا ننزل حتى تنزل بنو ليث، فقال لصاحب شرطته: ويلك احمل، قال: ما كنت لأجعل نفسي غرضاً للرماح، فقال مروان: أما والله لأسوءنّك اليوم. فقال: وددت أن الأمير يقدر على إساءتي في مثل هذا اليوم.

ثم إنّ عسكر عبدالله حمل على عسكر مروان وفّر عسكره، فلحقوا مروان

وقتلوه وقتلوا كلّمن كان معه من أهل بيته وبطانته وهجموا على الكنيسة التي فيها بنات مروان ونساءه فوجدوا خادماً وبيده سيفاً مشهوراً وهو يسابقهم الدخول على الكنيسة فقبضوه وسألوه من أمره، فقال: نعم إنّ أمير المؤمنين مروان أمرني إذا قتل هو أن أهجم على بناته وعياله وكلّ نساءه وأقتلهن قبل أن يصل إليهم العدو، وهذا على زعمه أنه غيرة منه على بناته وهو والله لا يعرف الغيرة فكيف حال علي بن الحسين... الخ [1].

ولما قتل مروان ادخلت بناته ونساؤه على عمّ السفاح صالح بن علي، فتكلّمت ابنة مروان الكبرى وقالت: يا عمّ أمير المؤمنين حفظ الله من أمرك ما تحب حفظه، وأسعدك في أحوالك كلّها وعمّك بخواص نعمه، وشملك بالعافية في الدنيا والآخرة، نحن بناتك وبنات أخيك فليسعنا من عدلكم ما وسعنا من جروكم. فقال لها: أوّلاً لا نستبقي أحداً لأنّكم قتلتم زيد بن علي ويحيى بن زيد، ومسلم بن عقيل وقتلتم خير أهل الأرض حسيناً وقتلتم إخوته وأولاده وسبيتم عياله على نياق عجّف. فقالت: يا عمّ أمير المؤمنين فليسعنا من عدلكم إذاً، قال: أما هذا فنعم وإذا أحببت زوجتك من ابني الفضل بن صالح، فبكت وقالت: يا عم امير المؤمنين وأين ساعة عرس ترى ونحن بالحزن وبالكدر، بل تحملنا إلى حرّان، فحملهن إلى حرّان مكرّمات، وقيل: قدم النياق العجف، فقالت ابنة مروان

---

(1) (فائدة) قال الأندلسي في العقد الفريد أنّه: كان أشدّ الناس على بني أمية عبدالله بن علي، وأحناهم عليهم سليمان بن علي، وهو الذي كان يسميّه أبو مسلم كنف الأمان، وكان يجير كل من استجار به. قال: ومات سليمان بن علي وعنده بضع وثمانون حرمة لبني أمية.

(فائدة): ولمّا أتى الكتاب للسفاح بالهزيمة صلّى ركعتين، وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائة دينار، ورفع أرزاقهم إلى ثمانين، وكانت هزيمة مروان بالزاب يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

الكبرى: يا عمّ امير المؤمنين ما تريد أن تصنع؟ قال: كما صنعتم ببنات رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم. قالت: يا عمّ أمير المؤمنين أترى ذلك حسن أم قبيح؟ قال: بل قبيح، قالت: إذاً أنت لا ترتكب القبيح [1].

قال: ودخلت إحدى نساء بني أُمية على سليمان بن علي وهو يومئذ بالبصرة يقتلهم ويصلبهم على جذوع النخل ويسقيهم الخل والصبر والرماد، فقال: أيها الأمير إنّ العدل ليمل من الإكثار والإصرار فيه، فكيف أنت لا تمل من الجور وقطيعة الرحم، فأجابها شعراً:

سننتم علينا القتل لا تنكرونه　　فذوقوا كما ذقنا على سالف الدهر

ثم قال: يا أمة الله أنتم أول من سنّها بين الناس، ألم تحاربوا علياً وتدفعوه عن حقّه؟ ألم تسمّوا حسناً وتنقضوا شرطه، ألم تقتلوا حسيناً وتسيّروا رأسه؟ ألم تسبّوا علياً على منابركم؟ ثم قال لها: هل من حاجة فتقضى لك؟ قالت: نعم قبض

---

(1) (فائدة) قال ابن الأثير: وفي هذه السنة قتل مروان بن محمد وكان قتله ببوصير، من أعمال مصر في كنيسة من كنائس النصارى وكان مختفيا بها لثلاث مضين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وعمره تسعاً وستين سنة، قتل بعد أن نازل عسكرالعباسيين، قال الراوي: وكان قد حمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه، وصاح صائح: صرح أمير المؤمنين فابتدروه، فسبق إليه رجل من الكوفة، كان يبيع الرمّان فاحتز رأسه وبعث به إلى صالح، فلمّا وصل إليه أمر أن يقص لسانه فقطع لسانه، وأخذه فقال صالح: ماذا ترينا الأيام من العجائب والعبر، هذا لسان مروان قد أخذه هرّ، قال الشاعر:

قد فتح الله مصر عنوة لكم　　وأهلك الفاجر الجعدي إذ ظلما

فلاك مقوله هرّ يجرّره　　وكان ربّك من ذي الكفر منتقما

قال الراوي: وأرسل الرأس إلى أبي العباس بالكوفة فلمّا رآه سجد ثم رفع رأسه وقال: الحمدلله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يبق لي ثاري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين ثم تمثّل:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم　　ولا دماؤهم للغيض ترويني

عمّالك أموالي فأمر بردّها وقضى حاجتها لا قضى الله حاجته.

ومن يصنع المعروف في غير أهله يجد حمده ذمّاً عليه فيندم

ويله أما بلغه أنّ أُم كلثوم قالت للشمر بن ذي الجوشن: لي إليك حاجة. قال لها: وما حاجتك يا بنت علي؟ حاجتي إذا دخلت بنا الشام فاسلك بنا طريقاً قليلاً نظّاره، وقل لحامل الرؤس أن يخرجها من أوساط المحامل فلقد خزينا من كثرة النظر إلينا.

قال الراوي: فأمر اللعين بعكس سؤالها وسلك بهم كثير النظّارة!

يقنعها بالسوط شمر وإن شكت يؤنّبها زجر ويوسعها زجرا

المطلب الخامس والأربعون

في ترجمة عيسى بن زيد وتخفيه

قال أبو الفرج الأصبهاني [1]: ولد عيسى بن زيد بن علي بن الحسين عليهمالسلام في الوقت الذي أشخص فيه أبوه زيد بن علي إلى هشام بن عبدالملك، وكانت أُم عيسى بن زيد معه في طريقه فنزل ديراً ووافق نزوله إيّاه ليلاً وضربها المخاض فولدت تلك الليلة، فسمّاه أبوه عيسى باسم عيسى المسيح، وكان على ميمنة إبراهيم بن عبدالله بن الحسن المثنى، واختفى بعد مقتل محمد وإبراهيم، فتوارى بالكوفة، في دار علي بن صالح بن حي أخو الحسن بن صالح وتزوج ابنة له، فولدت منه بنتاً ماتت في حياته، وكان يقال له موتم الأشبال.

حدّث ابن أبي شيبة عن أبي منعم، قال: حدّثني من شهد عيسى بن زيد أنّه لمّا انصرف من واقعة باخمرى، وقد خرجت عليه لبوة معها أشبالها، فعرضت للطريق وجعلت تحمل على الناس، فنزل عيسى فأخذ سيفه وترسه ثم تقدّم إليها فقتلها فقيل له: أيتمت أشبالها يا سيدي، فصمد وقال: نعم أنا موتم الأشبال، فكان يقال: كذا فعل موتم الأشبال، وكذا موتم الأشبال.

قال يحيى بن الحسين بن زيد: قلت لأبي: يا أبه إني أشتهي أن أرى عمّي

(1) في ص 343 من كتابه مقاتل الطالبين.

عيسى بن زيد، فإنّه يقبح لمثلي أن لا يلقى مثله من أشياخه، فدافعني عن ذلك مدّة، وقال: إنّ هذا يثقل عليه، وأخشى أن ينتقل عن منزله كراهية للقائك إيّاه فتزعجه، قال: فلم إزل به اداريه وألطف له حتى طابت نفسه لي بذلك فجهّزني إلى الكوفة، وقال لي: إذا صرت إليها فاسئل عن دور بني حي، فإذا دللت عليها فاقصدها في السكة الفلانية وسترى في السكة دار لها باب صفته كذا وكذا فاعرفه واجلس بعيداً منها إلى أول السكة، فإنّه سيقبل عليك من المغرب كهل طويل مسنون الوجه، قد أثر السجود في جبهته، عليه جبّة صوف يستقي الماء على جمل لا يضع قدماً ولا يرفعها إلّا ذكر الله عزّوجلّ ودموعه تنحدر، فقم وسلّم عليه وعانقه، فإنّه سيذعر منك كما يذعر الوحش، فعرّفه نفسك وانتسب له يسكن إليك ويحدّثك طويلاً، ويسألك عنّا جميعاً، ويخبرك بشأنه ولا يضجر بجلوسك معه، ولا تطل عليه وودّعه فإنّه سوف يستعفيك من العود إليه، فافعل ما يأمرك به، فإنّك إن عدت إليه توارى عنك واستوحش منك وانتقل عن موضعه، وعليه في ذلك مشقّة، فقلت: أفعل كما أمرتني، ثم جهّزني إلى الكوفة، وودّعته وخرجت.

فلمّا وردت الكوفة قصدت سكّة بني حي بعد العصر، وجلست خارجها بعد أن عرفت الباب الذي نعته لي، فلمّا غربت الشمس إذا أنا به قد أقبل يسوق الجمل وهو كما وصفه لي أبي، لا يرفع قدماً ولا يضعها إلّا حرّك شفتيه بذكر الله عزّوجلّ ودموعه ترقرق في عينيه وتذرف أحياناً، فقمت إليه وعانقته فذعر منّي كما يذعر الوحش من الإنس، فقلت: يا عمّ أنا يحيى بن الحسين بن زيد بن أخيك، فضمّني إليه وبكى حتى قلت قد جاءت نفسه، ثم أناخ جمله وجلس معي فجعل يسألني عن أهله رجلا رجلا وامرأة امرأة وصبيّا صبيّا وأنا أشرح له أخبارهم وهو يبكي، قال: يا بني استقي على هذا الجمل الماء فاصرف ما اكتسب، يعني من أجرة الجمل إلى صاحبه واتقوّت باقيه، وربّما عاقني عن استقاء

الماء فأخرج إلى البرية يعني بظهر الكوفة فألتقط ما يرمي الناس من البقول فأتقوّت به، وتزوّجت ابنته وهو لا يعلم من أنا إلى وقتي هذا فولدت منّي بنتاً فنشأت وبلغت وهي لا تعرفني أيضاً ولا تدري من أنا، فقالت لي أُمّها: زوّج ابنتك بابن فلان السقاء لرجل من جيراننا يسقي الماء، فإنّه أيسر حالاً منّا وقد خطبها وألحّت عَلَيَّ فلم أقدر على إخبارهم بأنّ ذلك غير جائز ولا هو بكفؤ لها، فيشيع خبري، وجعلت تلحّ عَلَيَّ فلم أزل استكفي الله أمرها، حتى ماتت بعد أيام فما أحد آسى على شيء من الدنيا آساي على إنّها ماتت ولم تعلم بموضعها من رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم، ثم أقسم عَلَيَّ انصرف ولا أعود إليه، وودّعني.

فلمّا كان بعد ذلك صرت إلى الموضع الذي أنتظره فيه فلم أره، وكان هذا آخر عهدي به، ولمّا طال تخفيه وتواريه، وأمر المهدي العباسي أن ينادى في الكوفة بالأمان لعيسى، فسمع منادياً ينادي: ليبلّغ الشاهد الغائب أن عيسى بن زيد آمن في ظهوره وتواريه، فرأى عندئذ عيسى بن زيد بن الحسن بن صالح وقد ظهر فيه سرور بذلك، فقال له: كأنك قد سررت بما سمعت؟ فقال: نعم، قال له عيسى: والله لإخفاتي إيّاهم ساعة واحدة أحبّ إليّ من كذا وكذا.

وحدّث يعقوب بن داود قال: دخلت مع المهدي في قبّة في بعض الخانات في طريق خراسان، فإذا حايطها عليه أسطر مكتوب، فدنا ودنوت منه فإذا هي هذه الأبيات:

والله ما أطعم طعم الرقاد … خوفاً إذا نامت عيون العباد

شرّدني أهل اعتداء وما … أذنبت ذنباً غير ذكر المعاد

آمنت بالله ولم يؤمنوا … فكان زادي عندهم شرّ زاد

أقول قولاً قاله خائف … مطرد قلبي كثير السهاد

منخرق الخفّين يشكو الوجا … تنكبه أطراف سمر حداد

شرّده الخوف فأزرى به كذاك من يكره حرّ الجلاد

قد كان في الموت له راحة والموت حتم في رقاب العباد

قال يعقوب بن داود: فجعل المهدي يكتب تحت كل بيت: لك الأمان من الله ومني فاظهر متى شئت، حتى كتب ذلك تحتها أجمع، فالفتف فإذا هو دموعه تجري على خدّيه، فقلت له: من ترى قائل هذا الشعر يا أمير المؤمنين؟ قال: أتتجاهل عليَّ من عسى قائل هذا الشعر إلّا عيسى بن زيد.

وذكر أبو الفرج أنّ المنصور طلب عيسى طلباً ليس بالحثيث، وطلبه المهدي وجدّ في طلبه حيناً فلم يقدر عليه، فنادى بأمانه ليبلغه فيظهر، فبلغه فلم يظهر، وبلغه أنّ له دعاة ثلاثة، وهم: ابن علاق الصيرفي، وحاضر مولى لهم، وصباح الزعفراني، فظفر المهدي بحاضر فحبسه وعأره ورفق به وأشتدّ عليه ليعرفه موضع عيسى، فلم يفعله فقتله، ومكث طول حياة عيسى يطلب صباحاً وابن علاق، فلم يظفر بهما حتى إذا مات عيسى عليه الرحمة، قال صباح للحسن ابن صالح: أما ترى هذا العذاب والجهد الذي نحن فيه بغير معنى، قد مات عيسى ابن زيد ومضى لسبيله، وإنّما نطلب خوفاً منه وإذا علم أنّه قد مات آمننا فدعني آتي هذا الرجل - يعني المهدي - وأخبره بوفاته حتى نتخلّص من طلبه لنا. فقال: لا والله لا نبشّر عدو الله بموت ولي الله وابن نبيّ الله ولا تقر عينه فيه ونشمته، فوالله إنّ ليلة أبيتها خائفاً منه أحبّ إليّ من جهاد السنة وعبادة بها.

قال أبو الفرج: ومات الحسن بن صالح بعد وفاة عيسى بشهرين، قال صباح الزعفراني: ولمّا مات الحسن بن صالح أخذت أحمد بن عيسى وأخاه زيداً وجئت بهما إلى بغداد فجعلتهما في موضع أثق به عليهما، ثم لبست أطماراً وجئت إلى دار المهدي، فسألت عن الربيع وأدخلت عليه وسألتي فقلت له: إنّ عندي بشارة تسرّ الخليفة وبعد السؤلات الكثيرة استأذن لي على المهدي، فأذن لي وأدخلت

عليه، فقال: أنت صباح الزعفراني؟ قلت: نعم، قال: فلا حيّاك الله ولا بيّاك ولا قرّب دارك يا عدوّ الله، أنت الساعي على دولتي والداعي على اعدائي، ثم تجيئني الآن؟ فقلت: إني جئتك مبشّراً ومعزياً. قال: مبشّراً بماذا ومعزياً بماذا؟ قلت: أمّا البشرى فبوفاة عيسى بن زيد، وأما التعزية فبه لأنّه ابن عمّك ولحمك ودمك.

قال: فحول وجهه الى المحراب وسجد ثم التفت إليّ وقال: إلى منذ كم مات؟ قلت: منذ شهرين. قال: أفلم تخبرني بوفاته إلى الآن، قلت: منعني الحسن ابن صالح. فقال: وما فعل الحسن؟ قلت: مات ولو لا ذلك ما وصل إليك الخبر، فسجد سجدة أُخرى وقال: الحمدلله الذي كفاني أمره، فلقد كان أشدّ الناس عليّ ولعلّه لو عاش لأخرج على غير عيسى، قال: ثم التفت إليّ وقال لي: سل حاجتك. قلت: والله لا أسألك شيئاً إلّا حاجة واحدة. قال: وما هي؟ قلت: ولد عيسى بن زيد، والله لو كنت أملك ما أعولهم به ما سألتك في أمرهم ولا جئتك بهم أطفال يموتون جوعاً وضرّاً وليس لهم الآن من يكفلهم غيري وأنا عاجز عن ذلك وهم عندي في ضنك وأنت أولى الناس بصيانتهم وأحقّ بحمل ثقلهم، فهم لحمك ودمك وأيتامك وأهلك، قال: فبكى حتى جرت دموعه ثم قال: إذاً يكونون والله عندي بمنزلة ولدي لا وأوثر عليهم أحداً.

قال: فجئت بهما إليه، فلمّا نظر إليهما جعل يبكي رقّة لهما وليتمهما.

فهذا المهدي لمّا نظر إلى ولدي عيسى بن زيد وهما صبييّن بكى رقّة لهما وليتمهما.

أقول: لعن الله أهل الكوفة فإنّهم ما رقّوا لأيتام الحسين عليه‌السلام، قالت سكينة: كلّما دمعت من أحدنا عين قرعوا رأسها بالرمح:

وإذا حنّ في السبايا يتيم   جاوبته أرامل ويتاما

المطلب السادس والأربعون

في ترجمة يحيى بن زيد ومقتله **عليه‌السلام**

ذكر دعبل بن علي الخزاعي في قصيدته التائية قبور الأئمة وأولادهم عليهم‌السلام، فمن تلك القبور قبر يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليهم‌السلام، قال فيه:

واخرى بأرض الجوزجان محلّها وأُخرى بباخمرا لدى الغربات

فالذي في جوزجان [1] هو قبر يحيى بن زيد عليه‌السلام الذي خرج في زمن الوليد ابن يزيد الأموي عليه اللعنة.

ذكر أبو الفرج الأصبهاني في كتابه مقاتل الطالبيين قال: لمّا قتل زيد بن علي ابن الحسين عليه‌السلام ودفنه ابنه يحيى، رجع يحيى وأقام بجانبه السبيع وتفرّق الناس عنه، فلم يبق معه إلّا عشرة نفر، وقد خرج بهم بعد ذلك الى نينوى، ثم من نينوى إلى المدائن وهي إذ ذاك طريق الناس إلى خراسان، ولمّا بلغ ذلك يوسف بن عمر وسرّح في طلبه ابن أبي الجهم الكلبي، فورد المدائن وقد فاته يحيى ومضى حتى أتى إلى الري ثم إلى سرخس، ثم خرج منها وسار إلى بلخ، ونزل على الجريش ابن عبدالرحمن الشيباني، فلم يزل عنده حتى هلك هشام بن عبدالملك وولي بن

(1) الجوزجان اسم كورة واسعة من كور بلخ واقعة بين مروالروذ وبلخ، ويقال لقصبتها اليهودية.

يزيد لعنه الله، وكتب يوسف بن عمرو إلى نصر بن سيار، وهو عامل على خراسان يقول في الكتاب: ابعث إلي الجريش حتى يأخذ يحيى بن زيد أشدّ الأخذ.

فبعث نصر إلى عقيل بن معقل الليثي وهو عامل على بلخ أن يأخذ الجريش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد، فدعا به وضربه ستمائة سوط، وقال: والله لأزهقن نفسك أو تأتيني به، فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فاصنع ما أنت صانع، فوثب قريش بن الجريش وقال لعقيل: لا تقتل أبي وأنا آتيك بيحيى! فوجّه جماعة فدلهم عليه وهو في بيت في جوف بيت فأخذ عقيل إلى نصر بن سيار فحبسه وقيّده وجعله في سلسلة من حديد وكتب إلى يوسف بن عمر فأخبره بخبره وقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر يهجوا بني ليث ويذكر ما صنع بيحيى بن زيد:

أليس بعين الله ما تفعلونه		عشية يحيى موثق بالسلاسل

ألم تر ليثاً ما الذي حتمت به		لها الويل في سلطانها المتزايل

لقد كشف للناس ليث عن استها		أخيراً وصارت ضحكة في القبائل

كلاب عوت لا قدّس الله أمرها		فجائت بصيد لا يحلّ لآكل

قال أبو الفرج: وكتب يوسف بن عمرو إلى الوليد (لعنه الله) يعلمه بذلك، فكتب إليه يأمره أن يؤمنه ويخلي سبيله وسبيل أصحابه، فكتب يوسف بذلك إلى نصر بن سيار فدعا به نصر وكلّمه وحذره الفتنة، فقال له يحيى: وهل في أُمّة محمد فتنة أعظم ممّا أنتم فيه، من سفك الدماء وأخذ ما لستم له بأهل؟ فلم يجيبه نصر بشيء، وأمر له بألفي درهم ونعلين بعد أن فصل السلاسل منه.

قال الراوي: ولمّا اطلق يحيى بن زيد وفكّ حديده صار جماعة من مياسير الشيعة إلى الحدّاد الذي فكّ قيده من رجله فسألوه أن يبيعهم الحديد، قال:

وتنافسوا وتزايدوا حتى بلغ عشرين ألف درهم، فخاف الحداد أن يشيع خبره فيؤخذ منه المال، فقال لهم: أجمعوا ثمنه بينكم فرضوا بذلك وأعطوه المال فقطّعه قطعة قطعة، وقسّم بينهم فاتخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبركون به.

وخرج يحيى الى أبر شهر، وقد اجتمع عنده أصحابه وهم سبعون رجلاً، وكان بأبر شهر عمرو بن زرارة، فأعطى يحيى ألف درهم نفقة له، ثم أشخصه إلى بيهق.

قال المسعودي: ولمّا رأى يحيى المنكر والظلم وما عمّ الناس من الجور أقبل يحيى من بيهق وهي أقصى عمل خراسان في سبعين رجلاً راجعاً إلى عمرو ابن زرارة، فبلغ نصر بن سيار ذلك فكتب إلى عبدالله بن قيس بن عباد البكري عامله بسرخس والحسن بن زيد عامله بطوس أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة وهو عامله على أبر شهر وهو أمير عليهم، يقاتلون يحيى بن زيد.

قال الراوي: فأقبلوا إلى يحيى فاجتمعوا عليه حتى صاروا زههاء عشرة آلاف وخرج يحيى بن زيد وما معه إلّا سبعين فارساً، فقاتلهم يحيى فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة واستباح عسكره وأصاب منه دواباً كثيرة، ثم أقبل حتى مرّ بهرات وعليها المعلس بن زياد، فلم يتعرّض أحد منهما لصاحبه، وسار حتى نزل بأرض الجوزجان، فأسر إليه نصر بن سيار وسلم بن حور في ثمانية ألف فارس من أهل الشام وغيرهم، فلحقه بقرية يقال لها: ارغوي، وعلى الجوزجان يومئذ حمّاد بن عمرو السعيدي، ولحق يحيى بن زيد أبو العجاريم الحنفي، والخشخاش الأزدي [1].

قال الراوي: وعبّأ سلم جيشه وعبّا يحيى جيشه واقتتل الفريقان ودام القتال

---

(1) الخشخاش الأزدي هو الذي أخذ نصر بن سيار بعد ذلك فقطع يديه ورجليه وقتله.

ثلاثة أيام بلياليها أشدّ قتال حتى قتل أصحاب يحيى كلّهم، وكان يحيى في ذلك اليوم يتمثل بقول الخنساء:

نهين النفوس وهول النفو س يوم الكريهة أوفى لها

قال الراوي: فكان يقاتل ويجالد أعداءه في ذلك اليوم. قال: وأتيت يحيى نشابة في جبهته فخرّ إلى الأرض قتيلاً، وجاء إليه بعد ذلك سورة بن محمّد فوجده قتيلاً فاحتزّ رأسه وبعثوا برأسه إلى الشام إلى الوليد بن زيد، وأخذ الذي رماه بالسهم سلبه وقميصه [1] وصلب يحيى بن زيد على باب مدينة جوزجان، حتى جاءت المسوّدة مع أبي مسلم الخراساني فأنزلوه وغسّلوه وكفّنوه وحنّطوه ودفنوه، وأراد أن يتبع قتلة يحيى فقيل له: عليك بالديوان فوضعه بين يديه، وكان إذا مرّ به اسم رجل ممّن أعان على يحيى قتله، حتى لم يدع أحداً قدر عليه ممّن شهد قتله إلّا قتله، فكأنّ أهل البيت كما قال الشاعر:

هذا قضى قتلاً وذاك مغيّبا خوف العدو وذا قضى مسموما

---

(1) وهذان أعني سورة بن محمّد الذي قطع رأس يحيى والغزي الذي رماه بالسهم وقتله وسلب قميصه أخذهما بعد ذلك أبو مسلم بالخراساني وقطع أيديهما وأرجلهما وصلبها.

المطلب السابع والأربعون

في ترجمة محمد ذي النفس الزكية عليه‌السلام

قال أرباب التاريخ: ولد محمّد ذي النفس الزكية ابن عبدالله بن الحسن بن علي عليهم‌السلام سنة مائة.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني: قال: ولد محمّد بن عبدالله وبين كتفيه خال أسود كهيئة البيضة عظما، فقال فيه الشاعر:

فإنّ الذي يروى الرواة لبين	إذا ما ابن عبدالله فيهم تجرّدا
له خاتم لم يعطه الله غيره	وفيه علامات من البرّ والهدى

وكان يقال له: صريح قريش، ويقال له: المهدي.

وقال أبو الفرج الأصبهاني في المقاتل: كان محمّد بن ذي النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه‌السلام أفضل أهل زمانه في علمه بكتاب الله وحفظه له وفقهه في الدين وفي شجاعته وجوده وبأسه وكلّ أمر يحمل بمثله.

قال أبو الفرج: حدّث عمير بن الفضل الخثعمي، قال: رأيت أبا جعفر المنصور يوماً، وقد خرج محمّد بن عبدالله بن الحسن من دار ابنه، وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود وأبو جعفر معه، فأخذ بردائه حتى ركب ثم سوّى ثيابه على السرج ومضى محمّد، فقلت: وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمّداً من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام حتى أخذت بركابه وسوّيت عليه ثيابه؟ قال: أو

ما نعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا محمّد بن عبدالله بن الحسن مهديّنا أهل البيت.

قال اليعقوب بن عربي: سمعت أبا جعفر المنصور يقول في أيام بني أمية وهو في نفر من بني أمية يقول: ما في آل محمد أعلم بدين الله ولا أحقّ بولاية الأمر من محمّد بن عبدالله، وبايع له وكان يعرفني بصحبته والخروج معه.

قال يعقوب: وحبسني بعد مقتل محمّد بضع عشر سنة وهو الذي بايع له رجال من بني هاشم من آل أبي طالب عليه‌السلام وآل العباس وسائر بني هاشم، وقد بايعوا له بالأبواء [1] مرّة وبالمدينة مرّة ثانية.

قال أبو الفرج: ثم إنّ بني هاشم اجتمعوا فخطبهم عبدالله بن الحسن فحمدالله وأثنى عليه، ثم قال: يا بني هاشم إنّكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة واختاركم لها وأكثركم بركة يا ذرية محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وبنوا عمّه وعترته وأولى الناس بالفزع في أمر الله من وضعه الله موضعكم من نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقد ترون كتاب الله معطّلاً وسنّة نبيه متروكة، والباطل حيّاً والحق ميّتاً، قاتلوا لله في الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم اسمكم وتهونوا عليه كما هانت بنوا إسرائيل وكانوا أحبّ خلقه إليه، وقد علمت أنّا لم نزل نسمع أنّ هؤلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضاً خرج الأمر من أيديهم فقد قتلوا صاحبهم يعني الوليد بن يزيد، فهلمّ نبايع محمّداً فقد علمت أنّه المهدي. فقالوا: لم يجتمع أصحابنا بعد ولو اجتمعوا فعلنا ولسنا نرى أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق.

قال الراوي: وأرسل إليه عبدالله فأبى أن يأتي فقام وقال: أنا آتي به الساعة، فخرج بنفسه حتى أتى الصادق عليه‌السلام فدعاه وجاء معه إلى المحل الذي اجتمع به الهاشميون، وأوسع له عبدالله إلى جانبه ثم قال له: قد علمت ما صنع بنا بنو أمية

---

(1) الأبواء موضع بين مكة والمدينة، ولد فيه الإمام موسى بن جعفر عليه‌السلام.

وقد رأينا أن نبايع لهذا الفتى. فقال: لا تفعلوا فإن الأمر لم يأت بعد، فغضب عبدالله وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ولكنّه يحملك على ذلك الحسد لابني. فقال الصادق عليه‌السلام: لا والله ما ذاك يحملني ولكن هذا وإخوته وأبناءهم دونكم وضرب يده على ظهر أبي السفاح، قال: ثم نهض فلحقه عبدالصمد وأبو جعفر المنصور، وقالا: يا أبا عبدالله أتقول ذلك؟ قال: نعم والله أقول وأعلمه ثم التفت إلى عبدالله وقال: والله ما هي إليك ولا إلى ابنيك ولكنّها لهؤلاء، وإنّ ابنيك لمقتولان [1]. قال: وتفرّق المجلس ولم يجتمعوا بعدها.

وروى عن عبدالله بن جعفر بن المسور في حديثه قال: وخرج في ذلك اليوم جعفر الصادق يتوكّأ على يدي، فقال لي: أرأيت صاحب الرداء الأصفر - يعني أبا جفعر المنصور ـ؟ قلت: نعم، قال: فإنّا نجده يقتل محمّد. قلت: أو يقتل محمّداً؟ قال: نعم، فقلت في نفسي حسده وربّ الكعبة، قال: ثم ما خرجت والله من الدنيا حتى رأيته قتله.

وعن ابن داحة أنّ جعفر بن محمد عليه‌السلام قال لعبدالله بن الحسن: إنّ هذا الأمر والله ليس لك ولا إلى ابنيك وإنّما هو لهذا - يعني السفاح ـ، ثم لهذا - يعني المنصور - ثم لولده من بعده لا يزال فيهم حتى يوامروا الصبيان ويشاوروا النساء، فقال عبدالله: والله يا جعفر ما أطلعك الله على غيبه، ما قلت هذا إلا حسداً لابني. فقال: لا والله ما حسدت ابنك وإن هذا يعني - يعني أبا جعفر - يقتله على أحجار الزيت، ثم يقتل أخاه إبراهيم بعده بالطفوف، وقوائم فرسه في الماء، قال: ثم قام مغضباً يجرّ رداءه فتبعه أبو جعفر المنصور فقال له: أتدري ما قلت يا أباعبدالله؟ قال: اي والله أدريه وإنّه لكائن.

---

(1) وهذه من مغيبات الإمام الصادق عليه‌السلام.

قال الراوي: حدّث من سمع من أبي جعفر المنصور إنّه لمّا انصرفت صرت لوقتي فرتبت عمالي وميزت أموري تميّز مالك لها، قال لي: فلمّا ولي أبو جعفر الخلافة سمي جعفر الصادق عليه‌السلام وكان إذا ذكره يقول: قال لي الصادق جعفر ابن محمد كذا وكذا، كان المنصور يتربض بإمامنا الصادق الدوائر حتى أشخصه من المدينة إلى بغداد مرّتين، وفي المرّة الثانية أوفقه بين يديه حافياً حاسراً وكان الإمام قد جاوز السبعين سنة حتى صار يراوحه برجليه يرفع اليمنى ويضع اليسرى، ويضع اليمنى ويرفع اليسرى حتى رفع راسه وكلّمه بكلام لا يطيق اللسان تردّده فكان مما قال له: تكتب إلى أهل خراسان وتدعوهم الى نفسك، والإمام يتعذر له من ذلك.

قال الراوي: ثم إنّ المنصور مدّ يده تحت الفراش وأخرج كتباً إلى الصادق عليه‌السلام فنظر إليها وقال: والله يابن العم ليست هذه كتبي ولا هذا خطّي ولا هذا توقيعي، صيّرني إلى بعض حبوسك حتى يأتيني الموت فإنّه منّي قريب، وأقسم بالله ما كان وقوف الصادق عليه‌السلام هذا بين يدي المنصور الدوانيقي إلّا فرع من وقوف جدّه السجاد بين يدي يزيد بن معاوية غير أنّ هناك فرق عظيم: الصادق وقف بين يدي المنصور وحده ولكن جدّه السجاد وقف بين يدي يزيد بن معاوية معه عمّاته وأخواته:

فهنّ على أكفائهنّ نوائح　　　كما هتف فوق الغصون الوراشن

المطلب الثامن والأربعون

في مقتل محمّد ذي النفس الزكية **عليه‌السلام**

لمّا تولّى المنصور الدوانيقي الخلافة ولزم أُزمّة الأمور، صار يطلب العلويين وكان أشدّ الطلب على محمد وإبراهيم ابني عبدالله المحض، فلمّا اشتدّ الطلب بمحمّد خرج قبل وقته الذي أوعد أخاه إبراهيم على الخروج فيه، وقيل: بل خرج محمّد لميعاده مع أخيه، وإنّما أخوه إبرهيم تأخّر، وكان محمّد بالمذار، وقد بلغ رياح والي المدينة أنّ محمداً يريد الخروج، فأرسل على جماعة من بني الحسن فحبسهم، فبينما هم عنده إذ سمعوا التكبير وقد ظهر محمّد وأقبل من المذار إلى المدينة في مائة وخمسين رجلاً، فأتى بني سلمة بهؤلاء تفاؤلاً بالسلامة وقصد السجن فكسر بابه وأخرج من فيه، وأتى دار الإمارة وهو يقول لأصحابه: لا تقتلوا إلّا أن يقتلوا، فامتنع منهم رياح والي المدينة، فدخلوا من باب المقصورة وأخذوا رياحاً أسيراً، ثم خرج محمّد إلى المسجد فصعد المنبر وخطب الناس واستمالهم، واستولى محمّد على المدينة.

قال الراوي: وسار رجل من بني عامر إلى المنصور مجداً حتى وصل إليه بعد تسعة أيام فوصله ليلاً وإستأذن عليه ودخل، فقال له: يا أمير المؤمنين خرج محمّد بن عبدالله بالمدينة. قال: أنت رأيته وعاينته؟ قال: أنا رأيته وعاينته وكلمته على منبر رسول الله جالساً، وتواترت الأخبار بذلك. فقال المنصور لأبي أيوب

وعبدالملك مَن الرجل تعرفنانه بالرأي يجمع رأيه إلينا؟ قالا: بالكوفة بديل بن يحيى وكان السفاح يشاوره، فأرسل إليه وقال له: إنّ محمّداً قد ظهر بالمدينة. قال: فأشحن الأهواز بالجنود. قال: إنّه قد ظهر بالمدينة. قال: قد فهمت وإنّما الأهواز الباب الذي تؤتون منه.

قال الراوي: ودعا المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى وأمره بالمسير الى المدينة لقتال محمّد وسيّر معه الجنود حتى إذا قرب من المدينة بلغ محمّداً ذلك، فاستشار أصحابه بالخروج من المدينة أو المقام بها فاستشار بعضهم بالخروج عنها وأشار بعضهم بالمقام بها لقول رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم رأيتني في درع حصينة فأوّلتها المدينة، فأقام بها، ثم استشار أصحابه في حفر خندق رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فأشار بعضهم بتركه، فقال محمّد: إنّما اتبعنا في الخندق أثر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فلا يردني أحد عنه فلست بتاركه، وأمر به فحفر وبدأ هو فحفر بنفسه الخندق الذي حفره رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم للأحزاب.

قال: وسار عيسى حتى نزل الأعوص، وكان محمّد قد جمع الناس وأخذ عليهم الميثاق وحصرهم فلا يخرجون. قال: وأراد عيسى الى محمّد يخبره أنّ المنصور قد أمنه وأهله، فأعاد الجواب، يا هذا إنّ لك برسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قرابة قريبة وأدعوك الى كتاب الله وسنّة نبيّه والعمل بطاعته واحذرّك نقمته وعذابه، وإني والله ما أنا منصرف عن هذا الأمر حتى ألقى الله عليه وإيّاك أن يقتلك من يدعوك الى الله فتكون شر قتيل أو تقتله فيكون أعظم لوزرك، فلمّا بلغته الرسالة قال عيسى: ليس بيننا وبينه إلّا قتال. وقال محمّد للرسول: علام تقتلونني وإنّما أنا رجل فرّ من أن يقتل؟ قال: القوم يدعونك إلى الأمان فإن أبيت إلّا قتالهم قاتلوك.

قال الراوي: وجاء عيسى بجيشه ونزل بالجرف ثم وقف على سلع [1] فنظر إلى المدينة ومن فيها فنادى: يا أهل المدينة إنّ الله حرم دماء بعضنا على بعض فهلمّوا إلى الأمان، فمن قام تحت راياتنا فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن خرج من المدينة فهو آمن، خلوا بيننا وبين صاحبنا فإمّا لنا وإمّا له: فشتموه وانصرف من يومه وعاد من الغد وقد فرّق القواد من سائر جهات المدينة وأخلى ناحية مسجد أبي الجراح، قال: ونشبت الحرب بينهم، وبرز محمّد في أصحابه.

قال الراوي: وقاتل محمّد يومئذ قتالاً عظيماً فقتل بيده سبعين رجلاً، وأمر عيسى حميد بن قحطبة فتقدّم في مائة كلّهم راجل سواه، فزحفوا حتى بلغوا جداراً دون الخندق عليه ناس من أصحاب محمّد، فهدم حميد الحائط وانتهى إلى الخندق ونصب عليه أبواباً، وعبر هو وأصحابه فألقوا الحقائب، وغيرها في الخندق وجعل الأبواب عليها وجازت الخيل فاقتتلوا أصحاب محمّد قتالاً شديداً، قال: وانصرف محمّد قبل الظهر فاغتسل وتحنّط، ثم رجع فقال له عبدالله ابن جعفر: بأبي أنت وأمي والله مالك بما ترى طاقة، فلو أتيت الحسن بن معاوية بمكة فإنّ معه جلّ أصحابك. فقال: لو خرجت لقتل أهل المدينة، والله لا أرجع حتى أقتل أو أُقتل، وأنت منّي في سعة فاذهب حيث شئت، فمشى معه قليلاً ثم رجع عنه جل أصحابه فلم يبق معه إلّا ثلاثمائة أو يزيدون قليلاً.

قال الراوي: والتفت إلى بقية أصحابه وقال لهم: نحن اليوم بعدّة أهل بدر، قال: وصلّى محمّد الظهر، والعصر، ثم تقدم وقد عرقب فرسه وعرقب بنو شجاع الخميسيون دوابّهم، ولم يبق أحد إلّا كسر جفن سيفه ودعا محمّد في ذلك اليوم

---
(1) سلع جبل في المدينة المنورة.

حميد بن قحطبة، وقال له: يا حميد بن قحطبة اُبرز إليّ فأنا محمد بن عبدالله. فقال حميد: قد عرفتك وأنت الشريف بن الشريف الكريم ابن الكريم لا والله لا اُبرز إليك وبين يدي من هؤلاء الأغمار أحد، فإذا فرغت منهم فسأبرز إليك، وكان محمّد إذا حمل هدّ الناس هدّاً وكان أشبه الناس بقتال حمزة، فبينما هو يقاتل إذ رماه أحدهم بسهم فوقف إلى جدار، فتحاماه الناس، فلمّا وجد الموت تحامل على سيفه فكسره وطعنه ابن قحطبة في صدره فصرعه، ونزل إليه واحتزّ رأسه، وجاء به إلى عيسى، فلمّا أتي عيسى برأس محمّد، قال لأصحابه: ما تقولون فيه فوقعوا فيه، فقال بعضهم: كذبتم ما لهذا قاتلناه، ولكنه خالف أمير المؤمنين وشقّ عصى المسلمين، وإن كان لصوّاماً قوّاماً فسكتوا. قال: وأرسل عيسى الرأس إلى المنصور فأمر به فطيف به بالكوفة، وسيّره إلى الآفاق [1].

قال ابن الأثير: ولمّا قتل محمّد أخذ عيسى بني موسى أصحاب محمّد وصلبهم ما بين ثنية الوداع إلى دار عمر بن العزيز صفّين وبقي محمّد مصلوباً ثلاثاً [2].

قال الراوي: وأرسلت زينت بنت عبدالله أخت محمّد وابنته فاطمة إلى عيسى أنكم قتلتموه وقضيتم حاجتكم منه فلو أذنتم لنا في دفنه، فإذن لها فدفن بالبقيع.

---

(1) (فائدة): ذكر ابن الأثير في تاريخه وغيره: أنّ محمداً بن عبدالله لمّا قتل وبلغ أخاه إبراهيم قتله يومئذ قد ظهر بالبصرة وتابعه الناس، وكان ذلك اليوم يوم عيد، فخرج إلى الصلاة بالناس ونعاه على المنبر وأظهر الجزع عليه وتمثل قائلاً:

أبا المنازل يا خير الفوارس من | يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
الله يعلم أنّي لو خشيتهم | وأوجس القلب من خوف لهم جزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخي أحداً | حتى نموت جميعاً أو نعيش معا

(2) كان قتل محمد وأصحابه يوم الإثنين بعد العصر لأربع عشر خلت من شهر رمضان.

وصاحت زينب بنت علي يوم عاشوراء بعمر بن سعد: يابن سعد أيقتل أبو عبدالله الحسين وأنت تنظر إليه؟ ثم صاحت: يا قوم، أما فيكم مسلم يدفن هذا الغريب؟ أما فيكم موحّد يواري هذا العاري السليب؟

عريان يكسوه الصعيد ملابسا ... أفديه مسلوب اللباس مسربلا

ولصدره تطأ الخيول وطالما ... بسريره جبريل كان موكلا [1]

---

(1) من قصيدة جزلة لأبي الحسن علاء الدين المعروف بالشفيهيني المتوفى في الربع الأوّل من القرن الثامن ومطلعها:

يا من إذا عدّت فضائل غيره ... رجحت فضائله وكان الأفضلا

المطلب التاسع والأربعون

في ترجمة إبراهيم ومقتله عليه‌السلام

كان إبراهيم بن عبدالله المحض عالماً عارفاً شاعراً شجاعاً مقداماً أيداً - أي قوياً ـ.

قال أبو الفرج بحذف السند: إنّ محمّداً وإبراهيم كانا عند أبيهما فوردت إبل لمحمّد فيها ناقة شرود، لا يردّ رأسها شيء، فجعل إبراهيم يحدّ النظر إليها، فقال له محمّد: كأنّ نفسك تحدّثك أنّك رادّها؟ قال: نعم، قال: فإن فعلت فهي لك، فوثب إبراهيم فجعل يتغيّر لها، ويتستر بالإبل حتى إذا مكنّته هايجها، وأخذ بذنبها فاحتملت وأدبرت تمخض بذنبها حتى غاب عن أبيه، فأقبل على محمّد، فقال: قد عرّضت أخاك للهلكة فمكث قليلاً، ثم جاء مشتملاً بإزار حتى وقف عليها. فقال محمّد: كيف رأيت، زعمت أنّك و ادّها وحابسها، فألقى إبراهيم ذنبها وقد انقطع في يده، فقال: ما أعذر من جاء بهذا!

قال ابن الأثير في تاريخه: كان ظهور محمّد وإبراهيم ابني عبدالله المحض بعد أن كان لا يقرّ لهما قرار من شدّة الطلب حتى حكت جارية لإبراهيم أنّه لم تقرّهم أرض خمس سنين، مرة بفارس ومرّة بكرمان ومرّة بالجبل ومرّة بالحجاز ومرّة باليمين، ومرّة بالشام، وربما كان إبراهيم يدخل جيش المنصور متخفياً ويجلس على مائدته - وهم لا يعرفونه - وجاء مرّة إلى بغداد ودخل عسكر

المنصور، وكان له مرآة ينظر فيها عدوه من صديقه، فنظر فيها فقال: يا مسّيب قد رأيت إبراهيم في عسكري وما في الأرض أعدى لي منه، فانظر أيّ رجل يكون.

فقدم البصرة واجتمع عليه أهلها، كان ذلك سنة خمس وأربعين ومائة بعد ظهور أخيه محمّد بالمدينة، دعا الناس الى بيعة أخيه محمّد فبايعه العلماء والوجهاء وسائر أهل البصرة حتى بلغ ديوانه أربعة آلاف وشهد أمره، فقالوا له: لو تحولت إلى وسط البصرة أتاك الناس وهم مستريحون، فتحوّل فنزل في دار أبي مروان مولى بني سليم، وكان الوالي على البصرة يومئذ من قبل المنصور سفيان بن معاوية وقد مالا على أمره، وقام إبراهيم بأمره في أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة فصلّى بالناس صلاة الصبح في الجامع وقصد دار الإمارة وبها سفيان متحصناً في جماعة، فحضره وطلب سفيان منه الأمان فأمنه إبراهيم ودخل الدار ففرشوا له حصيراً فهبت الريح فقلّبته قبل أن يجلس، فتطيّر الناس بذلك، فقال إبراهيم: إنّا لا نتطيّر، وجلس عليه مقلوباً، وجلس القوّاد، وسفيان بن معاوية في القصر وقيّده بقيد خفيف ليعلم المنصور أنّه محبوس.

قال: وبلغ جعفراً ومحمّداً إبني سليمان بن علي ظهور إبراهيم، فأتيا في ستمائة رجل إليهما فأرسل إليهما إبراهيم خمسين رجلاً من أصحابه فهزمهما ونادى منادي إبراهيم: ألا لا يتبع مهزوم ولا يقضى على جريح، ولمّا استقرت له البصرة أرسل عمّاله إلى الأهواز وإلى اصطخر وإلى واسط ولم يزل إبراهيم في البصرة يفرق الجيوش والعمال حتى أتاه نعي أخيه محمد قبل عيد الفطر، فخرج بالناس يوم العيد وفيه الإنكسار، فصلّى بهم وأخبرهم بقتل محمّد، فازدادوا في قتال المنصور بصيرة، وأصبح من الغد فعسكر واستخلف على البصرة غيلة وخلف ابنه حسناً معه وسار من البصرة متوجهاً الى الكوفة، ولما بلغ المنصور

ظهور إبراهيم في قلّة من العسكر فقال: والله ما أدري كيف أصنع ما في عسكري إلّا ألفا رجل والباقون مع عيسى بن موسى، والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً، ثم كتب إلى عيسى بن موسى يأمره بالعودة مسرعاً، فأتاه الكتاب وقد أحرم بعمرة فتركها وعاد إليه، فوجهه إلى حرب إبراهيم وفي ذلك الحين اُهديت امرأتان إلى المنصور من المدينة، فلم ينظر إليهما، فقيل له في ذلك أنهما قد ساءت ظنونهما فقال: ليست هذه أيام نساء ولا سبيل إليهما، حتى أنظر إلى رأس إبراهيم لي أو رأسي له.

قال الراوي: وواصل إبراهيم سيره حتى نزل باخمرا وهي من الكوفة على ستّة عشر فرسخاً فنزل مقابل عيسى بن موسى وتصافّوا، فصفّ إبراهيم صفّاً واحداً واقتتل الناس قتالاً شديداً وانهزم حميد بن قحطبة وانهزم الناس معه فعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوون عليه، فأقبل حميد منهزماً، فقال له عيسى: الله الله والطاعة، فقال: لا طاعة في الهزيمة، ومرّ الناس فلم يبق مع عيسى إلّا نفر يسير، وجاء جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي من ظهر أصحاب إبراهيم ولا يشعر بهما باقي أصحابه الذين يتبعون المنهزمين حتى نظر بعضهم فرأى القتال من ورائهم فعطفوا نحوه ورجع أصحابه الذين يتبعون المنهزمين ورجع أصحاب المنصور يتبعونهم، فكانت الهزيمة على أصحاب إبراهيم، فلو لا جعفر ومحمّد لتمت الهزيمة لحميد.

قال الراوي: وفّر أصحاب إبراهيم وثبت إبراهيم في نفر من أصحابه يبلغون ستّمائة وقيل أربعمائة، وقاتلهم حميد وجعل يرسل بالرؤوس الى عيسى وجاء إبراهيم سهم غائر فوقع في حلقه فنحره فتنحّى عن موقفه وقال: أنزلوني، فأنزلوه عن مركبه وهو يقول: (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) أردنا أمراً وأراد الله غيره، واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه، فقال حميد بن قحطبة

لأصحابه: شدّوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم وتعلموا ما اجتمعوا عليه فشدّوا عليه فقاتلوهم أشدّ قتالاً حتى أفرجوا عن إبراهيم ووصلوا إليه وحزّوا رأسه فأتوا به عيسى فأراه ابن أبي الكرام الجعفري، فقال: نعم هذا رأسه فنزل عيسى إلى الأرض وسجد، ولمّا بلغ المنصور خبر قتل إبراهيم تمثّل قائلاً:

فألقت عصاها واستقر بها النوى　　　كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

قال الراوي: وأرسل عيسى رأس إبراهيم إلى المنصور بالكوفة فقال المنصور: احملوه إلى من في السجن من قومه، وكان في السجن أبو عبدالله بن الحسن بن الحسن وستّة من أهله [1] فجاء به الربيع إليهم فوضع الرأس بين أيديهم، فأخذه أحدهم ووضعه في حجره وقال: أهلاً وسهلاً يا أبا القاسم، والله لقد كنت من الذين قال الله عزوجل فيهم: (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبّهُمْ) [2] إلى آخر الآية.

فقال الربيع: كيف أبو القاسم في نفسه؟ قال أحدهم: هو كما قال الشاعر:

فتى كان تحميه عن الضيم نفسه　　　ويكفيه من دار الهوان اجتنابها [3]

(1) قال أرباب السير: حجّ المنصور سنة مائة وأربع وأربعين وقبض على عبدالله بن الحسن ومعه ستّة من أبناء الحسن وأحفاده وسيّرهم الى العراق ومرّ المنصور بالربذة وهم على المحامل المكشّفة فصاح به عبدالله بن الحسن: يا أبا جعفر، ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر، يشير إلى جدهم العباس بن عبدالمطّلب، فجاء بهم إلى الكوفة وحبسهم بالهاشميّة في طامورة تحت الأرض حتى ماتوا ومواضعهم الآن تزار، يقال لها: قبور السبعة، في قضاء الهاشمية من لواء الحلّة اليوم.

(2) سورة الرعد.

(3) (فائدة): كان قتل إبراهيم يوم الإثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس

فكأنّما القم الربيع بحجر، فليته حضر حين جاؤا برأس الحسين عليه‌السلام الى يزيد ليلقم يزيد بن معاوية بحجر وذلك لمّا أدخلوا رأس الحسين عليه‌السلام على يزيد وأخذه بيده وجاء به الى الرباب وقال: أتعرفين هذا الرأس؟ فبكت وكأنّ لسان حالها يقول:

عَلَيَّ عزيز أن تراه كما أرى ... عليه عزيز أن يراك تراني

وإنّي لأستحييه والترب بيننا ... كما كنت استحييه وهو يراني [1]

وأربعين ومائة، وكان عمره ثمانية وأربعين سنة.

(فائدة): ذكر المسعودي أنّ المنصور قال لجلسائه بعد قتل محمّد وإبراهيم: تالله ما رأيت رجلاً أنصح منالحجاج بني مروان، فقام المسيب بن زهرة الضبي فقال: يا أمير المؤمنين ما سبقنا الحجاج بأمر تخلّفنا عنه، والله ما خلق الله على جديد الأرض خلقاً أعزّ علينا من نبينا صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وقد أمرتنا بقتل أولاده فأطعناك، وفعلنا ذلك فهل نصحناك أم لا؟ فقال له المنصور: أجلس لا جلست!

(1) (فائدة): هذه هي الرباب إحدى الوفيات لأزواجهنّ، ذكر أرباب التواريخ قالوا: لمّا رجعت الرباب من الأسر إلى المدينة أمرت بسقف البيت فقلع، وجعلت تجلس هي وإبنتها سكينة تحت حرارة الشمس، وكانت زينب تأتي إليها وتقول لها: قومي يا رباب عن حرارة الشمس، فتقول لها: سيّدتي لا تلوميني إني رأيت جسد سيّدي الحسين تصهره الشمس في كربلاء!

المطلب الخمسون

في ترجمة الحسين بن علي **عليه‌السلام** قتيل فخ

قبور بكوفان واخرى بطيبة وأُخرى بفخّ نالها صلواتي

أشار دعبل بن علي الخزاعي بهذا البيت إلى قبر أمير المؤمنين عليه‌السلام بالكوفة، إذ أنّ الغري كان طرف جبانة الكوفة من الغرب، وذكر قبور الأئمّة الأربعة الذين هم بالبقيع، وطيبة هي المدينة المنورة، وأمّا القبور التي بفخّ فهي قبر الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن بن الحسن السبط، وأصحابه الذين قتلوا بفخ، وفخ: بئر قريبة من مكة المكرمة، على فرسخ منها، ولقد أخبر عنه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لمّا نزل بفخ وصلّى ركعتين وبكى، وبكت أصحابه، وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: (نزل عَلَيَّ جبرئيل وقال: إنّ رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان وأجر الشهيد معه أجر شهيدين).

ومرّ الصادق بفخّ عند رواحه الى الحج، فنزل وتوضأ وصلى ثم ركب عليه‌السلام، فقيل له: هذا من الحج؟ قال: (لا، ولكن يقتل ههنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم الجنة).

وكانت وقعة فخ في أيام خلافة الهادي، رابع خلفاء بني العباس ولم تكن وقعة أعظم على أهل البيت بعد واقعة الطف من وقعة فخ، والحسين قتيل فخ رجل عظيم القدر، كان: جليلاً، عالماً، فاضلاً، كريماً.

ذكر أبو الفرج في كتابه - مقاتل الطالبيين - عن الحسن بن هذيل، قال: بعت للحسين بن علي صاحب فخ حائطاً بأربعين ألف دينار، فنثرها على بابه، فما أدخل إليه أهله منها حبّة، بل كان يعطيني منها كفّاً، فأذهب بها إلى فقراء أهل المدينة.

وقال الحسن أيضاً: قال لي الحسين بن علي صاحب فخّ: اقترض لي أربعة آلاف درهم، فذهبت إلى صديق لي فأعطاني ألفين وقال: إذا كان غداً إتني حتى أعطينك ألفين، فخرجت بالألفين، وأتيت الحسين فوضعها تحت حصير كان يصلّي عليه، فلمّا كان من الغد أخذت الألفين الآخرين، ثم جئت لطلب الذي وضعته تحت حصيره، فلم أجده، فقلت له: يابن رسول الله ما فعلت الألفين؟ قال: لا تسأل عنها فأعتذر، فقال: تبعني رجل من أهل المدينة، فقلت ألك حاجة؟ فقال: لا، ولكنّي أحب أن أصل جناحك، فأعطيته إيّاه، أمّا إنّي أحسبني ما أجرت على ذلك، لأنّي لم أجد لها حسنا، وقال الله تعالى: (لَن تَنَالُوا البّرّ حَتّى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبّونَ) [1].

وقال إسماعيل بن إبراهيم الواسطي: جاء رجل إلى الحسين فسأله فلم يكن عنده شيء، فأقعده وبعث إلى داره، وقال: أخرجوا ثيابي ليغسلوها، فلما اجتمعت قال للرجل: خذ هذه الثياب.

وعن الحسن بن هذيل أيضاً قال: كنت أصحب الحسين بن علي صاحب فخّ، فقدم الى بغداد فباغ ضيعة له بتسعة آلاف دينار، فخرجنا ونزلنا سوق أسد، فبسط لنا على الباب الخان، فأتى رجل ومعه سلة فيها طعام، فقال له: مرّ الغلام أن يأخذ منّي هذه السلة، فقال له: ومن أنت؟ قال: أنا أصنع الطعام الطيّب، فإذا نزل

---

(1) آل عمران من الآية 92.

هذه القرية رجل من أهل المودة أهديته إليه، قال: يا غلام خذ هذه السلّة منه، وقال للرجل: عد إلينا لتأخذ سلّتك، قال: ثم أقبل علينا رجل عليه ثياب رثّة، وقال: أعطوني ممّا رزقكم الله، فقال لي الحسين: إدفع إليه السلّة، وقال له: خذ ما فيها وردّ الإناء، ثم أقبل عَلَيَّ وقال: إذا رد السائل السلة فادفع إليه خمسين ديناراً، وإذا جاء صاحب السلة فادفع إليه مائة ديناراً، فقلت: جعلت فدآك آنفاً بعث عيناً لتقضى بها ديناً عليك، فسألك سائل فأعطيته طعاماً وهو مقنع له، فلم ترض حتى أمرت له بخمسين ديناراً، فقال: يا حسن إن لنا ربّاً يعرف الحساب، إذا جاء السائل فادفع إليه مائة دينار، فإذا جاء صاحب السلة فادفع إليه مائتي دينار، والذي نفسي بيده إني لأخاف أن لا يقبل منّي الذهب والفضّة والتراب عندي بمنزلة واحدة، هذا ما كان من كرمه وجوده. وأمّا الأخبار في فضله متواترة ومشهورة.

وأمّا سبب خروجه، قالوا: إنّ الهادي رابع خلفاء بني العباس ولّى المدينة رجلاً من ولد عمر بن الخطاب، وهو عمر بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر، فضيّق العمري على الهاشميين أشدّ التضييق، وكان ينال منهم بكل ما يستطيعه من الأذى والضرب، حتى ضرب الحسن بن محمّد بن عبدالله المحض يوماً مائتين سوطاً وضرب رجلين من خواصّه، ثم أمر فجعلوا الحبال في أعناقهم وطيف بهم في سكك المدينة مكشّفي الظهور، وأشاع في الناس بأنّه وجدهم على شراب، فجاء إليه الحسين بن علي صاحب فخّ فقال له: لقد خزيتهم، ولم يكن لك أن تضربهم فلم تطوف بهم؟ فأمر العمري بهم فقبض عليهم وزجّوا في السجن، فجاء الحسين وضمن له وكفلهم فأخرجهم من الحبس.

قال الراوي: فغاب الحسن بن محمد عن المدينة أيأماً لشغل له، فبلغ ذلك العمري فغضب وأحضر الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله بن الحسن فأغلظ لهما وهدّدهما وقال: لتأتياني به أو لأسوأنّكما، فإنّ له ثلاثة أيام لم يحضر

العرض، وكان يطلب بني هاشم في كلّ يوم للعرض عليه، ليقف على أحوالهم وشؤونهم.

قال الراوي: فتضاحك الحسين في وجه العمري، وقال له: أنت مغضب يا أبا حفص، فقال العمري: استحقاراً بي تخاطبني بكنيتي، فقال له الحسين: قد كان أبو بكر وعمر هما خير منك يخاطبان بالكنى، فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية. فقال له: آخر قولك شرّ من أوّله، إنّما أدخلتك عَلَيَّ لتفاخرني وتؤذيني، ثم حلف العمري أن لا يخلّي سبيله أو يجيئه بالحسن بن محمد في باقي يومه وليلته، وإن لم يجيء به ليضربنّ الحسين ألف سوط، وحلف إن وقعت عينيه على الحسين بن محمّد ليقتله من ساعته.

قال: فخرج الحسين من عنده ووجّه إلى الحسن من جاء به فقال له: يابن العمّ قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق، فامض حيث شئت. فقال الحسن: لا والله يابن العم، بل أجيء معك الساعة حتى أضع يدي في يده. فقال الحسين: لا والله ماكان الله ليطلع عَلَيَّ وإذا جاء إلى محمّد وهو خصيمي وحجيجي في أمرك لعلّ الله أن يقينا شرّه.

قال الراوي: ثم إنّ الحسين عليه‌السلام وجه إلى بني هاشم فاجتمعوا ستّة وعشرين رجلاً من ولد علي عليه‌السلام وعشرة من الحاج ونفر من الموالي، فحضروا عنده وهم طوع إرادته، فكان أول من أمره أن ثار بهؤلاء النفر، لكأنّه عمّه الحسين عليه‌السلام حيث بعث على إخوته في الليلة التي بعث عليه - الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - والي المدينة من قبل يزيد لعنه الله فاجتمعوا عنده وقد دخلوا عليه يقدمهم أبوالفضل العباس الخ.

المطلب الحادي والخمسون

في مقتل الحسين بن علي الحسني بفخ

لمّا كثر الأذى والجور من عمر بن عبدالعزيز بن عبدالله العمري والتضييق على العلويين، ورأى الحسين بن علي صاحب فخ ما رأى من الهوان عليه خاصّة، وجّه الى بني هاشم فاجتمعوا ستّة وعشرين رجلاً من ولد علي وعشرة من الحاج، ونفر من الموالي، فلمّا أذن أذان الصبح دخلوا المسجد وصعد عبدالله بن الحسن الأفطس على المأذنة التى عند رأس النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم وقال للمؤذن: إذّن بحيّ على خير العمل، فلمّا نظر المؤذن إلى سيف في يده أذّن بها، وسمعه العمري، فأحسّ بالشر ودهش، ثم قام من وقته وهرب من المدينة، فصلّى الحسين بالناس الصبح، ودعى بالشهود العدول الذين كان العمري أشهدهم عليه بأن يأتي بالحسن إليه فقال للشهود: هذا الحسن قد جئت به، فهاتوا العمري، وإلّا والله خرجت من يميني وممّا عَلَيَّ، ثم خطب الحسين بعد صلاته، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أنا ابن رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم، على منبر رسول الله، وفي حرم رسول الله، أدعوا الى سنّة رسول الله، أيّها الناس أتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود، تمسحون بذلك وتضيّعون بضعة منه.

قال: فأتاه الناس وبايعوه على كتاب الله وسنة نبيّه والرضا من آل محمّد، فبلغ ذلك حماد البربري، وكان على مسلحة بالمدينة ومعه مائتين من الجند،

وجاء العمري ناس كثير حتى وافوا باب المسجد فاراد حماد أن ينزل، فبدر يحيى ابن عبدالله بن الحسن، وفي يده السيف فضربه على جبينه وعليه القلنسوة فقطع ذلك كلّه وأطار مخّ رأسه، فسقط عن دابّته وحمل على أصحابه فتفرّقوا وانهزموا، وكان بالمدينة مبارك التركي ومعه بعض الجند، فقاتل الحسين أشدّ القتال حتى منتصف النهار، ثم انهزموا، وقيل: إنّ مباركاً أرسل إلى الحسين يقول له: والله لأن أسقط من السماء فتخطفني الطير أيسر عَلَيَّ من أشوكك بشوكة، أو أقطع من رأسك شعرة فبيّتني فإنّي منهزم عنك.

قال: فوجّه إليه الحسين قوماً، فلمّا دنوا منه صاحوا صيحة واحدة وكبّروا فانهزم التركي هو ومن معه، وأقام الحسين بن علي وأصحابه يتجزون بالمدينة أحد عشر يوماً، وفرق ما كان في بيت المال على الناس وهي سبعون ألفاً، ويقول: ابايعكم على كتاب الله وسنّة نبيّه، وعلى أن يطاع الله ولا يعصى، وأدعوكم الى الرضا من آل محمد صلىاللهعليهوآلهوسلم وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه، والعدل في الرعية، والقسم بالسويّة، وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدوّنا، فإن نحن وفيناكم وفيتم لنا، وإن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم.

قال: ثم خرج الحسين وأصحابه وهم زهاء ثلاثمائة لستّ بقين من ذي القعدة إلى مكة، واستخلف على المدينة دينار الخزاعي، هذا وقد بلغ خبره إلى الخليفة الهادي العباسي، وكان قد حج في تلك السنة رجال من أهل بيت الخليفة، منهم سليمان بن أبي جعفر عمّ الهادي، ومحمّد بن سليمان والعباس بن محمد وموسى وإسماعيل ابنا عيسى الدوانيقي، وقد التحق بهم مبارك التركي ومن معه فأمرهم الخليفة بتولية الحرب، وقد سرح لحرب الحسين الجيش.

قال: ولمّا بلغ الحسين وأصحابه فخّ تلقّتهم الجيوش من المسوّدة، وكان يوم التروية عند صلاة الصبح، فعرض العباس بن محمّد على الحسين الأمان

فقال: لا أمان لكم، وأبى الحسين أشدّ الإباء. قال لي موسى بن عيسى: إذهب إلى عسكر الحسين حتى تراه وتخبرني بكلّ ما رأيت. قال: فمضيت ودرت فما رأيت خللاً ولا فللاً ولا رأيت إلّا مصلياً أو مبتهلاً أو قارئ في المصحف أو معدّ للسلاح، قال: فجئته وقلت له: ما أظن القوم إلّا منصورين. فقال: وكيف ذلك يابن الفاعلة؟ قال: فأخبرته، فضرب يداً على يد وبكى حتى ظننت أنّه سينصرف، وقال: هم والله أكرم خلق الله وأحق بما في أيدينا منّا، ولكن الملك عقيم، ولو أنّ صاحب هذا القبر يعني النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم نازعنا على الملك لضربنا خيشومه بالسيف.

قال الراوي: ولمّا تقابل الفريقان أقعد الحسين رجلاً على جمل ومعه سيف، يلوح به، والحسين بن علي يملي عليه حرفاً حرفاً، ونادى: يا معشر المسودّة، هذا الحسين بن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وابن عمّه يدعوكم إلى كتاب الله وسنّة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

قال: فأمر موسى بن عيسى بتعبية العسكر فصار محمّد بن سليمان في الميمنة وموسى في الميسرة وسليمان بن أبي جعفر والعباس بن محمّد في القلب وكان أوّل من بدأهم موسى فحملوا عليه فاستطردهم شيئاً حتى انحدروا في الوادي وحمل عليهم محمد بن سليمان من خلفهم فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل أكثر أصحاب الحسين وبقي الحسين في عدد يسير، فجعل يقاتل أشد القتال حتى أثخن بالجراح.

قال من حضر الوقعة: رأيت الحسين بن علي وقد دفن شيئاً ظننت أنّه شيء له قدر فلمّا كان من أمره ما كان نظرنا فإذا هو قطعة من جانب وجهه وقد قطع ودفنه، ثم عاد للقتال.

قال: وكان حمّاد التركي ممّن حضر الوقعة، فقال للقوم: أروني حسيناً،

فأروه إيّاه فرماه بسهم فقتله، فوهب له محمّد بن سليمان مائة ألف درهم ومائة ثوب.

قال: ولمّا قتل الحسين وأصحابه قطّعوا رؤوسهم وجاؤا بالرؤوس إلى موسى والعباس وسليمان وهي مائة رأس ونيّفاً وبين تلك الرؤوس رأس الحسين بن علي وبجبهته ضربة سيف طولاً وعلى قفاه ضربة أُخرى، وكان عندهم جماعة من ولد الحسن والحسين وسيّدهم موسى بن جعفر، فلمّا نظر موسى بن جعفر إلى رأس الحسين بكى وفقيل له: رأس الحسين، قال: نعم إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً صوّاماً آمر بالمعروف ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله، ثمّ حلمت الرؤوس والأُسارى إلى الهادي، وأمر بقتل بعض الأُسارى، ولمّا بلغ العمري قتل الحسين وهو بالمدينة عمد إلى داره ودور أهله فأحرقها وقبض نخيلهم وجعلها في الصوافي المقبوضة.

أقول لإن أحرق العمري دار الحسين وأهله فلقد اقتدى بسلفه مع دار فاطمة والذين أحرقوا مضارب الحسين عليه‌السلام يوم عاشوراء حتى فررن منها الهاشميات كالطيور الهاربة من النار.

وحائرات أطار القوم أعينها رعباً غداء عليها خدرها هجموا [1]

(1) من قصيدة عصماء للشاعر المحلق السيد حيدر الحلّي ومطلعها:

إن لم أقف حيث جيش الموت يزدحمُ فلا مشت بي في طُرق العُلى قدمُ

المطلب الثاني والخمسون

في غيبة الحجة عليه‌السلام

ولد المهدي صاحب العصر والزمان ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بسر من رأى [1] في أيام المعتمد العباسي.

وروى المفيد رحمه‌الله [2] قال: ولم يخلف أبوه ولد ظاهراً ولا باطناً غيره، وخلّفه غائباً مستتراً، وكان عمره عليه‌السلام عند وفاة أبيه خمس سنين، وقد آتاه الله فيها الحكمة وفصل الخطاب، وجعله آية للعالمين.

نعم، آتاه الله الحكمة كما آتاها يحيى صبيّاً، وجعله إماماً في حال الطفوليّة الظاهرة كما جعل عيسى بن مريم في المهد نبيّاً، وأُمّه أُم ولد يقال لها نرجس، كانت خير أمة. وفي رواية أنّ اسمها الأصلي مليكة. وكنيته ككنية جدّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، ويكنّى أيضاً بأبي جعفر، وألقابه: الحجة، والمهدي، والخلف الصالح، والقائم المنتظر، وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي، ولقد بشّر به النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ومن بعده الأئمّة واحداً بعد واحد، حتى يوم ولادته عليه‌السلام وقبل أن يولد بساعات أخبر عنه أبوه العسكري عليه‌السلام.

---

(1) وفي رواية سنة ستّ وخمسين ومائتين، فيكون في الحروف الأبجدية (نور).
(2) في ص 339 من كتابه الإرشاد.

روى أبوالحسن المسعودي في كتاب اثبات الوصية لعلي بن أبي طالب عليه‌السلام، روى لنا الثقاة من مشائخنا أنّ بعض أخوات أبي الحسن علي بن محمّد الهادي كانت له جارية ولدت في بيتها مربّيتها تسمّى نرجس، فلمّا كبرت وعبلت دخل أبو محمد الحسن العسكري عليه‌السلام فنظر إليها فأعجبته، فقالت له عمّته: أراك تنظر إليها. فقال عليه‌السلام: إني ما نظرت إليها إلّا متعجّباً أمّا إنّ المولود الكريم على الله جلّ وعلا يكون منها، ثم أمّرها أن تستأذن أباالحسن، ورفعها إليه ففعلت فأمرها بذلك.

وروى الصدوق في إكمال الدين بسنده عن المطهري عن حكيمة بنت الإمام محمّد عليه‌السلام قالت: كانت لي جارية يقال لها نرجس، فزارني ابن أخي يعني العسكري وأقبل يحدّ النظر إليها، فقلت له: سيدي لعلك هويتها فأرسلها إليك؟ فقال: لا يا عمّة لكنّي أتعجّب منها، سيخرج منها ولد كريم على الله عزّوجلّ الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً. فقلت: فأرسلها إليك يا سيّدي؟ فقال: استأذني أبي، فأتيت إلى منزل أبي الحسن فبدأني وقال: يا حكيمة ابعثي نرجس الى ابني أبي محمد، فقلت: يا سيدي على هذا قصدتك. فقال: يا مباركة إنّ الله تبارك تعالى أحبّ أن يشركك في الأجر. قالت: فزيّنتها ووهبتها لأبي محمّد.

قالت: فمضى أبو الحسن جلس أبو محمّد مكانه، فكنت أزوره كما كنت أزور والده، قالت: فلمّا غربت الشمس صحت بالجارية، ناوليني ثيابي لأنصرف فقال عليه‌السلام: يا عمّتاه اجعلي افطارك الليلة عندنا، فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجّته في أرضه. قالت: فقلت: ومن اُمّه؟ قال: نرجس. فقلت: جعلني الله فداك لا أرى بها أثر حمل! فقال: هو ما أقول لك. قالت: فجئت إليها، فلمّا سلّمت وجلست جاءت لتنزع

خفيّ وقالت لي: يا سيّدتي كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيّدتي وسيّدة أهلي، فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمّة؟ فقلت: يا بنيّة إنّ الله سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة.

قالت حكيمة: فجلست واستحيت، ثم قال لي أبو محمّد: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحمل لأنّ مثلها مثل أُمّ موسى لم يظهر بها الحمل ولم يعلم بها أحد الى وقت ولادتها، لأنّ فرعون كان يشق بطون الحبالى، في طلب موسى، وهذا نظير موسى عليه‌السلام.

قالت حكيمة: فلمّا فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلمّا كان في جوف الليل قمت الى الصلاة فصلّيت وفرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثم جلست معقّبة انتبهت وقامت الى الصلاة، فدخلتني الشكوك، فصاح بي أبو محمد من المجلس: لا تعجلي يا عمة، فإن الأمر قد قرب. قالت: فقرأت الم سجدة، ويس فبينا أنا كذلك وإذا بنرجس انتبهت فزعة فوثبت إليها وقلت لها: اسم الله عليك، ثم قلت: أتحسين شيئاً؟ قالت: نعم، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك، ثم أخذتني فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحس سيدي فكشفت الثوب عنه فإذا به ساجد يتلقى الأرض بمساجده، فأخذته وضممته إلي، فإذا به طاهر مطهر، فصاح بي أبو محمد: هلمي الي ابني يا عمة، فجئت به إليه، فوضع يده تحت إليته وظهره ووضع قدميه على صدره ثم ادلى لسانه في فيه وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله، ثم صلّى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم.

قالت حكيمة: ولمّا أصبح الصباح جئت لأسلم على أبي محمّد عليه‌السلام فافتقدت سيّدي فلم أره، فقلت: جعلت فداك ما فعل سيّدي؟ فقال: استودعناه

الذي استودعته أُمّ موسى، فلمّا كان اليوم السابع، جئت إليه فقال: هلمّي إلي ابني، ففعل به كالأول ثم ادلى لسانه في فيه كأنّه يغذيه لبناً أو عسلا، ثم قال: تكلّم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وثنى بالصلاة على محمّد وعليّ أمير المؤمنين والأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين، حتى وقف على أبيه ثم تلا هذه الآية: (وَنُرِيدُ أَن نّمُنّ عَلَى الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) [1].

أقول: إذاً متى يا فرج الله.

طالت علينا ليالي الإنتظار فهل | يابن الزكي لليل الإنتظار غد
فاكحل بطلعتك الغرّا لنا مقلاً | يكاد يأتي على إنسانها الرمد [2]

(1) سورة القصص: 5 - 6.

(2) من قصيدة مشهورة للمغفور له السيد رضا الهندي طاب ثراه مطلعها:

أيّان تنجز لي يا دهرُ ما تعِدُ | قد عَشَّرَت فيك آمالي ولا تلدُ

المطلب الثالث والخمسون

في غيبة الحجة عليهاالسلام

الخلف الصالح له غيبتان: صغرى وكبرى، أمّا الغيبة الصغرى كانت مدّتها إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء، وعدم نصب غيرهم، وهي أربع وسبعون سنة، ففي هذه المدّة كان السفراء يرونه وربّما رآه غيرهم، ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته في أجوبة مسائل، وفي أمور شتّى.

وأمّا الغيبة الكبرى فهي بعد الأولى إلى أن يأتيه الأمر من الله فيقوم بالسيف ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وقد جاء في بعض التوقيعات أنّه بعد الغيبة الكبرى لا يراه أحد وإنّ من ادعى الرؤية قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب، وجاء في بعض الأخبار أنّه يحضر الموسم كلّ سنة فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه، فهو المنتظر لأمر الله.

عن النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم قال: «لا تذهب الدنيا حتى يلي اُمّتي رجل من أهل بيتي يقال له المهدي».

وعن أبي هريرة عن النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم قال: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وقد وردت روايات جمّة وأحاديث نبوية في الحجة عليه‌السلام.

وعن حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، قال: «المهدي رجل من ولدي، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، على خدّه الأيمن خال كأنّه كوكب درّي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى بخلافته أهل الأرض وأهل السماء، والطير في الجوّ».

وفي حديث آخر: «يستخرج الكنوز، ويفتح مدائن الشرك».

وعن أبي هريرة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي، يفتح القسطنطينية، وجبل الديلم، ولو لم يبق إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يفتحها».

ونحن لا نعبأ بقول من تعصب بعصابة العصبيّة، وراح يكيل الكلام الفارغ على هذه الطائفة، ولم يلتفت إلى الأحاديث الواردة في كتب الأئمّة والأخبار المروية عن علمائه بمناسبة غيبة الحجة المنتظر. بل حدا به حقده أن يقول افتراء علينا [1]:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... صيّرتموه بزعمكم إنسانا

فعلى عقولكم العفاء إذ أنكم ... ثلّثتم العنقاء والغيلانا

فأجابه شاعرنا مشطراً وهو المغفور له السيّد حيدر الحلّي:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... فيه تغيب عنكم كتمانا

فعلى عقولكم العفاء لأنكم ... أنكرتم بجحوده القرآنا [2]

---

(1) إذا لم يرو أحد من الشيعة أنه عليه‌السلام غاب بالسرداب.

(2) أشار بقوله: أنكرتم بجحوده القرآنا إلى قوله تعالى: (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) وهذه الآية أكبر دليل على بقاء المهدي عليه‌السلام، وهو حي يرزق ينتظر الأمر بظهوره.

هو نور رب العالمين وإنّما صيرتموه بزعمكم إنسانا

لو لم تثنّوا العجل ما قلتم لنا ثلّثتم العنقاء والغيلانا

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلىاللهعليهوآلهوسلم قال: «إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الإثنى عشر، أولهم علي وآخرهم ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلف المهدي، وتشرق الأرض بنور ربّها ويبلغ الكنوز ولا يبقى في الأرض خراب إلّا ويعمر».

وأمّا الحوادث التي تكون قبل خروجه منها: خروج السفياني، وقتل الحسني، وإختلاف بني العباس في الملك، وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان وخسوف القمر في آخره على خلاف العادة، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر، وطلوعها من المغرب، وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام، وهدم حائط مسجد الكوفة، وإقبال رايات سود من قبل خراسان، وخروج اليماني، وظهور المغربي بمصر وتملّكه الشامات، ونزول الترك الجزيرة، ونزول الروم الرملة.

وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه، وحمرة تظهر في السماء وتنتشر في آفاقها، ونار تظهر بالمشرق طولا وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة، وخلع العرب أعنتها وتملكها البلاد، وخروجها عن سلطان العجم، وقتل أهل مصر أميرهم، وخراب الشام، واختلاف ثلاث رايات فيه، ودخول رايات قيس والعرب إلى مصر، ورايات كندة الى خراسان، وورود خيل من قبل العرب حتى تربط بفناء الحيرة، وإقبال رايات سود من المشرق نحوها، وثقب في الفرات حتى يدخل الماء أزقة الكوفة، وخروج ستّين كذاباً كلهم يدعون النبوة، وخروج أثني عشر من آل أبي طالب

كلّهم يدعي الإمامة لنفسه.

واحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولا وخانقين، وعقد الجسر ممّا يلي الكرخ بمدينة بغداد، وارتفاع ريح سوادء بها في أول النهار، وزلزلة حتى ينخسف كثير منها، وخوف يشمل أهل العراق وبغداد، وموت ذريع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات، وجراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه حتى يأتي على الزرع والغلّات، وقلّة الريع لما يزرعه الناس، واختلاف صنفين من العجم، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم، وقتل مواليهم، ومسخ قوم من أهل البدع، حتى يصيروا قردة وخنازير، وغلبة العبيد على بلاد السادات، ونداء من السماء يسمعه أهل الأرض كلّ أهل لغة بلغتهم، ووجه وصدر يظهران من السماء للناس في عين الشمس، وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون، ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل فتحيي بها الأرض بعد موتها، وتعرف بركاتها وتزول بعد ذلك كلّ عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة ويتوجّهون نحوه لنصرته كما جاءت بذلك الأخبار.

قال: ويجمع الله عند ذلك أصحاب المهدي وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدد أهل بدر، فيبايعونه بين الركن والمقام ثم يخرج بهم من مكة فينادي المنادي باسمه وأمره من السماء حتى يسمعهم أهل الأرض كلّهم، ثم يأتي الكوفة فيطيل بها المكث ثم يتوجّه بعد ذلك إلى كربلاء:

كربلاء لا زلت كرب وبلا ما لقي عندك آل المصطفى [1]

---

(1) مطلعُ قصيدةٍ مشهورة وهي من نظم الشريف الرضي أعلى الله مقامه وزاد في الخلد إكرامه المتوفى في السادس من شهر محرم الحرام من سنة 406 هـ.

المطلب الرابع والخمسون

في سفراء الحجة عليه‌السلام

للمهدي المنتظر من آل محمد عجّل الله فرجه غيبتان: صغرى وكبرى، كما جاءت بذلك الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم‌السلام، فمن مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين الشيعة يعني إلى وفاة السمري رابع السفراء هي الغيبة الصغرى، وهي أربعة وسبعين سنة، ففي هذه الأربع وسبعين سنة كان السفراء يرونه ويجتمعون عنده وربما رآه غيره ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات إلى شيعته في أجوبة مسائل شتى يسألون بها الإمام عليه‌السلام.

وأمّا الغيبة الكبرى فهي بعد الأولى وفي آخرها يقوم بالسيف، وقد جاء في بعض التوقيعات أنّه بعد الغيبة الكبرى لا يراه أحد، وأنّ من ادعى الرؤية قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب، وجاء في عدة أخبار أنه عليه‌السلام، يحضر المواسم في كلّ سنة فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه.

وأمّا السفراء الأربعة الذين كانوا بينه وبين شيعته: أولهم أبو عمروعثمان بن سعيد العمري، كان عثمان بن سعيد هذا من بني أسد، ونسب إلى جدّه أبي أُمّه جعفر العمري، ويقال العسكري، لأنّه كان يسكن العسكر، وهي المحلة التي كان يسكنها الإمامين عليهماالسلام، موضع قبورهم الآن، لأنّ قبورهم في دارهم، ويقال له السمان لأنّه كان يتجر بالسمن، تغطية للأمر، وكان الشيعة إذا حملوا إلى الحسن

العسكري ما يجب عليهم من المال، جعله أبو عمرو في زقاق السمن وحمله إليه خوفاً وتقيّة، وكان قد نصبه الإمام الهادي عليه‌السلام وكيلاً له، ثم ابنه الحسن العسكري، وبعدها كان سفيراً للمهدي عليه‌السلام إلى شيعته، وكان الهادي عليه‌السلام يقول في حقّه: (هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي يقوله، ما أدّاه إليكم فعني يؤدّيه).

وسأله بعض أصحابه قال له: سيّدي لمن أعامل وعمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال عليه‌السلام (العمري ثقتي فما أدّى إليك فعنّي يؤدّي وما قال لك فعنّي يقول، فاسمع له وأطع، فإنّه الثقة المأمون).

وقال العسكري بعد وفاة أبيه عليه‌السلام فيه: (هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في الحياة والممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدّاه إليكم فعنّي يؤدّي).

وأقبل إليه جماعة من الشيعة زهاء أربعين رجلاً وسألوه عن الحجّة من بعده، فإذا غلام كأنّه قمر طالع أشبه الناس بأبي محمّد العسكري عليه‌السلام فقال عليه‌السلام: (هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا حتى يتمّ له عمر، فأقبلوا من عثمان ابن سعيد ما يقوله وانتبهوا إلى أمره وأقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه).

ولقد حضر عثمان بن سعيد تغسيل العسكري وتولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه ودفنه، وكان مأموراً بذلك من قبل الإمام عليه‌السلام.

قال الشيخ الطوسي رحمه‌الله، وكانت توقيعات الإمام تخرج على يده ويد ابنه محمّد إلى شيعته، وخواصّ أبيه العسكري عليه‌السلام، بالأمر والنهي، وأجوبة المسائل بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن العسكري عليه‌السلام، فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد حتى توفي رحمه‌الله وغسّله ابنه محمّد ودفن بالجانب الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان.

والثاني من السفراء هو أبوجعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمري رحمه‌الله فكانت الشيعة بعد موت أبيه لا تختلف بعدالته، ولا بإمامته والتوقيعات تخرج على يديه إلى الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كان يخرج في حياة أبيه عثمان رحمه‌الله، وكانت لأبي جعفر محمد بن عثمان كتب في الفقه ممّا سمعه من أبي محمد الحسن العسكري عليه‌السلام ومنها كتب في الأشربة، وروى عنه رحمه‌الله: (والله إنّ صاحب الأمر ليحضر في الموسم كلّ سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه).

وقيل له: رأيت صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم آخر عهدي به عند بيت الله الحرام، وهو يقول: (اللّهمّ انجز لي وعدي).

ودخل عليه بعض أصحابه فرآه وبين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها آياً من القرآن، وأسماء الأئمّة على حواشيها، فقال: هذي لقبري أسند إليها، وقد فرغت منه وأنا كلّ يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن، فإذا كان يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا صرت إلى الله ودفنت فيه، فكان كما قال رحمه‌الله.

وفي رواية: حفر لنفسه قبراً وقال: أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد شهر ودفن عند والدته بشارع باب الكوفة في بغداد.

والثالث من السفراء أبوالقاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، أقامه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه قبل وفاته بسنتين، وقد جمع وجوه الشيعة وشيوخها، وقال: إن حدث عَلَيَّ حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه وعولوا في أموركم عليه.

وكان الحسين بن روح وكيلاً لمحمّد بن عثمان سنين عديدة، وكان رضي الله عنه من أعقل الناس عند المخالف والمؤالف، وقد جعل من بعده للأمر أبو الحسن علي ابن محمد السمري رحمه‌الله، ولمّا توفي رحمه‌الله دفن في النوبختية في الدرب النافذ إلى التل وإلى درب الآخجر وإلى قنطرة الشوك.

والرابع من السفراء علي بن محمد السمري رحمه‌الله روى الشيخ الطوسي رحمه‌الله عن أحمد ن إبراهيم بن مخلد، قال: حضرت بغداد عند المشايخ رحمه‌الله فقال الشيخ أبو الحسن علي بن محمّد السمري قدس الله روحه: ابتدأ منه قائلاً: رحم الله علي ابن الحسين بن بابويه القمي وهو والد الصدوق رحمه‌الله، فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم، فورد الخبر أنه توفي في ذلك اليوم.

وفي رواية: قال لهم: آجركم الله فيه فقد قبض هذه الساعة فاثبتوا التاريخ، فلمّا كان بعد سبعة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً ورد الخبر بوفاته في تلك الساعة التي أخبرنا بها علي بن محمّد السمري.

وذكر الشيخ الطوسي رحمه‌الله في كتاب الغيبة أنّ السمري رحمه أخرج قبل وفاته بأيام إلى الناس توقيعاً نسخته:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا علي بن محمد عظم الله أجر إخوانك فيك فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيام فاجمع أمرك ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا

بالله العلي العظيم).

قال الراوي: فلمّا كان اليوم السادي عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه، وكانت وفاته في النصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

أقول: انتهت بموته الغيبة الصغرى فكانت الغيبة الكبرى حتى يأذن الله له بالظهور.

متى ينجلي ليل النوى عن صبيحة   نرى الشمس فيها طالعتنا من الغرب [1]

---

(1) من قصيدةٍ للشيخ عبدالحسين الأعسم رحمه‌الله مطلعها:

نري يدك ابتلّت بقائمةِ العضب   فحتّام حتّام إنتظارك للضَّرْبِ

المطلب الخامس والخمسون

في ما كان يصنعه ملوك الشيعة بمصر وبغداد يوم عاشوراء

اتخذ الناس يوم عاشوراء بعد مقتل الحسين عليهالسلام يوم حزن وبكاء وهم ينصبون المأتم والعزاء كل ذلك مواساة لأهل البيت وتقرباً إلى رسول الله صلىاللهعليهوآلهوسلم وإلى ذوي القربى، وينظمون القصائد في رثاء الحسين عليهالسلام وتتلى على الأشهاد، أخذ الخلف عن السلف، هاك ما يحدّثنا التاريخ عن أيام الفاطميين في مصر وما كانوا يصنعونه يوم عاشوراء من إقامة الشعائر والمواكب.

قال المقريزي في الخطط: كانوا - يعني الفاطميين - ينحرون في ويم عاشوراء الإبل والبقر والغنم يكثرون النوح والبكاء، ويسبّون من قتل الحسين عليهالسلام، ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم.

وذكر في موضع آخر انه في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة إلى قبر أم كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليهالسلام.

وذكر المقريزي أيضاً: قال ابن الطوبر: إذا كان يوم العاشر من المحرّم احتجب الخليفة عن الناس، فإذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هو اليوم، ثم صاروا إلى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الأزهر، فإذا جلسوا فيه ومن معهم من قرّاء الحضرة

والمتصدّرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدراً والقاضي والداعي من جانبيه والقرّاء يقرؤون بنوبة وينشد قوم من الشعر غير شعراء الخليفة، شعراً يرثون به أهل البيت عليهالسلام، ولا يزالون إلى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون إلى القصر، فيركب الوزير إلى داره ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما إلى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط وينصب في الأماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب وتفرش ويجدون صاحب الباب جالساً، فيجلس القاضي والداعي إلى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضاً، ثم يفرش على سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والممحات والمخللات والأجبان والألبان الطاسجة، وأعسال النحل والفطير والخبز المغيّر لونه بالقصد، فإذا قرب الظهر وفق صاحب الباب وصاحب المائدة، وأدخل الناس للأكل فيدخل القاضي والداعي، ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير المذكور أنّ إلى جانبه، وفي الناس من لا يدخل ولاه يلزم أحد بذلك فإذا فرغ القوم انفصلوا إلى أماكنهم ركباً، بذلك الزي الذي ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأغلق البيّاعون حوانيتهم إلى جواز العصر، فيفتح الناس بعد ذلك وينصرفون، هذا ما كان يصنع في مصر يوم عاشوراء أيام الفاطميين.

وأما ما كان يصنعه آل بويه في بغداد فقد ذكره أرباب التاريخ، وذكر أبو الفداء في حوادث سنة ثلاثمائة واثنين وخمسين يوم عاشوراء المحرم أمر معزّ الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويظهرون النياحة، وأن تخرج النساء منشرات الشعور مسودّات الوجوه قد شققن ثيابهنّ ويلطمنّ وجوههنّ على الحسين بن علي عليهالسلام، ففعل الناس ذلك.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: وقد أسرفوا في دولة بني بويه في حدود

الأربعمائة وما حولها، فكانت الدرادل [1] تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء ويذري الرماد والتبن في الطرقات، وتعلق المسوح [2] على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتذّ موافقة للحسين حيث قتل عطشاناً.

أقول: وكل هذه القضايا أخبر عنها رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم سيدة النساء فاطمة يوم ولادة الحسين عليه‌السلام حيث جاء النبي إلى بيت فاطمة وقال: عَلَيَّ بولدي الحسين، فأخذه وجعل ينظر إليه وهو يبكي، فقالت له فاطمة: يا أبة مالي أراك تنظر إلى ولدي الحسين وتبكي؟ فقال لها: بنية هذا جبرئيل يخبرني أنّ أُمّتي تقتله. فقالت فاطمة: يا أبتاه ومتى يكون ذلك؟ فقال لها: بنية في زمان خال منّي ومنك ومن أبيه أمير المؤمنين وأخيه الحسن. فقالت: أجل ومن يبكي على ولدي الحسين؟ فقال لها: (بنية يقيض الله له شيعة فيبكون على ولدي الحسين، جيلاً بعد جيل، وينصبون المأتم والعزاء عليه).

أقول:

يا رسول الله يا فاطمة ... يا أمير المؤمنين المرتضى

عظّم الله لك الأجر بمن ... كض أحشاه الظما حتى قضى

هذا ما تيسر لنا جمعه (الجزء الأول والجزء الثاني) من كتاب (ثمرات الأعواد)، وترقّبوا كتاب (المطالب المهمة) ملمّ بحياة الأئمّة الإثني عشر يحتوي على مطالب مرتّبة في ولاداتهم وفضائلهم ومناقبهم ووفياتهم وهو مائة مطلب وبالله التوفيق ومنه الأجر، تم سنة 1390.

---

(1) الدرادل: الطبول.

(2) المسموح الكساء من الشعر جمع مسح.

الفهرس